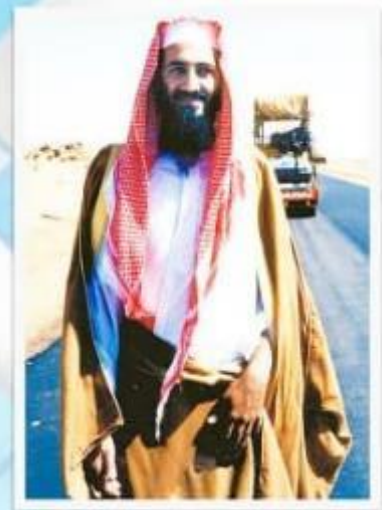


تنذرات من تاريخ القاعدة

رواية الشيخ خيب السوداني





مُحَقَّقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

شذرات من تاريخ القاعدة

رواية الشيخ / **خبيب السوداني**

(إبراهيم أحمد محمود القوصي)

- حفظه الله -



بيت المقدس

إهداء

إلى أمير المؤمنين الملاً عمر - رحمه الله - الذي أعاد كتابة التاريخ، فأحيا به الله مجد هذه الأمة وعزّها وكرامتها من جديد..

إلى الذي لقّن فقهاء الانبطاح وأئمة الضلال ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول دروساً في فنون الصمود والعزّة والإباء..

إلى الذي ضرب أروع الأمثلة في الوفاء والتضحية والولاء والبراء، فتحدى بمواقفه جيوش الكفر المجتمعين وجبايرته المتغطرسين، وعلمهم كيف يكون الرجال في ميادين النزال..

إلى من قال لهبل العصر أمريكا لا وألف لا.

إلى أمراء الجهاد وقادته وعلى رأسهم الإمام المجدّد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله..

إلى الذي سعّر هذه الحرب، ونكّس رأس الأمريكيين المتغطرسين؛ فغزاهم في عقر دارهم بعد أن كانوا من الغزو في حصن مكين، وجرّعهم حتوف الردى، وأذاقهم مرارة العذاب، ودوّن في التاريخ خزيهم وعارهم إلى أبد الآبدين..

إلى الذي أعطى كل ما يملك، وفارق كل ما يحب، وبذل كل جهده، واستنفد كل وسع في سبيل نصرة دينه وأمته.

إلى طليعة الأمة المجاهدة، الذين يفتershون الأرض ويلتحفون السماء..

إلى أولئك الرجال الذين هبّوا لنصرة الدّين يوم قلّ الواقفون..

إلى الذين بتصدّهم لمخططات الصليبيين وعملائهم اليوم، يقفون على أعظم
ثغور الإسلام..

إلى كل من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.
إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا الكتاب.

أخوكم/

خبيب السوداني

(إبراهيم أحمد محمود القوصي)

تمّ بفضل الله وحده يوم الأربعاء 10 محرم 1443هـ

الموافق 18 أغسطس 2021م

تَهْنِئَة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فهذا هي الإمبراطورية الثالثة أمريكا - وجمعها - تخرج من أفغانستان ذليلةً صاغرةً كما خرج أسلافها من قبل، وهذا هو رئيسها يعترف بعظمة لسانه بهزيمته، ويقول: "الأحداث التي نراها الآن هي إثبات بأنه ما من قوة عسكرية من شأنها أن تبني الاستقرار في أفغانستان، فهي معروفة بأنها مقبرة الإمبراطوريات". وهذا هو الأمين العام لحلف الناتو يعترف بأن انسحابهم من أفغانستان هو أكبر هزيمة في تاريخ الحلف منذ نشأته. فهنيئًا للمسلمين عامة، ولشعب أفغانستان وحركة طالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الشيخ هبة الله زاده وقادته وجنوده الميامين بصفة خاصة. هنيئًا لكم يا شامة العز في جبين هذه الأمة بهذا النصر العظيم، والفتح المبين، الذي أذهل العالم وكل أرباب السياسة والمراقبين، والذي لم يتحقق بكثرة عدد، ولا بقوة عدة أو عتاد، لكنه تحقق بفضل الله وحده، ثم بإيمان خالط بشاشة القلوب، وعزيمة وإصرار وهمة رجال تصاغت أمامها قمم الجبال. رجال عرفوا طبيعة هذا الدين وطبيعة هذا الصراع، فلم يعطوا الدنية في دينهم قيد أنملة، وضحّوا في سبيل ذلك تضحيات فاقت كلّ خيال، لذلك حُقّ لكم أيها الأفغان أن تفخروا بأبنائكم في حركة طالبان، فعلى أيديهم بفضل الله وحده قُبرت الإمبراطورية الثالثة في تراب أفغانستان، وعلى أيديهم عادت الإمارة الإسلامية لتحكم بشرع الله ولو كرهت أمريكا وحلفائها، وعلى أيديهم تحققت كلمات أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله عندما قال: "لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق". فهنيئًا لكم يا شعب أفغانستان بالطالبان، وهنيئًا للطالبان بكم.

أمّا أنتم يا من تتطاولون على طالبان وأنصارهم بأقذع الأوصاف والألفاظ، لا يسعنا إلا أن نهدّيكُم هذه الصورة، ونقول لكم: الحقّ ما شهدت به الأعداء، فموتوا بغیظكم، ستكتب شهادتكم ثم تسألون، وأمام ربّ العالمين بإذن الله تلتقي الخصوم، وحينها سيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون.



الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف بأن أفغانستان مقبرة الغزاة

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتقين. والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه، وأمينه على وحيه، الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، ودعا بدعوته، ونصر سنّته، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

يقول الشيخ أبو مصعب السوري - فرّج الله كرتيه - متحدّثاً عن اندثار أهم التجارب الجهادية المسلحة في النصف الثاني من القرن العشرين: "ولذلك فقد اندثرت معظم التجارب الجهادية الهامّة للتيار الجهادي، بل وعموم التجارب الظاهرة الجهادية دون أن يكتب عنها أصحابها، وأقصد من قاموا بها أو شهدوها بأنفسهم، أو كانوا على احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم. وفي حدود علمي فإن من بين عشرات التجارب الطويلة الأمد أو المحدودة، لم يكتب أحد من أصحاب تلك التجارب شيئاً يذكر، أو لم يصل على الأقل للانتشار، وقد فات على الأمة وأجيالها القادمة بذلك دروساً بالغة الأهمية، وقصصاً وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة من تلك الملاحم التي قام بها الجيل الأول والثاني من هذا التيار الجهادي، منذ انطلق وإلى نهايات القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين، في حين تطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب بعض الخصوم، أو بعض التجار من الصحفيين، أو بعض القاعدين من (دونكيشوتات) الصحوّة الإسلامية من أصحاب الكروش التي تربت تحت برد المكيفات"⁽¹⁾.

بناءً على هذه المقدمة القيّمة من كلام الشيخ أبي مصعب السوري، أشهد الله أنّه كان قد حدّثني في مجّمع نجم الجهاد بجلال أباد في أواخر عام 1996م - بعد رجوعي من الشيشان - على أن أوثّق تلك الأحداث التي شهدتها هناك. ورغم قناعاتي بأهميّة حديث الشيخ أبي مصعب إلّا أنني لم أولّه أي اهتمام ولم يحرك فيّ ساكنًا؛ لأني بطبيعة الحال لم أجد نفسي أهلاً لهذا الأمر. ولما مرّت السنون بعد ذلك، وتوالى الأحداث، واستحرّ القتل في ركب السابقين الأولين من أفراد هذه المسيرة الجهادية المباركة "القاعدة"، بدأت أستشعر أهميّة حديث الشيخ أبي مصعب بضرورة

(1) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

التوثيق لذلك التاريخ المجيد، خوفاً عليه من الضياع والتزييف والتشويه بواسطة قطاع الطريق، المتخصصين في ذبح الحقيقة وتزوير التاريخ وما أكثرهم.

ومنذ الأيام الأولى التي وطئت فيها أقدامي أرض اليمن في ديسمبر 2014م، كنت أناشد أمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الشيخ أبا بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي)، بأن يوثق تلك الأيام والسنون التي قضاها قريباً من الشيخ أسامة كأميناً لسره - رحمهم الله جميعاً - غير أن الرجل كان زاهداً في خوض غمار هذا الأمر، بحجة أنه لا يُفتى ومالك في المدينة، فقد كان رحمه الله يخشى أن يقدم أو يؤخر بين يدي إخوة كبار، أقدم منه هجرةً وسابقةً، وعلماً وتجربةً ما زالوا على قيد الحياة، هم أولى - كما كان يقول - بتولي هذا الأمر منه، وعلى رأس هؤلاء الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو محمد المصري⁽²⁾، والشيخ سيف العدل حفظهم الله جميعاً.

ورغم أنه كان من فضل الله عليّ مرافقة الشيخ أسامة رحمه الله عن قرب لعدة سنين؛ إلا أنه لم يدر بخلدي يوماً من الأيام قط أن أدلي بدلوي في هذا الأمر، حتى وصلتني بتاريخ 3 ذو القعدة 1437هـ رسالة من الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله، جاء في ثناياها ما يلي: "أتمنى عليكم أن تشاركوا في سلسلة (أيام مع الإمام)، وذلك بإصدار سلسلة فرعية بعنوان (أيام مع الإمام - ذكريات الشيخ خبيب السوداني مع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله)، حتى لا تختلط الحلقات مع الحلقات التي يصدرها السحاب. والله يوفقكم لكل خير".

كذلك كان الإخوة في مؤسسة الملاحم قد طلبوا مني وألحوا عليّ كتابة شهادتي وذكرياتي مع جماعة القاعدة بصفة عامة، ومع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله بصفة خاصة، ويعلم الله كم كانت هذه المطالبات والمناشدات - رغم قناعاتي بأهميتها - ثقيلة على نفسي، لأني ببساطة لست

(2) قبل الفراغ من هذا الكتاب تلقينا نبأ اغتيال الشيخ أبي محمد المصري مع ابنته الكبرى (زوجة حمزة بن لادن) على أيدي الموساد اليهودي في إيران. جدير بالذكر أن اغتيال الشيخ أبي محمد رحمه الله، تم في يوم 7 أغسطس 2020م، وهو ذات اليوم - بعد اثنين وعشرين عاماً - الذي تم فيه استهداف سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام عام 1998م، ولعل أمريكا أرادت أن ترسل بذلك رسالة تقول فيها أنها لا تنسى ثأرها مهما طال الزمن، وأنها خلف غرمائها حيثما كانوا، لكننا نقول لها، كما قال ربنا جلّ في علاه: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)، فشتان شتان بين التاريخين، فأصحابنا قد عجلوا بأصحابكم إلى جهنم وبئس المصير، وأنتم - بإذن الله - قد عجلتم بصاحبنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبلهم جميعاً في الفردوس الأعلى، اللهم آمين.

من فرسان ذلك الميدان، ورحم الله امرئ عرف قدر نفسه، فما أنا من الذين يخوضون بحار القراءة في بطون الكتب، ناهيك عن الكتابة عن أحداث ووقائع وشخصيات في غاية الأهمية والخطورة غيّرت بفضل الله وحده مجرى التاريخ، لكن مع ضغوط الأخوة وإلحاحهم على هذا الأمر، وخوفاً - كما قال الشيخ أبو مصعب السوري - من أن يتطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب بعض الخصوم، أو بعض التجّار من الصحفيين والقاعدين، استعنت بالله وحده وأمسكت القلم، وبدأت أعصر ذكرياتي عن تلكم الأيام، وخرجت الصورة الأولى لتلك الذكريات في صفحات صحيفة المسرى في سبع حلقات بعنوان "أيام من مذكراتي". ويعلم الله كم ألمني وأخرجني ذلك العنوان الكبير الذي اختاره محررو الصحيفة دون مراجعتي، والذي عكس غير المقصود من كتابة تلك المقالات، فأظهرني كأني من أولئك الجهابذة الأعلام، الذين يحبّون أن يُشار إليهم بالبنان وما أنا كذلك، والله لو يعلم الناس حالي لقالوا كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "آن لأبي حنيفة أن يمدّ رجله"⁽³⁾.

ثم تطور الأمر إلى مشروع كتابٍ عن تاريخ تنظيم القاعدة، بذلت فيه وسعي وقصاري جهدي، فجمعت ونقلت معظم محتواه ممن كتب في الموضوع مع بعض التصرف، وأضفت إلى تلك النقول عصارة ذكرياتي مع شيء من التحليل والمقارنة المتواضعة لبعض الأحداث الهامة، وقسمت فصول الكتاب إلى خمسة فصول تناولت خمس مراحل تبدأ من حضور الشيخ أسامة لباكستان - بعد سماعه لغزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان - حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مع تغطية طفيفة لبعض العمليات بعد الأحداث. وبفضل الله وحده خرج الكتاب بالصورة التي بين أيديكم، وأسميته: "شذرات من تاريخ القاعدة".

ولا تغطّي صفحات هذا الكتاب مرحلتين من أهم المراحل التاريخية ما زالت رحي أحداثها تدور منذ عقدين من الزمان حتى هذه اللحظة، وهي الملاحم البطولية التي خاضها رجال القاعدة في أفغانستان - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر - جنباً إلى جنبٍ مع إخوانهم الطالبان في

(3) قصّة هذه المقولة التي صارت مثلاً هي أن الإمام أبو حنيفة رحمه الله كان جالساً، فقدم رجلٌ عليه الوقار والهيبة، يوحى مظهره أنه من كبار العلماء، وكان أبو حنيفة مادّاً رجله فضمها احتراماً للرجل، واستقبله وأجلسه بجانبه، ثم بدأ الرجل يسأل، قال: يا إمام! متى يفطر الصائم؟ قال: أبو حنيفة إذا غربت الشمس، قال: فإذا لم تغرب إلا نصف الليل؟ فمدد أبو حنيفة رجله الإثنين وقال: "آن لأبي حنيفة أن يمد رجله".

مواجهة هبل العصر أمريكا، إلى جانب المواجهات العنيفة، والحرب الاستخباراتية القذرة التي واجهتها القاعدة في وزيرستان مع وكيل أمريكا في المنطقة؛ الجيش الباكستاني. كذلك لم تغط صفحات هذا الكتاب مرحلة تمدد القاعدة، وانضمام كم مهم من الحركات الجهادية ومبايعتها للعمل تحت لوائها في العراق والشام والصومال ومغرب الإسلام، مروراً بمالي وشبه القارة الهندية.

ومع كل ذلك، لا أزعـم أن الجزئية المحدودة من المعلومات التي تناولتها صفحات هذا الكتاب، تحوي بين دفتيها عشر معشار ذلك التاريخ المجيد، فما هي إلا شذرات، وغيض من فيض لأحداثٍ عظام، وقصصٍ لرجالٍ كرام، هبوا لنصرة دين الله، يستلذون ويستعذبون التضحية في سبيله يوم قلّ الواقفون، فغيّروا بفضل الله وحده مجرى التاريخ.

اللهم هذا الجهد وعليك التكلان، وإن صفحات هذا الكتاب، كغيرها من جهد البشر فيها الصواب والخطأ، والزيادة والنقصان، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشیطان، والله ورسوله منه بريئان، أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اللهم آمين.

الفقير إلى عفو ربه /

خبیب السودی (إبراهیم أحمد محمود القوصی)

تمهيد

مما لا شك فيه أن في دراسة تاريخ التيار الجهادي، والوقوف على تجارب السابقين من أبنائه في هذا الطريق الجهادي المعاصر، دروسًا عظيمة وتجارب رائعة - بصرف النظر عن صوابها وخطئها - لا بد للجيل الجهادي القادم أن يقف عليها ويدرسها، وأن يهضم خلاصة تجارب أسلافه، والسير على أنوار ما قدّموا فكرًا وتجربةً وقدوةً، ليطور نظريات عمله بالاستفادة وأخذ العظات والعبر منها، والبناء عليها، ومتابعة حمل راية الجهاد في هذه الظروف البالغة الصعوبة، وفي هذه المعركة البالغة الاختلال في موازين القوى، حتى لا يخسر ذلك الجيل دروسًا عظيمة من مسار مجيد، مخضب بدماء آلاف الشهداء، ومعاناة جيلٍ كابد في صراعه مع الطواغيت ومن وراءهم أشد المعاناة، وحتى يكون ذلك الجيل حلقةً طبيعية في هذه السلسلة، التي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإسلام المنشود في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الراشدة على منهاج النبوة إن شاء الله⁽⁴⁾.

فالقاعدة مرت بعدة مراحل تاريخية، تخللتها أحداث ووقائع كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة في تاريخ الصراع في المنطقة، وكذلك في تحوّل المسار الفكري والمنهجي للمجاهدين، بما فيهم الشيخ أسامة رحمه الله، من الممكن إجمالها كالتالي:

1- مرحلة أفغانستان الأولى وفيها: دخول الروس أفغانستان، وحضور الشيخ أسامة إلى باكستان في 10 يناير 1980م، ونشاطه حتى تأسيس القاعدة في أغسطس 1988م (تسليم التبرّعات، تأسيس مكتب الخدمات وبيت الأنصار، وإنشاء المأسدة، ومعارك جاجي والدروس المستفادة منها "برنامج التدريب").

2- مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان مطلع عام 1992م وفيها: معارك جلال آباد، وهزيمة الاتحاد السوفيتي، والمكر الدولي لمحاربة الجهاد الأفغاني، وبرنامج ما يسمى بمكافحة الإرهاب.

3- مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث وفيها: أعمال الشيخ أسامة الاستثمارية في السودان، وأحداث الصومال، واليمن، وعملية محاولة اغتيال الطاغوت المصري السابق الهالك

(4) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

حسني مبارك في أديس أبابا، وغيرها من الأحداث حتى خروج الشيخ من السودان في مايو 1996م.

4- مرحلة أفغانستان الثانية وما تخللتها من أحداث، وتبدأ من وصول الشيخ أسامة - بعد إبعاده من السودان - جلال أباد في أفغانستان، وفيها: إصدار بيان " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، وانتقال الجماعة إلى قندهار، ومشاركة الجماعة القتال مع طالبان، وتأسيس الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والنصارى، وعمليات نيروبي ودار السلام وعملية كول... الخ

5- مرحلة أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما بعدها من عمليات خارجية، وتداعيات الأحداث على طالبان والتجمع الجهادي في أفغانستان، وما صاحب العمليات من شبهات، وأحداث تورا بورا والانسحابات إلى باكستان، وغيرها من الأحداث التي تعجز الكتب والمجلدات عن حصرها، ناهيك عن هذه الصفحات.

المرحلة الأولى:

حضور الشيخ أسامة رحمه الله إلى باكستان، ونشاطه قبل تأسيس القاعدة

استيقظ العالم في صبيحة الرابع والعشرين من ديسمبر عام 1979م، على نبأ غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، فقامت الدنيا ولم تقعد، واشتعلت خطب الجمعة في كل بلاد المسلمين، وأقيمت المحاضرات والمؤتمرات والمهرجانات، ووزعت المنشورات والمؤلفات والصحف وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط العالم الإسلامي والصحوة، تندد وتشجب وتروج للجهاد الأفغاني، وتنادي أن حيّ على الجهاد يا خيل الله اركبي⁽⁵⁾.

فبعد أن علم الشيخ أسامة بن لادن بالغزو السوفيتي لأفغانستان، سافر رحمه الله - بعد التنسيق مع الجماعة الإسلامية هناك - في رحلة استطلاعية إلى باكستان، وكان حضوره بعد سبعة عشر يومًا فقط من الغزو، فسافر إلى لاهور في 10 يناير 1980م، وذهب إلى أمير الجماعة الإسلامية، وسلمه مبلغًا من المال تبرعًا، وطلب منه أن يقوم بإيصاله لقادة المجاهدين، ووعدته أمير الجماعة بذلك. وكان أبرز قادة الجهاد الأفغاني في الساحة آنذاك هم حكمت يار وسيّاف ورباني، الذين لم تكن أسماؤهم غريبة على الشيخ أسامة، حيث أن بعضهم كان ممن يحضر إلى مضافة والده في الحج والمواسم. وحرص الشيخ أسامة أن يبقى أمر تلك الرحلة في البداية طي الكتمان، لأنه لم يكن يعلم توجه النظام السعودي آنذاك تجاه الحدث⁽⁶⁾.

يقول الشيخ أسامة بن لادن، رحمه الله: "فمن باب الحديث بالنعمة التي منّ الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضًا للمؤمنين على هذا الأمر العظيم، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام 1399هـ، سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان، وذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرته إخواننا المسلمين في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منّ الله عليّ ودخلت أفغانستان"⁽⁷⁾.

(5) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

(6) أسد الإسلام مجدد الزمان وقاهر الأمريكان لفارس الزهراني. بتصرّف.

(7) مأسدة الأنصار لعصام دراز.

وكان العرب الذين توجهوا إلى باكستان لدعم المجاهدين الأفغان في السنوات الأولى لغزو الروس حتى عام 1984م آحادًا، ربما لم يصل عددهم إلى عشرة أو عشرين، دخل قليلٌ منهم أفغانستان فعليًا للمشاركة في الجهاد، كما وصلها بعض آحاد المحسنين من المسلمين، لتقديم بعض العون المادي للمجاهدين الأفغان خلال تلك الفترة⁽⁸⁾.

وكان أول العرب الذين كان لهم شرف السبق في الجهاد في أفغانستان، على سبيل المثال هم: الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله - كان قدومه في بداية شهر يونيو عام 1979م قبل الغزو السوفيتي، بصحبة اثنين من أصدقائه هم أحمد المنيأوي وإسماعيل - والشيخ أسامة بن لادن والشيخ كمال السناني (زوج أمينة قطب أخت سيد قطب). وفي صيف عام 1980م كان الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله، ضمن أول ثلاثة أطباء وصلوا بيشاور للعمل الإغاثي لمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغان، وبقي هناك أربعة أشهر ثم عاد مرة أخرى في مارس عام 1981م، ومكث قرابة شهرين، اضطر بعدها إلى العودة لمصر لترتيب أوضاعه، لكنه أعتقل فور وصوله، ولم يتمكن بعدها من العودة إلى ساحة الجهاد الأفغاني إلا في منتصف عام 1986م.

كذلك كان من السابقين لساحة الجهاد في أفغانستان الشيخ عبد الله عزام، والشيخ الدكتور فضل (سيد إمام)، والشيخ أبو سيف الأردني (فتحي محمد حبيب)، والشيخ تميم العدناني، والشيخ أبو عبيدة البنشيري (علي أمين الرشيد)، والشيخ أبو حفص الكمنداني (صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري)، والشيخ أحمد حسن أبو الخير المصري (عبد الله رجب)، وعبد الله جعفر الأردني، ووديع الحاج⁽⁹⁾ (أبو عبد الله اللبناني)، وعصام الليبي، والشيخ أبو إبراهيم العراقي، والشيخ أبو أيوب العراقي وآخرون، رحم الله منهم الأموات، وحفظ من كان منهم على قيد الحياة.

(8) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

(9) حاليًا سجين في أمريكا منذ أكثر من عشرين سنة، وحُكِمَ بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة وتفجير السفارات في نيروبي ودار السلام. نسأل الله الكريم أن يعجل بفكاك أسره.



الشيخ كمال السناني - رحمه الله

الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) على اليمين، مع سيف
أثناء جولته الأولى كرئيس للاتحاد الإسلامي عام 1980م.

وفي بادئ الأمر كان المجاهدون العرب - الذين يأتون للجهاد في أفغانستان في السنين الأولى قبل عام 1984م - ينزلون ضيوفاً في مضافات أحزاب المجاهدين الأفغان المختلفة، ثم يلتحقون بمعسكرات التدريب التابعة لهم، ومن بعدها بجبهاتهم المنتشرة داخل أفغانستان، حيث لم تكن هناك أي بنية تحتية من معسكراتٍ أو مضافاتٍ أو جبهاتٍ خاصة بالعرب.

الجهاد الأفغاني الفرصة الذهبية:

كانت قضية الجهاد الأفغاني آنذاك فرصة ذهبية، ومنطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها، فاجتمع الجميع على الاتحاد السوفيتي، وكان لكل نيته وأهدافه؛ فاعتبرت الأنظمة العربية والإسلامية الاحتلال الروسي لأفغانستان فرصة مناسبة للتخلص من فائض العنف الذي بدأ يهدد أنظمتها وشرعيتها، وأرادت أمريكا هزيمة الاتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة، بعد أن كال لها الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضرباتٍ موجعة في أكثر من مجال، فأوعزوا إلى وكلائهم في البلاد العربية والإسلامية بأن يسمحوا للشباب المجاهدين بأن يتوجهوا إلى أفغانستان. كذلك سمحوا لأجهزة إعلام تلك البلاد في الترويج للجهاد الأفغاني، وفي أن تُفتي مؤسساتها الدينية بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان، وفي أن تترك المجال للدعاة والصالحين والأئمة أن

يحرصوا ويشجعوا الشباب على الذهاب إلى هناك، حتى بلغ الأمر أن تخفّض شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من بلاد الحرمين إلى باكستان بنسبة 75%، ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية⁽¹⁰⁾ لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان. كذلك أوعزت أمريكا لباكستان، بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان، وأن تسمح للعرب بحرية الحركة التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني، فنجحت أمريكا في تلك الحرب الباردة، وحققت بكل جدارة تحسد عليها ما أسماه الرئيس الأمريكي السابق نيكسون في كتابه الشهير " نصر بلا حرب "⁽¹¹⁾.

لكن الحقيقة التي عمي عنها نيكسون هي:

[[ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً... ويأتيك بالأخبار من لم تزود]]

فلو قُدِّرَ لِحُجُبِ الغيب أن تُكشَفَ لأمريكا، وعلمت أن الدور قادم عليها، وأن الجهاد الأفغاني سيخرج من رحمهِ يومًا من الأيام رجالًا يمزّغون أنفها وكبريائها ورمز عزتها بالتراب، وتكون عملياتهم بفضل الله وحده سببًا رئيسيًا في انهيارها لفكّرت ألف مرّة، ولما خاطرت آنذاك بالإيعاز إلى وكلائها في البلاد العربية والإسلامية، بإعطاء الضوء الأخضر للشباب المجاهدين بأن يتوجهوا إلى أفغانستان، لكن يمكرون ويمكر الله، ولا يحيق المكر السيئ إلّا بأهله، فقد أيقظوا المارد الإسلامي الذي كانوا يخشون قيامه. يقول الشيخ عبد الله عزام في كتابه " الأسئلة والأجوبة الجهادية":

"واحد أمريكي اسمه (شخترمان) قدم تقريرًا سياسيًا للحكومة الأمريكية عن الجهاد الأفغاني قال: "What We Have Done? We Have Awakened The Giant" نحن ماذا فعلنا، لقد أيقظنا العملاق. هنالك كتب الآن توزع في السوق الأمريكية على أن الجهاد الافغاني لن يقف عند حدود جيحون، سيحرك الشعوب الإسلامية وسيقوّض بنيان الاتحاد السوفياتي من داخله، وسيقتحم البرنس مرة ثانية ويدخل فرنسا، ويدخل النمسا، وستعودين يا

(10) ملحوظة: هذه التذاكر لم تكن من أمريكا، ولكنها كانت من أموال التبرعات الشعبية لأفغانستان، التي سيطر عليها نظام آل سعود عبر هيئة الإغاثة الإسلامية، والهلل الأحمر السعودي، والهيئة الخيرية التي كانت تابعة لسلمان بن عبد العزيز.

(11) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف

أوروبًا تدفعين الجزية مرة ثانية للمسلمين، كما دفعت خمسة قرون متتالية للدولة العثمانية، وهنا تضطر أمريكا - هكذا يقول لهم، هذا الرجل الكاتب - يقول لهم وعندها ستضطر أمريكا أن تخوض المعركة مع الإسلام، ليس في داخل أفغانستان ولا في داخل الحدود الإسلامية، بل في أواسط أوروبا، وعندها تندم حيث لا ينفع الندم. نيكسون قال على التلفزيون الأمريكي: لقد حان الوقت أن نتناسى خلافاتنا مع روسيا لنقف أمام الزحف الإسلامي".

الفريضة الغائبة⁽¹²⁾:

وبالرغم من تقاطع المصالح بين المجاهدين والأنظمة العربية والولايات المتحدة؛ إلا أن أجندة الجهاديين كانت مختلفة تمامًا، فقد رأت الحركات الجهادية أن أفغانستان توفر فرصة مناسبة للقيام بواجب الجهاد " الفريضة الغائبة"، ومرحلة مهمة للإعداد والتدريب من أجل القيام بالانقضاض على الأنظمة الحاكمة في العالم العربي. كذلك أدرك الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة رحمهما الله، أن ساحة أفغانستان فرصة كبيرة، يجب أن تستغل بأفضل ما يمكن أن تستغل به، ف لأول مرة منذ زمن بعيد يُناقش أمر الجهاد في العلن، وفي صفحات الجرائد، وعلى شاشات التلفزة بعد أن كان نسيًا منسيًا، فأدرك الشيخان - رحمهما الله - أن هذا الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس، والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلاً، وستنتهي وتقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها.

وبناءً على ذلك بدأ الشيخ عبد الله عزام - رحمه الله - يحوب الأرض من باكستان إلى أمريكا، محرضًا المسلمين على الجهاد. وكانت عملية الدعاية الواسعة آنذاك التي غطى بها الشيخ عبد الله عزام الجهاد الأفغاني، شارحًا لهذا المصطلح الذي كاد أن يندثر في حياة المسلمين، ومجيبًا لكل الأسئلة الفقهية المتعلقة به، ومفتدًا لكافة الشبهات الشرعية التي اعترضت طريق الجهاد في تلك الفترة عبر وسائله الإعلامية المختلفة - خاصة كتابيه "آيات الرحمن في جهاد الأفغان"، وكتاب "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان" الذي ألفه عام 1984م - بجانب الجولات الدعائية الهامة التي كان يقوم بها الشيخ أسامة بن لادن في بلاد الحرمين، قد أدت إلى استنفار المجاهدين العرب للقتال في أفغانستان، فتقاطروا بأعداد كبيرة ليصل عددهم عدة آلاف، كان أكثرهم من بلاد الحرمين واليمن ومصر.

(12) من دعوة المقومة الإسلامية العالمية ومن أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد. بتصرف.

وكان الشيخ عبد الله عزام يقول: "أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهدًا، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد"، ولقد حصل له - رحمه الله - أكثر مما اشتهى؛ فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من أربعين ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني، وتدريب عسكريًا أكثر من نصفهم، وشارك في القتال أكثر من نصف الذي تدربوا، ولم يتجاوز عدد الشهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال 2,5%. فقد كانوا خلال ثماني سنوات زهاء ألف شهيد رحمهم الله تعالى⁽¹³⁾.

دخول الشيخ أسامة أفغانستان أول مرة:

كان تردد الشيخ أسامة على الجماعة الإسلامية في لاهور، وعلى الشيخ عبد الله عزام في إسلام آباد، لتسليم التبرعات دوريًا وحثيًا ومتواصلًا منذ اليوم الأول الذي سافر فيه في 10 يناير 1980م حتى الربع الأول من عام 1984م. وحتى ذلك التاريخ، كان الشيخ أسامة متهمًا من الدخول إلى أفغانستان، نظرًا لأن نظام آل سعود - بسبب قرب أسرته منهم - كان قد طلب منه رسميًا ألا يدخل إلى أفغانستان، ويبقى عند المهاجرين في بشاور، لأن الروس لو مسكوه أو أسروه سيكون ذلك دليلًا عليهم أنهم يدعمون المجاهدين ضد الاتحاد السوفيتي، لكن بعد أربع سنوات، وبتشجيع من الشيخ عبد الله عزام لم يبال الشيخ أسامة بذلك المنع؛ فكانت زيارته الأولى إلى جاجي في رجب 1404هـ (أبريل 1984م)، وحضر وقتها غارة جوية عنيفة أسفرت عن سقوط طائرات ادعى سيّاف⁽¹⁴⁾ - وكان موجودًا حينها - أنها أربع طائرات من بينها واحدة هيلوكوبتر. وعندما تطوف ذكريات تلك الأيام في ذاكرة الشيخ أسامة، يستعرضها بمرارة كبيرة ويقول: "حتى عام 1404هـ، ظل التهيب من المشاركة الجسدية ماثلاً دائمًا أمام عيني، والأعذار كثيرة في هذا للمبطلين، وإن كان تثبيطهم بحسن ظن، حيث أنهم ألفوا هذا الجو في العالم الإسلامي، وعلى هذا الحال استمرينا للأسف، وأقول للأسف الشديد إلى رجب عام 1404هـ، حيث دخلنا لأول مرة معسكرات القتال والجهاد في الداخل"⁽¹⁵⁾.

(13) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

(14) اسمه عبد ربّ الرسول سيّاف، كان آنذاك يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان.

(15) معارك البوابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

وجدير بالذكر أنه قبل ذلك التاريخ بعامٍ وأكثر، كانت هناك مجموعات عربية تقاتل في أفغانستان، ومن أشهرها مجموعة خوست التي ضمت كل من الشيخ أبو الوليد المصري حفظه الله، وعبد الرحمن المصري رحمه الله، وأبو حفص الكمندان رحمه الله، وأحمد حسن أبو الخير المصري رحمه الله، وصخري رحمه الله، ووديع الحاج اللبناني فكّ الله أسره.

وكان الشيخ أسامة - رحمه الله - قد تأثر تأثراً عظيماً بما رآه من حال الأفغان، وضعف إمكاناتهم، وشدة وجبروت عدوهم، وتبين له عدم كفاية وسائل الوقاية من الغارات خاصة الخنادق والأنفاق، ثم طرق التحرك والإمداد، كذلك من خلال رحلته نحو قلعة تشاوي تبين للشيخ أسامة قلة الذخائر بشكل ملفت، وبعد مقابلته لوفد قادم من ولاية أخرى داخلية تبين للشيخ أيضاً أن نقص الذخائر أكثر فداحةً هناك. أيضاً تبين للشيخ أسامة أن الأموال لاتصل إلى مكائنها الصحيح، وإذا أضفنا إلى ذلك نقص الطعام والملابس وكل شيء ذو أهمية للعمل الجهادي، شعر الشيخ أسامة بالذنب وبخطأ طريقته القديمة في ضخ الأموال، بدون متابعة وصولها إلى أهدافها المنشودة لخدمة الجهاد والمجاهدين. فقال واصفاً ذلك الحال: "فوجئت بالوضع متدنياً جداً جداً من ناحية الإمكانيات وفي جميع الأشياء، الأسلحة والطرق والخنادق، واستغفرت الله سبحانه وتعالى العلي العظيم، وشعرت أنني أذنبت بسبب سماعي لبعض الإخوة والمشايخ والأحباب، فلم أدخل إلى الداخل خشية أن يسبب ذلك حرجاً أمنياً، وشعرت أن هذا التأخير لأربع سنوات لا تكفره إلا شهادةً في سبيل الله"⁽¹⁶⁾.

فكرة تأسيس مكتب الخدمات:

كانت المساعدات النقدية والعينية لقضية أفغانستان التي جاد بها المحسنون من العالم الإسلامي وعلى رأسهم الشيخ أسامة، والتي قدمتها بعض الدول وعلى رأسها دول الخليج، تقدر بمئات الملايين من الدولارات، تصبُّ كلها في خزانة الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان الذي يرأسه عبد رب الرسول سياف، وكان حينها يمثل الأمير الشرعي للجهاد الأفغاني، وكانت هناك شكوك كثيرة - تكشفت فيما بعد - تدور حول نزاهة وأمانة وفساد هذا الرجل بالنسبة لوصول المساعدات إلى مستحقيها بحق، وهم المجاهدون في داخل أفغانستان.

(16) معارك البوابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

وكان الشيخ جلال الدين حقاني رحمه الله، قد جاء بمشروع مكتوب، عرضه على الشيخين عبد الله عزام وأسامة بن لادن في موسم حج 1404هـ (سبتمبر 1984م)، يضمن وصول المساعدات، وتقديم الخدمات بواسطة الإخوة العرب، من خلال دخولهم الجبهات، ودراسة الأوضاع على الأرض، ثم تقديم المساعدات والتبرعات حسب الاحتياجات الميدانية مباشرة إلى المجاهدين، بدون المرور على قيادات بشاور التي عجت بالفساد والتدخل الأجنبي، والتنافس على الزعامة، وأصبحت عقبة ومانع لوحدة المجاهدين في الداخل⁽¹⁷⁾.



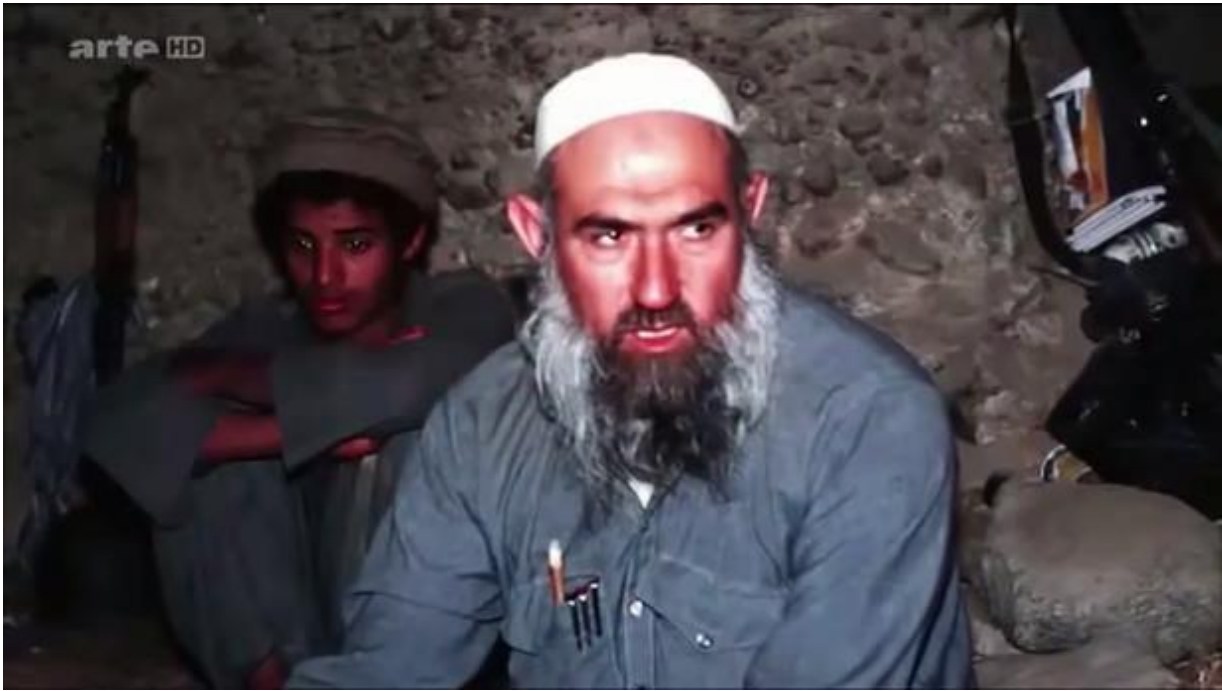
الشيخ جلال الدين حقاني - رحمه الله

وافق الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن على المشروع وتحمّسا له، ولكن بغطاء شرعي عبر سيف الذي كان موجوداً أيضاً في مكة. فهم سيف مغزى المشروع وأنه يستهدف مكانته المهيمنة على الساحة الأفغانية، ولكنه أسرع إلى احتوائه بجعله تحت إشرافه، على أن يكون تحت لافتة "الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان" الذي يرأسه، ولتفعيل هذا المشروع سرعان ما تأسس مكتب الخدمات بعد الحج مباشرة، وأصبح هو المستودع الأكبر لتبرعات المسلمين للجهاد في أفغانستان، خاصة التبرعات القادمة من بلاد الحرمين ودول الخليج. وكان الشيخ أسامة قد تكفل

(17) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) بتصرف.

سكنًا وتذكراً ومصروفًا وأسرّة لكل عربي يرغب في التفرغ للعمل في مكتب الخدمات، منذ خروجه من بلده وحتى يعود إليها⁽¹⁸⁾.

وكان المشرف علي مكتب الخدمات هو الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، وتشكلت إدارة المكتب من عدة لجان هي اللجنة العسكرية، واللجنة الإدارية، ولجنة التدريب، ولجنة الترحيل (وهي خاصة بترحيل القوافل إلى داخل الأراضي الأفغانية). أيضًا انبثقت من مكتب الخدمات باقي أنشطته التي كان من أهمها تأسيس معسكر التدريب في صدى، وتأسيس مجلة الجهاد، ثم قيام الشيخ عبد الله عزام بأسفار ورحلات دعائية، ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجهاد الأفغاني، وحث الشباب على الرحيل إليه، والاستفادة منه، وأداء فريضة الجهاد، وكان باكورة كتبه " آيات الرحمن في جهاد الأفغان " ثم كتاب " الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان " الذي أفتى فيه بفرضية العين على جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار، للذهاب للجهاد في أفغانستان.



شيخ المجاهدين عبد الله عزام - رحمه الله

(18) المصدر السابق. بتصرف.

وتأييدًا لتلك الفتوى استطاع الشيخ عبد الله عزام الحصول على أكثر من ثمانين توقيعًا من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي، وعلى رأسهم كبار علماء بلاد الحرمين الشيخ ابن باز رحمه الله، وكذلك من بعض مشايخ الأزهر، وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المسلمين من أقطار عديدة، وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم، وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورًا مهمًا في عملية التحريض⁽¹⁹⁾.

بدايةً استوعب مكتب الخدمات للعمل كل الإخوة العرب الثلاثين المقيمين في بيشاور. وكان مفهوم الشيخ عبد الله عزام الذي دافع عنه بكل ما يملك من قوة، عن دور العرب الذين يعملون في مكتب الخدمات، هو دعوة الأفغان وتنقيفهم إسلاميًا، وإصلاح ذات البين في حال ظهور منازعات في الجبهات بين أتباع المنظمات الأفغانية، ورفع الروح المعنوية للأفغان بالتواجد الميداني معهم، ومشاركتهم قتاليًا بما تيسر، وكان يرى أن الأفغان أقدر على القتال في بلادهم من العرب، وأنهم ليسوا في حاجة إلى رجالٍ للقتال⁽²⁰⁾.

ميدانيًا كان نشاط مكتب الخدمات يتمثل في "مشروع الترحيل"، أي نقل كل ما يحتاج له المجاهدون من دعم لوجستي من مهام وعتاد عسكري وتموين إلى مراكزهم داخل أفغانستان في قوافل من البغال عبر المسالك الجبلية. وكانت كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر مكدسة في منافذ التهريب الحدودي، بدعوى أن الأحزاب لم تسلم لأصحابها أجرة النقل، وهي تكاليف باهظة تصدى لها مكتب الخدمات لحل المشكلة، حيث أقام مراكز في تلك المناطق لوزن الشحنات، ودفع أجرة النقل لأصحاب الدواب، وكثيرًا ما كان يرافق القوافل عدد من الشباب العربي، للإشراف على توزيع معونات المكتب داخل الجبهات⁽²¹⁾.

(19) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

(20) معارك البوابة الصخرية. للشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) بتصرف.

(21) معارك البوابة الصخرية. للشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) بتصرف.



قافلة من البغال تنقل المؤن والعتاد العسكري لداخل أفغانستان

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، ينفق شهرياً حوالي نصف مليون روبية باكستانية لمصاريف المكتب فقط، أي حوالي خمسة وعشرين ألف دولار أمريكي. يقول الشيخ الإمام عبد الله عزام - رحمه الله - في وصيته وهو يتحدث عن مكتب الخدمات: "وأدعو كثيراً لمن تكفل هذا المكتب بماله الخاص، وهو الأخ أبو عبد الله أسامة بن محمد بن لادن، أدعو الله أن يبارك له في أهله وفي ماله، ونرجو الله أن يكثر من أمثاله، والله أشهد أنني لم أجد له نظيراً في العالم الإسلامي، فنرجو الله أن يحفظ له دينه وماله وأن يبارك له في حياته"⁽²²⁾.

كانت فكرة مكتب الخدمات خطوة استراتيجية كبيرة، لكن كان عيبها الأساسي هو عدم اهتمامها بدور قتالي للعرب، فالشيخ عبد الله عزام لم يلتفت إلى ذلك الجانب، الأمر الذي سبب له مشاكل في المكتب تجلت في الصراعات الوظيفية، والتناحر والتنافس على الامتيازات. وأصبح المجاهد العربي - إضافةً إلى حالة الفوضى والعجز الإداري في المكتب - تائهاً بين كونه صحفياً غير مؤهل، وبين كونه موظفاً في هيئة إغاثة يجمع المعلومات عن الجبهات واحتياجاتها، وبين كونه فاعل خير يُصلح بين المجاهدين الأفغان والكومندانات، ويُنشئ لهم معسكرات لإصلاح ذات البين وإماتة الحزبية، كما أدى ذلك أيضاً إلى انفصال الشيخ أسامة فيما بعد، حينما شرع في خوض العمل القتالي بنفسه بعد ذلك بأكثر من عام⁽²³⁾.

(22) أسامة بن لادن مُجددُ الزمانِ وقاهرُ الأمريكانِ تأليف أبي جندل الأزدي

(23) معارك البوابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرف.

جدير بالذكر أنه فيما بعد، بعد نجاح الشيخ أسامة في معركة جاجي وهزيمة الكوماندوز الروسي، اقتنع الشيخ عبد الله عزام بجدوى ما ذهب إليه الشيخ أسامة بضرورة ممارسة العرب للدور القتالي، واتفقوا معًا على الجمع بين الدعم الخدماتي والعسكري للجهاد الأفغاني.

وفيما تبقى من عام 1984م وطوال عام 1985م، لم يكن الشيخ أسامة قد ألقى ثقله المباشر على الساحة الأفغانية، وربما علل ذلك بأن مكتب الخدمات ونشاط الشيخ عبد الله عزام يكفیان للهدف المنشود، وهو إيصال الإمدادات العربية إلى المجاهد الأفغاني داخل الجبهات⁽²⁴⁾.

تأسيس بيت الأنصار في بيشاور عام 1985م⁽²⁵⁾:

وكان مكتب الخدمات قد أسس بيتين كمضافاتٍ للمجاهدين العرب في بيشاور، وسمي هذين البيتين باسم أول شهيدين عربيين في أفغانستان، وهما "أبو حمزة الفلسطيني وأبو عثمان الفلسطيني" رحمهما الله، ثم ما لبث بيت أبي حمزة أن أغلق بعد فترة وجيزة، وبقي بيت أبي عثمان، ثم جاء رجلٌ من الجزيرة اسمه فيصل ثنيان، أراد شق الصف لحساب جهات أخرى، فقام بتأسيس بيت آخر في بيشاور، جمع فيه ما هب ودب من الرواد، وأصبح يتردد عليه أناس قد تسرب الثقل إلى نفوسهم، وخارت همهم، وأخذ الشيطان يعزز في نفوسهم دوافع التشبیط التي تشربتها نفوسهم، ولم تكن افكارهم منسجمة مع توجهات المجاهدين وطموحاتهم، فاجتمع حينها شمل المجاهدين العرب بقادتهم الشيخ عبد الله عزام، والشيخ أسامة وأبو الحسن المدني (وائل جليدان)، واتفق الثلاثة على استئجار وتمويل بيت واسع عام لكل المجاهدين، وسمّوا ذلك البيت "بيت الأنصار".

كان البيت كبيراً ومتعدد المرافق، ذو ساحاتٍ واسعة، وأوكلت مهمة إدارته للشيخ عبد الله عزام، فوضع الشيخ عبد الله في إدارته خيرة الإخوة، وهم الشيخ أبو هاجر العراقي (ممدوح محمود سالم)⁽²⁶⁾ - فك الله أسره - وأبو روضة السوري - رحمه الله - وعبد الله جعفر "خالد الاسمر" الأردني، وأبو سليم السوري، وأبو عبد الله اللبناني (وديع الحاج)، فك الله أسره.

(24) معارك البوابة الصخرية للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرّف.

(25) الفقرة كاملة من كتاب "فرسان الفريضة الغائبة الزرقاوي والجهاد الأفغاني"، لصالح الهامي. بتصرّف.

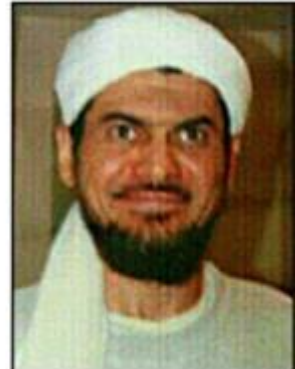
(26) اعتقل في سبتمبر 1998م في ألمانيا عقب تفجير سفارتي نيروبي ودار السلام، وتم تسليمه للولايات المتحدة في ديسمبر 1998م، حيث حُوكم بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة، حاليًا أسير في سجن ADX Florence الواقع في ولاية كولورادو بأمريكا، نسال الله أن يعجل بفكاك أسره.



أبو عبد الله اللبناني
(وديع الحاج) فكّ الله أسره



الشيخ عبد الله جعفر
(خالد محمود عبد الوهاب
الأسمر) حفظه الله



الشيخ أبو هاجر العراقي
(ممدوح محمود سالم)
فكّ الله أسره



بيت الأنصار في بشاور

وكان المجاهدون من مختلف جبهات أفغانستان يجمعهم بيت الانصار، يلتقون في استراحة المجاهدين مع أحبّتهم الجرحى، ويتواصلون فيما بينهم، ويتواعدون على اللقاء في الجبهات، وكانت

المشاعر جياشة، يفيض في القلوب الإيمان، فكانت اهتماماتهم جهادية، وأفكارهم عليّة، وتصوراتهم مستقبلية، همهم تناطح السحاب، يرومون نصره رب الأرباب في الدفاع عن حرّات الدين وبلاد المسلمين، يتسامر المجاهدون بحديث الشهداء والجبهات، ويتواصون فيما بينهم على طاعة الله ورسوله ولقائهم في الجنة، وكم من مرة تصاحب مجاهدان في بيت الأنصار، فكان فراقهما بالشهادة، وكم من مرة تواعد مجاهدان ثم لم يلتقيا لأجل الجهاد، فقد كان بيت الأنصار ذكرى الراحلين الى الخلود، وموطئ أقدام أفذاذ الرجال والأسود، الذين كانوا يبحثون عن الموت مظانّه، لا تراهم يسمعون عن جبهةٍ ساخنةٍ الا ولّوا شطرها لا يلوون على شيء، حتى اذا ما انتهت عادوا لينطلقوا إلى جبهةٍ أخرى، وهكذا دواليك، أمنيّتهم طلب الشهادة وتحقيق رضا الله بعملهم، فكان بيت الأنصار محطة انطلاق المجاهدين، وزادهم ومدرستهم الإيمانية، ينهلون منه دروس الإيمان والجهاد ليخوضوا غمار الحروب، على بصيرة الشيخ عبد الله عزام، والشيخ تميم العدناني، والشيخ أسامة بن لادن رحمهم الله جميعًا. وبقي المجاهدون على هذا الحال مدة طويلة، يتفيؤون فيها ظلال النفحات المباركة، ويعملون بروح الفريق الواحد.

وبعد سنين من إدارة مجموعة الشيخ عبد الله عزام لبيت الأنصار، تغيرت إدارة البيت واستلمها بعض الشباب من الجزيرة العربية، وكانت أعداد المجاهدين آنذاك قد بدأت في تزايد - خاصة من دول الخليج واليمن - واقترب المجاهدون من بعضهم البعض، وأصبحوا يتجمعون حول جنسياتهم.

وكانت ساحة بيشاور أيضًا تعج بتناقضات فكرية وسياسية، وكانت هناك قضايا ومسائل خلافية، أصبحت تُناقش وتُؤصّل تأصيلًا علميًا وشرعيًا، حسب تصورات بعض المجاهدين، وأدى ذلك إلى وجود حساسيات بين بعضهم البعض، ولم يكن هذا الوضع مقبولا عند إدارة بيت الأنصار الجديدة، فقد كان النقاش حول بعض المسائل يُمنع الخوض فيه حفاظًا على ذات البين بين المجاهدين المنتسبين للبيت، وأدى ذلك الأمر إلى أن تسير الأمور نحو الاتجاه العنصري والعنقي، مما حدا ببعضهم إلى البحث عن مصادر تمويل أخرى لبيوتهم من محبي الجهاد ومعارفهم في بلادهم، وساهم هذا الأمر في تعدد بيوت المجاهدين العرب حسب جنسياتهم، فأصبح للمجاهدين بيوت كثيرة. فمثلاً كان هناك بيت للجزائريين، وبيت لليبيين، وبيت للعراقيين، وبيت للسودانيين، وبيتان لليمنيين وغيرهم، إضافةً الى بيت الشهداء التابع لمجاهدي أهل الشام، الذي تأسس بدون علم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله.

قرار الشيخ أسامة الإقامة في ساحة أفغانستان:

وبعد أن كثرت عليه الشكاوى من أداء مكتب الخدمات، بات الشيخ أسامة على قناعة كافية بأن أسلوب المساعدات الماضية، التي لا تكاد تبلغ الجبهات غير صحيح؛ فقرر في بدايات عام 1986م أن تكون إقامته دائمة، ليعمل بنفسه ميدانيًا لسد الثغرات القائمة، كذلك قرر الشيخ أسامة - إضافةً إلى دفع الأموال والتبرعات - أن يطور دعمه للجهاد الأفغاني، وذلك بالتوسع في تنظيم العملية الجهادية القتالية. فقرر أن تكون له معسكراته وخطوط إمداده، وأن يقوم بحكم خبرته المتخصصة وتجربته في حفر أنفاق مكة الشهيرة، بمشاريع تنفع المجاهدين، وذلك بإنشاء الطرق في الجبال، وحفر الأنفاق والمخابئ الهائلة لحماية المجاهدين الأفغان من القصف الجوي.

وكانت هذه المشروعات بالتنسيق مع أشقائه في مؤسسة بن لادن الضخمة، الذين ساعدوه مساعدة فعالة بإرسال معدات الحفر والشاحنات والبلدوزرات الضخمة ومولدات الكهرباء إلى داخل أفغانستان، وعن ذلك يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"ازدادت قناعاتي بعدما رجعت من زيارة أفغانستان بأهمية الطرق والأنفاق للمجاهدين هناك، الطرق نظرًا لقلتها وضيقها إن وجد منها شيء، والأنفاق حتى يضع المجاهدون أسلحتهم ومستشفياتهم وأماكن راحتهم في الجبال بعيدًا عن قصف الطيران. ولكن وبكل أسف، لم أبدأ الفكرة حتى عارضني الكثير من الناس، وأقصد هنا بالناس الطيبين المحبين للجهاد والإسلام، وذلك لشدة الهالات الملقاة على عقول المسلمين عن الكفار الروس والأمريكان، أنهم قوى عظمى، وأنهم لا يقهرون، وأن لديهم الأجهزة والاستخبارات وما شابه ذلك، وأكثرها مضخم كثيرًا عن حقيقته، ولو آمن الإنسان بهذا التضخيم لما تحرك، فقبل لي أولًا: كيف ستخرجها من المملكة؟ ثانيًا: كيف ستدخلها إلى باكستان وبأي صفة؟ ثالثًا: المنطقة التي ستعمل فيها (جاجي)، المشهور أن فيها عددًا من غير الموالين للمجاهدين، الذين ينقلون الأسرار للأعداء، وأنت لا تحمل دراجة عادية، هذه الآليات أشبه بالمدركة، فأول ما تدخل ستأتي الطائرات وتضربها، قلت: والله إذا حدث هذا، فقد أعذرنا إلى الله سبحانه وتعالى، ومن فضل الله، يسر سبحانه وتعالى هذا الأمر كله، من خروجها إلى دخولها وحتى وصولها إلى هنا، أدخلناها باسم المجاهدين عن طريق الهلال الأحمر السعودي"⁽²⁷⁾.

(27) طلقة في سبيل الله للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرف.

وبالفعل بدأ الشيخ أسامة العمل بنفسه في شق الطرق وحفر الخنادق والكهوف، وكان قد اختار مجموعة لتدريبهم على هذه الأعمال، وكان ذلك في شهر أغسطس عام 1986م، واختاروا موقعًا لهم في منطقة جاجي أطلقوا عليه العرين، وكانت تلك هي البداية.



الشيخ أسامة على البلدوزر يعمل بنفسه في عملية شق الطرق في جبال أفغانستان

قصة مأسدة الأنصار⁽²⁸⁾:

وفي حديثٍ طويلٍ أجراه معه الصحفي عصام دراز في أفغانستان وفي جدة، يروي الشيخ أسامة - رحمه الله - قصة النواة الأولى لتنظيم القاعدة؛ مأسدة الأنصار، فقال رحمه الله:

" الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فمن باب الحديث بالنعمة، التي منَّ الله سبحانه وتعالى علينا، وتحريضًا للمؤمنين على هذا الأمر العظيم، فمن فضله سبحانه وتعالى أنه في عام 1399هـ، سمعنا أن الروس قد دخلوا إلى بلاد المسلمين في أفغانستان، فذهبت في تلك الفترة إلى باكستان من أجل نصرة إخواننا المسلمين

(28) القصة مأخوذة من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

في أفغانستان، واستمر ذهابي إلى باكستان إلى أن منَّ الله عليَّ ودخلت أفغانستان، وكان وضع المجاهدين ضعيفًا في العدد والعدة، خاصة مستلزمات القتال، وشعرت بأننا مقصرون في حق إخواننا الأفغان إذا لم نقوم بكامل واجبنا نحوهم، وإن أفضل ما يكفر عن هذا التقصير، أن يقتل الفرد وهو يجاهد في سبيل الله".

وعن بداية تكوين المأسدة يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

" لاحظت اهتمام الأفغان وسرورهم بوجود العرب بينهم، وكان الوجود العربي يزيد الأفغان قوة وإيمانًا، وترفع معنوياتهم ارتفاعًا كبيرًا، وكان من شدة محبة الأفغان للعرب أنهم كانوا يعاملونهم كضيوف، فلم يكلفوا العرب بأي مهام عسكرية وقاتلية، وكان الشباب العربي يتأذى من ذلك لأنهم يريدون العمل كمجاهدين، ولهذا فكرت في إنشاء مكان لاستقبال الإخوة العرب لإعدادهم للقتال، واستأذنت من أمير الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان عام 1404هـ (1984م) في إنشاء معسكر (صدى) في منطقة قريبة من الحدود حتى يتدرب الإخوة، وقد بلغ عدد الإخوة الذين انضموا للمعسكر في ذلك الوقت حوالي مائة أخ، وكان هذا العدد قليل؛ لأن الشباب العربي تربى في بلاده على حياة بعيدة عن العزة الحقيقية بالجهاد والذود عن الدين، وكان كثير من الشباب يعتبر الجهاد نافلة من النوافل وأمر مندوب.

كان ذلك في الصيف، وعندما انتهى الصيف وبدأت الدراسة، إذ بأكثر الإخوة الذين كانوا معنا انصرفوا عائدين إلى أوطانهم يراجعون دراستهم، رغم أن الذين حضروا من خير الإخوة، ولم يبق إلا عدد قليل جدًا دون العشرة أفراد، فمنَّ الله علينا فأنشأنا معسكرًا في منطقة جاجي داخل أفغانستان وذلك للتدريب، وكنا ندرّب أنفسنا بالخبرات الموجودة لدينا، واستمر الحال على ذلك وكنا حوالي خمسين فردًا، وتكرر ما حدث في السابق، فمع الشتاء انصرف معظم الموجودين، فلم يكن هناك وعي كامل بأهمية نصرته هذا الدين، وضرورة قتال الكفار حتى يكون الدين كله لله.

بعد ذلك منَّ الله علينا في أواخر عام 1406هـ، وأوائل عام 1407هـ (سبتمبر 1986م)، أن عزمنا على البقاء في منطقة جاجي داخل أفغانستان، حتى لو كنا عددًا قليلًا، وكنا في ذلك الوقت أحد عشر شخصًا، معظمنا من المدينة المنورة، مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، أذكر شفيق بن إبراهيم المدني رحمه الله، وطالب عبد العزيز النجار (أبو قتيبة) السوري الحموي المدني،

وأخونا أسامة بن ملا حيدر المدني المعروف ب (أسامة ازمرأي)⁽²⁹⁾، وأخونا أبو معاذ السعدي مقيم في المدينة وفلسطيني الأصل، وأخونا أبو رجاء حسان الأنصاري من المدينة أيضاً، وأخونا عبده أحمد حمود عثمان المخلافي، وأخونا علي السوداني، وأخونا مُجَّد بن عبد السلام المعروف بأبي أنيس، وأخونا أحمد حسين بخشي من سكان المدينة المنورة.

كنا أحد عشر أخًا، وكنا نعمل في شق الطرق وإنشاء الأنفاق في بطن الجبال وكذلك المخابئ، وذلك لحماية المجاهدين الأفغان، ولكننا كلفنا شقيق رحمه الله وأسامة حيدر لمتابعة الأمور العسكرية في المنطقة، ومما هو جدير بالذكر، أن كل هؤلاء الإخوة كانوا في حدود العشرين من العمر، أكرمهم الله، كانوا قد تركوا دراستهم وحضروا للجهاد في سبيل الله، واستمر الحال في العمل، وأخبرنا شقيق وأسامة حيدر بعد قيامهم بالاستطلاع، أن هناك جبل مشرف على مواقع العدو، ويكشف حصن تشاوي الذي يسيطر على المنطقة، ويتحصن به الشيوعيون، ويتحكم في الوادي الذي يعبر الحدود إلى باكستان، وهو خال من المجاهدين. فزرت هذه المنطقة فوجدت أنها فعلاً منطقة خطيرة وحساسة جداً، فسألت عن سبب عدم وجود مجاهدين في هذه المنطقة رغم أهميتها، ف قيل لي إن الشتاء والثلوج تقطع الطرق، ويتوقف الإمداد لكثرة القصف على تلك المنطقة، كان في نيتنا أن يكون لنا مركز خاص بالعرب ضمن المراكز التي نقوم بإنشائها، ولهذا قررنا إنشاء مركز للعرب في هذه المنطقة التي اخترناها، وأطلقنا عليها اسم "مأسدة الأنصار".

وكان الشتاء على الأبواب وهو شتاء بارد، والثلوج تمنع الحركة تماماً. وقد سأل الشيخ أسامة عن قادة المنطقة للتنسيق معهم، واتصل بقائد معروف اسمه عبد السميع، وهو قائد معروف في المنطقة كان يحتل موقعاً قريباً من العدو في المنتصف تقريباً، اقترح الشيخ على القائد الأفغاني عبد السميع ألا ينسحب في الشتاء ويبقى مكانه، وسوف يتم إنشاء ملاجئ تحميه من الثلوج، إلا أن القائد الأفغاني رفض، لأن الثلوج تمنع وصول الحياة وباقي الإمدادات، وعرض عليه الشيخ أسامة أن يمدّه بالماء وكافة الإمدادات بشرط ألا يترك المنطقة في الشتاء، وبناء على ذلك قام الشيخ أسامة في نصب أول خيمة في مأسدة الأنصار، وكان ذلك يوم 24 أكتوبر عام 1986م

(29) حالاً أسير في سجون أمريكا، فقد كان من المشاركين مع رمزي يوسف في مخطط البوجينكا، وأسر في ماليزيا في ديسمبر 1995م، وسلّم بعدها إلى أمريكا.

(20 صفر 1407هـ). وكان هذا التاريخ هو تاريخ شراء أول قطعة سلاح من أسواق باكستان، وهو رشاش جرينوف حمله الأخ أزمراي، وهو يعتبر أول يوم في إنشاء مأسدة الأنصار⁽³⁰⁾.

"لم يبق إلا ثلاثة إخوة عندما بدأنا العمل، الأخ شفيق، والأخ أسامة ملا حيدر (أزمراي) فك الله أسرهم، وأنا، أما باقي الإخوة فكانوا إما في إجازة أو في أشغال أخرى، وكنا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لأي أخ يأتي معنا نظراً لوحشة المنطقة، وبعدها من المجاهدين الأفغان وقربها من العدو، ولا يمكن أن يتيسر لثلاثة فقط العمل والحراسة في نفس الوقت.

حاول أحد الإخوة أن يثنيانا عن العمل وكان في زيارة لنا، فحاول مع الأخ شفيق وأسامة، ولكن من الله علينا بأخين آخرين كانا متوجهين إلى جبهة أخرى داخل أفغانستان، وكان أحدهم اسمه أبو الذهب، مصري من أصل سوداني، فقبل أن يذهب حضر لي وقال: إننا نحب أن نبقي معكم، فسررت بذلك سروراً عظيماً، وأثناء تحركنا للعمل في المنطقة التي أخذناها، كان الطريق مكشوفاً وظاهراً للعدو، فكان العدو يقصف علينا، فكنا ننزل وننتشر من السيارة ثم نتحرك من جديد.

كانت هذه الفترة من أجمل أيام الإنسان، حيث كنا مرابطين بالقرب من العدو، وفي نفس الوقت نقوم بإنشاء الطرق وحفر الخنادق، كنا نعيش في خيمة واحدة، وانضم إلينا الأخ ذبيح من أهل الطائف، واسمه محمد بن المبارك، كنا في خيمة واحدة، صلاتنا سوياً، قراراتنا سوياً، أكلنا في نفس المكان، وكنا نتناوب الحراسة، وكنا نشعر بوحشة شديدة لأن المكان مخيف للطرفين للعدو ولنا، وكان الفرد منا لا يستطيع أن يتعد كثيراً عن مركز الخيمة، لأنها منطقة غابات موحشة، ناهيك عن قربها من العدو، فاستمرينا على ذلك الحال فترة طويلة، ثم أرهقنا الحراسة فطلبنا أحد الإخوة، فحضر أخونا صالح الغامدي المعروف بحمزة الغامدي (صالح سعيد آل بطيح)، وازداد العدد فوصل إلى سبعة، ومع ذلك كنا متفائلين ومستبشرين بأن يزيد عددنا، وبالفعل وصل العدد خلال شهرين إلى أربعين أخ.

بعد ذلك جاءنا أخونا أبو حنيفة حسين عجيب، ثم جاء محمد الصخري وهو من الناس الذين لم تكن لهم وقفة تردد، رأيتهم في الحرم النبوي، وكنت عازماً على السفر ورأيتهم بعد صلاة الفجر، وكان أبو حنيفة قد أخبرني بأن هناك أحد الإخوة يريد أن يذهب إلى أفغانستان، وأن هذا الأخ

(30) مأسدة الأنصار العرب بأفغانستان. عصام دراز.

يريد أن يكمل دراسته هذا العام ثم يحضر في الصيف، التقيت بالصخري وتكلمت معه بضعة دقائق، فانشرح صدره وعزم على الذهاب معنا غدًا، فعلم واجبه وترك الدراسة والشهادة والدنيا، ومكث معنا حوالي أربع سنوات إلى أن منَّ الله عليه بالاستشهاد في جلال آباد".

وفي سؤال للشيخ أسامة عن كيفية اختيار اسم مأسدة الأنصار؟ قال:

" تشاورنا في تسمية الموقع، فاختار الإخوة عدة أسماء، فانشرح الصدر على اسم المأسدة، وأخذنا هذا الاسم من بيت شعر لأحد الصحابة عليه السلام، كان يمدح الرسول ﷺ. يقول بيت الشعر:

[[من سره ضربًا يجمع بعضه بعضًا... كمعمعة الإباء المحرق
فليات مأسدة تسن سيوفها... بين المزداد وجذع الخندق]]

رجع أخونا أبو حنيفة لتحريض الشباب، فغاب عنا ثلاثة وعشرين يومًا، رجع بثلاثة وعشرين رجلًا. واستمر العدد في الزيادة، وكنا نشعر بأهمية هذا التجمع، ويسألني الإخوة هنا لماذا تميزتم؟ فإن لذلك التميز أسبابًا كثيرة، حيث أن الأخ يأتي من بلاده والجهاد كده، فتجتمع عليه عدة أمور، منها الجهاد والغربة في اللغة، والغربة في الطقس والتضاريس، لهذا فإن وجوده مع إخوانه يزيده صبرًا".

مواجهات شعبان 1407 هـ (أبريل 1987م) (31):

خلال فترة إنشاء المأسدة، تم إنشاء سبعة غرف بها حوالي سبعين شابًا عربيًا، مستعدين للتضحية والاستشهاد، وهي غرفة القيادة، ومركز بدر، وغرفة الزيكويك (مدفع مضاد للطائرات)، وغرفة الطائف، ومستودع الأغذية، ومستودع السلاح والمطبخ. وكان الشباب يلحون على الشيخ أسامة في طلب القيام بعمليات عسكرية، وكان الشيخ يحاول أن يهدئهم ويدربهم على الصبر، ويقنعهم بضرورة إنشاء الموقع وإكمال التحصينات أولًا، وكان ذلك في غاية الصعوبة على الشيخ أسامة، وكان أيضًا صعبًا على الشباب، أن يظل يعمل وينشئ الملاجئ والتحصينات سبعة شهور دون عمليات.

(31) من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

وفي إحدى المرات عندما بدأت الثلوج في الذوبان، انتهز الشباب فرصة غياب الشيخ أسامة في بيشاور، وكان قد خلف بعده أميراً للمأسدة الشيخ أبي هاجر العراقي - فك الله أسره. وتحت إلهام الشباب لمدة ثلاثة أيام متواصلة، وافق الشيخ أبو هاجر إرضاءً لهم على القيام بعملية صغيرة عبارة عن مناوشة لأحد المواقع، وعن هذا الأمر يقول الشيخ أبو هاجر: "وبعدما ألحوا عليّ طوال ثلاثة أيام حتى دمروني، رضخت آخر الأمر ووافقت أن آخذهم في عملية وتحيات، وكان الشيخ تميم من أول المتحمسين فسبقنا وهبط إلى تحت، وكأنني سمعت أنهم قالوا بأنه أرسل إلينا خبراً بأننا سنلتقي في الجنة. كانت عبارة ضحكت منها، فكيف يكون القتال بهذه الطريقة وبهذه البساطة". وكان أبو محمود السوري من المعارضين لهذه العملية، فقال له الشيخ أبو هاجر: "لا تُتعب نفسك يا أبا محمود، إن شاء الله سأمضي معهم وإن كنت أعرف أن هذا العمل خطأ، ولئن يذهبوا معي خيرٌ من أن يذهبوا بدوني". استشهد في هذه المناوشة الأخ أحمد الزهراني، وهو من مدينة الطائف، حيث أصيب بقذيفة هاون، وكان رحمه الله أول شهيد سقط في المأسدة، وكان عمره عشرين سنة.

كان الشيخ أسامة مهتمًا باستكمال تحصينات المأسدة بالشكل الكافي قبل شن أي ضربة قوية ضد العدو، وبعد أن تم له ذلك، بدأ الإخوة يعدون أنفسهم للقيام بضربة كبيرة ضد مواقع العدو في الوادي. وكانت أول عملية يقوم الشباب العربي بتنظيمها وإعدادها في المأسدة، هي عملية 17 شعبان عام 1407هـ الموافق 17 نيسان إبريل عام 1987م. وكان أبو خالد الضابط، وهو من قيادات تنظيم الجهاد، وضابطاً سابقاً في الجيش المصري، هو الذي وضع فكرة العملية الأساسية. وكانت خطة أبو خالد، أن يتم الاستيلاء على موقعين مهمين من مراكز العدو في الوادي، وهما أقرب مركزين للمأسدة، تحت ستار من التمهيد المدفعي، ثم الانسحاب بعد أخذ الغنائم وتدمير الموقعين. وكان الهدف الأساسي من هذه الضربة هو، اكتساب خبرة قتالية عملية، وكان عدد الإخوة المشاركين فيها مائة وعشرين شاباً عربياً. شارك الشيخ أبو عبيدة البنشيري والشيخ أبو حفص الكمندان في اختيار الهدف، ووضع الترتيبات والتفاصيل للعملية، وكان الشيخ أسامة قد زود الإخوة بعددٍ كافٍ من وحدات اللاسلكي الصغيرة، حتى صار بقدرته أن يوجه أي مجموعة في أي ناحية في أي وقت، وكانت تلك نقلة نوعية لم تحدث من قبل في الحرب الأفغانية، كذلك زود الشيخ أسامة الإخوة بعدد كافٍ من المناظير القوية، وكان هناك منظار واحد على الأقل للرؤية الليلية، وعلى إثر ذلك، أقام الإخوة لأول مرة شبكة رصد قوية في تلك المنطقة.

قُسمت المجموعات ورُتبت مجموعتين، واحدة لحماية المأسدة من الخلف، وفي نفس الوقت قصف العدو بصواريخ أرض أرض، وكانت هذه المجموعة بقيادة الشيخ أبو برهان السوري. ومجموعة ثانية للقيام بالافتحام، وكانت بقيادة أبو خالد الضابط المصري. بدأت العملية الساعة السادسة مساءً، وكان التخطيط لها قد تم منذ عدة أيام سابقة، لقد كانت تجربة جديدة للعرب. وكان الشيخ عبد الله عزام موجودًا، كذلك الشيخ تميم العدناني، وبدأ الشباب يناوشون البوسطات (المواقع) التي تعتبر خط الدفاع الأول للعدو، ويوقعون فيها الخسائر فترتفع معنوياتهم. ورغم أن هذه العملية كان قد تم الإعداد لها إعدادًا جيدًا لكن الشباب لم يستطيعوا القيام بفتح أي موقع، لأن قائد العملية أبو خالد الضابط المصري كان قد أصيب في بداية العملية، وكذلك أصيب أبو سهل المصري، وقد خرج كلاهما من المعركة حتى نهايتها، كذلك كانت أقرب مجموعة من العدو هي مجموعة شفيق، وكان معه ثمانية مجاهدين عرب عاد بأربعة مصابين منهم. وكان لذلك تأثير كبير على سير العملية، وتولى القيادة رسميًا بعد ذلك الشيخ أبو عبيدة البنشيري، يعاونه الشيخ أبو حفص الكمندان.

لم تحقق العملية أهدافها لعدة أسباب مهمة، فعندما تقررّت العملية وحدد موعدها، لم تكن الإمكانات قد استكملت خاصة الذخائر، فلم تكن الذخيرة قد وصلت إلى كل المجموعات، وذلك لعدم وجود خبرة سابقة، فمثلاً لم تصل إلى مجموعة الإسناد ذخائر كافية، ولهذا لم تبدأ العمل في التوقيت المطلوب لعدم وجود ذخائر، يقول أبو محمود السوري:

"كنت أحد عناصر مجموعات الافتحام، وتقدمنا وكان مقرراً أن نقوم بافتحام موقع أطلقنا عليه (أم الخنادق). وصلنا إلى مسافة ثلاثين أو أربعين متراً من مواقع العدو، وفوجئنا بأن العدو متيقظ تماماً، لأن القصف من جانبنا ومن جانب المجاهدين كان مركزاً على 16 موقعاً للعدو محيطاً بهذه المنطقة، عدا الموقعين المحددين للهجوم عليهما، لهذا كان العدو متيقظاً، وكان من المفروض أن نقوم بالضرب عليه أثناء الهجوم ضرباً مباشراً، وبمجرد اقترابنا انهمر علينا الرصاص، ولم نتمكن من رفع رؤوسنا حتى حلول الظلام، وقد أصيبت ساقي في أول لحظة من لحظات الافتحام وذلك من رشاش جرينوف كان على يسارنا وعلى تبة مكشوفة، ولم نكن نعرف أن بهذا الموقع رشاش جرينوف، وفوجئنا به يطلق علينا من الجانب الأيسر أثناء تقدمنا، كانت مفاجأة صعبة لنا، وكان ذلك بسبب عدم وجود خبرة، وبعد عدة دقائق من ضرب العدو علينا، أعطيت

لنا الأوامر بالانسحاب لمركز المتقدمة، وكان بهذا المركز الشيخ أسامة، فأصدر أمراً بالانسحاب خوفاً على حياة الأخوة من الإصابات بعد انكشاف الهجوم، ولم يستطع أحد تنفيذ ذلك إلا بعد حلول الظلام ليكون الانسحاب مستوراً. أيضاً كانت هناك خمس مجموعات مساندة، وصلت منها أربع مجموعات، وتاهت مجموعة لم تصل إلى المأسدة، وظلت مفقودة حتى منتصف الليل. وجرح في المعركة الأخ إدريس من بلاد الحرمين وأنا".

ثم تواصلت العمليات تحت قيادة الشيخ أبو عبيدة البنشيري شهراً كاملاً، بلغت حتى معركة 17 رمضان تسع عمليات من الاشتباكات والمعارك. كان الهدف من هذه المعارك هو استكمال التدريب الحي على القتال المباشر مع العدو، واستشهد في هذه الفترة الأخ أبو الذهب، حيث سقطت قذيفة هاون بين ثلاثة من الإخوة أثناء عملية رصد، وكذلك أصيب أزمري، واستسلم في هذه المعارك بسبب شدة القصف الذي وجه إلى موقعهم من قبل المجاهدين، خمسة وأربعين جندياً وضابطاً، سلموا أنفسهم إلى أحد قادة الحزب الإسلامي التابع لحكمت يار".

وعن مواجهات رمضان في 1407هـ يونيو 1987م يقول الشيخ أسامة رحمه الله (32):

"كنا قد بدأنا نصل إلى مرحلة كبيرة ومتقدمة من إنشاء المأسدة، وسمعنا في شهر رمضان سنة 1407هـ، أن هناك أخباراً بتحركات للعدو، ولم تكن المعلومات كافية فقمنا بحفر الخنادق، كنا قد عزمنا على القيام بعملية ضد العدو في 14 رمضان تقريباً. وكان القائد الأفغاني قلب الدين حكمت يار في المنطقة، كذلك حضر الشيخ سياف وعزمنا على القيام بهجوم يوم 26 رمضان، وبدأنا ضرب المناطق التي تقع أسفل منا، وإذ بالرد يأتي إلينا من مناطق بعيدة برجمات الصواريخ (ب م 21).

استمرت المعركة طويلاً لمدة ثلاثة أسابيع، وكان العدو قد خطط لها، ونحن لم نخطط إلا لمعركة تدوم ليوم واحد، وكان هدف الهجوم تدمير هذه المواقع (المأسدة) وقفل طريق جاجي، وهو من طرق الإمداد الرئيسية لداخل أفغانستان، كي يكسب الجنرالات في الجيش السوفييتي التحدي الذي ضربه على أنفسهم مع الرئيس غورباتشوف، حين أمرهم بالخروج من أفغانستان بسبب فشل الحملة عليها، فطلب منه الجنرالات منحهم آخر فرصة، ووعدوه بالوصول إلى ممر خيبر الاستراتيجي على الحدود مع باكستان بعد سحق المجاهدين من مرتفعات بكتيا، وأنى لهم ذلك،

(32) من كتاب مأسدة الأنصار لعصام دراز. بتصرف.

فقد ردهم المجاهدون بفضل الله وحده، بثلة قليلة لا يتجاوزون سبعين شاباً من شباب الثانويات، فقد كان الشاب العربي النحيل الجسم، الصغير السن، برشة واحدة من سلاح البيكا، يطرح ثلاثة أو أربعة من العلوج الروس في القوات الخاصة الكوماندوز، الذين كانت لغة الإشارة في المعركة عندهم بأصوات العصافير والطيور في المنطقة، بل كان الشاب يتفاجأ بظهورهم فجأة أمامه، لا يعرفهم من شدة تمويههم أنفسهم.

لقد كانت معركة عصبية، شاركت فيها أفضل القوات الروسية، وحوّطوا المنطقة بأحزمة كثيرة من الجنود وبطاريات الصواريخ، لكن الله عز وجل، أبقى إلا أن ينصر عباده الموحدين؛ ولتحقق الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾. وقوله جل وعلا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

تفاصيل معركة رمضان كما يرويها الشيخ أسامة رحمه الله:

"كان يوم 29 رمضان حيث بدأ هجوم القوات الروسية والحكومية الأفغانية، وكنا قد علمنا أن القوات المتقدمة عددها حوالي عشرة ألف جندي، منها ثلاثة كتائب روسية، وكذلك قوة كوماندوز روسية، فبدأت الدبابات تتحرك، وانتظرنا حتى اقتربت الدبابات إلى مرمى نيران المجاهدين، فلما دنوا جميعاً بدأنا باسم الله وكبرنا، وأعطينا الإشارة باللاسلكي لجميع المدافع بأن تبدأ الرماية، فبدأ القصف عليهم في وقت واحد، وكنت أتابع القصف من المرصد، وشاهدت القذائف من فضل الله تسقط على الأعداء وتمزقهم.

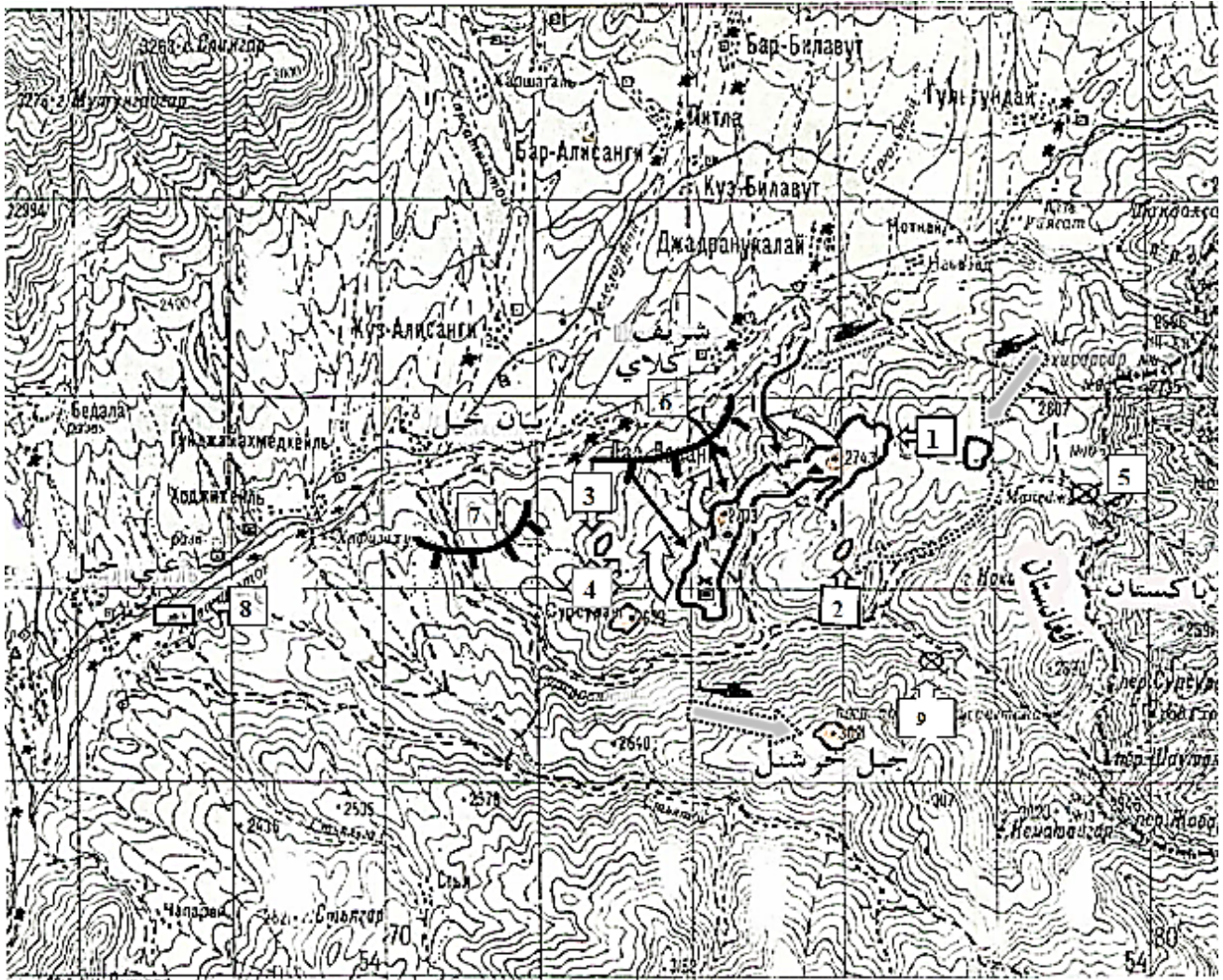
استمر القصف عنيفاً، وكانت الجبال تهتز، ولكن من فضل الله لم يصب أحد من الإخوة بسوء، واستمر هذا الحال إلى المغرب، ورجعت من المرصد والتقيت بالأخ أبو عبيدة البنشيري، وهو من حفظة كتاب الله، ورأينا أن الروس لن يسكتوا على هذه الضربة، وتوقعنا أن يكون القصف أشد في اليوم التالي، وقررنا أن نرجع ثلاثين من الإخوة العرب إلى معسكر خلفي لنا، فقد كنا حوالي سبعين مجاهداً.

وفي اليوم التالي حدث ما توقعناه، قصف عنيف منذ أول إشراقة للشمس، أصبح عدد الإخوة في المأسدة حوالي أربعين أخ، وكنت مع تسعة من الإخوة في كهف نطلق عليه (المتقدمة)، وكان هذا الكهف صغيراً لا يتحمل القصف الثقيل، فكانت طائرات العدو تقصف بقنابل زنة ألف رطل، فكانت الجبال تهتز. وكنا قد اتفقنا مع الإخوة على إشارة معينة، وهي إطلاق ثلاث

طلقات إذا شعروا بأن هناك حصارًا من العدو للمعسكر، وإذا بنا نتلقى مكالمة هاتفية من الأخ سيف الله المغربي من المرصد الأيمن لمركز بدر، يقول إنه شاهد ما يقارب مائتي جندي من الجنود الروس، يرتدون ملابس القوات الخاصة وهم يتسللون باتجاه المعسكر، فأعطى الأخ إنذارًا بالخطر وهي ثلاث طلقات، فقامت بإبلاغ المركز الرئيسي للمجاهدين بأن العدو يتقدم لمحاصرة المعسكر، وطلبت من الإخوة حمل الأسلحة والتقدم، وكانوا تسعة وأنا العاشر واحد منهم، رغم أنهم سمعوا أن المتقدمين حوالي مائتين.

لم نكن عسكريين وكنا مدنيين، ولم يتردد أحد فتقدموا أكرمهم الله، كل واحد أخذ سلاحه وانطلقنا إلى الأمام، كنا حريصين على أن نأخذ تبّه بيننا وبين الكفار، وهي تبّه مرتفعة. وأثناء تحركنا، كنت أوزع الإخوة لكيلا يحدث التفاف علينا أثناء تحركنا، فتركنا الأخ ذبيح وأبو سهل المصري - رحمه الله - ومعهم جهاز لا سلّكي في مركز المتقدمة، ثم الأخ أبو حنيفة ومعه بعض الإخوة أرسلتهم للميمنة، ثم تقدمنا حتى وصلنا إلى القمة ولم يبق إلا ثلاثة: الأخ خضر وهو من المنطقة الشرقية، والأخ مختار وهو أيضًا من المنطقة الشرقية، وأنا معهم وانضم إلينا الأخ خالد كردي، وكنت قد طلبت منه أن يحضر لنا ماءً وتمراً وطلقات آر بي جي زيادة، فذهب وبقينا نحن الثلاثة، وماذا يفعل ثلاثة أمام مائتي كوماندوز، ولكن الله ثبتنا نحن الثلاثة، ولم نشعر بأي قلق أو خوف سبحانه الله، رغم أن عندي خبرًا مسبقًا بأن هذه القوة تريد أن تأسرني أنا شخصيًا.

توزعنا على قمة هذه التّبّه، بحيث كان كل منا يرى الآخر، والمسافة بين كل منا حوالي عشرة أمتار، وإذا طلبنا مددًا من الإخوة يستغرق ذلك حوالي ساعة ونصف لطول المسافة. جاء خضر وقال لي إن مختار سمع أصوات الروس تحت التّبّه بالقرب منهم بين الأشجار يتكلمون. وكنا ننتظر المدد، ولم يصل المدد إلينا وقد وصل الروس، فطلبت أن ننضم جميعًا ونصبح على القمة، وفي هذه اللحظة انضم إلينا خالد، وأتي أيضًا أبو عبيدة، وكان أبو عبيدة قد رتب مجموعة أخرى تذهب من جهة بدر وتتقدم أيضًا لملاقاة القوات المتقدمة.



معركة جاجي 26 مايو 1987م - من كتاب معارك البوابة الصخرية

تقدمنا باتجاه الميسرة وهم يتقدمون من الميمنة، ورأيانهم أسفل ميمتنا على تبة تسمى تبة الزهراني، لأن أحمد الزهراني رحمه الله كان على هذه التبة عندما قتل. في هذه اللحظة وهم يتقدمون، أخرجنا القنابل اليدوية، وكنت أول من أخرج القنابل اليدوية استعدادًا لرميها عليهم لأننا كنا أعلى منهم، فاقترح الأخ أبو عبيدة أن نبتعد حتى يصلوا جميعًا إلى منطقة الرمي، وفجأة يصل إلينا أربعة إخوة، ولا واحد منهم يعرف حقيقة الموقف، وأثناء سيرهم باتجاهنا، سمع الروس صوت أقدامهم على الحشائش بين الأشجار، فتوقفوا عن التقدم وانتبهوا، فلم يتوقعوا أن يكون في هذا المكان مجاهدين، وكانوا يتوقعون أن كل من في المأسدة قتلى أو جرحى نتيجة القصف الشديد لمدة خمسة أيام متوالية.

عندما فوجئ الروس بالحركة انسحبوا ببطء دون أن نشعر بهم، لقد فوجئوا بوجودنا في هذه المنطقة المتقدمة عن موقع المأسدة، ولم يتوقعوا أبدًا وجود أحد في هذا المكان، وسمعناهم يتكلمون باللاسلكي (غنمنا جهازهم اللاسلكي هذا فيما بعد)، ووضح أنهم أخبروا مدفعيتهم بوجودنا في هذه المنطقة، وكانت مدفعيتهم وهاوناتهم تقوم بالتمشيط أمامهم، وكنت أحمل القنبلة اليدوية في يدي منتظرًا تقدمهم، فوجدت أنهم بدأوا ينسحبون إلى الخلف حوالي مائتي متر، وفي هذه اللحظة انهمرت علينا قذائف الهاون كالمطر، هاونات ثقيلة، ومن شدة القصف كان من المستحيل أن تستطيع أن تتكلم كلمة أو تكمل جملة.

استمر هذا الحال من القصف الشديد المركز لمدة ساعة تقريبًا، إلى أن من الله علينا بجزء من دقيقة بين القصف فتحركنا إلى أول نقطة في معسكرنا واتخذنا كمينًا لهم، ومن شدة وكثافة القصف، كانوا متأكدين أنه لا يمكن أن يكون هناك أي شخص على هذه التبة إلا قتيلاً أو جريحًا، فصعدوا إليها مطمئنين، فما أن صعدوا حتى بدأنا الضرب عليهم، فقتل عدد منهم يقينًا وتراجع الباقي إلى الخلف. واستمر الحال على هذا المنوال وطلبوا مساعدة الطيران، وعاد الطيران يقصف بعنف وشدة مع الصواريخ، وألقت الطائرات قذائف دخان أتعبت الإخوة نفسيًا، حيث خشينا أن تكون غازات سامة، ولكن كانت قنابل دخانية، واستمر القصف علينا شديدًا فازداد البأس علينا، فقررنا الانحياز إلى موقع خلفي من شدة القصف.

انحزنا في الليل، وبقيت مجموعة من الإخوة العرب والإخوة الأفغان وسط المأسدة، ولكن من لطف الله أن وصل مدد من المجاهدين الأفغان، وأطلقوا على قوة الكوماندوز الروسية 35 قذيفة

آر بي جي متوالية، وكانت قوة الكوماندوز تعتقد أن المعسكر خاليًا إلا من الجرحى، وأعطى ذلك انطباعًا لدى الكوماندوز بأنه لا زالت هناك قوة كبيرة داخل المأسدة، فتوقفوا عن الهجوم وبقوا مكأنهم في الليل، وهم يخشون الهجوم على المعسكر، رغم أنه فعلاً لم تكن به قوة كبيرة وهذا من فضل الله. وفي الصباح قسمنا الإخوة إلى مجموعتين، ووصلت المجموعة الأولى إلى المأسدة فعلاً، وكنا نتفقد الطريق والمواقع، والمجموعة الثانية كانت متوقفة في منتصف الطريق، فطلبنا منهم التقدم، وكان العدو مستميتاً في الهجوم على الموقع، فالموقع يعتبر مفتاحاً للمنطقة كلها. اقترح أبو عبيدة أن يذهب هو وثمانية من الإخوة ويلتفون حول القوة الروسية ويهاجمونهم من خلفهم، فقلت لأبي عبيدة أن الميسرة خالية من يبقى فيها؟ وكنت مريضاً في تلك الفترة - والشكوى لله - وكان يصعب عليّ المشي على الأقدام لمسافة بسيطة، وإذا يفاجئني أبو عبيدة بأن أذهب إلى الميسرة. فنظرت إلى العدو ولم يبقى معي إلا ثلاثة من الأخوة، أخونا محمد العتيبي رحمه الله (أبو الوليد)، وأخونا ياسين الكردي، وأخونا أسد الله السندي، في هذه الفترة جاءنا ضيف، وهو الأخ أبو الحسن المدني، وكان في ذلك اليوم ضيقاً، فذهبنا نحن الخمسة إلى جهة الميسرة، كنا محاطين بالعدو، وتحركنا إلى الميسرة والطلقات في بيت النار، وكل واحد منا يده على زناد البندقية، وسرنا إلى أن وصلنا إلى النقطة المتقدمة جهة الميسرة حتى وزعت الأخوة ميمنة وميسرة وهم جميعاً خمسة. فكان أبو عبيدة ومعه آر بي جي في الميمنة، وكانت الميمنة رجالاً واحداً، والميسرة كانت أخينا أسد الله ومعه جرينوف (رشاش متوسط)، وكان ياسين الكردي ظهراً لنا، وبقيت أنا في الوسط مع أبي الحسن المدني. فماكدت أنتهي من توزيع الإخوة، وإذا بنا نفاجأ بأن القوة الروسية على مسافة سبعين متراً من طرف المعسكر من الغرفة المتقدمة، وكنا نحن خلف الغرفة، وبدأ على الفور الاشتباك معهم بالسلاح الخفيف، ووجهنا النيران إليهم، وطلبت من الأخ ياسين كردي ومعه أبو الوليد أن يتقدما ويضربوا في المنطقة اليسرى، حيث رأيتهم، وبدأ الرد علينا بالأسلحة الكلاكوف. وصوت الكلاكوف مميز عن صوت الكلاشنكوف، والكلاكوف معروف أنه تسليح القوات الخاصة الروسية، أما الكلاشنكوف فهو تسليح الجنود الأفغان الشيوعيون.

فوجئت قوة الكوماندوز بوجود مقاومة في أول أيام العيد، فأخزاهم الله وبدأوا ينسحبون إلى الخلف، مجموعة تغطي مجموعة، فطلبت من ياسين وأبو الوليد أن يطلقوا النار خلفهم بمسافة حوالي 150 متراً، حيث توقعت أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه النقطة، وكنت حتى هذه اللحظة

أظن أن الهجوم من الميسرة، ولكن عندما صعدت على قمة التبة لأتكلم باللاسلكي، فوجئت بطلقة آر بي جي تأتي من اتجاه العدو من المحور الأوسط، ومرت بجواري وانفجرت طلقة آر بي جي بالقرب مني، ولم يصبني منها أي شيء، وكأني قد رميت بحفنة من الطين بفضل الله سبحانه وتعالى. نزلت بهدوء وأخبرت الإخوة أن العدو موجود في المحور الأوسط، وليس على الميسرة فقط. في هذه الأثناء، كنت أحاول الاتصال بالمجموعة التي تحركت للالتفاف حول الروس بقيادة أبو عبيدة، اتصلت بهم مرارًا فلم تكن هناك أية إجابة، فأصابني قلق شديد عليهم، وأوقفت الاتصال ولكن تركت الجهاز مفتوحًا، وفي هذه الأثناء بدأ العدو من جديد تمشيط المنطقة بالهاونات والصواريخ، وبدأ قصف الطيران، وكنا ننزل في الكهف، ويظل أحدنا بالخارج ليراقب المنطقة خوفًا من تقدم الروس، وكنا نراقب رمي المدفعية والهاونات، فإذا كان علينا بالضبط فكنا ننزل في الكهف، ولكن إذا ابتعد قليلاً كنا نصعد، وهذه خبرة جديدة اكتسبناها من هذه المعركة، إذ من الممكن أن يتقدم العدو تحت القصف، لأنه يتصل بالمدفعية ويستطيع نقل الضرب أمامه إلى مسافة 200 متر أثناء قصف المدفعية والهاونات.

ظللت في قلق شديد على الإخوة الذين ذهبوا للالتفاف، وإذا بصوت الجهاز يأتي كالماء البارد علينا، حيث نادى الأخ أبو عبيدة وقال: أبو القعقاع هل تسمعي؟ فأسرعت نحو الجهاز وقلت: نعم أسمعك جيدًا. فقال أبو عبيدة: "الله أكبر الله أكبر، أبشرك بأننا قتلنا الكوماندوز الروس، وهم الآن صرعى تحت أقدامنا الله أكبر".

وانتشر التكبير إلى أن وصل الإخوة جميعًا، وانتشر الخبر وسرنا سرورًا عظيمًا بفضل الله، وكان الإخوة قد فاجأوا الروس من الخلف، أي من المنطقة التي لم يتخيلوا أن يأتي أحد منها، ولقد استطاع أخونا محمد العزمان المعروف بمختار، أن يقتل ستة منهم دفعة واحدة⁽³³⁾. وبدأ اشتباك بالرشاشات والقنابل اليدوية، وأدى ذلك إلى انهيار معنويات الكوماندوز. فكان عدد الإخوة تسعة أشخاص فقط في مواجهة مائتي جندي، لكن مع الرعب لم يستطيعوا تمييز القوة، ومع وجود الأشجار والغابات لم يستطيعوا أن يحددوا عدد المهاجمين، فأصابهم ذعر شديد، وقتل في هذا

(33) يقول الشيخ سيف العدل: "أخبرني الشيخ أبو حفص رحمه الله وهو ممن شاركوا في عملية الكوماندز بل كان نائب أميرها أبي عبيدة البشير رحمه الله أن جميع الإخوة حينما وصل الروس إلى منطقة القتل أطلقوا النار عليهم دفعة واحدة، ومن ضمنهم مختار، ويصعب أن ينسب لأحد أي عدد من القتلى.

الهجوم المفاجئ من الكوماندوز حوالي خمسة وثلاثين جنديًا وضابطًا، وفر الباقي إلى مسافة بعيدة حوالي ثلاثة كيلو مترات. وارتفعت معنويات المجاهدين ليس فقط في منطقتنا، ولكن في كل أنحاء أفغانستان، وكان ذلك فضل من الله على الإخوة".^١ هـ

بعد معركة جاجي اجتمعت قيادات الإخوة العرب في بشاور، لتوزيع الاختصاصات وتنظيم العمل؛ فاختير الشيخ أسامة بن لادن أميرًا عامًا للعرب، واختير الشيخ عبد الله عزام مسؤولًا عن معسكر صدى، واختير أبو الحسن المدني "وائل جليدان" مسؤولًا عن الأعمال في بشاور. وكانت هناك لجنة عسكرية تتكون من الشيخ أسامة، والشيخ أبو عبيدة البنشيري، وأبو الحسن المدني، والشيخ أبو هاجر العراقي وعصام الليبي، والشيخ أبو حفص الكمنداني⁽³⁴⁾.



أبو الحسن المدني (وائل جليدان) حفظه الله

(34) خيانة على الطريق. للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد). بتصرف.

الدروس المستفادة من معارك مأسدة الأنصار في جاجي:

- التدريب ومعسكرات التدريب:

كان التدريب واحدًا من أهم الموضوعات المتعلقة بالتواجد الجهادي العربي في أفغانستان، وظل بعد انتهاء الحرب أحد أهم نتائجها التي عمل النظام الدولي الجديد وعمالته الصغار على تصفيتها والتخلص منها، وقد نجح فعلاً في تصفية الكثير من الكوادر العربية المدربة في أفغانستان، ولكن بعد فوات الأوان، فأحداث العالم الإسلامي في الشيشان والبوسنة والصومال وطاجيكستان، قد أدت إلى تفريخ جيوش مدربة من جنسيات إسلامية وعربية، وكان لخريجي مدرسة أفغانستان الدور الحاسم في ذلك الانتشار، حتى بات من المستحيل على "النظام الدولي" القضاء على مكاسب التدريب والخبرات التي حصل عليها العرب والمسلمون من أفغانستان⁽³⁵⁾.

وكان معسكر "صدى" الذي يتبع لمكتب الخدمات، هو أول معسكر تأسس للعرب أواخر عام 1984م داخل الأراضي الباكستانية، قرب الحدود مع جاجي. بداية كان المستوى التدريبي بسيطاً، يقتصر على ما توقّر من سلاح، ولم يتحسن إلا بوصول الشيخ أبو برهان السوري⁽³⁶⁾ رحمه الله، الذي تولى الإشراف على معسكر صدي، وأوصله إلى مستوى تدريبي متقدم، فقد كان ضابطاً في الجيش السوري.

ويروي الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في بعض أشرطته، أن عدد الشباب الذين ثبتوا في معسكر صدى عام 1984م وصل إلى 12 مجاهدًا، وتضاعف فقط خلال عام 1985م فوصل إلى 25 مجاهدًا، ثم بلغ مع منتصف عام 1986م أقل من 200 مجاهد بقليل من مختلف الجنسيات، ربما كان معظمهم من بلاد الحرمين ومصر وفلسطين.

وكانت مواجهات شعبان ومواجهات رمضان في جاجي نقطة مهمة في تاريخ المأسدة، ولم تكن لتمر هكذا دون أن يستفيد الإخوة من دروسها، التي كان من أهمها بالإجماع هو أن التدريب

(35) خيانة على الطريق. للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد).

(36) قبل الانتهاء من هذا الكتاب تلقينا نبأ وفاة الشيخ أبو برهان السوري في السودان، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يعلي درجته في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

العسكري لم يكن كافيًا⁽³⁷⁾، ويرجع سبب ذلك لعدم وجود تدريب منظم آنذاك في الساحة، لذلك كان من الضروري الاهتمام والتركيز على تدريب الشباب وإعدادهم إعدادًا جيدًا، فشرع الإخوة تحقيقًا لهذا الأمر في تكوين دورات للمدربين، وكان أحد أسباب ضعف التدريب هم الشباب أنفسهم، فقد كان كثيرٌ منهم يحضر إلى أفغانستان بحماس شديد، ولا يريد إلا تدريبًا بسيطًا في أقصر وقت، وبدون أي تجربة سابقة يدخل جبهات القتال ليقاتل⁽³⁸⁾.

لذلك بعد معركة جاجي بقليل، كان التركيز على تدريب الشباب وتنمية قدراتهم القتالية، هو الهدف الأسمى للشيخين أسامة بن لادن وعبد الله عزام رحمهما الله، فاتفقوا على استدعاء الشيخ أبو أسامة المصري (عبد العزيز علي)⁽³⁹⁾ رحمه الله، كي يبدأ برنامجًا تدريبيًا للشباب المزمع عملهم مع الشيخ أسامة في الجبهات، فتأسس معسكر "ورسك" قرب بشاور في أوائل عام 1988م، ولكن سرعان ما قرر الشيخان إغلاق المعسكر بعد دورته الأولى، نتيجة لعدم التزام الشيخ أبو أسامة المصري بشرطٍ مسبق لهما، وهو عدم خوضه في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية، التي يصف زعمائها دومًا بأنهم مجموعة نصايين لا يريدون الجهاد بل يريدون جمع الأموال، ويسعون فقط للسلطة والزعامة ويكذبون على المسلمين، فقد سببت آراءه الصريحة صدمة مريعة لدى شباب المعسكر، لقوتها وتناقضها الشديد مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن، رحمهم الله.

وكان لابد من التضحية بأبي أسامة ومعسكر ورسك، حتى لا ينفر الشباب ويتركوا ساحة الجهاد، كما يرى الشيخان. على كل حال تمكن أبو أسامة من تخريج حوالي خمسة أفراد، هم كل من استطاع الصمود معه في دورته التدريبية العنيفة المرهقة، وقد كان هؤلاء فيما بعد من أهم

(37) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: كانت هناك محاولات للتدريب قامت بها مجموعة خوست وكان أحد أطرافها الشيخ أبو حفص الكمندان، حيث حصلوا على بعض التدريبات من خلال متطوعين من الباكستان، كما تواصلوا مع بعض الشركات.

(38) مأسدة الأنصار العرب بأفغانستان. عصام دراز. بتصرف.

(39) الشيخ عبد العزيز علي، المكّي بأبي أسامة المصري، أحد كوادر الإخوان المسلمين العسكرية أيام الشيخ حسن البنا رحمهم الله جميعًا. كان من متطوعي شباب الإخوان المسلمين في فلسطين عام 1948م، وكان يتميز في صفوفهم بسمعة عالية وهيبة وحزم، وساهم أيضًا في مجال التدريب في التجربة الجهادية في سوريا، وخرج منها ناقدًا على الإخوان المسلمين بسبب الفساد الذي إستشرى فيهم وإنحراف قيادتهم، كذلك كان من أوائل المعارضين بشدة للقيادات الأفغانية الفاسدة، فكان يرى أنهم مجموعة نصايين لا يريدون الجهاد، بل يريدون جمع الأموال، ويسعون فقط للسلطة والزعامة ويكذبون على المسلمين.

المدرين على ساحة العمل العربي الجهادي في أفغانستان، وهذه المساهمة رغم تواضعها، جعلت أبو أسامة أحد مؤسسي التدريب العسكري العربي في أفغانستان⁽⁴⁰⁾.

– ما كل حق يُقال في كل وقت ولكل أحد:

جدير بالذكر هنا أن نقف وقفة تأمل نأخذ منها الدروس والعبر من رأي الشيخين عبد الله عزام وأسامه بن لادن رحمهما الله، بأن لا يخوض الشيخ أبو أسامة المصري في الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية، التي يصف زعمائها دومًا بأنهم لصوص وقتله وكذابون، وليس لديهم خلق إسلامي.

فقد يقول قائل إن الشيخ أبو أسامة المصري رحمه الله، كان محققًا في رأيه فلم يمنع؟

صحيح إن الشيخ أبو أسامة كان محققًا في رأيه – لكن ما كل حق يُقال في كل وقت ولكل أحد. لماذا؟ لأنه قد يترتب عليه مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة. وبناءً على هذه القاعدة اتخذ الشيخان قرارهما، لأنه ليست هناك مصلحة شرعية مرجوة – كما ظهر للشيخان – يمكن أن تتحقق من إبداء الشيخ أبو أسامة المصري رأيه ذلك أمام شباب قد يكون معظمهم حدثاء عهدٍ ليس بالالتزام بالجهاد فحسب، بل بالالتزام بمبادئ الإسلام نفسه. وبمعنى آخر هل من الممكن إصلاح الأمر بإقصاء أولئك القادة المفسدين من قيادة أحزابهم بمجرد إبداء الشيخ أبو أسامة لذلك الرأي؟ بالتأكيد الإجابة لا. لكن هناك مفسدة غالب الظن أنها مؤكدة وحتمية التحقق، فقد يتأثر بعض هؤلاء الشباب بمنطق وحجة أبي أسامة القويّة – المتناقضة بشدّة مع ما يقوله الشيخان عبد الله عزام وأسامه بن لادن – وينشأ من ذلك شيء من البلبلة والتشبيط المبطن الغير مقصود – خاصة إذا كان مثل ذلك الرأي من شخصية لها وزنها واحترامها كأبي أسامة المصري رحمه الله – تؤدّي إلى نفور هؤلاء الشباب وتركهم لساحة الجهاد، ورجوعهم إلى بلادهم ليعيشوا مرة أخرى تحت مظلة الطواغيت، الذين لا يقارن كفرهم وردّتهم وفسادهم بأي حال من الأحوال مع فساد هؤلاء القادة.

(40) خيانة على الطريق. للشيخ أبو الوليد المصري. بتصرف.

فهل من المصلحة رجوع هؤلاء الشباب إلى بلادهم، وترك دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا بحجة أن قادة الجهاد مفسدين، علما بأن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجهاد في سبيل الله ماضٍ مع البرِّ والفاجر.

وكان الشيخ أسامة - رحمه الله - في خطاب له عام 2007م بعنوان "السبيل لإحباط المؤامرات" قد أشار إلى قصة الشيخ أبو أسامة هذه بقوله:

"ولقد كان لأحد المجاهدين رأيٌ شديد جدًّا في هذه القيادات، وكان من كبار السن والقدر، وهو صاحب تجربة طويلة في الحياة مع الناس، وكنا وقتها ننفر من شدة قوله فيهم، وسأحاول أن أوصل بعض قوله إليكم وخلاصته: "أن هؤلاء القادة تُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية"، وكنا لا نصدق كلامه فيهم مما أحرَّ إدراكنا للتصور الصحيح للأشخاص والأحداث، و لا يخفى ما يترتب على ذلك من مضارٍ عظام، ثم مع مرور الأيام وتتابع الوقائع بدأت الأمور تتضح وتصدِّق قوله في بعضهم، بل جاءت الأحداث لتؤكد أمورًا ما كنا نتوقعها أبدًا لصغر سننا ولقلة تجربتنا في تلك الأيام، وأمَّا اليوم فكلكم قد علم أن تحالف الشمال بقيادة رباني وسياف صاروا أعوانًا ومناصرين لأمريكا ضد المجاهدين في أفغانستان، وكذلك الحال اليوم في العراق، فالحزب الإسلامي وبعض الجماعات المقاتلة تناصر أمريكا على المسلمين، وذلك كفرٌ بواح، وردة صراح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

ثانيًا: تعليقًا على كلام الشيخ أسامة رحمه الله:

لو افترضنا أن الشيخين أسامة وعبد الله عزام رحمهما الله تكشَّفت لهما آنذاك تلك الأمور التي تكشَّفت للشيخ أبي أسامة، فهل كانت لتغيب عن أذهانهما الحكمة والسياسة الشرعية بأن لا يتكلما على الملأ بأن هؤلاء القادة لصوص وكذابون، وتُجار تهمهم زعامتهم، ومصالحهم الشخصية مقدمة على القضية؟ لا أعتقد ذلك، لعلم الشيخين بأن هذا الأمر وإن كان قد تكشَّف لهما - حسب ما افترضنا - ولبعض الخاصة، إلَّا أنه لم يتكشَّف بعد لدى عامة المجاهدين، إضافةً إلى أن هؤلاء القادة في ذلك التاريخ لم يقعوا بعد في الكفر البواح والردة الصراح - كما هو حالهم اليوم - بل كان لهم وزنهم ومكانتهم، وكان كل المسلمين بصفةٍ عامَّةٍ والمجاهدين في ساحة أفغانستان عربهم وعجمهم بصفةٍ أخص، لا تعلم عنهم إلَّا كل خير، وتُكنَّ لهم كل احترام وتقدير لما قدَّموه وبذلوه من تضحيات في جهاد الروس ومن قبلهم حكومات كابل الماركسية العميلة لهم. وبناءً على تلك

المعطيات لو كان الشيخان تكلما عن هذا الأمر على الملأ، فسترد لكلامهما أنف الأفغان المجاهدين التابعين لهؤلاء القادة حيّة وعصبيّة، وستوغر صدورهم، وربما ترتّب بناءً على ذلك فساد وفتنة عظيمة بين المجاهدين الأفغان وإخوانهم من العرب.

ولما كان سيّاف يرأس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، وكان هو المستودع الأكبر لتبرعات المسلمين للجهاد في أفغانستان - خاصة التبرعات القادمة من بلاد الحرمين ودول الخليج - لعلّ أقصى ما كان الشيخان أسامة وعبد الله عزام سيفعلانه في ذلك الوقت، هو أن لا تصبّ تلك الملايين من أموال التبرعات في خزائن هؤلاء القادة المفسدين، وهذا أخوف ما كانوا يتخوّفون منه، لذلك كانوا يتظاهرون دائماً بالصلاح.

ومعلوم في السيرة قصة عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، وذلك عندما بلغ رسول الله ﷺ أنه قال: "أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل... " فأراد عمر رضي الله عنه أن يأذن له رسول الله ليضرب عنقه، فأبى رسول الله ﷺ، وقال لعمر: "فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟". ولما نزل الوحي مؤكّداً مقولة زعيم النفاق عبد الله بن أبي بن، كان قومه بعد ذلك إذا أحدث الحدث هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه. فقال رسول الله - ﷺ - لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: "كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف (أي لاضطربت وانتفخت واحمرت له أنوفهم حمية وعصبيّة) لو أمرتها اليوم تقتله لقتلته"، فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله - ﷺ - أعظم بركة من أمري.

لقد كان الشيخان عبد الله عزام وأسامه بن لادن رحمهما الله، محقّقان في قرارهما بالتضحية بالشيخ أبي أسامة المصري ومعسكر ورسك - بالرغم من أن الشيخ أبو أسامة المصري كان من قدامى المجاهدين الأكفّاء في مجال التدريب - فقد أدركا رحمهما الله، كما ذكرنا سابقاً، أن ساحة أفغانستان فرصة ذهبية كبيرة، يجب أن تستغل بأفضل ما يمكن أن تستغل به، فلأول مرة منذ زمن بعيد يناقش أمر الجهاد في العلن، وفي صفحات الجرائد، وعلى شاشات التلفزة، بعد أن كان نسيّاً، فإدرك الشيخان رحمهما الله، أن هذا الضوء الأخضر العالمي لدعم الجهاد ضد الروس، والتسهيلات التي وافقت ذلك لن تدوم طويلاً، وستنتهي وتقمع بانتهاء المهمة المطلوبة منها، لذلك كان الشيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى ساحة أفغانستان أكبر عدد ممكن من أبناء

المسلمين، ليتشبعوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلدهم. وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول: "أريد أن يأتي من كل بلدٍ عربي ولو أربعين مجاهدًا، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد".

- تتابع معسكرات التدريب:

بعد معسكر ورسك أسس الإخوة معسكر جاور في منطقة خوست، في قاعدة تابعة للشيخ جلال الدين حقاني، ثم أسسوا مركزًا للتدريب والمناوشات في ليجا، الذي ما لبث أن توقف بعدما أصيب عدد من الشباب أصابات بليغة أثناء إحدى العمليات، ثم افتتحوا في نهاية العام مركزًا تدريبيًا في منطقة " جهاد وال " القريبة من جاور التابعة لحكمتيار، فأقيم هناك بالتتابع أربع معسكرات، هي معسكر الفاروق العام، ومعسكر جهاد وال الخاص بالدورات الخاصة وصناعة الكوادر القيادية، ومعسكر الصديق الخاص بتدريب الإخوة اليمنيين وأصحاب المدد القصيرة، ومعسكر خالد بن الوليد، وكان هناك معسكر أبو الشهيد القطري في منطقة غني خيل القريبة من جلال آباد. استمرت هذه المعسكرات حتى نهاية الجهاد، ودربت أعدادًا كبيرة من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي والعربي، وقد أعطى ذلك المجهود إمكانيات عملية هائلة لتنظيم القاعدة.

لكن المساهمة النوعية الأخطر في مجال التدريب العربي في أفغانستان، جاءت على يد الضابط المصري حيدرة " على محمد أبو السعود"⁽⁴¹⁾، الذي يحمل الجنسية الأمريكية، وكان جنديًا في الجيش الأمريكي لفترة من حياته المهنية. ففي عام 1988م، وبعد اتصال مع بعض معارفه من العسكريين المصريين العاملين ضمن تنظيم الجهاد⁽⁴²⁾، وصل حيدرة إلى بيشاور، وعمل في تدريب

(41) جدير بالذكر، أنه بناءً على توجيهات الشيخ أسامة، كان الإخوة قبل وقت كافٍ من عمليات نيروبي ودار السلام، قد تبّهوا جميع الإخوة المتواجدين في كلٍ من أمريكا وبريطانيا ليخرجوا منهما مخافة أن يتم أسرهم بعد العمليات، ولكن لا يغني حذر من قدر، فقد تراخى الإخوة في تنفيذ الأمر، حتى ألقت السلطات الأمريكية القبض عليهم في أعقاب عملية تدمير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا، وكان من بينهم الأخ حيدرة والأخ وديع الحاج والأخ إيهاب الملقب بالنووي، وفي بريطانيا أُلقي القبض على الشيخ خالد الفوّاز، نسأل الله أن يفك أسرهم جميعًا.

(42) نقلًا عن الشيخ الدكتور أيمن: "كنت أنا وأبو خالد الضابط من قابل حيدرة في نيويورك في بيت الأخ مصطفى شليبي رحمه الله، فقد كان زميلًا في القوات الخاصة لصهر الشيخ أبو خالد الضابط سيد موسى رحمه الله، الذي هاجر مع أبي خالد لبakistan، وبدأ في المشاركة في جاجي وفي المعسكرات بزيارات أولية، ثم توفي في بشاور بسبب آلام في بطنه شخصت أولًا على أنها تيفود، ومع مواصلة الأبحاث تبين أنه يعاني من سرطان في الطحال، وتدهورت صحته، وتوفي لرحمة الله في بشاور، ولما علم حيدرة بقصة سيد موسى تأثر جدًا، وقرر أن يأتي للمشاركة في الجهاد".

كوادر تنظيمي الجهاد المصري والقاعدة، ولم يكن ذلك حدثاً عادياً، لأن التدريبات التي حقنها حيدرة في هذين التنظيمين، والتي انتشرت " بالعدوى " بعد ذلك في تنظيمات بيشاور العربي منها وغير العربي، كانت قفزة نوعية بكل المقاييس، فقد احتوت مساهمته على تدريبات القوات الخاصة الأمريكية في حرب العصابات، التي شارك حيدرة في مقاومتها ضمن فرق الجيش الأمريكي في عدة بلدان من أمريكا الجنوبية⁽⁴³⁾. واحتوت كذلك على عمل الخلايا في المدن (نظام عمل أطقم الخلايا سواء مجموعة القيادة والمعلومات والتجهيز والتنفيذ في المدن وفك الشفريات، ورسم الكروكيات، والتخطيط لأعمال خطف الجواسيس، وفك الرهائن المسلمين في الغرف المظلمة، حيث يتم وضع شواخص للأعداء وللأصدقاء، ويتم دخول الغرف بصوت التفجيرات، وكذلك فك الرهائن في الطائرات والمباني العادية والعمارات والسيارات، وتسلق المباني بالحبال، والاشتباك في أصعب الظروف وغيرها. كذلك ساهم حيدرة في إعطاء دورة خاصة في المسدسات، وكيفية التعامل بالسلاح في السيارات والموترسكلات، والقفز من على السيارات، كذلك أعطى دورة جنرالات حرب، في كيفية إدارة المعارك الضخمة بدءاً من فصيلة واحدة إلى لواء (قراءة الخرائط وكيفية توزيع القوات المسلحة على الخرائط العسكرية، ومعرفة الرموز العسكرية الشرقية والغربية، وتنظيم اجراءات المعركة، وتنظيم الكتائب والسرايا والفصائل والجماعات) كذلك كانت هناك دورات تخصصية في حياة آباء - بيشاور⁽⁴⁴⁾ يقيمها الأخ حيدرة، وهي دورة جاسوسية في كيفية جمع المعلومات شارك فيها عدد من الإخوة.

وكان قد تدرب على يد حيدرة، عدد من أهم القيادات العسكرية لتنظيم الجهاد، الذين دربوا بدورهم كل الكوادر الميدانية لتنظيم الجهاد العاملة في مصر، وقد جنت القاعدة من حيدرة نفس الفوائد والبرامج التدريبية، وحصلت على أفضل مجموعة من الكوادر المدربة كان لهم بفضل الله تعالى دوراً فاعلاً في تدريب عشرات الألوف من المجاهدين في كثير من الساحات الجهادية⁽⁴⁵⁾.

(43) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري. بتصرف.

(44) حي سكي من أحياء بيشاور كان يسكنه كثير من العرب المجاهدين.

(45) خيانة على الطريق - صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري. بتصرف



الأخ علي مُحمَّد أبو السعود (حيدرة) فكَّ الله أسره

وكان أول معسكر شارك فيه حيدرة، هو دورة تدريبية لمدة ثلاثة أشهر في شاهي كوت، ثم سافر وعاد بعد عدة أشهر أو سنة، وأعاد الدورة نفسها مرة أخرى في نفس المكان، وكانت الدورة الأولى خاصة بجماعة الجهاد⁽⁴⁶⁾، وفي الثانية ربما شارك فيها إخوة من القاعدة، ثم شارك في دورة ثالثة في كونر، كان المتدربين فيها من جماعة الجهاد والقاعدة، ثم شارك بعد ذلك في عدة دورات لجماعة الجهاد والقاعدة في جلال آباد وبشاور، وكانت المشاركة الأبرز لحيدرة مع القاعدة في خوست، حيث مكث قرابة أربعة أشهر قدم خلالها سلسلة من الدورات العسكرية، جُمع له فيه أغلب كوادر التنظيم التدريبية والعسكرية، وكان الشيخ سيف العدل مسؤولاً عن هذا المعسكر، ومشرفاً على التدريب، ووقتها كان مصاباً في يده. كذلك شارك حيدرة في تدريب الاخوة في

(46) نقلا عن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري: بالنسبة لمعسكرات جماعة الجهاد فبعد الدورات الثلاث الأولى في شاهي كوت وكونر، افتتحت الجماعة ثلاث معسكرات في جلال آباد قرب فرم سي، وهي معسكر بدر، ومعسكر القادسية، ومعسكر القعقاع، وقد كان الهدف منها تدريب المجاهدين للجهاد في مصر، وقد تدرب فيها قرابة مائتي مجاهد، تم جلب معظمهم وإعادة تم لمصر. وكان المشرف على هذه المعسكرات هو الشيخ أبو خالد الضابط (عبد العزيز الجمل) حفظه الله وجزاه خير الجزاء، وشاركه الشيخ مُحمَّد صلاح (نصر فهمي نصر)، وفتحي (طارق أنور) وأبو مُحمَّد سالم (زكي عزت زكي) - رحمهم الله - وغيرهم، وكان ممن تخرجوا منها أبو حمزة المهاجر وأبو دجانة الباشا وأبو أيمن المصري وأبو حمزة ربيع - رحمهم الله - وغيرهم.

الخرطوم، خاصة مجموعة الحراسة الخاصة بالشيخ أسامة رحمه الله، بعد ذلك شارك مع القاعدة في عدة استطلاعات في شرق إفريقيا⁽⁴⁷⁾.



الشيخ أبو مصعب السوري
(مصطفى بن عبد القادر بن
مصطفى ست مريم)
فكّ الله أسره

الشيخ أبو عطا التونسي
(الحبيب شوشان)
تقبله الله

الشيخ سيف العدل
(مُحمَّد صلاح الدين زيدان)
حفظه الله



أبو الفرج الليبي
فكّ الله أسره



أنس الليبي
تقبله الله



الشيخ أبو مُحمَّد المصري
تقبله الله



أبو إسلام المصري
تقبله الله

(47) نقلا عن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري والشيخ سيف العدل، حفظهما الله.



السعدي (أحمد مُحمَّد حامد)

تقبله الله



أبو عبد الرحمن المهاجر

تقبله الله



عبد الوكيل

تقبله الله



طلحة السوداني

تقبله الله



الشيخ خالد الفوّاز

فكّ الله أسرّه



الشيخ أبو خالد السوري

تقبّله الله



هارون فضل

تقبله الله



الشيخ قاسم الرمي

تقبله الله



أبو الحسن الصعيدي

تقبله الله



خالد المقدسي (سعدوف)

تقبّله الله



القائد عبد العزيز المقرن
(أبو هاجر) تقبله الله



الشيخ يوسف العيري
تقبله الله



خالد الحبيب - تقبله الله

بعض من نخبة مدربي القاعدة:

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هنالك العشرات من كوادر تنظيم القاعدة الذين ساهموا في عملية التدريب، لم يرد ذكر أسمائهم في هذا الكتاب، منهم من قضى نحبهم الله، لم يتسنّ لنا الحصول على صورهم - ومنهم من لا يزال على قيد الحياة، تعمّدنا عدم ذكر أسمائهم لدواعٍ أمنية،

نسأل الله الكريم أن يجزي الجميع عنا وعن المسلمين خير الجزاء لما بذلوه من جهدٍ مقدّرٍ مشكور
في مجال التدريب، وإعداد وتحريض أبناء هذه الأمة على الجهاد في سبيل الله، وتربيتها على معاني
العزة و الكرامة، في زمان سادت فيه ثقافة الذلّة و المهانة.

المرحلة الثانية:

مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان

كان المجاهدون العرب قبل تأسيس القاعدة في أغسطس عام 1988م، صفًا واحدًا يجمعهم الشيخان عبد الله عزام وأسامة بن لادن رحمهما الله، وكان التعاون بين الشيخين وثيقًا جدًا، لكن مع تقدم العمل، وكثرة قدوم الشباب، ومن أجل الهروب من الفوضى، لم تخلو العلاقة بينهما رحمهما الله من بعض الخلافات التكتيكية، في كيفية عمل المجاهدين العرب، هل يندمجون مع الأفغان أم ينفصلون عنهم في العمل الميداني؟ ففي بادئ الأمر كان الشيخ عبد الله عزام يعارض أي تحزب أو تنظيم موحد للعرب، ويرى خدمة الجهاد الأفغاني من خلال اندماج المجاهدين العرب مع الأفغان، لذا اختار الخيار الأول.

أما الشيخ أسامة فقد كان يرى أن النفقات الهائلة الضخمة التي تُنفق في ساحة بيشاور يمكن أن يُستغنى عن الكثير منها، وتُستثمر لصالح المجاهدين داخل أفغانستان، لأنه إذا سقط النظام الشيوعي، فإن الاهتمام بالأمور الأخرى سيأتي تلقائيًا إذا ما قامت الدولة الإسلامية، لذلك أراد الشيخ أسامة أن يركز معظم جهوده على العمل العسكري داخل أفغانستان، وأن يكون للعرب دورًا فاعلاً في العمليات القتالية داخل أفغانستان، ولن يتأتى ذلك الدور إذا كان العرب مشتتين بين أحزاب الأفغان المختلفة، خاصة وأن كل زعيم حزب كان يسعى لاحتواء العرب، لذا قرر الشيخ أسامة العمل باستقلالية بعيدًا عنهم والتعاون معهم في نفس الوقت، فاختار رحمه الله الخيار الثاني⁽⁴⁸⁾.

وبناءً على قناعته تلك أسس الشيخ أسامة مع الشيخ أبو عبيدة البنشيري والشيخ أبو حفص الكمندان وشفيق المدني - رحمهما الله - وآخرون، مأسدة الأنصار في جبال جاجي، لتكون قاعدة تجمع طاقات الشباب العربي القادمين للجهاد، وترفع مستوى التدريب لديهم لقتال الروس. وفي مقابله مع تيسير علوني مراسل قناة الجزيرة، سئل الشيخ أسامة عن القاعدة فقال رحمه الله:

(48) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني. بتصرف.

"هذا الاسم قديمٌ جدًّا، ونشأ بدون قصد منا، فقد كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمة الله البنشيري، كَوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي الغاشم، الملحد الإرهابي حقيقةً للآمنين. فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب، ثم نما هذا الاسم، أما نحن فغير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها"⁽⁴⁹⁾.

جدير بالذكر أنه بعد نجاح الشيخ أسامة في معركة جاجي وهزيمة الكوماندوز الروسي، اقتنع الشيخ عبد الله عزام بجدوى ما ذهب إليه الشيخ أسامة بضرورة ممارسة العرب للدور القتالي، وبناءً عليه اتفقوا معًا على الجمع بين الدعم الخدماتي والعسكري والإنساني التشاركي والمستقل على التوازي، وتم توجيه هذا الدعم وفق السياسات التي كانت محل إجماع بين قادة المقاومة الأفغانية، مع السعي الحثيث والجاد لتوحيد صفوفهم، والتحذير الشديد من المشاركة في صراعاتهم. فالذي استقر عليه مشروع الإمامين عزام وبن لادن بعد بروز مؤشرات الانكفاء الروسي وتقهقر الاتحاد السوفيتي، هو عسكرة الأمة الإسلامية كلها للتحرر من الهيمنة الكفرية العالمية سواء أكانت شرقية أم غربية⁽⁵⁰⁾.

البداية الفعلية للقاعدة:

كانت البداية الفعلية لعمل القاعدة بالتحديد في سنة 1988م، حيث لاحظ الشيخ أسامة - رحمه الله - مع توسع فكرة الجهاد وزيادة الأعباء واحتدام المعارك، أن حركة المجاهدين العرب قدومًا وذهابًا والتحاقًا بالجبهات، بل وحتى كثرة الإصابات والاستشهاد قد ازدادت دون أن يكون لديه سجل عن هذه الحركة، وكان نقص هذه المعلومات سببًا لإحراج الشيخ أسامة في أحيان كثيرة، لعدم توفر إجابات مع بعض العوائل - خاصة أولئك القادمين من بلاد الحرمين واليمن - التي تسأل عن أبنائها بالهاتف، أو من خلال إرسال مندوب عنها للتعرف على مصير عضو العائلة الذي التحق بالشيخ أسامة.

واستدراكًا لهذا الخطأ الإداري قرر الشيخ أسامة رحمه الله، ترتيب سجلات للإخوة المجاهدين العرب، توثق لحالات الوصول والشهداء والجرحى، ووُسّعت الفكرة لتشمل تفاصيل كاملة عن كل

(49) مقابلة الشيخ أسامة رحمه الله مع تيسير علّوني في الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(50) مقال في مجلة أمة واحدة العدد الخامس بعنوان: "عالمية الجهاد في منظور الشيخين عزام وبن لادن" للكاتب: خطاب الهاشمي. بتصرف.

من وصل أفغانستان بترتيب من مجموعة الشيخ أسامة، فرتبت السجلات بحيث تتضمن تاريخ وصول الشخص، والتحاقه ببيت الأنصار، ثم تفاصيل التحاقه بمعسكرات التدريب، ومن ثم التحاقه بالجبهات. وأصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة، وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخليًا، وهنا اتفق الشيخ أسامة رحمه الله مع معاونيه أن يسموها سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار، ومعسكرات التدريب والجبهات⁽⁵¹⁾.

البيعات والعهود:

تطور الأمر بعد ذلك ليبدأ ميلاد القاعدة رسميًا في أغسطس عام 1988م، وذلك عندما بدأ الشيخ أسامة يأخذ العهود والبيعات من الشباب على السمع والطاعة لمن يريد أن يخدم الجهاد، والبقاء معه لدعم قضايا الجهاد وتنظيماته في أماكن عديدة. ولم تكن تلك البيعات مقصورة على شباب بلاد الحرمين، أو على العرب فقط دون غيرهم من الجنسيات الأخرى، إنما كانت تشمل العرب والعجم من جميع دول العام.

وبالرغم من أن الدورات التدريبية كانت تقدّم لعشرات الآلاف من المجاهدين، إلا أن جزءًا فقط من هؤلاء يتم اختيارهم ومفاتحتهم حول الانضمام للتنظيم، بعد أن تتم تزكيتهم من إدارة المعسكر - وفق معطيات دقيقة كثيرة - بعد الانتهاء من الدورة التأسيسية التي كانت مدتها 45 يومًا. وكان هذا الإجراء كافيًا ليس فقط بمنع الاختراق، نظرًا لأن العضوية فيه لا يأخذها الفرد متى شاء، وإنما تُمنح من القيادة، فكان تنظيم القاعدة يقوم بتجنيد زبدة النخبة من الفعاليات الجهادية، فقد كانوا يحرصون على انتقاء المجاهدين المؤهلين، مما انعكس إيجابًا على العمل الجهادي لتنظيم القاعدة، فقد كان يهمهم أن يُخَرَّجُوا رجالًا يعتمد عليهم في الشدائد، لذا كانت عدة مجاهدي القاعدة تتمثل في الصبر واليقين، لذلك ترى رجل القاعدة يتحمل مالا يتحمل غيره، فهو يصبر في موقعه حتى تأتية الأوامر بالتقدم أو التأخر، فقد كانوا يشعرون أنهم لبننة في بناء الجهاد، وفقهوا حديث رسول الله ﷺ: (طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَثَ رَأْسُهُ، مُعْبَرَةً

(51) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني. بتصرف.

قَدَمَاهُ، إِنَّ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ) كذلك كانوا يتمثلون حديث رسول الله ﷺ في طاعة الأمير ومياسرة الشريك⁽⁵²⁾.

فكرة القاعدة:

كغيرها من الجماعات الجهادية الأخرى لم تكن القاعدة - منذ اليوم الأول الذي تأسست فيه - قطرية التوجّه، بل كانت عالمية في توجهها وعالمية في أفرادها. فالشيخ أسامة رحمه الله، لم يرد أن يكون الجهاد ردة فعل مجردة، خال من أي فكر يقوده وينظمه، ولم يرد أن يكون الجهاد محدودًا في حدود سايكس بيكو، فقد كان يريد أن تكون للمجاهدين⁽⁵³⁾ قوات تدخل سريع ضاربة منظمة، كلما سمعوا هيلة أو فزعة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في الصين، وحسب تصور القاعدة فإن مشروع الجهاد الإسلامي لا يتوقف عند حدود بلد أو دولة، إنما يتعداها ليشمل الأرض كل الأرض، لتحرر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، فهذه هي فكرة القاعدة وانطلاقتها من أفغانستان، فأفغانستان إنما هي مرحلة في الطريق، وزاد يتزود بها المرء في طريقه الشاق والطويل. وقد أعلن الشيخ أسامة ذلك الهدف فقال: "ونحن بهذا الجهاد لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم، حتى يكونوا بإذن الله نواة الجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي أراضي المسلمين"⁽⁵⁴⁾.

وهكذا كانت القاعدة بحق، عبارة عن جيش صغير، تروضت نفوسهم على طاعة الأمير، والعمل المنظم بصبر وتؤدة، ودخول المعارك ضمن برامج تحت إشراف رجال كان فكرهم أشمل ونفوسهم أوسع، لقد كانوا يعملون للمستقبل، ويخططون لما هو أبعد من أفغانستان، ويعدون أنفسهم لمراحل قادمة، ومع ذلك فإن قيادة القاعدة، كانت دائمًا متواجدة في أرض المعركة وفي المناطق الساخنة، يتواجدون ليصهروا أنفسهم، ويقوموا بتقوية بنيانهم طلبًا لمرضاة الله، ودفعًا

(52) دمج بين كتاب أسامة بن لادن مجدد الزمان لفارس الزهراني، وكتاب فرسان الفريضة الغائبة لصالح الهامي. بتصرّف.

(53) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: يقول الشيخ أسامة رحمه الله: "وجدت أن عددًا كبيرًا يعني بالجانب الإغاثي، فلما لا نقوم بعمل هيئة إغاثية عسكرية ينصب جل اهتمامها على تقديم الخدمات العسكرية من تدريب وقتال". ثم تشاور مع إخوانه القدامى بالساحة حيث رفض الفكرة عدد منهم واعتبرها جماعة جديدة، ورحب بالفكرة عدد آخر هم من قامت القاعدة عليهم لاحقًا. وهكذا نشأت القاعدة كهيئة إغاثية تعني بالجانب العسكري فقط.

(54) تنظيم القاعدة. النشأة - الخلفية الفكرية - الامتداد. للكاتب سعيد علي عبيد الجمحي. بتصرّف.

للكافرين عن احتلال أراضي المسلمين، فقد كان الشيخ أسامة - رحمه الله - يتوقع الشهادة في كل مرة، فهو في أتون المعركة، وكم من مرة ظن نفسه شهيداً ثم ينقذه الله من موت محقق ليؤخره الى قدره وأجله المسمى (55).

لجان القاعدة الإدارية:

كانت القاعدة تدير أعمالها من خلال لجان إدارية عديدة، فكانت هناك اللجنة العسكرية، وتشرف على معسكرات التدريب وجبهات القتال والعمليات الخارجية، ويرأسها الشيخ أبو حفص الكمندان رحمه الله، واللجنة الأمنية ويرأسها الشيخ سيف العدل حفظه الله، واللجنة المالية وشئون الأفراد ويرأسها الشيخ سعيد (مصطفى أحمد عثمان أبو اليزيد) رحمه الله، واللجنة الشرعية وكان يرأسها آنذاك "أبو إبراهيم المصري"، ثم خلفه في السودان الشيخ أبو حفص الموريتاني حفظه الله.

كذلك كانت هنالك لجنة إعلامية مصغرة مهمتها متابعة الأخبار والأحداث الجارية في العالم ثم تفريغها في نشرة إخبارية مطبوعة، وتوزيعها بعد ذلك على المضافات والجبهات والمراكز. وكانت المضافة الخاصة بأفراد القاعدة في بيشاور تسمى بيت السلام، وكان هناك في بيشاور بيت المعهد الشرعي، ويتواجد فيه الأخ الإداري للتنظيم، المسئول عن تنظيم حركة أفراد القاعدة من وإلى بالتنسيق مع أمراء اللجان، فمنذ أن يبايع الأخ على برنامج القاعدة بعد التخرج من المعسكر، يتم توزيعه على اللجان حسب تخصصه ومؤهلاته وقدراته.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، يكفل المئات من الإخوة المتزوجين من القاعدة وغير القاعدة بكفالات شهرية، وكانت مساكنهم تستأجر وتؤسس على نفقته، كذلك كانت هناك مساعدات شهرية ثابتة، يقدمها الشيخ أسامة لغير المتزوجين من أفراد القاعدة، وكان دعمه العسكري بالذخائر والسلاح والتموين بالغذاء يشمل معسكرات التدريب، وجبهات القتال في خوست وجرديز وجلال آباد، كذلك كان ينفق، ويقدم دعمه، ويتعاون على البر والتقوى مع كل الجماعات الجهادية القطرية الأخرى الموجودة في الساحة، وكان رحمه الله أيضاً يساهم في دفع قيمة تذاكر السفر بالطائرة ذهاباً وإياباً لكثير من الإخوة، ويساهم أيضاً في دفع نفقات علاج الجرحى في المستشفيات الخاصة خارج باكستان، وكان رحمه الله يساهم أيضاً في دفع الديات، ويساهم حتى في نفقات زواج الإخوة، وفي نفقات الحج لمن أراد.

(55) فرسان الفريضة الغائبة لصالح الهامي. بتصرف.

قصة أبو إبراهيم المصري:

كان هذا الرجل محسوبًا على مشايخ العلم في بيشاور، وكان هو المسئول الشرعي لتنظيم القاعدة، وكانت له مؤلفات ورسائل وكتيبات صغيرة في فضل الجهاد والرباط والشهادة وإلى غير ذلك، وكانت كتبه توزع في بيوت المجاهدين، وتزخر بها المراكز في جبهات القتال، وكانت له دروسًا ومواعظ يلقيها أحيانًا في بيوت القاعدة وبيت الأنصار وغيرهما. وكان من ضمن الذين هاجروا إلى السودان في أوائل التسعينات، ثم غادره إلى اليمن تقريبًا عام 1994م.

وذات مرة في اليمن عرض هذا الرجل خدماته على جهاز الأمن السياسي؛ فقدّم لهم ملفًا كاملاً عن رؤيته في كيفية القضاء على تنظيم القاعدة، وكان آنذاك كثيرٌ من العاملين في الجهاز ينتمون إلى حزب الإصلاح، فسَرّب أحدهم الملف إلى الإخوة فقاموا بأسره، وكانوا على وشك أن يقتلوه، غير أنهم أطلقوا سراحه لاعتباراتٍ أخرى ثم ولّى بعدها هاربًا إلى مصر، وهناك ظهر في أحد الفضائيات يتباهى في مقابلة معه بأنه كان رجل مخبرات بامتياز، نسأل الله العافية والثبات.

وهنا قد يتخوّف الكثير من الناس، ويحجمون عن الدخول في برنامج القاعدة بقولهم: "إذا كان رجلٌ مثل هذا وصل إلى أن يكون المسئول الشرعي لجماعتكم؛ فأنتم إذن جماعة مخترقة حتى النخاع".

ولهؤلاء نقول: ألم تقرأوا قول الله عزّ وجل ﴿وَمِنَ حَوْلِكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فإذا كان في المدينة مع رسول الله ﷺ منافقون وصفهم الله بأنهم مردّة في النفاق، ومع ذلك لا يعلمهم رسول الله ﷺ، فكيف بمن دونه من الناس.

ومعلوم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه معايير الشديدة في اختيار ولاته، فكان لا يختار إلاّ القوي الأمين، التقى الورع القائم على حدود الله، ورغم ذلك كان في عمّاله واحد من المنافقين. فقد ذكر ابن الأثير في كتابه "أسد الغابة في معرفة الصحابة" أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد سأل حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين - أعلمه بهم رسول الله ﷺ - فقال: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال حذيفة: نعم واحد، قال: من هو؟ قال: لا أذكره، قال حذيفة: فعزله، كأنما دل عليه.

فإذا كانت خير القرون لم تخلو من المنافقين، أيتصور بعد ذلك في هذا الزمان أن تكون جماعة مطاردة ومحاربة من كل الدول، وكل شياطين الإنس والجن، خالٍ صفها من المنافقين؟

يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب - تقبله الله - في الضلال معلّقاً على قصة عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق، بعد أن أنزل الله في شأنه سورة المنافقون:

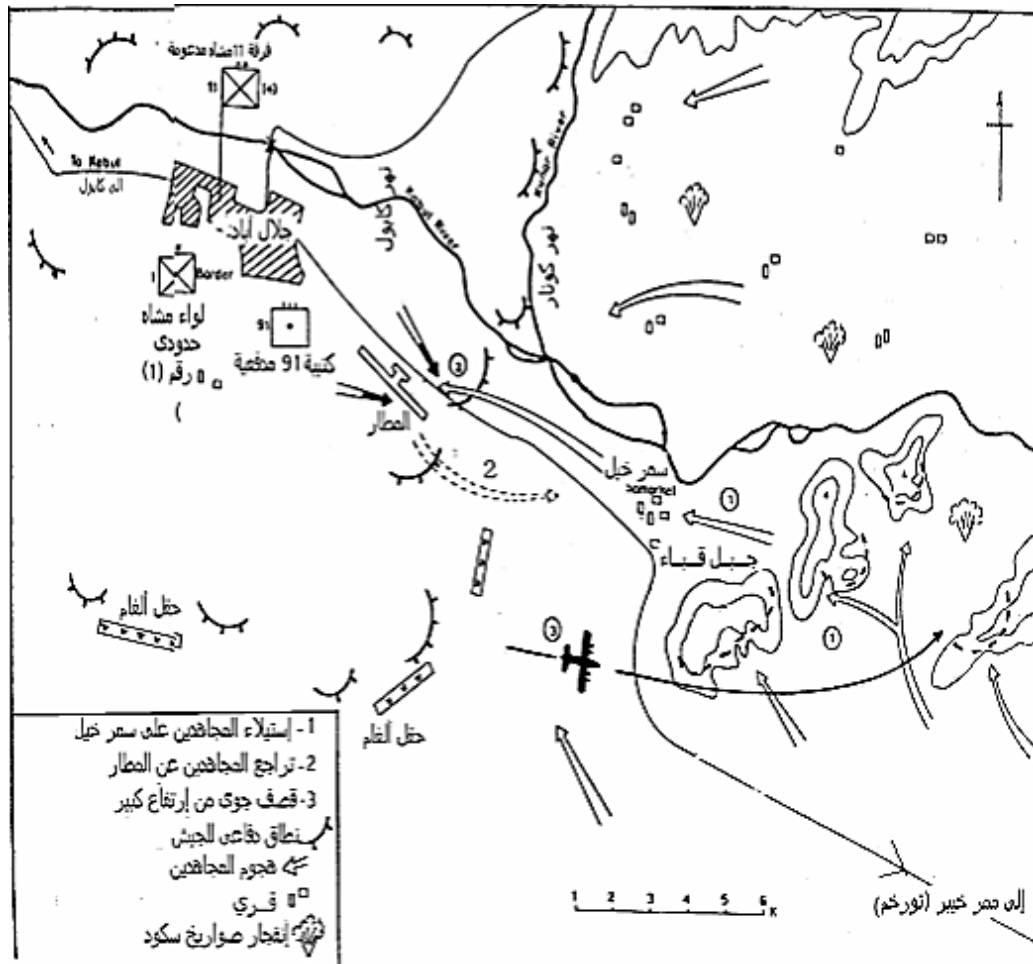
" فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون، ويعيشون فيه - في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قرابة عشر سنوات، والرسول - ﷺ - لا يخرجهم من الصف، ولا يعرفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته. وإن كان يعرفهم في لحن القول، بالالتواء والمداورة. ويعرفهم بسيماهم وما يبدو فيها من آثار الانفعالات والانطباعات. ذلك كي لا يكل الله قلوب الناس للناس. فالقلوب له وحده، وهو الذي يعلم ما فيها ويحاسب عليه، فأما الناس فلهم ظاهر الأمر كي لا يأخذوا الناس بالظنة، وكي لا يقضوا في أمورهم بالفراسة! وحتى حينما عرّف الله نبيه - ﷺ - بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم إلى أواخر حياته، فإنه لم يطردهم من الجماعة وهم يُظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه. إنما عرفهم وعرّف بهم واحداً فقط من رجاله هو حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ولم يشع ذلك بين المسلمين. حتى أن عمر - رضي الله عنه - كان يأتي حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول - ﷺ - لم يسمه له من المنافقين! وكان حذيفة يقول له: يا عمر لست منهم. ولا يزيد!

وكان رسول الله - ﷺ - قد أمر ألا يصلي على أحد منهم مات أبداً. فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول لا يصلي على ميت. فلما قبض - ﷺ - كان حذيفة لا يصلي على من عرف أنه منهم. وكان عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر. فإن رأى حذيفة هناك علم أنه ليس من المجموعة وإلا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئاً! وهكذا كانت تجري الأحداث - كما يرسمها القدر - لحكمتها ولغايتها، للتربية والعبرة وبناء الأخلاق والنظم والآداب". ا. هـ

معارك جلال أباد:

من المعارك الكبيرة - بعد معركة جاجي - التي شاركت فيها القاعدة بعد تأسيسها بقيادة الشيخ أسامة، كانت معارك جلال أباد في صيف 1989م، ويروي الشيخ أسامة رحمه الله، أحداث هجوم القوات الشيوعية الحكومية الذي استهدف مواقع العرب، فقال رحمه الله:

"كانت معارك جلال آباد هي أول وأكبر معركة يخوضها المجاهدون العرب على المدن، وكان الاختلاف بين معارك جلال آباد والمعارك الأخرى في أفغانستان، في أن المعارك السابقة كانت على مراكز وقلاع للعدو، أما جلال آباد فهي إحدى المدن الرئيسية الكبرى في أفغانستان، بل هي أقرب مدينة إلى العاصمة كابل، ولم يكن هناك خيار في معارك جلال آباد، فبعد سقوط عدد من المواقع حول المدينة، وسقوط حصونهم في يد المجاهدين - حتى وصلت قوات المجاهدين الأفغان إلى مطار جلال آباد - استمات العدو في الدفاع عن المدينة، وأمام ذلك إذا تركت كل هذا ورجعت فأنك ستخسر كل المعركة، ولهذا بدأت معركة طويلة استمرت بعنف شديد لعدة أشهر متواصلة، أخذ فيها الإخوة خبرات كبيرة، لم تتيسر لهم من قبل في أي معارك سابقة.



(56) معارك جلال آباد

(56) الخارطة من كتاب صليب في سماء قندهار

كان عندنا حول جلال أباد 18 مركزًا للعرب (مأسدة الأنصار) وكان من الصعب أن تدير معركة طويلة لعدة أشهر، وأن تكون القوة في حالة شد مستمرة، فأنت محتاج لإمداد وتموين مستمر، ومحتاج لذخائر في الوقت المناسب، وصواريخ لراجمات الصواريخ، كذلك تم تكوين أجهزة لإخلاء الجرحى والقتلى، نرجو من الله أن يكونوا شهداء، وكذلك تواجد إخوة في المرصد بصفة مستمرة، لرصد أي حركة من العدو لتوجيه النيران إليها، وازدادت خبرات الإخوة في استخدام الصواريخ والهاونات والمدفعية، وقد استخدموا الخرائط في القصف، حيث يتم تحديد المسافة واتجاه الهدف والقصف عليه بواسطة الإحداثيات حسب الاصطلاح العسكري. وأمام هذه التجربة الجديدة ظهرت معادن الإخوة العرب، فثبتوا وصبروا وهذا أمر ليس بالسهل؛ أن تبقى مشدودًا طيلة هذه الأشهر وفي قتال متواصل.

وقد كان الإخوة بفضل الله، من أقدر المجموعات على سرعة الحركة، وذلك لتوفر وسائل النقل والأسلحة والذخائر، وزعنا السيارات على الكوماندانات، كذلك وزعنا مجموعات القتال، فكانت هناك مجموعة اقتحام مع الكومندان خالد، وهو من أشهر القادة الأفغان في جلال أباد، وقد فُتح كثير من المواقع على يد هذا القائد. وكانت مجموعة الإخوة العرب من أبرز المجموعات، وفي بعض العمليات كان معظم مجموعة الاقتحام من الشباب العرب، وكان هو الأفغاني الوحيد، لأن معظم المجاهدين التابعين له قد استشهدوا في معارك سابقة، كذلك انضمت مجموعة من المجاهدين العرب إلى الكومندان سazanور، وقد فتح الله سبحانه وتعالى على أيديهم بمشاركة الشباب العربي مراكز عديدة، منها مجموعة تباب (فرکند)، والتي أطلق عليها مركز سراقه ومركز صخري، وقد غنم الإخوة العرب مدافع الميدان الثقيلة بعيدة المدى، وكذلك بعض الدبابات والمدرعات، وقد تم تدريب الإخوة على جميع هذه الأسلحة ومنها الدبابات، وقد استخدم الإخوة العرب الدبابات في الهجوم الأخير الذي قامت به القوات الشيوعية ضد مواقع العرب، وغنموا في هذه المعارك دبابات جديدة⁽⁵⁷⁾.

(57) مأسدة الأنصار -- عصام دراز



القائد الشهيد كمندان خالد - تقبله الله

قصة الانحياز في معارك جلال أباد كما يرويها الشيخ أسامة رحمه الله (58):

"كان يوم 10 ذي الحجة سنة 1409 هـ (الموافق 3 يوليو سنة 1989م)، حيث قام العدو بهجوم ضخم على مواقعنا، وكان هدف هذا الهجوم هو تدمير مواقع الإخوة العرب وحصارهم وأسرههم أحياء، وكان سبب ذلك أن الإخوة العرب، كانت قد توفرت لهم كميات كبيرة من الذخائر، اشتريناها من أسواق السلاح في باكستان. لقد اشترينا حوالي ثلاثين شاحنة وقمنا بتخزينها، ولهذا تيسر القيام بقصف شديد ومنظم ضد تجمعات الجيش الأفغاني حول جلال أباد، ففي أحد الأيام، وصلت لنا أخبار عن وجود تجمعات كبيرة لقوات العدو، فقمنا بقصف هذه التجمعات لمدة ثلاثة أيام على التوالي، قتل فيها 70 رجلاً من الهنود، وكانت حكومة كابل قد أحضرت قوات هندية، لتسد النقص الكبير في الجيش الأفغاني الحكومي بعد خروج الجيش الروسي، هذا مع العلم بوجود حوالي عشرين ألف روسي في أفغانستان حتى بعد الانسحاب.

وحدث نقص لدى قوات المجاهدين الأفغان في الذخائر، لهذا كانت الذخيرة التي لدينا وسيلة للضغط، وقمنا بقصف مستمر طوال ثلاثة أسابيع على النقاط الحساسة للعدو، حتى شعرت القوات الحكومية أن مواقع العرب مصدر إزعاج شديد لهم، فاستمر الطيران في ضرب مواقع مدافع الميدان دي سي [DC]، وضرب راجمات الصواريخ التي معنا، وكانت راجمتين، وعندما لم ينجح العدو في إسكات مدفعيتنا بضرب الطيران والصواريخ، قام بقصف مواقعنا بصواريخ سكود. ومن

(58) القصة من كتاب مأسدة الأنصار العرب - عصام دراز.

المعروف أن صواريخ سكود صواريخ متوسطة المدى تطلق على المدن، ولكنها استخدمت ضدنا وضد مواقع راجمات الصواريخ، وعندما فشلوا في ذلك كلفوا قوة ضخمة بالقيام بهجوم كبير على مواقعنا، وتولى قيادة هذه القوة رجل اسمه (رحيمي)، ونائبه قائد اسمه إسماعيل، وتعهدوا لنجيب بأن يصلوا بهجومهم إلى منطقة (طورخم)، وهي نقطة على الحدود بين باكستان وأفغانستان، والمسافة بينها وبين جلال آباد حوالي تسعون كيلو مترًا، وتقع على الطريق البري الرئيسي الذي يربط بين كابل - جلال آباد - بيشاور في باكستان.

بدأ الهجوم يوم 3 يوليو 1989م، وكانت معركة شديدة، وكانت أخطر معركة خاضها الشباب العربي بعد معركة (جاجي رمضان سنة 1407هـ)، إلا أنها أصعب لأن المناطق المحيطة بجلال آباد مناطق سهول، والسهول هي أرض المدرعات، بينما المناطق الجبلية لا تقاتل فيها المدرعات بكفاءة.

بدأ الهجوم بإرسال قوة تشغل ميسرتنا، فاتصلت بنا قوة الميسرة بعد الفجر وقالت إن هناك دبابات تتقدم للهجوم علينا، أرسلوا لنا بعض المدد، فأرسلنا لهم سيارتين وفيها مدد من السلاح والرجال. واتصلت بنا القوة الموجودة باليمينه وقالت إن هناك مجموعة أخرى من الدبابات تتقدم نحونا، وكانت الميمنة قرب مطار جلال آباد، والمسافة بين مركز القيادة والميمنة حوالي خمسة كيلو مترات، فطلبوا مدد، وطلبوا قصف القوات المتقدمة بالصواريخ، فحولنا راجمة صواريخ في اتجاه الميمنة، وراجمة صواريخ تجاه الميسرة. وكان بين الميمنة والميسرة بعض النقاط فاتصلوا بنا وطلبوا المدد، فأرسلنا إليهم بعض الأسلحة والقوة الاحتياطية التي كانت في المركز الرئيسي، وكان كل ذلك خدعة من العدو حتى يهجم على مركز القيادة الرئيسي، فتقدمت إلينا كتيبة مدرعة حوالي 27 دبابة، وكان الطيران في هذه الفترة يقصف المنطقة قصفًا شديدًا، وبعد صلاة الفجر كانوا قد أطلقوا سبعة صواريخ سكود. وكان اختيارهم ليوم الهجوم ذكيًا، لأنه كان أول أيام عيد الأضحى، وهم يعرفون طبيعة المجاهد الأفغاني، حيث أنه يغيب عن أهله طول العام، ولهذا يحرص على قضاء العيد مع أهله.



الشيخ أسامة رحمه الله، يرافقه أبو أيوب العراقي أثناء معارك جلال أباد

تقدم العدو نحونا وكنا في المعسكر حوالي ثلاثين أحًا أو أقل، وهجمت علينا 27 دبابة، فكان موقفًا صعبًا جدًا، وكنا من قبل أرسلنا القوة الاحتياطية إلى الميمنة والميسرة، والغريب أن الدبابة الوحيدة التي كانت معنا قد نقلناها إلى قرب الطريق الرئيسي، خوفًا من أن يتقدم العدو من الطريق الرئيسي، أما الدبابة الثانية وكانت (T 62) كنا قد أرسلناها إلى أقصى الميسرة. فتقدموا نحونا وما كان في أيدي القوة الباقية في مركز القيادة مدافع آر بي جي، حيث أصيب أحد رماة آر بي جي، وأكرمه الله وأرجو أن يتقبله شهيدًا، ولم يبق في النهاية سوى مدفع 75 ملم مضاد للدبابات، أخذ المدفع شفيق المدني ونصبه وحده (طاقم المدفع في الحرب خمسة أفراد⁽⁵⁹⁾). فقام شفيق بإطلاق النيران من المدفع 75 ملم وحده. وإطلاق النار من المدفع أصعب من الأسلحة الأخرى المضادة للدبابات الصاروخية، إذ لابد من وضع القذيفة في بيت النار وإطلاقها، ثم تفريغ طرف القذيفة الفارغ ثم إعادة التعبئة.

(59) المدافع الصغيرة فردين أو ثلاثة فقط.



المهجوم المعاكس للشيوعيين على مراكز المجاهدين في جبهة جلال آباد. من كتاب الحماقة الكبرى، للشيخ مصطفى حامد.

لقد كان واضحًا من إصرار العدو على محاصرة الموقع وتطويقهِ، رغبتهم في الإيقاع بالمجاهدين العرب أسرى، ولم تكن هناك مقاومة فعالة بالأسلحة المضادة للدبابات الآر بي جي، فمدى الآر بي جي لا يزيد عن 300 متر، ولهذا كانت تطلق الدبابات نيرانها علينا وهي مطمئنة على مسافة كبيرة، ولهذا قلت للإخوة لا تطلقوا الآر بي جي إلا بعد وصول الدبابات إلى مسافة 300 متر، وعند وصول الدبابات لهذه المسافة، أطلق الإخوة القذائف، إلا أنها لم تكن مؤثرة أمام 27 دبابة متقدمة، وقد أصيب أحد رماة الآر بي جي من لغم كان مزروغًا من قبل، كانت الدبابات لا زالت تتقدم نحونا، وفعلاً وصلت إلى أول تبّه من تباب المركز الرئيسي، وهي تبّه صخرية وكانت هذه التبّه هي أول موقع لنا باتجاه العدو.

بدأ شفيق - رحمه الله - يضرب عليهم بالمدفع 75 ملم، وكانت الدبابات على مسافة 400 متر فقط منا، وكانت تضرب علينا بمدفعتها الأساسية بالإضافة إلى الرشاشات، كانوا يمشطون المنطقة تمشيّطًا شديدًا بالنيران، توزع الإخوة العرب عندما تقدمت بعض المدرعات في الوادي القريب، الذي يفصل بين التبتين في موقعنا، ونزل الجنود من المدرعات وبدأوا في الصعود إلينا، فقمنا بإطلاق نيران مدفع رشاش ثقيل جرينوف، واستمر الأمر على هذا النحو حوالي أربع ساعات وهي مدة خيالية. أمامك 27 دبابة، ونحن لا نملك إلا مدفعًا واحدًا يستخدمه فرد واحد، ورغم هذا أنزل الله في قلوبهم الرعب، وأمام ذلك قررنا التحرّف للقتال، والنزول من هذا الموقع إلى منطقة خلفية قريبة، كثيرة الأشجار والتباب، وهي نقطة ضعف للدبابات، وطلبنا من جميع النقاط أن يتحركوا إلى هذه المنطقة، وهي جهة (ثمر خيل)، وتم إبلاغ المجاهدين الأفغان بالوضع. تقدم العدو إلى موقعنا لاحتلاله، وبفضل من الله لم يكن به أحد، فقد استشهد شفيق وهو على مدفعه بنفس الهيئة التي تمناها وعلى نفس الصفة⁽⁶⁰⁾، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يقبله من الشهداء. لقد كان شفيق - رحمه الله - أحد الثلاثة الذين من الله عليهم بتأسيس المأسدة، لقد تأثرت جدًّا باستشهاد شفيق.

(60) كان شفيق المدني رحمه الله يتمنى ألا يكون له قبر في الأرض، وعندما كان يواجه الدبابات، أصابته قذيفة مباشرة فتمزّق جسده ولم يوجد له أثر.

عندما انتقلنا إلى المنطقة الجديدة تقدم العدو بجراً وتم صد الهجوم طيلة هذه الأيام، وكذلك قاوم الإخوة الذين كانوا على الطريق الرئيسي هذا إلى أن جاء اليوم العاشر، وكان يوماً حاراً جداً، درجة الحرارة وصلت فيه إلى 54 درجة مئوية في منطقة جلال آباد، عندما تقدموا قمنا بهجوم معاكس قبل المغرب بساعة، واستطاع أخونا يعقوب البحر أن يدمر دبابة بمدفع 82 ملم، وتم تدمير دبابة أخرى، حيث أطلق عليها أحد المجاهدين صاروخ ميلان، واستمرت الاشتباكات إلى منتصف الليل.

قام الإخوة بعد الفجر بتفقد مواقع العدو، فإذا بهم يجدون ثماني دبابات سليمة تركها العدو وهرب، فصعد إليها أخونا صالح الغامدي المعروف باسم حمزة، ومعه أمير الفتح وهو مصري، وكانوا مدرّبين من قبل على الدبابات، فتبادلوا إطلاق النار مع العدو، واستطاعوا أن يحصلوا على دبابة من العدو بعد أن تبادلوا النيران، وقادها الأخ حمزة إلى موقع (الزهراني). كانت خسائر العدو كبيرة، فقد تم تدمير 42 دبابة بين غنائم ومدمرة، كان منها أكثر من 20 دبابة غنائم، كان نصيب العرب منها خمس دبابات غنيمة، منها دبابتان ت 62، وكانت هذه المعارك نهاية لسلسلة معارك جلال آباد، التي سقط فيها من الشهداء العرب ما يفوق عدد الذين استشهدوا طوال سنوات الحرب في أفغانستان، نسأل الله أن يتقبلهم شهداء⁽⁶¹⁾.

فتح مدينة خوست:

كذلك شاركت القاعدة في عملية فتح مدينة خوست. وكان للقاعدة نصيب مقدّر من المشاركة في الحصار المحكم على المدينة - قبل فتحها - في منطقة البتلون. ولإحكام السيطرة بالكامل برّاً وجوّاً على المدينة، كان الشيخ أبو وليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله قد جاء بفكرة إغلاق مطار خوست القديم الذي كان بمثابة شريان الحياة، ومصدر الإمداد الوحيد بالمؤن والذخائر لجيش الحكومة المحاصر في المدينة.

وكانت خطة العمل التي جاء بها الشيخ أبو وليد هي تخصيص راجمة صواريخ واحدة لكل قطاعٍ محددٍ من مدرج المطار، أي محاولة اصطيد طائرات النقل المحملة بالمؤن والذخائر وذلك بقصف مدرج المطار بصواريخ الكاتيوشا في الوقت الذي تغامر فيه طائرات العدو بالنزول ليلاً لتفريغ حُمولتها. وكانت القاعدة قد ساهمت في توفير راجمة صواريخ كاتيوشا (12 سبطانة) - من

(61) مأسدة الأنصار - عصام دراز.

مجموع خمس راجحات - مع طاقمها من الإخوة، وقذائفها التي بلغت 1200 قذيفة. وبفضل الله وحده ثمّ بجهود الشيخ أبي وليد أغلق المطار القديم نهائياً في سبتمبر 1990م، بعد شهر واحد من بدء العمليات دُمّرت خلاله أربعة عشر طائرة.

وبعد ستة أشهر من إغلاق المطار القديم، سارعت حامية خوست بافتتاح مطار جديد غير أنّ الشيخ أبو وليد كان له بالمرصاد، فعندما بدأت عمليات فتح مدينة خوست في أول رمضان من عام 1411هـ الموافق 17/ مارس 1991م، شاركت القاعدة مرّة أخرى تحت قيادة الشيخ أبي وليد في شلّ حركة المطار الجديد. وبنفس طريقة العمل الأولى تمّ تدمير ست أو سبع طائرات استهلكت فيها حوالي 1400 قذيفة، وكان إغلاق هذا المطار أحد الأسباب الرئيسية التي سرّعت في سقوط مدينة خوست بعد أسبوعين فقط من بدء العمليات، والفضل في ذلك يرجع لله وحده ثمّ للشيخ أبي وليد المصري، الذي كان له نصيب الأسد في التخطيط والإعداد والسهرة حتى الفجر بمنظاره الليلي مترصداً لنزول الطائرات، ثمّ إعطائه الأمر بالرمية لطواقم الراجحات بشفرته المعهودة "يا خيل الله اركبي".

بداية وأسباب تحول المسار الفكري والمنهجي في تاريخ الصراع للشيخ أسامة رحمه

الله (62):

قبل أن يتوجه إلى أفغانستان، كان الشيخ أسامة رحمه الله - بحكم التزامه وتديّنه منذ نعومة أظفاره قد تعلّم من أبيه حبّ الجهاد وحبّ البذل والإنفاق في سبيل الله، فقد كان يحكي عن أبيه رحمه الله (63)، أنه كان يحتفظ بخمسة ملايين دولار لنصرة المهدي عليه السلام، ويعتبر هذا المبلغ ضخماً جداً في الخمسينات وستينات القرن الماضي. كذلك كان والد الشيخ أسامة قد شرفه الله بما لم يُشرف به أحد من المقاولين، وذلك بتوسعة المسجدين المكي والنبوي في المدينة المنورة. وكان رحمه الله قد جعل ربحه من المشروع رياءً واحداً فقط فوق التكلفة، ثمّ لما علم أن الحكومة الأردنية قد أنزلت مناقصة لترميم قبة الصخرة، جمع المهندسين وطلب منهم أن يضعوا سعر التكلفة بدون أرباح حتى يضمن رسو المناقصة عليه، وكان من فضل الله عليه أنه كان يصلي أحياناً في المساجد

(62) الفقرة كاملة من كتاب دعوة المقومة الإسلامية العالمية. أبو مصعب السوري. بتصرّف.

(63) توفي والد الشيخ أسامة محمّد بن عوض بن لادن في حادث تحطّم طائرة عام 1970م، وكان عمر الشيخ أسامة آنذاك عشر سنين، رحمهم الله جميعاً.

الثلاثة في يوم واحد. ولا غرابة بعد ذلك أن يكون الشيخ أسامة ذلك الشبل من ذاك الأسد، رحمهم الله جميعًا.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، عندما حضر أول مرة للجهاد في أفغانستان، يحمل منهج وبصمات فكر الصحوّة الإسلامية في بلاد الحرمين، وهي مزيجٌ من فكر الإخوان المسلمين والسرورية. وكان هو وعموم المجاهدين من بلاد الحرمين، يدينون بشرعية نظام آل سعود، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون على فسقهم وظلمهم، ويكونون احترامًا شديدًا للعلماء الرسميين في هيئة كبار العلماء ويلتزمون بفتاويهم.

وكانت الصحوّة الجهادية قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات، تكبدت فيها ضحايا كثيرة، ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية التي فُتحت للجهاد أمام الصحوّة الإسلامية عمومًا والجهادية خصوصًا، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان، ولم يكن بين أولئك الجهاديين، وبين أولئك الأخوة حملة فكر الإخوان والسرورية ومنهم الشيخ أسامة، من قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرّة الجهاد الأفغاني، وكان التناقض المنهجي، والاختلاف في الفكر الجهادي، وفهم الواقع، ومنطلقات السياسة الشرعية، جليًا بينهم كجهاديين.

وبصفةٍ عامّة، يمكن القول بأن محطة أفغانستان كانت نقطة تحول كبيرة بالنسبة للجماعات الجهادية التي اختلطت فكريًا مع بعضها البعض، وتعرفت على قضايا المسلمين المختلفة، وأصبح لهم مشترك، والنضج أكبر، والرؤية أوضح بعض الشيء، فقد كانت بيشاور المدينة الباكستانية الحدودية مع أفغانستان، قد تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصحوّة العربية والإسلامية تقريبًا.

وخلال سنوات ازدهار ذلك الجمع ما بين عامي 1986 و1992م، أصبحت بيشاور ميدانًا لتلاقى كل الأفكار والمناهج والطروحات التي كانت تسود الصحوّة الإسلامية، من دعوية وإصلاحية وسياسية وجهادية، وحتى من الكتل الشاذة التكفيرية الغالية فكريًا، ولعب الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية المصريين، دورًا بارزًا ومؤثرًا في الفكر الجهادي، كما كان لحضور بعض طلاب العلم، وبعض الدعاة السلفيين، وبعض السروريين من بلاد الحرمين

وغيرها، دورًا في ترويج فكر الحاكمية والولاء والبراء، وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية والأعجمية التي أمت الجهاد الأفغاني، كما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا، في الساحة - ومنها كتاب الشيخ أبي مصعب السوري فك الله أسره - عن تاريخ التجربة السورية ودروسها، دورًا فكريًا ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي، التي بدأت تترك بصماتها على التجمع العربي.



الشيخ أبو مصعب السوري (مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى ست مريم)
فك الله أسره

وشيئًا فشيئًا، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع، ولنصاعة الحق وشيوع منهج أتباع الدليل، بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي، وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي، وبدأت تتبلور وتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد، ما عرف بظاهرة (الأفغان العرب)⁽⁶⁴⁾.

فالذي حصل مع الوقت أن الشيخ أسامة رحمه الله، بسبب التأثير والاحتكاك بينه وبين أولئك الجهاديين تدرج في القناعة، وهضم الفكر الجهادي وتقبله، ثم تبناه ثم صار أحد رموزه. وبالتحديد يمكن القول أن هناك عاملين أساسيين كانا قد تسببا في توقيت التغير الفكري والمنهجي لدى الشيخ أسامة، والذي انعكس موقفًا وتوجهًا عليه، وعلى القاعدة ضد أمريكا فيما بعد، وهما حسب الأهمية:

(64) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. أبو مصعب السوري. بتصرف.

1- أن القاعدة قد بُنيت على جهود وكوادر من تنظيم الجهاد المصري، وكوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى، الذين ساهموا في التدريب على سبيل التعاون على البر والتقوى، ولم يكن بعض هؤلاء أعضاءً في القاعدة، فقاموا ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية، وغيرها من أمور السياسة الشرعية وفقه الواقع في تلك المعسكرات، حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين، فأثر هؤلاء مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبائية، ثم مع الوقت انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة رحمه الله.

2- موقف حكومة آل سعود ومؤسساتها الحاكمة وعلمائها الرسميين من تداعيات حرب الخليج بحجة تحرير الكويت عام 1991م، ووجود القوات الأمريكية في بلاد الحرمين، فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت للشيخ أسامة حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية، وفهم بحكم إدراكه للواقع وذكائه الحاد أبعاد أهداف الوجود الأمريكي، وضخامة المؤامرات الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة، وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم.

ولم يكن للشيخ أسامة، منذ أن قرر الاستقرار في أفغانستان، ومباشرة العمل القتالي الميداني سنة 1986م، حتى هزيمة الاتحاد السوفيتي في معركة رمضان 1407هـ، سوى هدفين مركزيين هما:

1- هدف عام يتمثل في المشاركة في الجهاد الأفغاني، والعمل على تحرير أفغانستان، وإقامة دولة إسلامية شرعية فيها تكون منطلقاً لإقامة شرع الله في الأرض، وملاًداً آمناً وقاعدة خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله. ولم يكن للقاعدة في هذه المرحلة أي نشاط جهادي خارج أفغانستان يذكر، سوى محاولة جريئة لاغتيال ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه طعنًا بالسكين في منفاه بروما عام 1991م، قام بها المجاهد أبو عبد الله البرتغالي بعد انتحاله لشخصية صحفي.

2- هدف خاص يتمثل بمشروع جهادي يكون اليمن الجنوبي الشيعي ساحته، وقد باشر ذلك في سنة 1989-1990م، فقد كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيعي في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة، فسعى الشيخ أسامة إلى بعض مشايخ اليمن، وكبار دعاة من السلفية وعلى رأسهم الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي)، وإلى الإخوان وزعمائهم، وبذل أموالاً

طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على المشروع، لكن معظم أولئك خذلوه، واستطاع علي عبد الله صالح أن يستميلهم، ويسند إليهم المناصب، ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات.

مكاسب التيار الجهادي في أفغانستان:

كان المجاهدون قد أثبتوا أنفسهم في تحويل مجريات الأحداث العالمية، وذلك بعد أن أسفر الجهاد الأفغاني على أرض أفغانستان عن نصرٍ مذهل، أجبر الروس على جر أذيال الخيبة والهزيمة، والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سنوات من القتال في فبراير عام 1989م، متكبدين عشرات آلاف من القتلى والجرحى، وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من خمسين ألف آلية عسكرية، فضلاً عن حطام مئات الطائرات. كذلك كانت أفغانستان نقطة تحول كبيرة، حققت فيها الجماعات الجهادية مكاسب كثيرة منها⁽⁶⁵⁾:

1- كانت خطورة وجود الشباب المسلم - وخاصة العربي - في ساحة الجهاد الأفغاني هي في تحويل قضية أفغانستان من قضية إقليمية محلية، إلى قضية إسلامية عالمية تشارك فيها الأمة كلها، فكان المكسب الأكبر للتيار الجهادي من تلك التجربة هو عولمة التيار الجهادي فكرياً وحركياً، وتبادل الخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا، فأحيا هؤلاء الشباب بالقتال في أفغانستان وكشمير والبوسنة والشيخان فريضةً غائبة حُرمت منها الأمة زمنًا طويلاً. فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد، لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن؛ أمريكا.

2- حطمت معارك الجهاد في أفغانستان في أذهان الشباب المسلم المجاهد وهم القوة العظمى، حيث تحطم الاتحاد السوفيتي، وفرت فلوله هاربة من أفغانستان أمام أعين الشباب المسلم وبمشاركته، فما عادوا يهابونها، ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا، وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التاريخي الكبير.

3- كانت ساحة أفغانستان - خاصةً بعد انسحاب الروس - نموذجاً عملياً على جهاد الحكام العملاء المتحالفين مع أعداء الإسلام الخارجيين، فقد كان نجيب الله في أفغانستان أحد النماذج المتكررة لحكام البلاد الإسلامية، فهو يصلي ويصوم ويحج، وفي نفس الوقت يمنع الحكم

(65) دعوة المقومة الإسلامية العالمية. أبو مصعب السوري. بتصرف.

بالإسلام، ويتحالف مع أعداء الإسلام، ويدخلهم لبلادهم، ويبطش بالمسلمين الذين يعملون لإقامة الدين، فإذا كان جهاد نجيب ونظامه متعيناً، فجهاد كل من على شاكلته متعين كذلك⁽⁶⁶⁾.



انسحاب القوات الروسية الغازية من أفغانستان في 15 فبراير 1989م

سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً:

ولعل أكثر شيء يؤسف عليه في تلك المرحلة - رغم المكاسب التي تحققت - هو ضياع فرصة ذهبية كبيرة كانت الآمال معلقةً عليها لإقامة دولة إسلامية في أفغانستان، غير أنّ سياسات المكر التي يجيد لعبتها الأعداء، ومنها ثقافة سايكس بيكو التي تجذّرت في أغلب الحركات الجهادية، حالت دون تحقيق هذه الفرصة. وعن هذا الأمر تحدث متحسراً الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله فقال:

(66) الفقرات 1-2-3 من كتاب فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

"وكانت الفرصة جيدة جدًا لإقامة دولة قوية، بعيدًا عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضعٍ وفي انشراحٍ وتعاونٍ غير عادي، كان الوضع يسمح بقوة، أن تقوم دولة إسلامية باعتبارات إسلامية، لا باعتبارات قطرية وقومية، وللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة، وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله، ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة، ولكن لا حياة لمن تنادي، شغل الناس، وسُحبوا باعتباراتٍ أرضية، وباعتباراتٍ قطرية، وكلّ يريد أن يقيم هو شخصيًا دولة الإسلام، وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة، ولم يتحرك الناس للاستفادة منها"⁽⁶⁷⁾.

(67) توجيهات منهجية. للشيخ أسامة بن لادن.

شبهات حول دعم أمريكا للجهاد والمجاهدين في أفغانستان⁽⁶⁸⁾:

وهنا يجب الإشارة إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي، حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة، وللإسلاميين والجهاديين وجمهورهم خاصة، وهما:

1- دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.

2- شبهة عمالة المجاهدين العرب، ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم ب (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه:

دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسيطر عليها اليهود والصليبيون المتصهينون، إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في أفغانستان، وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير، فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءًا من أفلام (رامبو في أفغانستان)، وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المجاهدين!) معهم، وركب الخيل، وقاد المدرعات، وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية، وجرح مرارًا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة، واستطاع أن يطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحُكم والدعايات السخيفة، وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين، ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين، ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان، الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا.

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفًا بعقول من صدّقه على دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم، علمًا أن الأعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكية، قد دخلت أفغانستان قبيل انسحاب الروس بقليل، ولم يسقط بها إلا عدد محدود من الطائرات.

(68) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

ويا ترى ما هو دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من ثلاثين ألف جندي روسي، وأكثر من مائة وخمسين ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، ابتداءً قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين.

شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا وارتباطهم ب (CIA) خلال الجهاد الأفغاني:

وهناك كذبة أخرى وجدت طريقًا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة على أنها حقيقة، مفادها أن المخابرات الأمريكية (CIA)، هي التي صنعت (الأفغان العرب) وزعماءهم من أمثال الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي، وأن هذه الصنائع انقلبت عليها اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين، وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب، هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الاستخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق.

وحقيقة الأمر هي، أن التيار الجهادي العربي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع الثلاثينيات، فقامت على إثرها كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينيات ومطلع الثمانينيات، أي قبل الجهاد الأفغاني بعشرين سنة، بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان، هم من بقايا وكواد ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي، فالشيخ عبد الله عزام من رموز وقدماء المجاهدين في فلسطين، والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع الثمانينيات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكذلك فإن كثيرًا من الكواد الذين يصعب حصرهم هنا من المدربين، والقادة الميدانيين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات، وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان، كانوا من كواد تنظيمات الجهاد العربية، ولا سيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن وغيرها، وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل في مجالات التدريب، والإعلام، والعمل العسكري، والعمل الإغاثي الميداني، إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإسلامية، وتزايد الجمع الذي ابتداءً بكوكبة صغيرة سنة 1984م، فتصاعد ليبلغ زهاء أربعين ألفًا من المجاهدين العرب مع مطلع التسعينات.

وفي معرض ردّه لمراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل، عما تردده وسائل الإعلام العالمية " بأنكم كنتم على صلة، أو أن الاستخبارات الأمريكية كانت هي التي تمول نشاطكم وتدعمكم في هذا الجهاد"، قال الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:

" فالأمريكان يكذبون إذا زعموا أنهم تعاونوا معنا في يوم من الأيام، ونحن نتحداهم ليرزوا أي دليل، وإنما هم كانوا عالة علينا وعلى المجاهدين في أفغانستان، ولم يكن أي اتفاق، وإنما كنا نحن نقوم بالواجب لنصرة الإسلام في أفغانستان، وإن كان هذا الواجب يتقاطع بغير رضانا مع مصلحة أمريكية، فعندما قاتل المسلمون الروم، ومعلوم أن القتال كان شديداً بين الروم والفرس وكان دائماً، ولا يمكن لعاقل أن يقول، إن المسلمين عندما بدأوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا هم عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، يعني قتل الروم، وهو واجب عليك كان يفرح الفرس، لكن بعدما أنهوا الروم بعد عدة غزوات بدأوا بالفرس، فتقاطع المصالح لا يعني العمالة، بل نحن نعاديهم من تلك الأيام، ولنا محاضرات بفضل الله سبحانه وتعالى منذ تلك الأيام في الحجاز ونجد بموجب مقاطعة البضائع الأمريكية، وبوجوب ضرب القوات الأمريكية، وبوجوب ضرب الاقتصاد الأمريكي، منذ أكثر من 12 سنة".

المكر الدولي على الجهاد والمجاهدين:

كان الخوف الأكبر لدى أعداء الإسلام أن ينتصر الإسلام في أفغانستان، ويثبت الجهاد جدواه في تغيير الواقع المظلم للمسلمين، لهذا كان لا بد من إفشال التجربة الأفغانية الجهادية، وكان لا بد من تشريد وتدمير وتصفية العرب، الذين تأثروا بالتجربة وأثروا فيها، وكان أول ضحايا تلك المرحلة، هو اغتيال الرئيس الباكستاني ضياء الحق في 17 أغسطس 1988م، ومن بعده بعام ونيف، اغتيال إمام المجاهدين الشيخ عبد الله عزام مع اثنين من أبنائه رحمهم الله، بتفجير سيارته في بيشاور في 24 نوفمبر 1989م، وهو في طريقه إلى مسجد سبع الليل كي يؤم صلاة الجمعة.

ولما بدأ المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابول، وبدأت تتساقط المدن الرئيسية في أيديهم، توجه المخطط الأمريكي الغربي في منحيين اثنين تجاه تلك الساحة، الأول أفغاني والثاني عربي⁽⁶⁹⁾:

1- ففي الاتجاه الأفغاني، كان برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان ونظام آل سعود ومصر، الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلن دولة إسلامية، وتحكم بالشرعية، وتنهض بإعمار أفغانستان. وكانت الخطة المقررة لهذا البرنامج هي افتعال مرحلة من الحرب الأهلية، تستهلك المخزون الاستراتيجي من السلاح، ومئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهادية في أفغانستان، وهذا ما نفذوه خلال (1992-1996م).

2- وفي الاتجاه العربي، هبت رياح تلك العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا، ونفذتها باكستان، وتابعتها الدول العربية والأوربية بُعيد سقوط الاتحاد السوفيتي، لتطال ذلك الجمع المبارك من المجاهدين العرب، فأخرجت الشريحة الأكبر منهم إلى بلادهم، لتواجه المطاردات الأمنية والتحقيقات والسجون بتهمة الانتماء لجماعات جهادية مسلحة... وشردت الحملة من لا يستطيع العودة إلى بلاده في أقطار الدنيا كلاجئين، أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم، وخفضت ذلك الجمع من عشرات الآلاف، إلى بضعة مئات من المطاردين المختفين في باكستان. ا. هـ

(69) كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً:

لقد فقه أعداء الله منذ أمدٍ بعيدٍ نقطة ضعف هذه الأمة، وهي في اختلافها وتنازعها وتفرّق كلماتها، لقد فقهوا أن النتيجة الحتمية لهذه الأدواء هي الفشل الذريع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، لذلك كل سياساتهم وخططهم ومكرهم لاستئصال شافّة المجاهدين، وإفشال ثمرة الجهاد في كل ساحاته، تصبّ كلها في بثّ الفرقة والاختلاف والنزاع بين صفوف المجاهدين.

وحرّئ بنا في هذا المقام حتى نفقه خطورة هذا الأمر، أن نعقد على سبيل المثال من الواقع مقارنتين نستشف منهما العظمت والعبر، وهما إلى أين يؤول الجهاد والمجاهدين في حالة الفرقة والاختلاف والنزاع، وكيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام بحبل الله المتين.

المقارنة الأولى من بلاد الشام:

أولاً: معلوم أن النظام الدولي الصهيوني قد مكث عشرات السنين يخطط ويمكر لتأمين دويلة اليهود وحمايتها عبر حكومات دول الطوق العميلة (مصر - سوريا - الأردن - لبنان)، ومن ناحية أخرى عبر إفساد شعوب تلك الدول بشتى صنوف الرذيلة من خمر وزنا وفنون خليعة وعري واختلاط، حتى لا يكن لديها أي نخوة أو غيرة على الدين فضلاً عن التفكير في تحرير المقدّسات.

لكن جعل الله تدميرهم في تدميرهم، فقد أدّت سياسة "الأسد أو نحرق البلد" التي اتبعها النظام السوري في قمع المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بشيء من الحرية، إلى أن يعود الشعب السوري إلى ربّه ودينه، ويحمل السلاح دفاعاً عن نفسه وعرضه، وشيئاً فشيئاً في سنوات قلائل ظهرت جماعات جهادية دقّت عملياتها النوعية أبواب دمشق، ووطئت أقدامها القنيطرة على مرمى حجرٍ من اليهود، فكانت هذه الجماعات الجهادية تقاتل في الشام وأعينها مصوبة إلى بيت المقدس، وحينها جنّ جنون الأعداء، الذين لم يتوقّعوا أن تتسارع الأمور بهذه الوتيرة.

ثانياً: لقد نفر إلى بلاد الشام لقتال النظام النصيري عشرات الألوف من الشباب، منهم المئات من دول أوروبا وأمريكا وأستراليا، وأخوف ما كانت تخاف منه أمريكا والدول الغربية بصفة عامّة، هو ذلك التجمّع الغير مسبوق من حاملي جنسيّات تلك الدول في تلك البؤرة الجهادية.

فإذا كان تسعة عشر شاباً من خارج أمريكا فعلوا فيها ما فعلوا، وإذا كان العالم أجمع قد شهد كيف أثخنت عمليات الجهاد الفردي التي قام بها بعض مواطني هذه الدول الذين تأثّروا بما يحدث

لإخوانهم المسلمين في بلاد الشام وغيرها ولم تطأ أقدامهم ساحات الجهاد قط، فكيف إذا رجع العشرات إن لم يكن المئات من رعايا تلك الدول إلى بلادهم ممن تشبّع فكرهم بالجهاد، وتدريبوا تدريباً عاليّاً، وكسروا حاجز الخوف بخوضهم معارك في غاية الشراسة مع النظام النصيري. كيف إذا رجع هؤلاء إلى بلادهم وهم قد رأوا بأنّ أعينهم تواطؤ حكوماتهم في حروبها الصليبية - المسماة بمكافحة الإرهاب - على المسلمين في أفغانستان، والعراق، واليمن والصومال وغيرها. وكيف إذا علمنا أن الكثير من هؤلاء الشباب كانوا يتبعون لجهة النصرّة قبل أن تتصل من بيعتها للقاعدة بحجّة فك الارتباط. بدون شك ستكون لعملياتهم النوعيّة بعداً كبيراً في تغيير مجريات الأحداث، وفي تغيير سياسات بلادهم، وما تفجيرات بالي ومدرّيد ولندن عنّا ببعيد.

ولعل هذان السببان الرئيسان جعلاً أعداء الله يتحركون نحو أقصر الطرق وأسرعها لإفشال التجربة الجهادية في بلاد الشام، وذلك بغرس بذور الخلاف والنزاع، وتطبيق سياسة فرق تسد بين فصائل المجاهدين المختلفة.

وكما توجه المخطط الأمريكي الغربي - كما مرّ بنا - لإفشال الجهاد الأفغاني الأول في منحيين اثنين، كذلك توجه نفس المخطط لإفشال الجهاد في الشام في منحيين اثنين، الأول شامي، والثاني تناول وضع المقاتلين الأجانب - كما سمّوهم - الذين جاءوا لنصرة إخوانهم في بلاد الشام:

1- ففي الاتجاه الشامي، اختلق الأعداء عشرات الجماعات والتنظيمات والجيش القومية والعلمانية والديموقراطية، ودُعمت هذه الجماعات من دول إقليمية ودولية بشقّي أنواع الدعم المادي والعسكري، من أجل هدف واحد فقط هو: الحيلولة دون قيام أي مشروع لإقامة دولة إسلامية تحكم بالشرعية، وذلك بالتصدي للجماعات الجهادية، وخاصة ذات التوجه العالمي (القاعدة) تحت ذريعة مكافحة الإرهاب، إضافة إلى التضيق على الجماعات القطرية الأخرى وإجبارها - تحت ضغط الواقع - على أن تضغط على جماعة القاعدة بترك توجيهها العالمي، إما بالعمل تحت راية الجماعات القطرية، أو ترك الساحة والخروج منها ليكون أفرادها عرضة للاعتقال والقصف.

وللأسف الشديد بدلاً من أن تأخذ تلك الجماعات الجهادية القطرية العظات والعبر من تجربة أفغانستان الأولى فتضع خلافاتها جانباً، وتتوحد على أقل تقدير على هدف واحد هو إسقاط النظام، دبّ النزاع فيما بينها، حتى أدى في بعض الأحيان إلى حمل السلاح وإراقة الدماء، ولا

حول ولا قوّة إلا بالله. وفي المقابل تكالب الشيعة الروافض من كل بقاع الدنيا، وتوحدوا على هدفٍ واحد فقط، هو قتال تلك الجماعات "التكفيرية" كما يزعمون، وكانت النتيجة الحتمية، والسنة القدرية التي لا تتبدل ولا تتحول هي: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. فأين هي الجماعات الجهادية الشاميّة اليوم، التي كان نفوذها بالأمس يسيطر الأمن والسلام في أغلب ربوع الشام الحبيب؟

2- وفيما يخصّ المقاتلين الأجانب الذين يقاتلون في بلاد الشام، هبّت رياح العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا، ونفذتها وما زالت تنفذها جميع الدول لملاحقتهم تحت ذريعة مكافحة الإرهاب. وكان مجلس الأمن قد عقد في نوفمبر 2014م، جلسة استثنائية طارئة برئاسة الرئيس الأمريكي⁽⁷⁰⁾ أوباما، لمناقشة وضع المقاتلين الأجانب في العراق والشام، وكان المجلس قد اتخذ القرار رقم 2178 الذي يلزم جميع الدول باتخاذ تدابير وقائية وعقابية، تصل إلى حد الحرمان من المواطنة، لمنع رعاياها من المشاركة في القتال في بلاد الشام.

المقارنة الثانية: أما كيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام.

يقول الشيخ أسامة في خطابه الذي ألقاه بمناسبة مرور سنة على بدء الحرب الصليبية الأمريكية: "إذا كان من المسلم به أن النزاع والاختلاف من أهم دواعي الفشل وذهاب الريح الذي تعاني منه أمتنا اليوم، فإن من المسلم به كذلك أن الوحدة والاجتماع والاعتصام بجبل الله هي مفتاح النصر والظفر، وباب السيادة والقيادة".

وخير دليل على هذا الكلام من واقعنا اليوم هو قصّة حركة طالبان التي شارف عمرها - منذ قيامها عام 1994م - على الثلاثة عقود، وكل يوم يمر عليها تزداد فيه بفضل الله قوة إلى قوة، وعزة إلى عزة. وسيمر علينا في الصفحات القادمة تفصيلاً عن كيف نشأت الحركة، وما يهمنّا هنا في هذا المقام هو أن حركة طالبان منذ اليوم الأول الذي قامت فيه كانت حركة معتصمةً بجبل الله، موحدةً في قيادتها وكلمتها وأهدافها، لذلك صاحبها التوفيق والسداد ومعية الله في كل خطوة من خطواتها.

(70) جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكي لا يتولّى رئاسة جلسات مجلس الأمن إلّا في حالات استثنائية طارئة جدّاً، وهذه هي المرّة الثانية أو الثالثة في تاريخ أمريكا التي يتولّى فيها رئيس أمريكي رئاسة تلك الجلسة لمناقشة وضع المقاتلين الأجانب في بلاد الشام.

فعندما أخلص الملا عمر نيته لله، وعزم على تغيير المنكر ومحاربة المفسدين، استعان بالله وحده وتوكل عليه التوكل المحض، فجمع حوله عدد يسير من الصالحين، وفتح الله عليه البلاد وقلوب العباد، وخلال سنتين فقط وبفضل الله وحده، دحرت حركة طالبان أحزاب الفساد والشقاق والنفاق مجتمعين، ودانت كل ولايات البلاد الشرقية والغربية والجنوبية للملا عمر، وبايعه 1500 من العلماء ونصبوه أميراً للمؤمنين، وحتى بداية الحرب الصليبية في أكتوبر 2001م، كانت كل ولايات أفغانستان تحت سيطرة حركة طالبان عدا ولايتين فقط هما ولايتي بدخشان وبنشير.

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر شاءت إرادة العليم الحكيم أن تأتي أمريكا بقضها وقضيضها، وأقبلت بفخرها وخيلائها تحادّ الله ورسوله، فتصدّى لها - مستعينين بالله ومعتصمين بحبله - أسود الشرى، وأبطال التوحيد من الطالبان وأنصارهم، وعلى مدى تسعة عشر عامًا كاملة فتحت أبواب جهنم على جنود الصليب. وبفضل الله وحده لم تستطع أمريكا وخمس دولة من حلفائها، بما يملكون من أسراب الطائرات والبارجات والصواريخ الباليستية والميزانيات المليارية أن يحققوا نصرًا عسكريًا حاسمًا على حركة طالبان، ولم يستطيعوا كذلك بما يملكون من أجهزة الاستخبارات وسياسات المكر التي يُجيدون لعبتها إفشال الجهاد - كما نجحوا في الجهاد الأول - وذلك ببث الفرقة والاختلاف والنزاع بينهم بغرض شقّ صفّهم، ولما يئست أمريكا من تحقيق أيّ الأمرين اضطرت أخيرًا أن ترضخ ذليلة صاغرة على الجلوس وجهًا لوجه مع من كانت بالأمس تصنّفهم بأنهم إرهابيين وقتلة، وتوقع معهم في 28 فبراير 2020م اتفاق الدوحة التاريخي الذي قضى بخروجها وجميع حلفائها من أفغانستان.

الخطّة الدوليّة لمحاربة التيار الجهادي أو ما يسمى بمكافحة الإرهاب⁽⁷¹⁾:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد وضعت الإدارات الأمريكية المتوالية - بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) - خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي، اصطلح عليها "بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب"، فتتابع المؤتمرات الإقليمية والدولية خلال ذلك العقد بمعدل لا يقل عن مؤتمرٍ أو أكثر كل ستة أشهر لتحقيق ذلك الغرض. فتطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العرب واليهود من أجل التطبيع عام 1991م لمسألة الإرهاب، وتفرّغ مؤتمر شرم الشيخ عام 1994م، ومؤتمر شنغهاي ودايتون عام 1995م لنفس المسألة، وتتابع من بعد ذلك عشرات

(71) من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

المؤتمرات العالمية إلى الآن، وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذه المؤتمرات، بما فيها الخاصة بدول المتوسط، وكذلك إسرائيل ومعظم الدول العربية، وتتابع مؤتمرات وزراء الداخلية العرب في تونس، ولعب نظام آل سعود ووزير داخلته نايف بن عبد العزيز، المتحمس بشراسة لمكافحة الإرهاب، دورًا بارزًا في هذا الأمر، ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

1- تجفيف منابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة على الموارد المالية للحركات الجهادية والأصولية، التي تصفها أمريكا وأذيا لها من حكام المسلمين بأنها (إرهابية)، واتخذت قرارات وإجراءات لمراجعة الأرصدة في البنوك، ومراقبة الحوالات البنكية، ومصارف الزكاة، وأعمال اللجان الخيرية، والمؤسسات الإنسانية الإسلامية، واتخذت قرارات لمصادرة أموال، ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة، أدخلت معظم الحركات الجهادية في حالة من الضائقة الشديدة، وقلصت مواردها لحد كبير.

2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر:

افتتحت أمريكا هذه السياسة باغتيال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في 24 نوفمبر 1989م، وكان قد سبقه حادثة وفاة الشيخ تميم العدناني في أمريكا في ظروف غامضة، وكانت هناك محاولة لاغتيال الشيخ أسامة رحمه الله في بيشاور عام 1991م، ثم اغتيال واختطف عدد من قيادات الجهاد المصري والجماعة الإسلامية من بعض الدول، ثم اغتيال الشيخ أنور شعبان أمير المجاهدين العرب في البوسنة، واختطف أمير الجماعة الإسلامية الشيخ طلعت فؤاد قاسم من كرواتيا حيث كان لاجئًا في الدانمارك، ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر، ثم اعتقل الشيخ عمر عبد الرحمن في أمريكا، ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسجن أكثر من 200 سنة.



الشيخ عبد الله عزام شهيداً مع ابنه محمد وإبراهيم



الشيخ تميم العدناني - رحمه الله

وطالت الحملة كوادر جهادية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها، وطال السجن حتى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجهاد بصورة غير مباشرة في الدول العربية، فاعتقل الشيخ علي بلحاج في الجزائر، واعتقل الشيخ سفر الحوالي، والشيخ سلمان العودة، ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصحوة في بلاد الحرمين، واختطف جهاديون من دول متعددة من أذربيجان وتايلند والفلبين، وبعض الدول العربية وباكستان، وأودعوا السجون أو لفهم المصير الغامض.

3- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة:

فقد تبادلت الدول العربية والإسلامية فيما بينها كثيراً من المعتقلين الجهاديين، الذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم، بل ارتكبت بعض الدول الغربية التي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال، وسلمت إخوة أبرياء مع أسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

4- إلغاء الملاذات الآمنة:

كان أول من أعلن هذا الإجراء بهذه الصيغة الرئيس كلينتون سنة 1995م، حيث ابتدأت حملة مطاردات أمنية للجهاديين في أوروبا ومختلف دول العالم. وكان معظم كوادرات الأفغان العرب والتيار الجهادي قد توزعوا في بعض البلاد الأوربية كلاجئين، أو استقروا في السودان واليمن أو إيران وتركيا، واستقر بعض الجهاديين من شمال أفريقيا في سوريا والأردن، فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان.

ابتدأت حملة الضغط الأمريكية منذ عهد كلينتون تحت هذا العنوان، فطُرد الشيخ أسامة بن لادن، والجهاديون المصريون والليبيون ومعظم الباقين من السودان، وسلمت الحكومة السودانية بزعامة البشير والتراي أخوة لبيين إلى بلدهم ليعدموا، وطردت اليمن الجهاديين تحت تهديد اعتقال نسائهم، وتوسطت قيادات إسلامية وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية على طرد الإخوة بنسائهم وأطفالهم، وقبضت سوريا والأردن وتركيا على أخوة جهاديين وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون، أما حرب البلقان فقد تدخل الرئيس الأمريكي بل كلنتون بنفسه لإبرام اتفاقية دايتون بين الأطراف المتنازعة، ليتم فرض الشروط الأمريكية للسلام، والتي كان من أهمها، طرد المجاهدين العرب من البوسنة والهرسك، وهكذا ضاقت على المجاهدين الأرض بما رحبت منذ عام 1995م وما تلاها من أعوام.

5- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:

فقد عُقدت الاتفاقيات الأمنية الدولية ذات التفاصيل العملية المعقدة، ووضعت برامج لمتابعة الاتصالات الروتينية، وربط أجهزة الاستخبارات على مستوى المعلومات والاتصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

6- التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:

فقد قامت الدول الغربية وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها، وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثالث، لتصفية مجالات اللجوء السياسي وحقوق الأجانب، وتوسيع قوانين مكافحة الإرهاب، حتى شملت بريطانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية.

7- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم:

وتزامناً مع هذه الحملة الأمنية والعسكرية، انطلقت معها جنباً إلى جنب حملة إعلامية ودعائية لتشويه الجهاديين ومبادئهم وممارساتهم، بغرض عزلهم عن جماهيرهم، وإظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء، ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار إلى آخر التهم. وقد لعبت المؤسسات الدينية الرسمية المتحالفة مع الحكومات في بلاد العرب والمسلمين أخطر الأدوار، وزودت هذه الحملة العالمية بأفتك أسلحتها.

أتواصوا به (تعليقاً على الخطة الدولية لمكافحة الإرهاب):

لو تأملنا في سيرة رسولنا الكريم، وفي قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم لعلمنا أن النظام الدولي الجديد لم يتدع ويأتي بجديد فيما يسمى بخطة مكافحة الإرهاب، فكل سياساته وسياسات أسلافه الأولين في هذا المجال هي نفس السياسات، كلها تصبّ في خانة الصدّ عن سبيل الله، والاختلاف فقط في المسمّيات والألفاظ والشخصيات، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

فسياسة تجفيف المنابع هي التي عبّر عنها الله تعالى بقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا﴾. وسياسة استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر عبّر عنها الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾. وسياسة اتفاقيات التسليم عبّرت عنها قريش بمحاولاتها اليائسة بشقّ الطرق مع أبي طالب ليسلمّ لهم رسول الله الذي عاب دينهم وسبّ آلهتهم ليقتلوه.

وبالنسبة لإلغاء الملاذات الآمنة، فقد كانت أخوف ما تخاف منه قريش أن يحل رسول الله صلى الله عليه وسلّم على حي من العرب، فيغلب عليهم بحسن حديثه وحلاوة منطقته حتى يتابعوه، ومن ثمّ يسير بهم إليهم، لذلك لما قرع خبر بيعة العقبة آذان قريش احتجّوا لزعماء الخزرج احتجاجاً مبطناً بالتهديد بالحرب إن هم آووا رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالوا لهم: "يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم".

وفيما يخصّ التعاون الأمني جاء في السيرة أن قريشاً حاولت التودد إلى النجاشي ملك الحبشة برشوته ورشوة بطارقه على أن يسلمّ لهم المسلمين المستجيرين بجواره، ومعلوم في السيرة كذلك قصة غزوة الأحزاب، وكيف أن اليهود هم من ألّبوا قريشاً وغطفان وحزّبوا قبائل العرب في جيشٍ

عرمرم - أشبه ما يكون اليوم بقوّات التحالف الدولي التي تقودها أمريكا - لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم.

أمّا ما يخصّ الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم فقد جاء في كتب السيرة؛ أن كفار قريش لما دنى موسم الحج، اجتمعوا للتشاور في الكيفية التي يحيلون بها بين النبي ﷺ وبين عرض دعوته على الوافدين على مكة من الحجاج، فأرادوا أن تتوحد كلمتهم في شأن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا تكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فقال الوليد بن المغيرة: "أجمعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا"، فطلبوا منه أن يشير عليهم برأيه ويبدلي معهم بدلوه، فرد الأمر إليهم ليستمع هو ما يقولون، قالوا: "نقول كاهن"، قال: "لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزة الكهان ولا سجعهم"، قالوا: "فنقول: مجنون"، قال: "ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته"، قالوا: "فنقول شاعر"، قال: "ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر"، قالوا: "فنقول ساحر"، قال: "ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم"، قالوا: "فما نقول؟"، قال: "إن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء أخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته"، فعلى هذا اتفقت كلمتهم وتفرق جمعهم وانعقد عزمهم فتفرقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

وهكذا يستمر المكر العالمي والنظام الدولي بقيادة أمريكا لإجهاض أي محاولة جادة من أبناء هذه الأمة، لإقامة مشروع جهادي ناجح، تكون ثمرته دولة إسلامية، ونظام إسلامي على أنقاض هذه الأنظمة العلمانية المرتبطة بالنظام العالمي العلماني، ولكن هذه المحاولات، والمكر من أعداء الله مآله الفشل والهزيمة، ولا يزال في هذه الامة طائفة ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، كما اخبرنا بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ). وفي رواية: (لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِّنْ أُمَّتِي يَقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) رواهما مسلم.

أحوال المجاهدين بعد تنفيذ توصيات ما يسمى بمكافحة الإرهاب⁽⁷²⁾:

وهكذا انتقل التيار الجهادي إلى مرحلة جديدة - استمرت من عام 1992-1996م - يمكن أن نسميها ب (مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة)، فعاد الآلاف من المجاهدين (الأفغان العرب) إلى بلادهم، مثل بلاد الحرمين ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها، وبدلاً من أن يرحب بهم كأبطال ومجاهدين، وجد أولئك الشباب أنفسهم غرباء في أوطانهم التي فتحت لهم أبواب المعتقلات، وجلسات التحقيق والسجون لمدد غير محدودة، ووجهت لهم التهم، ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم تقابل أولئك المجاهدين بهذه الطريقة.

وأما الذين لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم، فقد أصبحوا مطاردين أمنياً، وتشتتوا في أصقاع المعمورة ما بين لاجئ أو مهاجر أو متخفي أو أسير أو قتيلا، أو مجاهد حمل السلاح لجهة أخرى من ثغور الإسلام، أو يائس يحاول أن يخطر في حياة الناس العادية، بعد أن رأى شراسة العداء، وشدة المطاردة ضد المجاهدين، وتوزع هذا الجمع الطيب في ملاذات آمنة مختلفة كان من أهمها:

1- أوروبا والدول الغربية:

وذلك عبر فرص اللجوء السياسي في دول الاتحاد الأوروبي، كبريطانيا التي أمتهكت كتلة كبيرة تضم كوادراً رئيسية من المجاهدين العرب، والتيار الجهادي من مختلف الجنسيات.

2- بلاد أخرى:

لا تشكل خطورة أمنية - قبل استحكام التنسيق الأمني العربي والإقليمي والدولي - على الجهاديين من بلدان عربية أخرى ولو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها، وأهم تلك البلاد اليمن وتركيا وسوريا.

3- البوسنة والشيخان وغيرهما:

فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان اشتعال الجهاد في عدد من البلاد الإسلامية، مما أوجد ساحات جهادية جديدة في طاجيكستان والبوسنة والفلبين والشيخان والجزائر وكشمير والصومال وأريتريا، وأمّ هذه الساحات آلاف الشباب المجاهد من البلاد العربية وبعض الإسلامية،

(72) من كتاب دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

كان في طليعتهم بعض الجهاديين الذين خرجوا من ساحة أفغانستان، وعلى رأسهم القائد الشهيد خطاب - رحمه الله - وبعض رفاقه من الأفغان العرب.

4- السودان:

كذلك كان السودان في الفترة ما بين 1991-1996م نفساً رحمانياً، وملاً آمناً لبعض الجماعات الجهادية، ولكثير من الإخوة الذين لم يستطيعوا خوفاً من المطاردة والاعتقال الرجوع إلى دولهم البوليسية. وكان السودان بعد أن سيطرت الحركة الإسلامية على مقاليد السلطة، قد فتح باب الدخول إليه بدون فيزا لكل العرب، فانتقل كمّ مهم من الجهاديين إلى هناك، كان في مقدّمهم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وقياديو وأفراد تنظيم القاعدة، وقيادات وأفراد تنظيمات الجهاد، والجماعة الإسلامية في مصر، والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، وكذلك جاء جهاديون من جنسيات أخرى.

قصة الإقامة الجبرية للشيخ أسامة في بلاد الحرمين ومنعه من السفر ما بين عامي 1989-1991م⁽⁷³⁾:

كان الشيخ أسامة - بعد نجاح انقلاب البشير - قد زار السودان في الربع الأخير من عام 1989م وأسس أول شركاته هناك، وهي شركة وادي العقيق، ثم رجع بعدها إلى المملكة لإنهاء بعض الأمور، لكن هذه العودة لم تكن كسابقاتها، فقد علم الشيخ بعد فترة من وصوله أنه ممنوع من السفر؛ فظن أن السبب هو الانسحاب الروسي وتفاهم القوى العظمى والمملكة تبعاً لذلك، لكن الحقيقة والسبب الرئيسي في منعه من السفر كانت غير ذلك، وهي أن الشيخ أسامة كان قد استأنس مسألة الجهاد لذات الجهاد، وليس لمجرد استغلال فرصة تقاطع مصالح مع الحكومات والقوى العظمى.

فالشيخ أسامة كان قد أسس تنظيم القاعدة لمواصلة الجهاد بعد أفغانستان، وكان قد بدأ يخطط لفتح جبهة ضد اليمن الشيوعي الجنوبي بحركة جهادية تنطلق من المملكة واليمن الشمالي، ولا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته إلا ويؤكد فيها خطته وعزمه على تحرير اليمن الجنوبي بعد أفغانستان من قبضة الحكومة الماركسية. ولم يكن حكام المملكة مهتمين فقط بالإحراج الدبلوماسي لأمر من هذا القبيل، لكن الذي همهم هو أن هذا التوجه من قبل الشيخ أسامة، كان دليلاً على أن الرجل بدأ يتصرف تصرف المسؤول الذي يحمل همّ قضية، وتضايق الحكام بشكل كبير حين تكلم علناً عن خطورة النظام العراقي، وتنبأ بأنه سيغزو الخليج في محاضرات معلنة ومسجلة، في وقت كان النظام العراقي من أقوى أصدقاء المملكة.

عندها لم تكتف وزارة الداخلية بمنعه من السفر، بل وجّهت إليه تحذيراً رسمياً بعدم ممارسة أي نشاط علني، وأنه ربما يعتقل أو يوضع تحت الإقامة الجبرية إن لم ينصع للتوجيهات. ورغم التوجّه العدائي من قبل الدولة تجاهه؛ فقد بادر الشيخ أسامة بكتابة نصيحة للدولة سلّمت عن طريق أحد إخوانه للأمير أحمد بن عبد العزيز، تضمنت الرسالة نصائح عامة وخاصة، العامة عن المطالبة بإصلاح شامل، والخاصة كانت تكراراً لتوقعاته بأطماع صدام حسين في المنطقة، وضرورة الاستعداد لها.

(73) القصة من كتاب أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. بتصرّف.

وما أن سمع الشيخ أسامة بغزو الكويت في الأخبار، حتى تصرف بطريقة تدل على أنه يشعر بجزء كبير من المسؤولية، فبادر بكتابة رسالة أخرى إلى الدولة، يعرض فيها وجهة نظره حول الطريقة المثلى لحماية البلد من الخطر العراقي، بمجموعة اقتراحات حول السبيل الأمثل لتعبئة الأمة ضد هذا الخطر، ومن ثم السبيل الأمثل عملياً لمواجهته، وأضاف لهذه الاقتراحات عرضاً يجلب كل المجاهدين العرب الذين يستمعون له، للمساهمة في عملية الدفاع عن أرض الحرمين. سلمت الرسالة بنفس الطريقة التي سلمت فيها الرسالة الأولى، وكان رد فعل الدولة هو وعد بالنظر في الأمر.

وكان الشيخ أسامة - رحمه الله - يتوقع أن النظام سيطلب منه المساهمة بشيء ما في عملية الدفاع عن البلد، ظناً منه أن النظام رغم مخالفاته الشرعية، ما زالت عنده غيرة على البلد، ورغبة في حمايته، لكن بدلاً من أن تستعين الدولة بالعرض الذي قدمه الشيخ لها، بادرت بقرار كان السبب الرئيسي في أكبر تحول في حياة الشيخ أسامة، وهو إعلان استدعاء القوات الأمريكية تحت ذريعة تحرير الكويت.

وتحدث الشيخ أسامة واصفاً لحظة سماعه خبر قرار استدعاء القوات الأمريكية، بأنها أكبر صدمة في حياته، لأنها بتقديره، المرة الأولى منذ البعثة النبوية التي يهيمن فيها الكفار على جزيرة العرب بقواتهم العسكرية، وصُدم كذلك لأن القوات الأمريكية لم تدخل باحتلال، أو رغم أنف الحكام، بل دخلت بطلب منهم⁽⁷⁴⁾، وتم تسليم جزيرة العرب على طبق من ذهب لهم، ثم مباركة ذلك بفتوى دينية إجماعية صارمة قاطعة، أن هذه القوات جاءت للدفاع عن حياض الإسلام، وأن الذي يضايقها يعتبر محارباً لله، مفسداً في الأرض، يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف. وبعد هذا التطور الخطير، شعر الشيخ أسامة بالإحباط والقلق على مستقبل الجزيرة، وأيقن أن مخاطبة المسؤولين بالخطابات والمذكرات أسلوب عديم الجدوى، ولا بد أن يفكر بأسلوبٍ بديل. وعلى إثر ذلك تحرك الشيخ أسامة باتجاهين:

الاتجاه الأول: استخراج فتوى بوجوب الإعداد للقتال على كل مسلم، وخاصة أهل الجزيرة، وأفتى الشيخ بن عثيمين فعلاً بتلك الفتوى، فاستخدمها الشيخ أسامة في تشجيع الشباب من

(74) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: "الصحيح أنه لم يكن هناك طلب من حاكم الرياض بل العكس صحيح، فقد قال الشيخ أسامة أن بوش الأب قال للملك فهد نحن قادمون. رضي الملك أو لم يرض. وتم تسويق المسألة على أنه بطلب من الملك".

جديد في الذهاب لأفغانستان والتدرب هناك، واستجاب لدعواه تلك عدد كبير من الشباب، توجهوا فعلاً لأفغانستان.

الاتجاه الثاني: محاولة جمع أكبر عدد من العلماء في مؤسسة شرعية مستقلة، غير مؤسسة هيئة كبار العلماء، حتى تكون مرجعاً للناس، بعد أن تحولت الهيئة في نظره لمجرد أداة بيد الدولة بعد فتوى استدعاء القوات الأمريكية.

ورغم أن حركة الشيخ أسامة كانت مقيدة في وضع يشبه الإقامة الجبرية، إلا أنه استطاع إنجاز شيء مما أراد إنجازه، وخاصة الاتجاه الأول، لكن محاولاته في جمع العلماء بتجمع مستقل لم يحالفها النجاح، أولاً لصعوبة حركته بسبب القيود التي عليه، وثانياً لأن العلماء بما فيهم من علماء شباب، لم يستوعبوا بعد فكرة المؤسسات المستقلة.

ولم يكن الشيخ أسامة ملتزماً بالتقييد المفروض عليه، حيث ألقى عددًا من المحاضرات، وعقد عددًا كبيراً من الاجتماعات مع العلماء والدعاة والناشطين في مجال الدعوة، ولم يكن ذلك مقبولاً لدى السلطات، ولذلك استُدعي أكثر من مرة، ووجهت له تحذيرات شديدة بوجوب الالتزام بتجميد نشاطه، ومن أجل تخويفه، أرسلت السلطة مفرزة من الحرس الوطني في جدة لاقتحام مزرعته الواقعة في ضواحي جدة، وتفتيشها بشكل فجائي، حيث لم يكن موجوداً فيها بنفسه لحظة الاقتحام، وقامت المفرزة باعتقال بعض العمال في المزرعة - أطلق سراحهم بعد ذلك - وكتابة محضر عما وجدته فيها، وتصوير كامل للمزرعة ومخازنها ومرافقها بالفيديو، وعندما أخبر الشيخ أسامة بالحادث، غضب غضباً شديداً وكتب رسالة احتجاج شديدة للأمير عبد الله، واستغرب الشيخ أسامة حين ورده رد من الأمير عبد الله، ينفي فيه علمه بالحادث ويعد بمعاينة المسؤول عنه.



الشيخ أسامة رحمه الله في إحدى محاضراته التوعوية بوجوب الإعداد للقتال لحماية بلاد الحرمين من أطماع صدام حسين

مضت الأيام على الشيخ أسامة في ذلك الوضع الذي لا يحتمله، فلقد تعود على النشاط والجهاد والحركة، وإذا به يجد نفسه في وضع الإقامة الجبرية، والأمر الآخر الذي لم يكن يتحمله هو وجود هذه القوات الصليبية المقيمة في جزيرة العرب. كان تراكم هذه الأحداث، سواء على مستوى البلد أو على الشيخ أسامة شخصيًا، سببًا في التفكير جدًّا بمغادرة البلد، ولم يكن هروبه أمرًا سهلًا فهو شخصية معروفة، وبيته تحت الحراسة الدائمة، ولذلك فكر الشيخ أسامة بطريقة أقرب للأسلوب الطبيعي، وهو ما حصل بنجاح.

وكان أحد إخوة الشيخ أسامة مقربًا من الأمير أحمد بن عبد العزيز، نائب وزير الداخلية. تحدث الشيخ أسامة مع أخيه شارحًا له أن لديه التزامات مالية كثيرة في باكستان ومناطق أخرى، وحقوقًا ينبغي أن تدفع لأصحابها، وحقوقًا له ينبغي استخلاصها، وأنه لا يمكن أن يحل هذه الإشكالات وكيل، لأن بعضها قائم على الثقة والعلاقة الشخصية جدًّا.

اقتنع أخوه بالفكرة، ووعد بشرح ذلك للأمير أحمد، وكان الأمير نايف على وشك أخذ إجازة، فانتظر أخوه إجازة نايف وتحدث مع الأمير أحمد، واستطاع إقناعه بإعادة الجواز والسماح للشيخ بالسفر. وافق الأمير أحمد وسمح للشيخ أسامة بسفيرة واحدة فقط، وكلف الجهات الأمنية بمتابعته، وهكذا تمكن الشيخ أسامة من مغادرة البلد بشكل طبيعي. وحينما وصل الشيخ أسامة

إلى مدينة بيشاور في أبريل عام 1991م، كان أول عمل قام به هو كتابة رسالة اعتذار رقيقة لأخيه، يخبره أنه لا يخطط للعودة، وأنه سيسبب حرجًا له أمام الأمير نايف، واعتذر له بأن الثمن غال يستحق اللجوء لمثل هذا الأسلوب.

صادف قدوم الشيخ أسامة هناك، انهيار النظام الشيوعي، وبداية التناحر بين الفصائل الأفغانية؛ فكان أول إجراء اتخذه للتعامل مع القضية، هو إصدار توجيه للشباب العرب بعدم التورط في الصراع الدائر، وكف أيديهم عن الدماء، ورفض الميل لأي جهة من الجهات. الإجراء الثاني الذي اتخذه هو الدخول بقوة في محاولة إصلاح بين الفصائل، فبقي الشيخ أسامة في مدينة بيشاور عدة أشهر مستمرًا في محاولاته حل الخلاف، لكن جهوده مع الأسف لم تحرز نتيجة تذكر، وتبين له بعد فشل متكرر، إلى أنه وصل إلى طريق مسدود.

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في بيشاور:

وخلال بقاء الشيخ أسامة في مدينة بيشاور، كان هناك - تنفيذًا للمخطط الدولي بتصفية رموز الجهاد - تعاونًا وثيقًا بين مخبرات النظام السعودي بقيادة تركي الفيصل وبين المخبرات الباكستانية لقتله أو اختطافه، لكن بفضل الله وحده، باءت كل تلك المحاولات بالفشل، فقد كان المتعاطفون معه في جهاز الأمن الباكستاني يعجلون له بتسريب المعلومة فيأخذ حذره.

بعد ذلك أيقن الشيخ أسامة أن وجوده في باكستان لن يكون آمنًا بسبب التعاون الأمني بين النظامين السعودي والباكستاني، وسيستمرون بمحاولات خطفه أو اغتياله، وبعد تدارس الوضع مع عدد من المقربين له، قرر البحث عن مكان آخر يقدم فيه نفعًا للإسلام بدلًا من أفغانستان، وكان سعيد الحظ الذي تشرف بأن تطأ أقدام الشيخ المباركة أرضه هو السودان، فرتب له الإخوة السفر سرًا إلى هناك، بطائرة خاصة لأحد أصدقائه المقربين من رجال الأعمال في بلاد الحرمين.

وكان الإخوة في التنظيم قبل الذهاب إلى السودان، ينوون آنذاك الاستقرار في باكستان، فشرعوا كمرحلة أولى بعد موافقة الباكستانيين، في بناء ثلاثين بيتًا لسكن الإخوة في منطقة "بابي" في بيشاور، لكن لم يشأ الله لهذا الأمر أن يتم، فقد كانت الأسباب المذكورة أعلاه، سببًا في تغيير الإخوة مسار بوصلتهم إلى السودان.

المرحلة الثالثة: مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث حتى خروج الشيخ أسامة

من السودان في مايو 1996م:

الأحوال في السودان بعد وصول حكومة البشير للسلطة:

كانت الحركة الإسلامية في السودان قد وصلت إلى سدة الحكم في يونيو 1989م، بعد قيامها بانقلاب عسكري بقيادة البشير ورفاقه على حكومة الصادق المهدي، وأرادت الحركة آنذاك النهوض بالسودان، وتطبيق الشريعة، لكن المؤامرات الأمريكية أنهكتها بدعم حركة التمرد المسلحة جنوب السودان، التي جعلت أهم دوافعها وأهدافها لقتال حكومة البشير، هي إسقاط قوانين الشريعة.

وكان بعض من رموز الحركة الإسلامية في السودان، قد تواصلوا - بعد انقلاب الرئيس البشير - بالشيخ أسامة رحمه الله، ونقلوا له رغبة قيادتهم الصادقة نحو توجّههم الإسلامي، كذلك سمع الشيخ أسامة الكثير عن السودان ممن حوله، ومن بعض الإسلاميين هنا وهناك، الذين بدأوا يتحدثون عن حماس السودان للإسلام، وحرص قيادته على تطبيق الشريعة الإسلامية رغم المؤامرات الدولية التي تحاك ضدهم، وبناءً على ذلك قام الشيخ أسامة برحلة استكشافية للسودان في سبتمبر عام 1989م، والتقى بالمسؤولين في السودان، وسمع منهم وعزم على مد جسور التعاون معهم على البر والتقوى، من خلال تبرعه بعمل طريق "الدّمازين الكُرْمُك" على نفقته الخاصة.

وكان ما يسمى بالجيش الشعبي لتحرير السودان [SPLA] بقيادة الصليبي جون جارانج، هو الذي يقاتل حكومات السودان المتعاقبة منذ عام 1983م، من منطلق عقائدي صليبي بحت، فقد كانوا يعتقدون أن الشماليين العرب المسلمين، محتلون للسودان الأفريقي الأصل، وكانوا يطالبون بعلمانية الدولة، وإسقاط ما أسموه بقوانين سبتمبر 83م، وهي ذات القوانين الشرعية التي كانت تطبق في المحاكم بعد إعلان الرئيس جعفر نميري لتطبيق الشريعة الإسلامية في سبتمبر عام 1983م.



الصليبي جون جارنج - لعنه الله

وكان الجيش الشعبي ينشط في موسم الخريف في المناطق الحدودية مع أثيوبيا التي كانت تدعمه، وينطلق من أراضيها، ويدخل المدن والقرى في تلك المناطق، ويعيث فيها فسادًا بقتل أهلها المسلمين، وهتك الأعراض، واستباحة حرمة المساجد، وتقطيع المصاحف واستخدامها كأوراق تنظيف عند قضاء الحاجة، وكان جيش الحكومة يعجز في الحفاظ على تلك المناطق والدفاع عن الناس لبعدها، وثانيًا لصعوبة حركة آلياته وعدّته العسكرية في فصل الأمطار الغزير، بسبب كثافة الطمي (الطين)، الذي يعيق أي حركة للآليات في تلك المناطق.

وتعاونًا على البر والتقوى، تبرع الشيخ أسامة رحمه الله على نفقته الخاصة، بعمل طريق طوله حوالي 120 كلم، يربط تلك المناطق النائية بمدينة "الدمازين"، التي توجد فيها حامية عسكرية كبيرة، ويوجد فيها أيضًا سد الرصيرص الذي يمد الخرطوم بالكهرباء. فكان الهدف من هذا الطريق، أن يتمكن الجيش السوداني من خلال الحركة السريعة له وآلياته، من بسط نفوذه وسيطرته لحماية السكان في حال حدوث أي اعتداء من قبل جيش النصارى.

ولمتابعة إنشاء الطريق والعمل فيه، أسس الشيخ أسامة في السودان في الربع الأخير من عام 1989م، أولى شركاته، وهي شركة وادي العقيق، وكان من يدير الشركة في الخرطوم في تلك الفترة بعض الإخوة المجاهدين من شباب أفغانستان وهم:

1- أبو الزبير المدني - المنشد المعروف - رحمه الله.

2- أبو أنيس (مُجَّد بن عبد السلام)، من بلاد الحرمين أحد العشرة الذين ثبتوا مع الشيخ أسامة في منطقة جاجي داخل أفغانستان عام 1986م.

3- أبو همام المحاسب، من بلاد الحرمين.

4- أبو الحسن السوداني.

وكان المهندس المشرف على عمل الطريق هو الأخ أبو معاذ السعدي الفلسطيني، وكان أيضاً من العشرة الذين ثبتوا مع الشيخ أسامة في منطقة جاجي داخل أفغانستان عام 1986م.

وصول الشيخ إلى السودان:

كانت حكومة البشير - بحكم توجهها آنذاك نحو الإسلام - قد فتحت أبواب السودان لكل العرب الراغبين في الدخول إلى أراضيه بدون فيزا، الأمر الذي سهل توافد كثير من الجماعات الجهادية، التي وجدت من السودان متنفساً وملاذاً آمناً لها، بعد المضايقات والملاحقات في باكستان وغيرها. وكان تنظيم القاعدة هو أول التنظيمات الجهادية التي جاءت إلى السودان، ولحق به بعد ذلك الكثير من قيادات وأفراد الجماعات الجهادية التي كانت موجودة في ساحة بيشاور. فجاء تنظيم الجهاد المصري بقيادة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، وجاءت الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة الشيخ رفاعي طه رحمه الله، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، والجماعة الإسلامية الجزائرية المسلحة، وكانت هناك أيضاً بحكم الجوار مع السودان حركة الجهاد الإسلامي الأريتيري بشقيها (جناح شيخ عرفة، وجناح الشيخ أبي سهيل، رحمه الله)، وغيرهم من الجماعات الجهادية القطرية الأخرى.

بعد وصول الشيخ أسامة السودان، واستقراره في حي الرياض بالخرطوم، شرع في تسجيل وتأسيس عدد من الشركات الاستثمارية، فتأسست شركة الهجرة الهندسية المتخصصة في شق الطرق وبناء الجسور، وتأسست شركة الثمار المباركة المتخصصة في الاستثمار الزراعي، وتأسست شركة طابا التجارية المتخصصة في الأعمال التجارية من تصدير واستيراد، وتأسست شركة قدرات للنقل. وكانت شركة وادي العقيق هي الشركة الأم التي تشرف على كل هذه الشركات، وكان مديرها هو الشيخ أبو إبراهيم العراقي حفظه الله، ورئيس مجلس إدارتها هو الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

ومع بدايات عام 1992م بدأ الإخوة أفراد القاعدة يتوافدون تبعاً من باكستان، وقامت الشركة باستئجار بنايات وبيوت لسكن العوائل ومضافات للعزاب، وبعد ذلك جلس الشيخ أسامة رحمه الله مع كل الإخوة، لتنويرهم بالمرحلة الجديدة في السودان، وهي بناء قاعدة اقتصادية قوية، تؤمن استمرار العائدات المالية، لضمان إستمرارية العمل الجهادي، فقد كان الشيخ يتوقع أنه

سيأتي عليه يومٌ يقوم فيه النظام في بلاد الحرمين بتجميد أمواله، وهذا ما حدث بالضبط، فقد أصدر نظام آل سعود في أواخر عام 1992م قرارًا يقضي بذلك.

تم توزيع الشباب على الشركات كل حسب تخصصه ودراسته، وما يستطيع أن يجيد ويحسن من عمل، فكان بين الإخوة المهندسين في شتى التخصصات، الميكانيكية والمدنية والزراعية، وكان بينهم المحاسبون والسائقون والبناءؤون والحدادون والنجارون والمزارعون... الخ.

جدير بالذكر أن بعض الإخوة كانوا قد اجتمعوا بالشيخ أسامة وانتقدوه على بقائه في السودان، ودعّمه لحكومة البشير بحجة أنهم لا يطبقون الشريعة، وأن هناك كثيرًا من المظاهر التي تخالف الشريعة و... الخ، فقال لهم الشيخ أسامة رحمه الله، " جيئوا بخارطة العالم، واجثوا عن بقعة أرض يُطبّق فيها الإسلام زيادة على ما عليه الحال في السودان واحد في المئة وأنا أذهب إليها".

وكان الشيخ أسامة في ردّه على هؤلاء الإخوة يعتمد على فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية - تتناول موضوع الجهاد في حالة الاستضعاف، وعدم وجود دولة للمسلمين - تقول: "تبحث عن أقرب فئة للإسلام ذات شوكة وتقاتل معها". فكان الشيخ أسامة يرى أن السودان يتعرض لمؤامرة دولية تكالبت عليه فيها اليهود والنصارى بحجة توجه حكومته للإسلام، كذلك كان الشيخ أسامة يرى أن السودان يمثل بعدًا استراتيجيًا هامًا لبلاد الحرمين، فما بين شواطئه ومكة المكرمة حفظها الله أقل من 280 كيلو متر، وكان يقول إذا سقطت السودان في يد هذا الصليبي المتعصب قرنق، فسيكون بإمكانه - لا قدر الله - أن يضرب أو يهدد مكة بالصواريخ البسيطة ذات المدى 280 كيلو متر. وكان رحمه الله، يرى أننا كمسلمين مأمورين بأن نتعاون على البر والتقوى، وأوجب البر والواجبات بعد الإيمان هي دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، ولا يشترط لذلك شرط.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ أسامة يرى أن السودان في تلك الفترة كان ملاذًا آمنًا ونفَسًا رحمانيًا هيئه الله سبحانه وتعالى بعد أن بدأت الأحوال تسوء في باكستان تنفيذًا للمخطط الدولي الذي بدأت تمارسه الحكومة الباكستانية بتصفية الجهاد ورموزه كما سبق ذكره.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله قد أولى اهتمامًا كبيرًا بطلب العلم الشرعي، فأحضر ثلاثة من كبار علماء موريتانيا، أحدهم كان متخصصًا في علوم القراءات، وآخر في الفقه، والثالث كان متخصصًا في اللغة العربية، كذلك اختارت اللجنة الشرعية بالجماعة عشرة من الإخوة، أرسلتهم

إلى موريتانيا لطلب العلم الشرعي، كان منهم الشيخ أبو ياسر المصري، والشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، والأخ عبد الحق الليبي⁽⁷⁵⁾ رحمه الله، والأخ أبو سهل الليبي، وعبد الحميد الليبي، وابن مسعود التشادي.

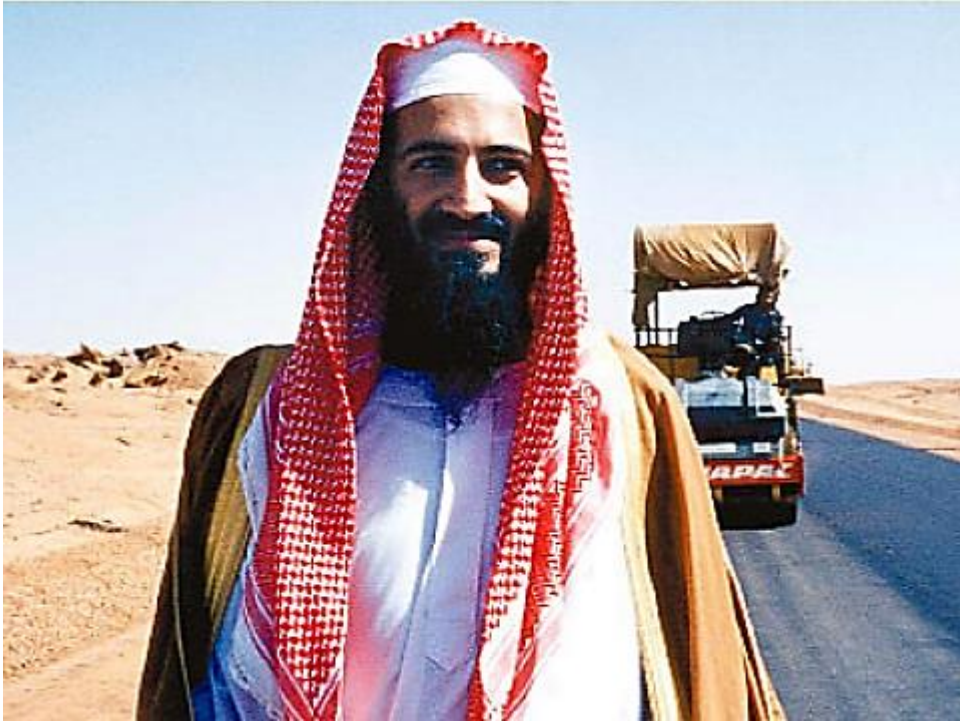
كان السودان نوعًا ما، نقلة نوعية كبيرة لكل الإخوة، إذ بين عشية وضحاها انتقل الإخوة من الوسط العسكري الميداني المتنوع بين جبهات القتال ومعسكرات التدريب وبيوت خدمات المجاهدين، إلى الوسط المدني للعمل في شركات استثمارية مدنية، لكن الشباب كانوا يحتسبون أنه من كان في الساقفة كان في الساقفة، ومن كان في الحراسة كان في الحراسة؛ فأقبلوا على العمل في تلك الشركات بهذه الروح الإيمانية العالية، ولم يبقَ من أفراد التنظيم في ساحة أفغانستان، إلا عدد يسير من الإخوة المدربين العاملين في معسكرات التدريب - الفاروق وجهاد وال - فقد ظلت أبوابها مفتوحة للتدريب، تحت أمرة أبي عطا التونسي رحمه الله، وإشراف أبي الفرج الليبي فك الله أسره.

بدأ العمل في السودان بدايات طيبة، فدخلت شركة الهجرة الهندسية في عقد مع الحكومة لعمل طريق التحدي، وكان طول الطريق 270 كم، ويربط العاصمة الخرطوم مع مدينة عطبرة في الشمال، وكانت قيمة العقد حوالي 30 مليون دولار. وكان الشيخ أسامة يرجو ويتوقع الكثير من العائدات المالية، لو قدر للعمل أن يستمر لسنوات طويلة، لأن العمل الاستثماري الكبير، وخاصة الزراعي يؤتي أكله بعد سنوات، نسبة لأن مصاريفه التشغيلية في بدايات العمل تكون كبيرة جدًا، فمثلاً كانت شركة الثمار المباركة تملك في منطقة الدمازين 100,000 فدان مطري، أي 420 مليون متر مربع. ولتقريب الصورة تعادل (60 كيلو في 7 كيلو)، أرض بكر لم تزرع من قبل، فكان على الشركة أن تستصلح تلك الأرض، وذلك بنظافتها بقطع الأشجار المنتشرة بكثافة في المنطقة، كذلك امتلكت الشركة عشرات الآلاف من الأفدنة في منطقة القاش، التي تعتبر من أخصب الأراضي الزراعية على مستوى العالم، إذ بسقية واحدة فقط، تزرع الأرض ثلاث مرات في الموسم، وكان على الشركة أيضًا تنظيف هذه الأراضي، المتشعبة بأشجار المسكيت (السيسبان)، وذلك بقطعها من على عمق 25 سم، ثم حرق جذورها حتى لا تنبت مرة أخرى. وكان الشيخ أسامة رحمه الله مغرمًا بتلك الأرض العالية الخصوبة، وكان رحمه الله يتطلع إلى استثمار كل دلتا

(75) صهر الشيخ مصطفى أبو اليزيد.

القاش، البالغ مساحتها أكثر من 700.000 ألف فدان، لكن الأحداث المتسارعة لم تمهله لتحقيق ما تطلع إليه.

وكانت أكبر مشكلة واجهت أعمال الشيخ أسامة في السودان، هي مشكلة تدهور العملة السودانية، فقد كانت في انخفاض مستمر لقيمتها مقابل الدولار، وفي أغلب الأوقات لم تكن وزارة المالية تدفع للشيخ أسامة عائدات الطريق بالدولار نقدًا حسب العقد المتفق عليه، بل كانت تعطيه مقابل أمواله المستحقة الدفع، كميات كبيرة من السكر من شركة سكر كنانة، ثم تقوم شركة طابا التجارية بتسويقه في السوق المحلي بالدولار، ثم تحوّل المبالغ بعد ذلك في حساب شركة الهجرة، وأحياناً كانت الحكومة تسدد ما عليها من التزامات بالجنيه السوداني، حيث كانت شركة طابا التجارية تشتري بهذه المبالغ كميات ضخمة من السمسم في الموسم، وبعد غربلته وإعادة تعبئته بما يوافق مواصفات الصادر، تقوم بتصديره مرة أخرى بالدولار. وفي إحدى المرات باعت الحكومة - كدفعة من الأموال المستحقة الدفع - مدبغة جلود لشركة الهجرة بثمانية مليون دولار. ورغم أن مدير شركة الهجرة كان معارضاً لتلك الصفقة نسبةً لأن ثمن المدبغة الذي وضعته الحكومة كان أكثر من قيمتها، إلا أن الشيخ أسامة رحمه الله وافق عليها.



الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله في جولة تفقدية لطريق التحدي بالسودان



الشيخان أبو إبراهيم العراقي وأسامة بن لادن في حفل افتتاح طريق التحدي الخرطوم - عطبرة

وهكذا كان تعامل الشيخ أسامة - رحمه الله - مع حكومة البشير تعاملًا فيه كثير من السماحة والصبر والنفس الطويل في استرداد مستحقاته؛ فقد كان رحمه الله، يحتسب أنه يدعم ويقدم خدمة لبلد مسلم، يستفيد منها المسلمون، حتى ولو كان ذلك على حساب خسارته المادية، فلم يكن أبدًا يرى أنها خسارة.

كذلك كان الشيخ أسامة ينظر إلى الأمور بنظرة شمولية ثاقبة، ولا يركز كثيرًا على مسألة الربح والخسارة مع الحكومة بل كان يتألفها، ويعلم يقينًا أنه يومًا بعد يوم، تزداد الضغوط الدولية والإقليمية عليها من دول الجوار والاستكبار بسبب توجهها، وبسبب تواجد التنظيم ونشاطه هنا وهناك، وكذلك الجماعات الجهادية الأخرى. فمثلاً بسبب تواجد جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية المصرية في السودان، ونشاطهما في مصر انطلاقًا من السودان، ساءت العلاقة كثيرًا

بين البلدين، وكادت أن تؤدي إلى الحرب، إذ حشدت الحكومة المصرية جيشها على الحدود، واقتطعت مثلث حلايب وشلاتين من السودان، في محاولة لاستفزازه وجره لميدان الحرب، خاصة بعد محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك في أديس أبابا عام 1995م، التي اتهم فيها مبارك السودان اتهامًا مباشرًا، بأنهم دعموا ويسروا تلك المحاولة. كذلك بسبب وجود الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة في السودان، كان القذافي يقدم بقوة كافة أشكال الدعم العسكري والمادي لحركة قرنق الصليبية التي تقاتل الحكومة في الجنوب.

محاولة اغتيال الشيخ أسامة في السودان:

كانت هذه المحاولة في أوائل عام 1993م، وقام بها ثلاثة من الغلاة التكفيريين، سودانيان وثالث ليبي يدعى الخُلَيْفِي. وكان هؤلاء الثلاثة قد استولوا على الأسلحة التي نفذوا بها عملياتهم من أحد مراكز الشرطة النائية في الخرطوم، وذلك بعد مهاجمة أفرادها ببندقية تطلق سهامًا من بعد، قام بصناعتها يدويًا أحد السودانيين المهاجمين إذ كانت مهنته حداد. وكان هؤلاء الغلاة قد هاجموا يوم الجمعة في مدينة أم درمان مسجدًا لجماعة أنصار السنة - كان يؤمه آنذاك نائب رئيس الجماعة الشيخ أبو زيد محمد حمزة - وفتحوا النار عشوائيًا على من كان متواجدًا في المسجد، فسقط من أفراد الجماعة ثمانية عشر قتيلاً - رحمهم الله جميعًا - إضافة إلى عشرات الجرحى، ثم لازم المهاجمون بالفرار.

وفي اليوم التالي للهجوم على المسجد، عبر المهاجمون إلى الخرطوم وتوجهوا نحو حي الرياض، حيث يسكن الشيخ أسامة رحمه الله. وكان هؤلاء الخوارج، قد رصدوا حركة خروج ودخول الشيخ من وإلى المضافة، إذ كان من عادته كل يوم الخروج مشيًا على الأقدام من بيته الجاور للمضافة - بينهم 30 مترًا - الساعة الخامسة عصرًا، يرافقه في العادة واحد أو اثنين من حراسه، وهم عبد الهادي الأردني، وأبو خليل المدني رحمهما الله، وشاء الله في ذلك اليوم وفي تلك الساعة بالتحديد - قبل أن يخرج الشيخ أسامة - أن استوقفه ابنه عبد الله عند الباب الخارجي لبيتهم، يجادله حول موضوع الكهرباء.

وكان الشيخ أسامة آنذاك، متفقدًا مع ابنه عبد الرحمن، بأن يقوم صباح كل يوم بسحب فيوزات الكهرباء عن البيت، الذي كان مكونًا من ثلاثة طوابق. واستمر عبد الرحمن على ذلك المنوال لمدة ستة أو سبعة أشهر كاملة، وأهله لا يعلمون شيئًا. وكان الشيخ أسامة في تلك الأيام كثيرًا ما

يتعهد الإخوة وأهله وأبنائه ببرامج ودروس عن الزهد في الدنيا، وكان يعتبر الكهرباء - لغير ضرورة - أساس الترف والركون إلى الدنيا؛ فهي سلاح ذو حدين كثيراً ما يستخدم في الشر، والأمثلة في ذلك لا حصر لها.

وأثناء ما كان عبد الله يناقش أباه عند الباب حول موضوع الكهرباء وصل المهاجمون المضافة، فأوقفوا سيارتهم وترجلوا منها، ودخل منهم اثنان المضافة، وبقي واحد في الخارج. وبمجرد دخول الاثنين إلى حديقة المضافة، بدأوا بإطلاق النار على من كان متواجداً في الحديقة وكانوا أربعة إخوة، هم الشيخ أبو علي الحارثي - رحمه الله - أصيب بطلقة في فخذه، وأصيب الشيخ غزوان الحضرمي بثلاث طلقات في بطنه، وكانت الإصابة الأخطر، وأصيب الشيخ عبد الرحيم اليمني - رحمه الله - بطلقة اخترقت ساعده، وأصيب الأخ أبو اليسر التونسي بطلقة في أعلى فخذه، بعدها دخل المهاجمون إلى داخل المضافة يبحثون عن الشيخ أسامة، لكنهم خرجوا سريعاً حيث لم يجدوا بفضل الله ما كانوا يصبون إليه.



الشيخ أبو خليل المدني
رحمه الله



الشيخ عبد الرحيم
(إبراهيم بن مبخوت الوصائي)
رحمه الله



الشيخ أبو علي الحارثي
(قائد سالم سنيان الحارثي)
رحمه الله

وكان الذي في الخارج يطلق النار على أصحاب الحراسة الذين كانوا خارج بيت الشيخ ينتظرون خروجه ليرافقوه إلى المضافة، وبعد خروج الاثنين الذين كانوا داخل المضافة، أخذ أبو

خليل المدني - وكان وقتها في المضافة - سائرًا خلف الباب وبدأ يطلق عليهم من مسدسه لكنه لم يصب أي أحد منهم، إذ تعطل مسدسه وانسحب سريعًا إلى داخل المضافة. استقل بعد ذلك المهاجمون سياراتهم واتجهوا يمينًا بعد أول شارع، وكان في نهاية ذلك الشارع بيت لأحد رموز المعارضة السودانية، يسكنه مجموعة من الأمن السوداني انتبهوا على أصوات الرصاص، وتواصلوا مع زملائهم من الأمن الذين كانوا يحرسون بيت الشيخ أسامة، فعلموا منهم القصة، وشاهدوا سيارة المسلحين متجهة نحوهم ببطء، فأخذوا أماكنهم خلف سور البيت، وعندما قربت منهم السيارة وكانت في مرمى نيرانهم، فتحووا عليها النار فسقط السودانيان قتلى، وجرح الليبي جرحًا بليغًا، أخذ بعدها للمستشفى العسكري، حيث تمت معالجته وبعد شفائه قدم للمحاكمة، وحكم عليه بالقصاص قتلًا ونفذ فيه الحكم.

الأعمال التي قامت بها القاعدة انطلاقًا من السودان:

إضافة إلى النشاط الاقتصادي الذي قامت به القاعدة في السودان، كانت هناك نشاطات عسكرية وأعمال سياسية يمكن إجمالها في:

- 1- أحداث الصومال.
- 2- أحداث الجزائر.
- 3- حرب الفاكسات.
- 4- الأحداث في اليمن.
- 5- أحداث الشيشان.
- 6- عملية اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك في أديس أبابا.

1- أحداث الصومال:

كان قدوم القوات الصليبية إلى بلاد الحرمين عام 1991م بحجة تحرير الكويت، نقطة تحوّل رئيسية خلّفت زلزالًا عنيفًا أصاب الأمة بأسرها، وقسمها أفقيًا ورأسياً ليس على خلفية احتلال العراق للكويت، بل على مشروعية وجود قوات غريبة صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها. وبموجب ذلك كانت القاعدة قد اتخذت في جلسات سرية في بيشاور عام 1991م، استراتيجية مواجهة أمريكا، وهياً الله للتنظيم تلك الفرصة في الصومال.

وكانت الصومال - بعد إقالة سياد بري آخر رئيس للصومال عام 1991م بواسطة تحالف قبلي مدعوم من أثيوبيا - قد دخلت في حروب أهلية طاحنة بين قبائلها المختلفة صراعاً على السلطة، ونتج عن تلك الحروب دماراً شاملاً لكل مؤسسات الدولة، أدى في النهاية لحدوث مجاعة أودت بحياة أكثر من 300.000 صومالي. وعلى ضوء تلك الأحداث أرادت أمريكا احتلال الصومال لتحقيق مآربها في المنطقة، ولشرعة تواجهها اتخذ مجلس الأمن القرار رقم 794 القاضي بإرسال قوات أممية بقيادة أمريكا لإعادة الاستقرار في الصومال تحت مسمى إعادة الأمل، ودخلت هذه القوات الصومال بتاريخ 1992/12/5م.

وكانت هناك حركة إسلامية سلفية دعوية أسمها الاتحاد الإسلامي، انتشرت في كل مكان في الصومال، واستطاعت عن طريق الدعوة والتربية أن تجمع كل طاقات القبائل وأبنائها في صفٍ واحد - بما فيهم قبائل الأوجادين⁽⁷⁶⁾ الواقعة تحت الاحتلال في أثيوبيا - وفرضت نفسها في الساحة، واختفت مظاهر الفساد، وكانت الحركة مرشحة لتحل محل الحكومة.

وفي بادئ الأمر - قبل قدوم القوات الأممية - لم تكن حركة الاتحاد الإسلامي حركة مسلحة، لكن مع كثرة الاستفزازات من قبل قوات الجنرال عديد والمحتلين الإثيوبيين، ومع عودة كثير من الشباب الصوماليين الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني وتأثروا به وأثروا في بعض قيادات الحركة بنشر الوعي الجهادي، كوسيلة لدفع صيال الأعداء من الغزاة الإثيوبيين والمفسدين وجنرالات الحروب، حملت الحركة السلاح، فكانت تقاتل الجنرال عديد في الجنوب دفاعاً عن نفسها، وفي الشمال دخلت الحركة في حروب طاحنة مع الرئيس المزعوم الديكتاتور عبد الله يوسف المدعوم من قبل إثيوبيا، وكان شباب الاتحاد قد تمكنوا من أسره مع بعض ضباطه، ولما حانت لحظة الحساب تدخل شباب قبيلته لفق أسره، وغضب الإخوة الأوجاديين الذين تواجدوا في شمال الصومال لنصرة الدين وتوحيد صفوف المسلمين، وعلى إثر ذلك التصرف، انسحبوا من حركة الاتحاد الإسلامي الأم، وأسسوا حزب الاتحاد الإسلامي الأوجاديني، وتمكن عبد الله يوسف بعدها من طرد المجاهدين من عاصمة بوت لاند بوساسوا بمساندة من قبيلته، وخسر المجاهدون المعارك في

(76) قبيلة الأوجادين قبيلة كبيرة جداً، تسكن في جنوب الصومال من كسمايو إلى بلدة كيامبوني، وتسكن في شمال شرق كينيا وكذلك أواسط وجنوب أثيوبيا.

الشمال بسبب الاختلافات القبلية، وأصبحت هناك عدة تجمعات إسلامية، في الشمال والجنوب والوسط والغرب⁽⁷⁷⁾.

وفي بدايات عام 1992م، جاء وفد إلى الخرطوم من علماء الصومال، كان على رأسهم أمير حركة الاتحاد الإسلامي الشيخ حسن طاهر أويس، والشيخ حسن تركي، وكان قد سبقهم اثنان⁽⁷⁸⁾ من القيادات الشابة المؤسسة لحركة الاتحاد، للتنسيق مع الشيخ أسامة على لقائه بمشايع الحركة. جلس هؤلاء المشايخ مع الشيخ أسامة، وتدارسوا حول الأوضاع في الصومال، واتفقوا معه على فتح معسكرات تدريب للصوماليين تحت إشراف القاعدة. وعلى الفور سارع التنظيم بإرسال طليعة أولى من الإخوة - تحركت من جيبوتي - لاستطلاع الأوضاع هناك، كان على رأسهم الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أبو مهدي العولقي (يسلم باراسين) رحمهما الله جميعاً، وآخرون. وكانت هناك طليعة أخرى من الإخوة تحركت من السودان، كان من بينهم الأخ أبو تراب الكيني، وأبو طلحة السوداني - رحمهم الله - وأبو هريرة الصومالي، وأبو يوسف الصومالي، وأبو أحمد الراجي اليمني، وآخرون، وكان ذلك في الأشهر الأولى من عام 1992م قبل وصول قوات الأمم المتحدة إلى الصومال.

وكان مجلس شورى الاتحاد الإسلامي - بعد دخول القوات الدولية الصومال بقيادة أمريكا - قد اتخذ قراراً عجيباً يقضي بعدم مواجهة القوات الغازية، ودفن أسلحتها وبيعها بحجة أنهم في المرحلة المكية مرحلة الدعوة، وكانت معظم هذه القيادات قد طلبت العلم في بلاد الحرمين، وكان من تداعيات هذا القرار أن رجع كل قيادي في الحركة إلى قبيلته واحتفى بها، ونتج عن ذلك تفكك حركة الاتحاد الإسلامي إلى مجموعات إسلامية صغيرة منتشرة هنا وهناك، وبفضل الله، كان هناك بعض من شيوخ الاتحاد، وعلى رأسهم الشيخ حسن طاهر والشيخ حسن تركي والشيخ عبد الله سهل، الغيورين على دينهم وبلدهم، رفضوا دفن أسلحتهم وآثروا مواجهة المحتلين، وبالتعاون مع رجال القاعدة كونوا جيشاً مسلحاً من آلاف الشباب الجهاديين، الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل في القيام بتنفيذ الكثير من العمليات الميدانية.

(77) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرف.

(78) أحدهم كان عبد السلام رحمه الله وهو قائد حركة الاتحاد الإسلامي الوجداني، والثاني نحتفظ بعدم ذكر اسمه لدواع أمنه.

ولدفع العدو الصائل، وتفويت الفرصة على الأمريكان لتقسيم البلد ونهب ثرواته، ومحاولة تكوين نواة لمعارضة كل المخططات الأمريكية في المنطقة، ولأهمية الصومال الاستراتيجية (من ناحية موقعه وإشرافه على باب المندب، وقربه من جزيرة العرب بؤرة الصراع في المنطقة)، قررت قيادة القاعدة انتهاز الفرصة، وذلك بجعل الصومال من أهم أولوياتها للمرحلة القادمة، بهدف استنزاف أمريكا اقتصاديًا وبشريًا ومعنويًا، واستنفرت لهذه المهمة كل جهازها العسكري، وبسرية تامة تدافعت على أعلى المستويات، كوادرات التنظيم من الإخوة العسكريين المدربين إلى الصومال، من أفغانستان والسودان لتدريب الشباب الصوماليين.

بعد أن دخل الإخوة المدربين الصومال انقسموا إلى مجموعتين، مجموعة للتدريب في منطقة الأوجادين الواقعة تحت الاحتلال الأثيوبي، ومجموعة للتدريب في الصومال لمواجهة الاحتلال الأمريكي. وكانت مجموعة الأوجادين متكونة من أبو إسلام المصري، وهو أمير المجموعة تقبله الله، أبو خالد الحبيب تقبله الله، سعدوف (خالد المقدسي) تقبله الله، عبد الصبور المصري تقبله الله، وهارون فضل القمري تقبله الله وآخرون. أما مجموعة الصومال، فكان المسئول عنها الأخ خالد الفوز - فك الله أسره - وتضم كل من الأخ عبد الوكيل المصري تقبله الله، الأخ محمد عودة فك الله أسره، الأخ شعيب المصري (السعدي) تقبله الله، والأخ أبو الحسن الصعيدي تقبله الله، وآخرون⁽⁷⁹⁾.

وكان من أصعب ما واجهه الإخوة في الصومال وشرق أفريقيا، هو السفر إلى الأوجادين في ظل أوضاع شديدة الصعوبة، بينت لنا مدى الصبر والعزيمة، والروح المعنوية الإيمانية العالية التي تحلى بها أولئك الإخوة، ونفسح المجال هنا لهارون فضل، ليحدثنا عن مذكراته عن تلك الصعوبات التي واجهوها أثناء سفرهم إلى هناك، يقول هارون فضل:

"السفر إلى جبال الأوجادين في أوضاع غير آمنة، وبدون أن نكون على علم بالمنطقة، كانت تشكل تحديًا واضحًا لنا، وهذا من أصعب ما واجهنا في عملنا في شرق أفريقيا. ففي أول يوم من رمضان تحركنا بشاحنة وعددنا ثمانية مدربين عرب، وكان العدد الإجمالي للمجاهدين في هذه الرحلة أكثر من ستين فرد، وتحركنا إلى منطقة الحدود، وكانت نقطة التجمع تبعد 70 كم عن

(79) الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرف.

مدينة لوق، وبدأنا نربط أمتعتنا على ظهور الجمال، واكتفى كل واحد منا بسلاحه الشخصي والرمزية والجعبة التي تحتوي على ثلاثة مخازن وقنبلتين، ولم يتمكن الشيخ عبد الله سهل من السفر معنا لكبر سنه، وتوكلنا على الله وبدأنا الرحلة المجهولة. صدقني يا أخي، أصعب شيء أن تتجه إلى منطقة ليس لك أدنى فكرة عنها، كل ما كنا نعرفه أننا نريد الوصول إلى قلب الأوجادين، والمسافة تقدر ب 500 كم، واضطررنا طبعًا إلى الافطار أثناء السفر، وكانت رحلة طويلة وشاقة وموفقة، والحمد لله تعلمنا فيها الكثير والكثير، بالذات الصبر والتحمل والتعرف على الآخرين.

وكان لدى الشباب الصومالي انطباع خاطئ عنا لكوننا غرباء، فقد ظنوا أننا لن نصمد يوم واحد، لأننا لسنا بدو وهم نشأوا في البادية، فبعضهم يمشى 1000 كم في أسبوعين فقط، والسر في ذلك أنهم رعاة مواشي يتجولون ولا يسكنون في منطقة واحدة، ولكننا أثبتنا لهم أننا كوادر، وكنا نعلم ما سنواجهه من المتاعب في هذه الرحلة الشاقة، ولأسباب أمنية، طوّلنا المسافة لذلك تأخرنا في الوصول، فقد اضطررنا إلى عمل لفات طويلة، وترك الطريق المألوف لتجنب الوقوع في كمائن القوات التيجراوية. وفي العشرة الأولى من رمضان كنا نمشي طوال النهار، فإذا زالت الشمس وضعنا أغراضنا واسترحنا، وكان الطعام الأساسي هو حليب النوق، وكنا ننحر الجمال في بعض الأحيان أو نذبح الأغنام، لم نكن نملك غير اللبن واللحم، وأصعب شيء واجهنا في السفر كان نقص المياه، في بعض الأحيان كنا نمشي اليوم كله بسبب أن المنطقة خالية من المياه.

وكان معنا أكثر من دليل يتناوبون فيما بينهم، حسب المنطقة، وأيضًا حملنا معنا خرائط تساعدنا على معرفة الآبار، ولكن الطبيعة غير الواقع فقد كانت الخرائط قديمة، فبعض الأحيان كنا نصل إلى البئر لنجده قد اختفى تمامًا ولا أثر له، وهكذا كنا نتحرك بعد صلاة الفجر مباشرة ولا نستريح إلا مع صلاة الظهر، ويمكن القول إننا كنا نقطع 40 كم في اليوم الواحد، وأحيانًا أقل من ذلك حسب ظروف المنطقة أهى صحراوية، أم غابات استوائية من السافانا، أم هي من غابات الشوك المنتشرة في شرق أفريقيا؟ كنا نمشي ولا نقابل أي إنسان، والغريب هي تلك الخطوط الطويلة التي لا نهاية لها، وهي خطوط جيولوجيا مستقيمة بشكل منظم وتتجه شمالًا، وهذه الخطوط رسمت من قبل شركات غربية أثناء بحثها عن المعادن في الأراضي الصومالية. وأحيانًا نفاجأ بأعرابي يمشى لوحده، وليس معه سوى خنجره وبراد الشاي أو الحليب، وكنا نستغرب من هؤلاء،

فالمنطقة كلها خطيرة، فهي غابات للحيوانات المتوحشة، ولم نكن ننام الليل حتى نشعل النيران لطرد الأسود والفهود والنمور والذئاب التي كانت تتعقبنا في كل الرحلة.

كانت الرحلة سياحية ولكن من الدرجة الأولى، وصدق رسول الله ﷺ: "سياحة أمتي الجهاد". أما متعة الرحلة فكانت في الصيد، وكنت أتولى الصيد بسبب أنني قناص، فأصيد الغزلان التي تملأ الغابات، فهي ثروة لا تقدر بثمن فقد كانت كثيرة جدًا. وكان الأخ سيف الإسلام وهو الأمير، قد أعطاني الإذن الكامل في الحركة، فلازمت الشباب في المقدمة، وهم المفزة الاستطلاعية والعيون العارفين بالمنطقة، فكنا نصل إلى الآبار ب 15 دقيقة قبل وصول بقية المجموعة. وفور وصولنا لأي نقطة استراحة يتم استطلاعها بسرعة، وأخذ أحسن المواقع الدفاعية وتجهيز الحراسات، وكنا نتناوب في عملية تأمين المجموعة، لأن هدفنا الرئيسي الوصول إلى قلب الأوجادين، وليس الاشتباك مع القوات التيجراوية، وهكذا كنا حذرين جدًا، وأحيانًا كنا نجلس يومين في نقطة واحدة لا نتحرك بسبب تواجد دوريات عسكرية، وكنا ننتظر الإشارات من العيون لنتحرك من جديد. أما في الأيام الأخيرة من الرحلة، فكنا نستيقظ في منتصف الليل ونبدأ بالسير إلى الفجر، ثم نكمّن ونستريح في النهار، وبعد العشاء نبدأ بالسير من جديد لتفادي عيون الأعداء، فكلما اقتربنا من العمق، كلما كثر التواجد الحكومي.

وكان أمير المجموعة الصومالية هو الأخ عبد الواحد، وهو ضابط استطلاع سابق في الجيش الصومالي، ويعرف المنطقة حق المعرفة، كنا نستخدم البوصلات والخرائط في التحرك، أما هو وباقي المرشدين فقد استخدموا الأشجار والعلامات الطبيعية في الحركة. أما خالد الحبيب وسليمان (سعدوف)، فقد وجدا بعض الصعوبات في الحركة في الليالي الغير مقمرة، لأنهما يضعان نظارات طبية. وفي العموم لم نجد صعوبات أمنية أثناء السفر، أما المشاكل الأخرى مثل فقدان الماء ومرض بعض الشباب وانقطاع الحليب والسكر منا، كانت كلها تتكرر من فترة لفترة. وللعلم فإن الشاي أهم شيء عند الرجل الصومالي المسافر، ولا يهتمه غير الشاي والسكر فقط، فممكن أن ينقطع عنا كل شيء، ولكن الشاي والسكر سوف نتمكن من شراءها من أي مقهى، وإن كانت تحت جذع شجرة.

وحتى نتجنب ضربة الشمس والجفاف، كنا نضع السكر في الماء ونستخدمه عند الحاجة، ولم يكن حظنا جيدًا في كل الأوقات، فأحيانًا نجد مياه حالية نظيفة، فنشرب ونغتسل ونغسل الجراكن

التي معنا، وأحياناً كنا نجد مياه شبه مالحة، أو كبريتية سوداء تفوح منها رائحة كريهة، ولكن ليس لدينا خيار فكنا نشربها، ونطبخ بها لتجنب الموت في الصحراء، وكنا نزاحم القروء في المياه، حيث نشرب من نفس العين أو المستنقع المستخدم من قبل القروء والسباع. أما الأسود والوحوش فقد رافقتنا طوال السفر، فكنا نجد آثار الفيلة، ونسمع أصوات الأسود وهي تقترب، وكذلك الذئاب الشرسة، ولم نكن نبالي بها لأن كل واحد منا في مهمته، فالحيوانات لها مهمتها في التواجد ونحن كذلك، وهن من مخلوقات الله ونحن كذلك، ولم تكن هذه الحيوانات لتؤدي المجاهدين أبداً.

ومر علينا يوم من أصعب الأيام في السفر كله، وسمي بيوم عبد الصبور الصعيدي (أبو صهيب). كنا قد تحركنا من بعد صلاة الفجر، على أمل أن نجد المياه في الموعد المحدد وهي الساعة العاشرة صباحاً، ولكننا عندما وصلنا في الوادي لم نتمكن من إيجاد العين، فقد اختفى بسبب السيول ووجدنا الوادي جاف تماماً.

وكان من عادتنا إذا اقتربنا من الآبار أن نشرب ما عندنا من الاحتياط في الزمزميات، وبعد أن شربنا تبين لنا أنه لا أثر للماء في المنطقة، وهكذا لم نزل الأغراض من على الجمال، بل تقدمنا للأمام على أمل أن نجد بئر آخر قريب، وزالت الشمس، وبدأنا نشعر بالضعف والتعب، فقد كنا في صحراء قاحلة لا يوجد فيها أي أثر للحياة، ولم نكن نملك سوى مياه العلاج (الجلوكوز)، وبعض المياه على الجمال، واستمرينا في الرحلة حتى غربت الشمس عنا ولم نصل إلى أي بئر، ولم نجد أي أثر للماء، وبدأنا ننكت على بعضنا ونصبر أنفسنا بأحلام وقصص من الخيال، وكما تعلمون، فإن الشباب المصري يجيد الفكاهة، ولا تفوته الفرص حتى في الشدائد، فبدأوا ينكتون.

وكان معنا أخ دليل اسمه علي، فكلما سئل عن البئر يجيب بكلمة "أفر ساعة" يعني بعد أربعة ساعات، ويشير بأصبع السبابة للأمام، ليجعلك تصدق أن البئر قريب جداً، وهكذا كنا نفرح لأننا في خلال أربع ساعات سنجد الماء، ولكن من الصباح إلى بعد صلاة العشاء ونحن نمشي، لا أربع ساعات ولا أي منطقة قريبة، فكنا نضحك كثيراً وننكت، والشباب يسألونه "يا علي أين البئر؟"، ثم يجيبون أنفسهم على السؤال "أفر ساعة"، وفعلاً لقد تعبنا ذلك اليوم ولكن كان يوم النكت.

وكننت أستغرب كيف استطاع صحابة محمد ﷺ، قطع الصحراء إلى المدينة المنورة في أحلك الظروف، وهذا الأخ الصومالي سمي بعد الرحلة "علي أفر ساعة"، وقد استشهد رحمه الله وتقبله

من الشهداء آمين. وبعد الساعة التاسعة ليلاً، وأثناء السير في الظلام، وبلا وجود أثر للماء، وفجأة وقع الأخ عبد الصبور الصعيدي، وهكذا سمي بيوم عبد الصبور، ولا أخفي أننا حزناً لوقوعه، ولكننا في نفس الوقت وجدنا سبباً للاستراحة، فقد كنا منهكين، ولم نكن مستعدين للمشي من جديد، وهكذا تمت الاستراحة وبدون فك الجمال، وأذكر بأن الدكتور حمدي (أبو عبيدة المصري)، أحضر لنا جالوناً كان يحوي ثلاث لترات من الماء، وتخيل يا أخي كيف شربناه، أولاً يأخذ أحدها نفس عميق وعميق جداً، ثم نشرب قليل من الماء قدر غطاء الجالون فقط، تخيل ذلك يا أخي، وكنا نتذكر صحابة رسول الله ﷺ أثناء رحلة تبوك، وكذلك الرسول ﷺ أثناء هجرته، فليس هناك جهاد بدون جهد وتعب.

نمنا قليلاً ثم بدأنا بالرحلة في الساعة الثالثة صباحاً قبل الفجر بفترة، وسرنا إلى أن دخل وقت صلاة الفجر، وأثناء الاستراحة والتجهيز للصلاة، غفوت وشعرت بالنعاس، وفي هذه اللحظات القصيرة العجيبة أكرمني الله، فقد رأيت في المنام وجوهاً طيبة تقدم لي مياه كثيرة، وأخذت منهم وبدأت أشرب حتى رويت، ثم فقت من نومي لأجد بطني ممتلئة فعلاً وذهب عني الظمأ، ولم أخبر أحد بما رأيته إلا الأخ الأمير، فقد استبشر كثيراً وأخبرني بأنه رزق سيق إليّ، وقمت نشيطاً، وبعد الصلاة تحركنا إلى البئر المزعوم، وقال لنا الأخ علي كعادته أنه بعد أربع ساعات سنكون هناك، واستبشرنا واجتهدنا في السير.

وفي الساعة العاشرة تمامًا، كنا قد وصلنا إلى الوادي الجديد، وبدأنا نبحث عن أي أثر للعين والبئر الجديد، والحمد لله فقد وجدنا عين واحدة فقط، وبالكاد أن نخرج منه قدر كأس من الماء كل بضع دقائق، واستبشرنا ونظفنا البئر، ووضعنا راحلتنا ونحرنّا جملاً لإرجاع بعض السوائل، وتمكنّا من الاستراحة ليوم واحد، حيث نمنا هناك إلى اليوم الثاني، وكان يومًا مشهود، ولم نكن متعودين على أكل لحوم الإبل، ولكن الطبيعة والظروف علمتنا كل شيء، والعجيب أن الصوماليين يفضلون أكل لحومها وهي نصف ناضجة، وكنا نجد صعوبة في المضغ، ويكثر هنا التنكيت من قبل الشباب، فأخونا عبد السلام الراجي، كان ينكّت مع المصريين، ويقول لهم " أعطني قليلاً لأؤكد هل جاهزة أم لا؟ " يقصد قطعة اللحم، وكنا نموت من الضحك، فهو لا يريد أن يتأكد بل يريد أكلها.

أثناء الرحلة، لم نر سوى قريتين فقط، وهي عبارة عن عشش من القش، ولا أثر لأي تمدن البتّة. كانت القرية الأولى تسمى قرية الملح، فهي في وادي الملح " غود عسبو"، فلما وصلنا للوادي لأول مرة فرحنا جدًّا، لأن المياه جذبتنا بقوة جريانها وبياضها، ثم تبين لنا أنها مالحة أشد من البحر، وسبحان خالق السماوات والأرض، فمن المعروف أن الأوجادين لا بحر فيها، ولكن الله يفعل ما يشاء، وسط الصحراء مياه مالحة تجري كالأنهار، إنه من معجزات الله في الخلق، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾. أما أصحاب الوادي فيستغلونه لتصنيع الملح. وعندما اقتربنا من القرية، كانت هناك سيارة لاند روفر للجيش، ولما سمعوا بقدمونا هربت من القرية، لأن البدو كانوا ينقلون الأخبار بسرعة البرق، وهم في نقل الأخبار أسرع من الأنترنت. أما القرية الثانية فهي قرية " أباقرو" التي تحاذي وادي شبيلي، وهو من أشهر الأنهار في الصومال، والقرية الصغيرة تقع بين مدينة إيمي وعاصمة الأوجادين عُودي.

وكان من الواجب أن نقطع النهر في الأوقات التي تنخفض فيها المياه، وعندما وصلنا القرية تمكنت من دخولها لوحدي دون الشباب العرب، بسبب بشرتي وقرني للون الصومالي، واشترينا من سوقها بعض السكر والمكرونات، وهي الطعام الأساسي للصوماليين، وبعض الخضروات مثل البندورة الصغيرة، واشتريت بسكويت أبو ولد اليمني، وكنت أشعر بأني دخلت إلى متجر خمسة نجوم، رغم أن السوق عبارة عن عشش، ولا يوجد في السوق شيء سوى ما ذكرت، واشترينا من ضفة النهر بعض السمك الحلو، وعبرنا عن طريق جبل قوي مربوط بشجرة من كلا طرفي النهر، لأن التيار قوي جدًّا، ولم يكن الجيش التيجراوي متواجد في القرية، فهم يتمركزون في المدن فقط، ولديهم دوريات منتظمة، وتبعد قرية أباقرو 90 كم عن المعسكر المجهول في منطقة كَارِيشِيغوت. وبعد يومين وصلنا إلى المعسكر، وكانت قد مرت علينا أربع وعشرين يومًا من رمضان المبارك.

وبما أن البرنامج الرئيسي لتواجد القاعدة في الصومال كان التدريب، فسوف نقف هنا بشيء من الإسهاب - بتصرف طفيف - من كتاب هارون فضل، على تفاصيل البرنامج التدريبي، لنرى كيف قام شباب القاعدة بواجبهم على أكمل وجه، في ظروف بالغة التعقيد والصعوبة، وخرجوا في نهاية المطاف رجالًا واصلوا المسيرة، وتصدّوا وما زالوا يتصدّون بكل شموخ لكل المطامع والمخططات الإثيوبية، والإمبريالية الأمريكية في المنطقة.

شُيِّدَ المعسكر في منطقة تسمى "كاريشيغوت"، أي الكهف الجبلي بالصومالية، وكان المجموع الكامل للمتدربين أكثر من 300 شخص، 150 منهم يتدربون و150 الآخر يقومون بالحراسة على قمم الجبال، وتم توزيع الشباب إلى مجموعات حسب أعمارهم على ستة مدربين هم، الدكتور حمدي، عبد الصبور، خالد الحبيب، سليمان (سعدوف)، عبد السلام اليمني، وبقي الأمير ونائبه بدون مجموعات للتنظيم والإدارة. سُمِّيت المجاميع بأسماء الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، فكانت هناك مجموعة أبوبكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين.

قُسِّمَت الدورة التدريبية إلى مرحلتين: مرحلة أولى تأسيسية، يتدرب فيها الشباب على مختلف المهارات بشكل تأسيسي ومدتها 45 يومًا، ثم بعد ذلك تليها مرحلة التخصصات لمدة 15 يومًا، وبعدها يتم توزيع الشباب على تخصصاتهم، ثم تشكل الفصائل المقاتلة.

بدايةً كانت التدريبات شاقة في مراحلها الأولى، لأن كل شيء كان جديدًا لدى الشباب، وكانت هناك صعوبة في الترجمة، لذلك خصص لكل مجموعة أخ مترجم، وسُلِّمَ لكل متدرب دفتر وقلم، وكان التدريس يتم في عيش، ولم يكن هناك أي سبورات، وكان الوضع أشبه بالجنون، فقد كان بعض المتدربين أميًا لم يمكسك قلمًا في حياته، ويحتاجون إلى وقت أطول لإيصال المعلومة، لذلك في آنٍ واحد، عمل الإخوة المدرِّبين كمدرِّبين عسكريين، ومدرسين عاديين يساعدون في محور الأمية. وكان هناك ملفًا دراسيًا لكل أخ لتقييم المستويات في كل المواد وهي: الأسلحة الخفيفة، المتفجرات، البيكا والأيش كي، الأربي جي، والرياضة والانضباط - لأنها مادة مهمة في المرحلة التأسيسية - وكذلك التقييم الشرعي والأخلاقي لكل شاب.

وبعد الانتهاء من المرحلة التأسيسية، كان الشباب يستريحون ليومين، يتم خلالها فرز التقارير الخاصة بالشباب، ثم توزيعهم على التخصصات حسب قدراتهم كما هو مبين في الملف الشخصي لكل متدرب. وكانت الدورة التخصصية تشمل الأسلحة الخفيفة، القناصة، والأربي جي، الرشاشات الثقيلة، المتفجرات والهندسة العسكرية، الاسعافات الأولية، الهاون الطبوغرافيا والاستطلاع.

وكانت المرحلة الثانية بالتدريبات التخصصية تبدأ بالرياضة الشاقة المركزة، وبعد الفطور يتم عمل الجمع العسكري الكبير والتأكد من المجموعات، وبعد أخذ التمام تنتقل كل مجموعة مع

مدرّبها إلى ساحة التدريب، حيث يقوم المدرّب بتعليم الشباب كل شيء يخص السلاح المراد التخصص عليه، وذلك لإعطائهم الثقة أثناء المواجهة والاعتماد على أنفسهم.

ومثالاً لهذه الجهود المباركة، يتحدث الأخ هارون فضل عن جهوده في التدريب فقال:

"تم عمل كل ما في المستطاع من جعل الدورة الأولى نموذجاً طيّاً وناجحاً لمستقبل الحركة الإسلامية في اثيوپيا، أما أنا فكان عليّ تدريب 12 شاباً على تخصصين، القناصة والمضادات للمدركات (الآر بي جي 7 و2)، وكنت أوزع أوقاتي بين المجموعتين في الصباح والمساء، وطلّورت منهج التدريب المخصّص للقناص لتشمل 4 أسلحة رئيسية، هي القناصة الروسية المشهورة الدراكانوف، والسلاح الألماني الفعال الجي 3، وكذلك السلاح الروسي ذوي السبطانة الطويلة السيمينوف، والأف إن فال البلجيكي، والسبب هو أننا لا نمتلك غير هذه الأسلحة، وكان من واجبي أن أتعامل مع الواقع حيث لم نملك مناظر.

وكان برنامج التدريب عال جدّاً، فقد علمتهم النظري أولاً، بدءاً من الفك والتركيب الكامل، بما فيه مجموعات الزناد الحساسة، وأخيراً يتم تعصيب العينين، ثم الفك والتركيب بسرعة، ومعرفة عيوب السلاح وكيفية التصليح، والتأكد من أن كل الشباب الستّة قد تمكنوا من فهم الحركة الميكانيكية للأسلحة، والعيوب والمميزات وكيفية تصليح السلاح، وبعد ذلك نبدأ بالتدريبات العملية التي تركز على حساب المسافات بالطرق التقليدية، وكيفية اختيار المواقع في المدن والغابات والمناطق المفتوحة والجبال، والتعامل مع المنظار بالنظري، وكيفية معرفة الشخصيات المهمة بالرتب العسكرية، وكيفية التمويه بحيث لا يُكشف القناص، وتحمّل الظروف الطبيعة والأجواء سواء في منطقة صحراوية أو غابية أو ثلجية، كيف يمويه نفسه حسب المنطقة، واللون المختار للتمويه، ثم بعد ذلك يتم ركّلة سلاح القناص، وبعد ذلك نبدأ بالرمايات المكثفة على عدة مسافات، بدءاً من 20 متر إلى أن تصل إلى 400 متر بدون منظار، وقد تمكّننا أيضاً من دراسة انحراف كل عين قناص، والتأكد من أنه يعلم انحرافه، وكيف يتعامل مع هذا الانحراف، وأيضاً تتم الرماية بالأوضاع كلها، واقفاً وجالساً ومنبطحاً، وفي كل الأحوال يجب أن يسند القناص سلاحه ويربط يده بسلاحه، ويركّز في انتظار ظهور الهدف، ويتم تعليمه كيف يصبر وينتظر لساعات طويلة حتى يظهر الهدف.

وكذلك تم تعليم الشباب كيفية التعامل مع الأهداف المتحركة، وقياس مسافة السبق، والتعامل مع الأهداف العالية والمنخفضة بقياس درجات الحرارة والرياح، وتمكننا أيضاً من تدريب القناصين على كيفية التعامل مع الأهداف أثناء الليل، وكنت أحتفظ بنتائج رمايات الإخوة بمختلف المسافات. والشيء المميز أن القناص سوف يتخرج بسلاحه ولن يتركه أبداً، حيث يصبح سلاح التدريب هو سلاحه الشخصي وهذا أمر مهم، لأنهم قد حفظوا كل تفاصيل أسلحتهم.

أما الشيء الممتع في تخصصات القناصة هو الصيد، فقد ابتكرنا مشاريع حقيقية، حيث يتعامل القناص مع أهداف حية وبزمن محدد، وكنت أكلف الشباب بإحضار الغزلان للمعسكر في مدة محددة وبرصاصة واحدة فقط، ويعاقب كل قناص عندما يرمي ولا يصيب، فكان بعضهم يرجع فارغ اليدين، ولكن معافى من العقاب.

وقبل انتهاء الدورة بيوم، نعمل مشروع حقيقي لكل قناص، ويتركز الامتحان على كيفية اختيار المواقع والتمويه، والتأكد من الهدف، والصبر في الانتظار، والرماية على بعد أكثر من 300 متر بدون منظار. وكان المشروع كالاتي: أجمع شباب القناصة وأريهم الأهداف، ثم أكتب على كل شاخص اسم قناص، ويكون الشاخص كامل طبعاً، ويجب إصابة الهدف في الأماكن القتالة مثل الرأس أو الصدر، أو القلب أو الرقبة، أعني أنه يجب أن تكون الإصابة قاتلة. ولكل قناص ثلاث طلقات فقط، وعندما يبدأ التمرين يختفي كل قناص بمفرده، ويختار موقعه ويحصنه ويمويه نفسه وينظف سلاحه، وينتظر ظهور الشاخص الخاص به، ويتم إنزال الشاخص بعد 5 دقائق فقط من ظهوره. وكانت التمرينات تبدأ في الصباح وتنتهي في الليل حيث الرمايات الليلية، وبعد ذلك يتم تكليفهم بالمشاريع الحقيقية في صيد الغزلان، لازدياد ثقتهم ولتتمكنوا من معرفة أسلحتهم أكثر فأكثر.

أما شباب الآر بي جي؛ فقد كانت التدريبات النظرية مهمة جداً ليتمكنوا من معرفة كيفية ضبط وركلجة المنظار مع القاذف، وحساب مسافة السبق، والتمكن من معرفة أسرار منظار الأربي جي في قياس المسافات، وأيضاً كنا نركز على نقاط ضعف الدبابات، ونجحنا في التدريبات النظرية حيث الفك والتركيب للقاذف (مجموعة الزناد) والقذيفة، بدءاً من الحشوة الدافعة، إلى الصاعق المتفجر الموجود في مقدمة الصاروخ، وتمكننا من تفهيم الشباب نظرية قذيفة الأربي جي المعقدة، وكيف تنفجر القذيفة إذا اصطدمت بالهدف، وكيف تنفجر في الهواء عند عدم الاصطدام. وهناك

تعقيدات حيث الصاعق الأول والصاعق الثاني والصاعق التأخيري، وما إلى ذلك من ألغاز سلاح الآر بي جي 7، بعد ذلك يتم دراسة المنظار، وقياس مسافات السبق، وتحديد مسافة الهدف.

وبعد الانتهاء من التدريبات النظرية في الكتب، تنتقل إلى ساحات الرماية، حيث نركز على التمارين البدنية، وحمل السلاح، والتنقل والركض به، وكيفية التنسيق مع سلاح الاسناد البيكا والأيش كي، وكيف يتمكن الرامي من اسناد مجموعة الاقتحام، والتعامل مع الفرد المساعد له. وبما أننا لا نملك الكثير، فكنّا نصنع أشكالاً لمباني أو لدبابات بالخشب، ثم نزينها بالشوالات ل يتمكن الرامي من رؤية الهدف من بعيد، وبعد كل هذه المجهودات البدنية المستمرة تتم الرماية على الأهداف، ويخصص لكل أخ قذيفتين.

وبعد اسبوعين إلى ثلاثة أسابيع من التدريبات التخصصية، نجتمع في الإدارة من جديد لعملية الفرز حسب التخصص، ويتم تشكيل الفصيلة، وتمكّنّا في الدورة الأولى من تشكيل ثلاث فصائل دعم، ويوجد في كل فصيلة 30 شاب كوماندوز متخصص في الأسلحة الخفيفة، وهم المشاة، وخبيرين في الهندسة العسكرية والمتفجرات، وممرضان للفصيلة، واثنين من القناصة، وأخوين في الاستطلاع والطبوغرافيا، وقائد الفصيلة ونائبه، وأخوين للرشاش الثقيل حيث الاسناد، وأخوين في سلاح المضادات للدروع (الآر بي جي)، وهناك أخ للاتصالات، وهكذا يكون المجموع الكامل للفصيلة المدعمة 45 أخ، ويسحب في كل دورة أخ متخصص لكي يصبح مدرب، فمثلاً بالنسبة لتخصص القناصة والآر بي جي، أخرجنا شاباً ليكون مدرباً في هذا المجال، وكذلك هناك مدرّبين في الأسلحة الخفيفة، وكذلك البيكا والهاون والمتفجرات، فبعد التخصصات والعمل الجماعي، أصبح لدينا أيضاً ستّة مدرّبين جدد من الصوماليين.

أما التدريبات التجميعية، فكان الذي يتولّى أمرها هو الأمير سيف الإسلام ونائبه الأخ أبو قتيبة، ونقوم نحن بمباشرة العمليات التكتيكية الميدانية، مثل الكمائن والغارات والانسحابات والتسلّلات، ويتدرب كل قائد فصيلة على مهمته، ويركز على إعطاء الأوامر، وكيفية دراسة الخرائط والمعلومات التي أرسلت إليه من قبل الاستطلاع، والتعامل مع أمراء المجموعات، حيث كل مجموعة فيها عشرة أفراد من المشاة، وكيف يتم استخدام سلاح الدعم، إن كان متفجرات أو اسعافات أو اسناد بالهاون أو بالبيكا أثناء المعارك، ومتى يستخدم الآر بي جي والقناصة، وتستغرق هذه المناورات العسكرية فترة عشرة أيام تقريباً، حتى نتأكد من انسجام الفصيلة مع

بعضها وقبول أمر الواقع، ويتدربون على المهارات والتكتيكات، وكيفية التنسيق بين الفصائل الثلاث.

والحمد لله تخرجت السرية الأولى من شباب الأوجادين مكونة من ثلاث فصائل مدعمة، وقائد السرية ونائبه، وقد تمكن الأخ سيف بحكمته من مراعاة الناحية القبلية في اختيار قادة الفصائل والسرايا، فكما نعلم فإن القبيلة في الصومال تلعب دور رئيسي، والموضوع شديد الحساسية، ولا مانع شرعي في تقسيم المجموعات على رايات قبليّة، فقد رأينا في كل غزوات النبي ﷺ، أن الرايات كانت تخصص لقبائل معينة، وهكذا كان قادة السرايا من الأوجاديين، وبعض قادة الفصائل من شباب مقديشو من قبيلة عديد.

وبعد عيد الأضحى المبارك تم عمل حفل التخرج، وقد انتشر الخبر في أنحاء المدن الأوجادينية، من عاصمتها غودي إلى إيمي إلى جيجيكا ودقحور ودير داوا، وقد تحركت هذه السرية في مهامها الجديدة، وهي قتال القوات التيجراوية، وكنا نسمع بأخبارها السارة، فكانت المعارك تدور بشكل جيد، ودُحرت تلك القوات من بعض القرى بفعل الغارات المباغطة والكمائن، وكان لرجال الهندسة العسكرية والقناصة بطولات كثيرة، فهم الذين يبدئون المعارك بقتل سائقي الشاحنات المحملة بالمدافع، إما بالقنص أو بتفجيرها عن بعد، ثم بعد ذلك تتم مهاجمة القافلة، وكنا نجد أخبارهم أول بأول عبر اللاسلكي، بعد ذلك تم استدعاء السرية للمعسكر لحراستنا، حيث ستبدأ الدورة الثانية.

واصل الإخوة برنامج التدريب بوجود المدربين الجدد، فتم توزيع المجموعات الجديدة وبدأت الدورة الثانية، ومن بعدها الثالثة وكان الهدف الأساسي في هذه الفترة، هو تخريج كتيبة أوجادينية مدعمة، تستطيع أن تواصل النضال والجهد لفترة طويلة، وكذلك تخريج 18 مدرباً صومالياً، وقد فرح الشيخ أبو حفص بالنتائج الأولية، ولم يتوقع أن يرى ما أنجز في خلال ثلاثة أشهر.

أما بالنسبة لخلية التدريب الثانية داخل الصومال، فكان الاتحاد الإسلامي قد وافق على فتح معسكر للتدريب في عارمو بالقرب من لوق، لكن قيادة الاتحاد اختلفت مع الشباب، بخصوص قتال القوات الأجنبية، ولما أراد الأخ حمد (خالد الفوزان) أن ينفرد بالشباب المتدربين، لجأت قيادة الاتحاد إلى سحبهم من المعسكر، ولما جاء الأخ سيف العدل وحل مكان حمد، ازدادت الأمور سوءاً وأصبح هناك سوء تفاهم، فقد شعر الصوماليون أن الإخوة العرب يريدوا التدخل في قراراتهم

وهذا ما لم يتقبلوه، وازدادت الخلافات بينهم، واضطر الشيخ أبو حفص إلى التدخل لفض النزاع، فتم الاتفاق على إقامة دورة عسكرية لإخراج سرية صومالية و6 مدربين جدد، وألا يتدخل الشباب في اتخاذ أي قرار بشأن مهاجمة القوات الأجنبية البعيدة.

وبدأت مرحلة جديدة من العلاقات، وتحرك المدربين فوراً إلى المعسكر، واشترك في العمل كل من أبو محمد المصري، وأبو عمير الباكستاني، وأمير الفتح وأبو عبيدة الموريتاني، وأبو الحسن الصعيدي، وأخ بحريني، بالإضافة إلى بعض من كان في خلية الأوجادين، الذين كانوا قد غادروا بعد اكتمال الدورة الثانية وهم، سيف الإسلام، والدكتور حمدي، وهارون فضل، وسليمان، وخالد الحبيب، وأبو قتيبة، وتمت الدورة بنفس خطة الأوجادين، فقد تمكنوا في خلال شهرين من تخريج السرية وستة مدربين متمرسين.

وكانت هناك ترتيبات لمواجهة الأمريكان مع شباب الاتحاد الاسلامي فرع مقديشو بزعامة الشيخ حسن طاهر أويس، والشيخ عبد الله سهل رحمه الله، وترتيبات مع الأوجاديين من منطقة جنوب الصومال بزعامة الشيخ حسن تركي، وكانت هناك خلية سرية للعمل داخل مقديشو بقيادة الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر المتخصص في المتفجرات، وكان معه الاخ أبو الحسن الصعيدي وآخرون، ثم قرر الشيخ أبو حفص ارسال الأخ أبو محمد المصري ليكون مسؤولاً عن خلية مقديشو، فقد كانت هي خط النار الأول في الصومال، كذلك طلب الشيخ أبو حفص من الأخ هارون فضل اللحاق بأبي محمد للعمل بخلية مقديشو.



الشيخ عبد الله أحمد سهل
رحمه الله



الشيخ حسن تركي
رحمه الله



الشيخ حسن طاهر أويس
حفظه الله

وكانت هناك مجموعات سرّية من الصوماليين تابعة للشيخ عبد الله سهل، موزعة داخل مقديشو تعمل في عدة ميادين، وهي التي تتعامل مع العبوات المزروعة في الشوارع. ولما كان هارون فضل أشبه بالصوماليين، كانت مهمته الجديدة هي النزول في شوارع مقديشو لجمع المعلومات، وبالفعل استطاع الأخ هارون فضل رحمه الله، جمع كم هائل من المعلومات عن تجمعات القوات الأمريكية في مطار مقديشو، وكذلك تصوير تجمعاتهم الكبيرة في الثكنات أثناء الاستراحة، وأوقات تناول الطعام داخل الميناء، وكان ذلك يتم بالتعاون مع طرف ثاني، كان بحكم عمله كنائب مدير لإحدى الشركات، يستطيع دخول الميناء والتغلغل وسط الأمريكان. كذلك عمل هارون فضل رحمه الله مسجًا ميدانيًا لفندق صحافي عالمية، الموجود في الكيلومتر أفر، والذي كان ينزل فيه الجنرالات الأمريكان، وعناصر السي آي أيه، وصحفيين من الدول الغربية.

كان الهدف الرئيسي من العمليات العسكرية في الصومال، هو التركيز على ضرب الأمريكان وآلياتهم دون غيرهم من قوات التحالف الأخرى، وعن هذا الأمر يقول هارون فضل في كتابه الحرب على الإسلام:

"والله إن القوافل الدولية، كانت تتحرك وفيها قوات آل سعود في الأمام لحماية القافلة الأمريكية، ومن وراءها الكويتية أو الإماراتية، وفي الوسط تحتبئ القوات الأمريكية، ولكن كان الموت دائمًا برفقتهم، لم نكن نستخدم السيارات المفخخة طبعًا، كانت هناك التفجيرات عن بعد، أو زرع العبوات في الطرق التي تستخدمها القوات الأمريكية فقط، وكان الشعب الصومالي الذي لم يكن يعلم هذه الأساليب، يستغرب ويقول: "لماذا الأمريكان دون غيرهم، والله هذا غضب من الله عليهم". ١. هـ

ولعل من أبرز العمليات التي قام بتنفيذها المجاهدون الصوماليون بالتعاون مع إخوانهم في القاعدة، ما عرف بعملية الميناء، التي قتل فيها 18 جنديًا أمريكيًا، كذلك أسقطت قوات الجنرال عيديد طائرتين هيلوكوبتر (بلاك هوك)، إثر محاولة فاشلة حاولت فيها القوات الأمريكية أسر الجنرال عيديد، وقتل في العملية أحد الطيارين، وسحل في شوارع مقديشو، بينما أُسر آخر.



عملية سحل الطيار الأمريكي في
شوارع مقديشو



الطيار الأسير

وكانت هذه العمليات سبباً مباشراً في أن يدرك الأمريكيان سريعاً أنهم قد دخلوا مستنقاعاً مشابهاً لدخول الروس في أفغانستان، فهم يواجهون شعباً بأكمله وليس جنرالات حروب كما كانوا يدّعون، لذلك ما أن بلغت خسائرهم الثمانون قتيلاً حتى اتخذ الرئيس الأمريكي كلنتون في 1994/3/31م، قراراً بانسحاب القوات الأمريكية، وكان ذلك القرار بمثابة إعلان بهزيمة أمريكا في الصومال.

ولم يغادر الإخوة الصومال، حتى خلفوا وراءهم رجالاً من أبناء الصومال، شامخين شيوخ الجبال أمام المطاعم والمخططات الإمبريالية في المنطقة. وفي إحدى خطبه في شأن الصومال، قال الشيخ أسامة - رحمه الله - متحدثاً عن قتال القوى العظمى:

"بعد حرب الخليج الثانية، أدخلت أميركا جيوشها إلى الصومال وقتلوا 13 ألفاً من أبناء المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله، وعندها وثب أسدُ الإسلام من العرب الأفغان، فانبهروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض، فمرَّغوا كبرياءها في الطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم، ففرت أميركا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحدٌ على أحد، فله الحمد والمِنَّة"⁽⁸⁰⁾.

إضافةً إلى النشاط العسكري في منطقة شرق أفريقيا، كان للإخوة عمل استثماري كبير في كينيا، يشرف عليه الشيخ الشهيد أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، فقد كان يريد توسيع استثمارات القاعدة في كينيا وتنزانيا، فكان يشرف على شركة لاستيراد السيَّارات من الخليج، كذلك قام بعمل دراسات جدوى لشراء مناجم أحجار كريمة في المنطقة، ولكن لم يشأ الله لهذا الأمر أن يتم حيث توفاه الله غرقاً في بحيرة فيكتوريا بعد انقلاب الباخرة⁽⁸¹⁾ التي كان عليها رحمه الله. كذلك كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، يسعى لتواجد خلية في المنطقة لزعزعت مشاريع اليهود في اثيوبيا وكينيا واورغندا وتنزانيا، كذلك كان قد جهَّز خلية لجمع المعلومات، استطاعت جمع الكثير منها عن التواجد الفرنسي العسكري في جيبوتي، وكذلك التواجد الأمريكي في الخليج واليمن وشرق أفريقيا.

2- أحداث الجزائر:

كانت الأحوال الاقتصادية السيئة التي مرَّت بها الجزائر نهاية الثمانينات قد أفرزت ما كان يسمَّى آنذاك ب (مظاهرات الخبز)، وأوشك الحال حينها على الانفجار، فلجأ الرئيس الجزائري (الشاذلي بن جديد) إلى علاج الأوضاع بطرح سياسة الانفتاح، وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السياسية والدعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة.

وكان بعض دعاة الصحة الإسلامية التي كانت مقموعة بشدة منذ استقلال البلاد عام 1963م قد استغل هذه البادرة، فأعلن الشيخ عباسي مدني تشكيل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وكانت تضم تجمعاً عريضاً من الشعب يضم كافة الساعين إلى المشروع السياسي الإسلامي.

(80) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(81) غرق الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله في بحيرة فيكتوريا بكينيا يوم 21 مايو 1996م، فقد كان أحد الركاب الذين يقلهم القارب بوكوفا موانزا الذي انقلب عندما كان يقل 480 راكباً. وكان سبب غرق المركب الحمولة الزائدة.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ قد فازت في انتخابات البلدية، وفازت كذلك بأغلبية ساحقة في الانتخابات البرلمانية التي جرت في 26 ديسمبر 1991م، وكانت على وشك الفوز بأغلبية ساحقة في الدورة الثانية التي تؤهلها للفوز في منافسات الرئاسة، غير أن الرياح جرت بما لم تشتهي الجبهة، فقرر جنرالات الجيش المواليين لفرنسا في مطلع يناير 1992م الاستيلاء على السلطة، وإلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية، وإعلان حالة الطواري، وشن حملة كبيرة من الاعتقالات شملت القيادات العليا للجبهة الإنقاذ، وعلى رأسهم الشيخان عباسي مدني رحمه الله، ونائبه علي بلحاج حفظه الله، وعشرات آلاف من الإسلاميين.

وكانت ردّة الفعل الطبيعية لأنصار الجبهة أن رَحّب أكثرهم بنداءات جهاد السلطات العسكرية التي قطعت عليهم الطريق إلى حصاد نتيجة فوزهم، فلاذ الآلاف من الشباب بالجبال، وبدأوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية.

وكانت أبرز الخلايا الجهادية المسلحة التي بدأت تقاتل الحكومة، قد توحدت في مايو 1994م مع (الجماعة الإسلامية المسلحة) تحت قيادة أبو عبد الله أحمد رحمه الله، وكانت تلك هي الفترة الذهبية للجهاد في الجزائر، حيث كان المجاهدون آنذاك قد سيطروا على معظم أرجاء البلاد، وكانوا يقومون بعمليات اغتيال جريئة لرموز النظام في وضح النهار في المدن وخاصة في الجزائر العاصمة، وكانت تلك الانتصارات تبشّر بقرب قيام دولة إسلامية هناك.

وكانت آمال عموم المجاهدين آنذاك معلقة كثيراً على الجزائر نسبة لما يمثلته موقعها الاستراتيجي من بُعدٍ سيكون له تأثير كبير على المد الجهادي شرقاً وغرباً وجنوباً في دول المنطقة إذا نجح المجاهدون بالفعل في السيطرة على مقاليد البلاد. لهذه الأسباب وغيرها كان تنظيم القاعدة قد أرسل عام 1993م اثنين من أفرادهم هم الشيخ عطية الله الليبي رحمه الله، وآخر جزائري حفظه الله، لدراسة الأوضاع في الجزائر، ومكثا هناك عدّة أشهر. كذلك كان الشيخ أسامة رحمه الله في تلك الفترة على تواصلٍ مستمر مع مندوب الجماعة الإسلامية المسلّحة المتواجد في الخرطوم، ومما سمعته كذلك - ولست متأكّداً من صحّته - أن الشيخ أسامة كان قد دعم الجماعة الإسلامية بالسلاح - قبل انحرافها - الذي كان يهرب لها من السودان عبر الصحراء الليبية.

غير أن الرياح لم تلبث أن جرت بما تشتهي السفن، فقتل في ظروف غامضة بعد ستة أشهر من توليه أمير الجماعة الإسلامية المسلحة الشيخ أبو عبد الله أحمد رحمه الله، وتولى القيادة بعده

جمال زيتوني المكّي (أبو عبد الرحمن أمين)، وفي أواخر عهده ظهرت بوادر الانحراف والغلو، حيث ارتفعت لهجة تكفير الشرائع المدنية التي لا علاقة لها بالسلطة وتوعدها بالقتل، مثل باعة الجرائد، والأساتذة والطلاب، والعمال، والتجرؤ على إصدار فتاوى تستحل قتل نساء وأطفال وأسر العاملين في أجهزة الدولة... الخ، وكان عنتر الزوايري الذي تولى بعد الزيتوني شر خلف لشر سلف، حيث ارتكبت في عهده كثير من المجازر والمذابح التي حدثت في تلك الفترة في الجزائر.

مما لا شك فيه أن التجربة الجهادية في الجزائر مطلع التسعينات تجربة ثرة زاخرة بالدروس والعبر، يضيق المجال عن حصرها في هذه العجالة، ولمن أراد التفصيل والمزيد عليه بالرجوع إلى كتاب دعوة المقاومة الإسلامية للشيخ أبي مصعب السوري فك الله أسره، وكتاب التجربة الجزائرية للشيخ عطية الله الليبي رحمه الله.

3- حرب الفاكسات:

ومن الأعمال التي قام بها الشيخ أسامة رحمه الله انطلاقاً من السودان ما سمي آنذاك بحرب الفاكسات. وكانت حكومة البشير قد تحقّظت في موقفها من حرب الخليج الثانية، إذ كانت ترفض الطريقة التي عولجت بها المشكلة - أي الاستعانة بالأمريكان لتحرير الكويت - وترى أن العرب قادرين فيما بينهم على حل مشاكلهم بأنفسهم، وبسبب ذلك الموقف دخلت حكومة البشير في عدااء مفتوح مع حكام الخليج، وعلى رأسهم آل سعود الذين قاموا كرد فعل لموقفها بدعم جيش النصاري في الجنوب بالسلاح والتموين، واستغل الشيخ أسامة تلك الفرصة، وبالتشاور مع مجلس الشورى، تم تكوين هيئة تسمى، هيئة النصيحة والإصلاح مقرها في لندن.

كان الهدف من هذه الهيئة هو التركيز على تبيين الخطر الداهم الذي تمثله السياسات الأمريكية في المنطقة، وتواطؤ النظام السعودي والهيئات الدينية الرسمية الذي ساعد في تنفيذ هذه السياسات. كذلك كانت الهيئة تهدف إلى إسقاط شرعية آل سعود، وذلك بفضح ممارساتهم وفسادهم، وكشف سرقاتهم لثروات البلاد، وعمالتهم وموالاتهم لليهود والنصارى، وسماتهم للصليبيين باستباحة بلاد الحرمين، وأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، بناء على أدلة وأمثلة كثيرة كتفشي الربا وغيرها... الخ.

وكانت الآلية لفضح تلك الممارسات عن طريق البيانات، وذلك بصياغتها صياغة في غاية الإحكام في السودان، وتدعيمها بالأدلة والوثائق التي كانت تسرب للشيخ أسامة من أعلى

المستويات من داخل دواوين المملكة، ثم إرسال تلك البيانات بعد ذلك بالفاكس - بعد توقيع الشيخ أسامة عليها - إلى مكتب الهيئة في لندن، ثم تقوم الهيئة بإعادة إرسال المئات من هذه البيانات بالفاكس إلى أصحاب الشأن والصالحين والغيورين والمثقفين وأساتذة الجامعات والتجار، وكل شرائح المجتمع في بلاد الحرمين. وكان الذي يتولّى إرسال هذه البيانات من لندن هو الأخ خالد الفوزان⁽⁸²⁾، فك الله أسره.



الشيخ خالد الفوزان - فكّ الله أسره

ومن البيانات المهمة التي صدرها الشيخ أسامة من السودان، الرسالة التي أرسلها للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - يذكره فيها بواجبه تجاه الدين وتجاه الأمة، وينبّهه إلى مسؤوليته العظيمة في وقت انتعش فيه الباطل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحق، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون، وأن كل ذلك لم يتم فقط بعلم منه وسكوت، بل مُرر على ظهر فتاواه ومواقفه. ومن أمثلة ذلك تأوله وتسويغه للملك فهد لبس الصليب، وفتواه المتعسفة التي أهملت قيود الاستعانة وضوابط الضرورة المعتبرة، فبررت احتلال قوات التحالف الصليبية واليهودية للبلاد بحجة تحرير الكويت، كذلك نصيحته التي أصدرها بإيعاز من النظام السعودي، عندما دارت الدائرة على الشيوعيين في اليمن، تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين!! موهمة

(82) جدير بالذكر أن الإخوة قبل تنفيذ عمليتي نيروبي ودار السلام بوقت كافٍ، كانوا قد أرسلوا للشيخ خالد الفوزان يطلبون منه مغادرة بريطانيا، لكن لا يغني حذر من قدر، فقد تأخر الشيخ خالد في الخروج إلى أن أقت السلطات البريطانية القبض عليه في يوم 28 سبتمبر من العام 1998 بناء على طلب أمريكي عقب اتهامه بالضلوع في تفجير السفارتين الأمريكيتين في أفريقيا. وظل الشيخ خالد الفوزان أسيرًا في سجون بريطانيا حتى سلّم أخيرًا لأمريكا في أكتوبر 2012م.

أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دماءهم، ويتساءل الشيخ أسامة: "متى كان الشيوعيون مسلمين؟ ألستم أنتم الذين أفتيتهم سابقاً بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان، أم أن هناك فرقاً بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟". كذلك فتواه التي استصدرها منه النظام، وسوّغت له البطش والتنكيل بالمشايخ والدعاة وشباب الأمة، كذلك تعرض الشيخ أسامة إلى الفتوى التي أشاد بها وصفق لها رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه، والتي تبيح السلام مطلقاً مع اليهود، فقال رحمه الله: "وكانكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين لقوات الاحتلال اليهودية والصليبية، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة، بإضفائكم الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجناء من طواغيت العرب مع اليهود. إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التدليس على الناس والتبليس على الأمة من عدة جوانب منها:

إن العدو اليهودي الحالي ليس عدوً مستقرّاً في بلاده الأصلية، محارباً من الخارج حتى يجوز معه الصلح، بل هو عدو صائل مفسد للدين والدنيا، وعليه ينطبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، ولا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم" ... ويختتم الشيخ أسامة ذلك البيان بنصيحته للشيخ عبد العزيز فقال: "إن إشفاقنا البالغ على حال الأمة والعلماء من أمثالكم، هو الذي دفعنا لتذكيركم، فإننا نربأ بكم وبأمثالكم عن أن يستغلكم النظام الحاكم هذا الاستغلال الفظيع، ويرمي بكم في وجه كل داعية ومصلح، ويُسكت بفتاواكم ومواقفكم كل كلمة حق ودعوة صدق... فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة، الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله".

وكان أكثر تلك البيانات خطورة وتأثيراً على النظام السعودي، بياناً بعنوان: "رسالة مفتوحة للملك فهد، بخصوص التعديلات الوزارية الأخيرة" يقول عنه الشيخ أسامة رحمه الله:

" هذا البيان أحسب أنه من أكثر البيانات تأثيراً على وكيل أمريكا في الرياض، فقد وضع النقاط على الحروف، ووضح نفاقه وعمالته وعبثه بمقدرات الأمة وأموالها العامة، كما كان له تأثيرات إيجابية كبيرة على تنظيم القاعدة، رغم أنه كان هو السبب الرئيسي المباشر لإخراجنا من

السودان⁽⁸³⁾، كرد فعل من حاكم الرياض عليه، فقد اضطره البيان أن يتنازل عن كبريائه، ويصطلح مع الخرطوم بعد قطيعة دامت خمس سنوات، فشلت كل محاولات السودان لإنهاءها دون جدوى، إلى أن صدر هذا البيان، فاتصل وزير داخلية الرياض بنفسه مباشرة بنظيره السوداني، وطلب لقاءً عاجلاً، وفي اللقاء قال لنظيره: اعتبروا كل المشاكل التي بيننا قد انتهت إذا أوقفتم هذه البيانات، وهو يشير إلى البيان المذكور على طاولته". ا. هـ⁽⁸⁴⁾

وبفضل الله آتت هذه البيانات ثمارها وأكلها في بلاد الحرمين آنذاك، فقد فضحت وعرت نظام آل سعود، وجن جنون الملك، واستخدم كل أساليب الترغيب والترهيب مع الحكومة السودانية لتسليم الشيخ أسامة، لكنهم رفضوا واكتفوا بأن طلبوا من الشيخ أسامة التوقف عن إصدار البيانات، وكان قد صدر منها ثمانية عشر بيان.

إحدى محاولات النظام السعودي لترغيب الشيخ أسامة للعودة إلى بلاد الحرمين:

وكان من محاولات الملك فهد لترغيب الشيخ أسامة للعودة إلى بلاد الحرمين، أن أرسل له ذات مرة في بداية عام 1994م، بعض إخوانه - بما فيهم أخوه الأكبر بكر بن لادن، ومعهم والده الشيخ - بطائرتهم الخاصة ثلاث مرات في يوم واحد، عرضوا فيها على الشيخ أسامة - والعرض من الملك - العودة إلى المملكة مقابل العفو عنه، وإرجاع كل أمواله وأرصده التي كانت قد جمدت في أواخر عام 1992م، إضافة إلى جواز سفره وبطاقته، وممارسة حياته بشكل طبيعي، غير أن الجبل الأشم لم تكن لتحركه أو ترحزه العواصف فرفض العرض، وما كان من طواغيت آل سعود إلا أن سحبوا منه الجنسية، وأصدروا بياناً مزوراً باسم عائلة بن لادن، يتبرؤون فيه من أخيهم أسامة، وكانوا قد تعرضوا للتهديد إذا أعطوا أي إشارة أن هذا البيان مكذوبٌ عليهم.

وبالطبع لم تحرك كل تلك الإجراءات من الشيخ أسامة شعرة، وأجزم أنه كان يردد حسبنا الله ونعم الوكيل، فهكذا عهدناه، وهكذا كان يعلمنا ويوجهنا عندما تضيق الأمور، كان يقول أكثرنا

(83) أعتقد أن " القشة التي قصمت ظهر البعير " بإبعاد الشيخ أسامة من السودان هي كنز المعلومات القيّمة التي أدلى بها المدعو جمال الفضل للأمريكان بعد تسليمه نفسه إليهم أواخر عام 1995م، والتي بناءً عليها شكّل الأمريكان وحدة متابعة بن لادن في يناير 1996م، وتم التضييق المباشر من أمريكا على السودان بعد أن فشلت كل الضغوط الإقليمية عليه من دول الجوار، وخاصة من النظام السعودي لتسليم أو إبعاد الشيخ أسامة من السودان. وفي الصفحات القادمة مزيداً من التفصيل عن قصة جمال الفضل.

(84) وثائق أبوت أباد الدفعة الرابعة.

ورددوا من حسبنا الله ونعم الوكيل. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أسامة: "إن الأمريكان يساومنا على السكوت، فأمریکا وبعض عملائها في المنطقة ساوموني أكثر من عشرات مرات على السكوت عل هذا اللسان الصغير، أسكت ورجع لك الجواز ورجع لك أموالك ورجع لك بطاقة الهوية لكي أسكت، وهؤلاء يظنون أن الناس يعيشون في هذه الدنيا من أجل الدنيا، ونسوا أنه لا معني لوجودنا إن لم نسع لنيل رضوان الله سبحانه وتعالى".

4- الأحداث في اليمن:

كما أسلفنا من قبل، كان الشيخ أسامة - منذ أن استقرّ به الحال في أفغانستان - قد بدأ يخطط لفتح جبهة ضد النظام الاشتراكي في اليمن الجنوبي بحركة جهادية تنطلق من بلاد الحرمين واليمن الشمالي، وحينها لا تكاد تخلو محاضرة أو ندوة من ندواته، إلا وكان يؤكد فيها خطته وعزمه على تحرير اليمن الجنوبي بعد أفغانستان من قبضة الحكومة الماركسية. وتحقيقاً لهذا الأمر، كان الشيخ أسامة قد اختار عام 1988م بعض الإخوة من اليمن الجنوبي ليتلقوا مزيداً من التدريب والدورات العسكرية الخاصة استعداداً لنزولهم لليمن الجنوبي. كذلك كانت القاعدة قد افتتحت في أفغانستان معسكر الصديق الخاص بتدريب وإعداد الإخوة اليمنيين وبالتحديد الجنوبيين، وكان أمير ذلك المعسكر هو الأخ صالح الجرو رحمه الله، المكّي ب (ابن عمر الحضرمي).

وكان الاتحاد السوفيتي بعد هزيمته في أفغانستان وانسحابه منها في فبراير 1989م، قد توقف عن دعم اليمن الجنوبي، وتخلي عن تحفظاته بشأن الوحدة مع اليمن الشمالي. وبناءً على ذلك وإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية أخرى، رأت قيادة الحزب الاشتراكي في اليمن الجنوبي الدخول في مشروع وحدة مع اليمن الشمالي فرصة للبقاء في السلطة، وعليه مضت في ذلك المشروع، وأعلنت رسمياً الوحدة بين شطري اليمن في مايو 1990م.

وبالرغم من أن مشروع تلك الوحدة كان صورياً في شكله وفارغاً من مضمونه إلا أنه - على هامش الحرية الذي صاحبها - كان متنفساً كبيراً للمسلمين في اليمن الجنوبي، وبخاصة للجهاديين العائدين من أفغانستان، الذين استغلّوا الفرصة وبدؤوا - من خلال الدروس والخطب في المساجد - بدعوة الناس بصورة علنية إلى الرجوع إلى الدين، وإلى أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله.

وكان الشيخ أسامة قد بعث بعض الإخوة إلى اليمن لتحريض الناس على الجهاد، وإعداد العدة لقتال الشيوعيين في الجنوب، وكان من بين هؤلاء الإخوة الشيخ أبو مهدي العولقي (يسلم با راسين) تقبله الله، والأخ صالح الجرو (ابن عمر الحضرمي) رحمه الله، وآخرون. كذلك كان للشيخ أبو فيصل الرازحي حفظه الله، والشيخ أبو الغيث الحديدي، والشيخ عوض با نجار، والشيخ سعيد با طرفي رحمهم الله جميعاً دوراً بارزاً في عملية التحريض. وكان الشيخ أبو مهدي تقبله الله قد نصب خيمة أمام بيته في وادي يشبم وبدأ يدعو الناس للجهاد في سبيل الله، ويحرضهم على قتال الاشتراكيين. وشيئاً فشيئاً كانت كلمات أبو مهدي المؤثرة تستقطب حوله الشباب الذين بدأت أعدادهم في تزايد يوماً بعد يوم. وفي بادئ الأمر كان الاشتراكيون - على هامش الحرية التي سادت أجواء الوحدة - يغضّون على مضض طرفهم عن ممارسات الشباب الدعوية، لكنهم كانوا يقومون باستحداث الكثير من نقاط التفتيش التي كانت تضيق الحركة على الشباب.

كذلك كان الشيخ أسامة رحمه الله، حريص على توسيع دائرة المشاركة في قتال الاشتراكيين، فقام بدعم الكثير من مشايخ القبائل، ومشايخ المراكز الدعوية بالمال والعتاد والسيارات والسلاح ليقوموا بواجبهم في دفع صيال الشيوعيين. وكان الشيخ أسامة قد اتخذ من مزرعته في جدة مركزاً لتجميع كل ما يفيد ويدعم الجهاد من آلات ثقيلة وسيارات ومواد غذائية، وإرسالها بعد ذلك للشباب ولمشايخ القبائل في اليمن.

وكانت معطيات التحرك الجهادي - بعد الوحدة - ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قد اكتملت، فكثير من اليمنيين الشماليين من الإسلاميين والقبائل والتجار الحضارم الكبار كانوا يكونون عداً شديداً للاشتراكيين، ويؤيدون ويدعمون التحرك الجهادي للقضاء على الشيوعية في البلاد، كذلك أدى رجوع عدد كبير من المجاهدين اليمنيين الجنوبيين الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني إلى التسريع من وتيرة ذلك الحراك الجهادي.



الشيخ طارق الفضلي



علي عبد الله صالح مع رئيس اليمن

الجنوبي علي سالم البيض في 30

نوفمبر 1989م خلال التوقيع على

اتفاقية الوحدة

وكانت استراتيجية الشباب في بادئ الأمر قد توجّهت إلى تصفية أئمة الكفر من الشيوعيين، فكانت هناك ما بين عامي 1991م – 1994م موجة من الاغتيالات لعشراتٍ من رموز وكوادر النظام الاشتراكي، شاركت فيها القاعدة بناءً على التوجيهات الصادرة من الشيخ أسامة عندما كان في السودان، وشارك في هذه الموجة بجانب الجهاديين بعض من رجال القبائل الناقمين على الاشتراكيين، فقام الشباب في اليمن الجنوبي بتصفية ما يقارب المئة⁽⁸⁵⁾ شخصية من رموز وكوادر النظام الاشتراكي. وكان العمل يتم بسرية تامة بدون أي إعلان، الأمر الذي دفع حكومة الجنوب بقيادة على سالم البيض، باتهام حكومة الشمال آنذاك، بأنها هي التي تقوم بتنفيذ تلك الاغتيالات، فساءت العلاقة بينهما إلى درجة شديدة جدًّا، وكانت هذه الاغتيالات أحد أهم الأسباب التي دفعت حكومة الجنوب إلى اتخاذ قرار الانفصال عن الشمال، وكان هذا القرار بمثابة الصاعق الذي أشعل فتيل الحرب الشاملة في 20 مايو 1994م بين شطري اليمن الجنوبي والشمال.

(85) توثق (الويكي بيديا) أنه تم اغتيال 158 سياسي من جنوب اليمن في الفترة ما بين 1991 – 1993م.

وبجانب موجة الاغتيالات التي نَقَذاها الشباب والتي أدت إلى تفاقم الأوضاع في الجنوب، كذلك كان المخطط له أن تشتعل عدة جهات جهادية في عدّة محافظات في آن واحد، فكان من المفترض أن تكون هناك ثورة جهادية بقيادة الشيخ أبو مهدي العولقي تنطلق من وادي يشبم في محافظة شبوة، وثورة أخرى بقيادة الشيخ طارق الفضلي تنطلق من جبال المراقشة في محافظة أبين، غير أن الرياح لم تجري بما تشتهي السفن، فقبل أن تكتمل استعدادات وتجهيزات الإخوة للمواجهة حدث أن اشتبك بعض المجاهدين المهريين للسلاح مع نقطة تفتيش للاشتراكيين بالقرب من وادي يشبم، وعلى إثر ذلك صعد المجاهدون المتواجدين في وادي يشبم إلى أعالي الجبال في كور العوالق، وكان عددهم يقارب المئة، وحاصر الحزب الاشتراكي منطقة الصعيد من كل الاتجاهات ونصب عليها المدافع وراجمات الصواريخ، والدبّابات وكان على وشك أن يحرق المنطقة بما فيها لولا لطف الله.

وكان الرئيس اليمني علي عبد الله صالح يخشى أن تتفاقم الأمور وتصبح خارج السيطرة، فكون لجنة من وزارة الدفاع إضافة إلى بعض الوسطاء والوجهاء من العوالق لتهدئة الأمور، وبعد التشاور كان الإخوة قد أدركوا أنهم سيخوضون معركة خاسرة، وخاصة بعد أن علموا أنهم قد أصبحوا الوحيدين أمام قوّات مدافع الشيوعيين، وذلك بعد احتجاز الشيخ طارق الفضلي بخدعة غادرة بعد أن نزل في وجه الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، واقتيد بعدها للأمن السياسي. وكانت تلك اللجنة قد اتفقت مع الشباب في كور العوالق على نزولهم من الجبال، ودفن أسلحتهم الثقيلة، وخروجهم معززين بكرّمين بأسلحتهم الشخصية إلى منطقة مارب في الشمال. وخوفًا من أن يكون هناك أي تأمر للغدر، وضمانًا لسلامتهم اشترط الشباب بأن تخرج معهم من المنطقة لجنة وزارة الدفاع، وبالفعل تمّ لهم ذلك وخرج الشباب في موكب مهيب من السيارات حتى وصلوا مارب، ومن هناك بدأوا في ترتيب صفوفهم وأوراقهم من جديد.

وعندما اشتعلت الحرب بين الشمال والجنوب في صيف 1994م، كان الشيخ أسامة - كما فعل كافة الإسلاميين في الشمال بناءً على توجيهات الشيخ عبد المجيد الزنداني - قد وجّه الإخوة الجهاديين في اليمن الذين عادوا من أفغانستان بالمشاركة في المعركة، دفعًا لصيال الشيوعيين في الجنوب الذي لا يشترط له شرط. وبالفعل لعب المجاهدون من الجهاديين والإسلاميين دورًا حاسمًا في تلك الحرب، وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين، في عجلة لم تسمح بالتدخل الدولي، ولم

يستطع نظام آل سعود ودول مجلس التعاون الخليجي إنقاذ الشيوعيين في اليمن الجنوبي (86). وبفضل الله ثم بجهود هؤلاء الفتية، اندفع الحزب الاشتراكي الشيوعي، الذي طبق مبادئ الشيوعية بالحرف الواحد أكثر من الروس أنفسهم، حيث حارب الدين والملة، وقتل وسحل العلماء في الطرقات، ونشر الفساد والإلحاد في بنات وشباب المسلمين. فيا فلاح وجوه أولئك الفتية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إذ بجهادهم رفرت أعلام الحرية، وتنفس الناس الصعداء، وصدعت المساجد بالأذان، وامتلأت بالركع السجّد، وانتشرت المعاهد ودور تحفيظ القرآن، فكانت صحوة انتشر فيها الخير بين الناس فلله الحمد والمنة.

وبناءً على تلك الصحوة الإسلامية التي عمّت ربوع اليمن كانت استراتيجية القاعدة في تلك الفترة عدم القيام بأي نشاط عسكري ضد حكومة علي عبد الله صالح، وجعل اليمن هادئاً ومعبراً وملاذاً آمناً لكل المستضعفين من الإسلاميين والجهاديين الهاربين من بطش حكوماتهم. وبالطبع لم يقصد الشيخ أسامة من وراء تلك التهذئة تعطيل الجهاد في اليمن بناءً على مصالح موهومة كما زعم البعض، بل كان رحمه الله، يهدف ويطمح من وراء ذلك إلى تحقيق مصلحة أكبر، وهي حشد الطاقات والتأييد الكافي في أوساط الدعاة وعامة المسلمين في اليمن لمفهوم للجهاد لا يختلف فيه اثنان، ولا - كما يقولون - ينتطح فيه عنزان. فالشيخ أسامة لم يُرد أن يكون مفهوم الجهاد متعذّر القبول عند عامة المسلمين، ولم يُرد أن يكون المجاهدون فئة معزولة في أوساط الناس، ولم يُرد أن يكون خروج الشباب وأهدافهم متّسمًا بالعفوية والعاطفية من أجل تحقيق مطالب جزئية كالإفراج عن بعض السجناء. باختصار شديد، لقد أراد الشيخ أسامة رحمه الله جمع الناس - وخاصة المجاهدين - على كلمة سواء ورؤية واضحة، وهدف أشمل وأعمق وأدق للجهاد في سبيل الله، وهو التوجّه والتركيز على قتال الصليبيين المحتلّين لمقدّسات المسلمين في بلاد الحرمين بقيادة أمريكا. لقد أراد الشيخ أسامة الاستفادة من تهذئة الأوضاع في اليمن لأنه كان يدرك أن اليمن

(86) جدير بالذكر أن نظام آل سعود كان قد شكّل في عهد الملك فيصل جيشاً من اليمنيين الفارين من بطش النظام الشيوعي في الجنوب يقال له "جيش السلام"، الهدف منه محاربة النظام الماركسي في اليمن الجنوبي، لكنهم ما لبثوا أن قلبوا ظهر المجن لعلي عبد الله صالح نكاية فيه بعد وقوفه مع صدام حسين في قضية الكويت. فلما اشتعلت الحرب بين الشمال والجنوب إتّفق آل سعود مع علي سالم البيض على دعمه لوجستياً وعسكرياً مقابل موافقته على مرور أنبوب النفط السعودي عبر ميناء الضّبة، وبناءً على هذا الاتفاق وجّه آل سعود جيش السلام للقتال في صف الإشتراكيين ضد علي عبد الله صالح، غير أنه سرعان ما انحارت مقاومة الإشتراكيين، ولم يستطع نظام آل سعود إنقاذ الشيوعيين في اليمن الجنوبي.

وأهلها هم رأس حربة أهل الإسلام في جزيرة العرب، وأنها هي القلعة الحصينة التي يمكن الانطلاق منها لقتال الأمريكيين، إضافة إلى أن اليمن مستودع كبير للسلاح الذي يمكن تهريبه بسهولة إلى بلاد الحرمين⁽⁸⁷⁾.

ولعل أكبر دليل على صحة ما نقول هو أنّ أول العمليات المتزامنة التي نفذتها القاعدة على أهداف أمريكية في 29 ديسمبر 1992م كانت في اليمن، وهي محاولة تفجير فندق جولد مور وفندق عدن موفنيك في عدن، بالتزامن مع قصف مطار عدن بالصواريخ، حيث كان العشرات من جنود مشاة البحرية الأمريكية مهمتهم تقديم الدعم للعمليات في الصومال مخيّمين في هذه الأماكن. وكان الذي تولّى محاولة تفجير فندق عدن موفنيك هو جمال النهدي، ونتيجة لخطأ ما حدث، انفجرت العبوة أثناء حمله لها مما أدت إلى بتر يد النهدي من العضد. وكان ذلك الحدث بمثابة رسالة للأمريكان لم تمض على إثرها أربعة وعشرون ساعة حتى حزموا حقائبهم وأمتعتهم وخرجوا من الفنادق، واستقروا في سفنهم داخل البحر. أما جمال النهدي فكان قد أُسر، وأُسر معه كذلك مجموعة من خمسة إخوة، لكن بفضل الله، استطاعوا الهروب من السجن، وتمكنوا من الدخول تهريبًا إلى بلاد الحرمين، ومن هناك دُبّرت لهم جوازات يمنية ثم توجهوا إلى السودان، واستقروا هناك ما يقارب السنة، ولما بدأت الحرب بين الشمال والجنوب عام 1994م، عاد هؤلاء الإخوة مرة أخرى، ليشاركوا مع إخوانهم في دفع صيال الاشتراكيين.

وبعد انتهاء الحرب كان نظام علي عبد الله صالح قد عرض على كثير من الإخوة المجاهدين الذين شاركوا في الحرب المناصب والرتب لينخرطوا في الجيش والأمن السياسي، بحجة الدخول في هذه الأجهزة ومحاولة إصلاحها من الداخل، وكان هؤلاء الإخوة قد استفتوا بعض مشايخ العلم في هذا الأمر وأشار عليهم هؤلاء المشايخ بقبول العرض بنية الإصلاح. وبالفعل نجح الهالك علي عبد الله صالح في استمالة قلوب البعض من هؤلاء الإخوة إلى حزب المؤتمر الحاكم، وشراء ذممهم بالمال والمناصب، فصاروا بعد ذلك من أولياء الطواغيت، نسأل الله العافية والثبات.

(87) بعض العبارات مقتبسة من مقال بعنوان: "مسؤولية أهل اليمن تجاه مقدسات المسلمين وثرواتهم" للشيخ أبي مصعب السوري.

5- أحداث الشيشان:

بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان وانسحابه منها في فبراير عام 1989م، أعلنت كثير من الجمهوريات الإسلامية وغير الإسلامية التي كانت تحت حكمه - كطاجيكستان وأوزبكستان وأذربيجان وأوكرانيا وروسيا البيضاء وغيرها - استقلالها وانفصالها منه، كذلك سارعت الشيشان للحاق بالركب، فأعلنت بقيادة الجنرال جوهر دودايف، استقلالها في 27 أكتوبر عام 1991م. وتعتبر الشيشان جمهورية صغيرة جدًا مساحتها حوالي 20.000 كم² فقط، لكن لأهميتها الاستراتيجية لدى الروس، لم يكن الأمر كما يشتهي الشيشانيون، فالشيشان تتوسط إقليم القوقاز، ومن المقترح أن يمر بأراضيها خط أنابيب تصدير نفط بحر قزوين إلى البحر الأسود، ثم أنها غنية بالنفط الذي يستعمل في وقود الطائرات، حيث 90% من وقود طائرات روسيا كان من الشيشان، إضافة إلى أنها لو استقلت ووافق الروس على ذلك، فإن ذلك سيفتح الباب على مصراعيه لكثير من الأقليات داخل العمق الروسي - تترستان مثلاً - للمطالبة باستقلالها، لهذه الأسباب وغيرها أرسلت روسيا قوة صغيرة لاستعادة الشيشان، فقام الشيشانيون بسحقها وإبادتها، فاضطر الروس إلى السكوت وغض الطرف قليلاً عنها، لأنهم كانوا في وضع لا يحسدون عليه من التدهور الاقتصادي. ويكفي أن نضرب مثلاً لذلك لنعلم حجم الدمار والهاوية الاقتصادية التي سقطت فيها روسيا بدخولها أفغانستان عرين الأسود، فقد كان الروبل الروسي يساوي أكثر من دولار عندما دخل الاتحاد السوفيتي أفغانستان في ديسمبر 79، وفي يوليو 1996م كان الدولار يساوي 5000 روبل.

وفي ديسمبر 1994م عاود الروس محاولة غزو الشيشان مرة أخرى، فأرسلوا قوات كبيرة جدًا، استطاعت ولكن بعد خسائر فادحة⁽⁸⁸⁾ احتلال العاصمة جروزني والمدن الأخرى مثل قُذْرمس وأرجون وغيرها، ونشروا قواتهم في كافة أرجاء الشيشان في قمم الجبال والقرى، وسيطروا على كل الطرق، ولم يكن للمجاهدين ملجأ بعد الله سبحانه وتعالى سوى الغابات والجبال.

(88) حدثني أخٌ روسي، كان معنا في مجموعة خطّاب، بأن قتلى الروس في الليلة الأولى لاحتحام جروزني بلغ أربعة ألف. وكان هذا الأخ قد أُسر في معارك جروزني الأولى، وأسلم على أيدي الشيشانيين، وسُلم للخطاب ليتعلم من العرب دينه، وسمّى نفسه عبد الله، واستشهد فيما بعد، رحمه الله. ومصدقًا لهذا الكلام كان إلكراندر ليبد سكرتير الأمن القومي الروسي آنذاك، قد صرّح للإعلام بأن قتلهم في الحرب الأولى بلغ تسعين ألفًا. وجدير بالذكر أن الحرب الأولى كانت قد بدأت في ديسمبر 1994م وانتهت بانسحاب الروس من الشيشان في أغسطس 1996م.

وجاءت أسود الله في أرضه من كل مكان، لتحقيق معنى الجسد الواحد للأمة، الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فجاء خطاب ومجموعته كاملة، حكيم ويعقوب وأبو الوليد الغامدي وأبو بكر عقيدة وأبو جعفر اليمني، ومن لحق بهم من الإخوة العرب، وكانوا آنذاك حوالي ثلاثين أخًا عربيًا، وغيرهم الكثير من الشيشانيين والداغستانيين وبعض الأتراك.

وكان هناك أيضًا الشيخ أبو سيف (فتحي محمد حبيب) رحمه الله، الأردني الشيشاني الأصل، والمهندس الإلكتروني الذي كان يدير الورشة الإلكترونية في بابي ببشاور، وهو من قدامى المجاهدين في أفغانستان. وكان هذا الشيخ الجليل بعد خروجه من باكستان مع بدايات عام 1992م قد مر بالسودان والتقى هناك بالشيخ أسامة، وأراد بعدها السفر إلى الأردن، لكنه مُنع من دخولها فيم شطر بلده الأصلي الشيشان، وفتح الله على يديه هناك فتحًا كبيرًا، فأسس الجماعة الإسلامية التي لعبت دورًا كبيرًا في جهاد الروس بعد ذلك. وكان الشيخ فتحي قد طلب من الشيخ أسامة أن يمهده ببعض المدربين، فانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة - بعد رجوعهم من الصومال - خمسة من خيرة الإخوة المدربين الأكفاء، هم أبو إسلام المصري، والدكتور حمدي (أبو عبيدة)، وأبو صهيب الصعيدي، وسعدوف، ومحمود، كلهم من أرض الكنانة رحمهم الله جميعًا.

وكان الإخوة المدربين، بعد سفرهم للشيشان، قد بحثوا عن مكان مناسب للتدريب، فتعذر عليهم ذلك بسبب انتشار الروس في كل مكان، مما اضطرهم أخيرًا أن يلجؤوا إلى مكان في الجبال الحدودية مع جورجيا، وكانت شديدة البرودة والرطوبة فلم يمكثوا فيه كثيرًا، ولجأوا أخيرًا لتدريب الشباب الشيشانيين في القرى المهجورة من سكانها نتيجة لقصف الروس. ولم يلبث الدكتور أبو عبيدة وأبو صهيب كثيرًا في الشيشان، فقتلوا في كمين نصبه لهم الروس، ولحق بهم فيما بعد أبو إسلام فقتل أيضًا، ثم ما لبث محمود أن رجع إلى أفغانستان عام 97م، ثم قتل بعد أحداث 9/11 مع الشيخ أبي حفص الكمندان. وكان سعدوف قد أُسر في داغستان أثناء رحلة خروجه متوجهًا إلى أذربيجان، فمكث في سجون داغستان ستة أشهر ثم أطلق سراحه، وواصل بعدها الطريق إلى أفغانستان، ثم قتل فيما بعد في وزير ستان، نسأل الله أن يتقبلهم جميعًا في الشهداء.

6- عملية اغتيال مبارك في أديس أبابا بأثيوبيا في يونيو 1995م:

كان هناك تعاونًا وثيقًا في التخطيط والتمويل والتجهيز بين القاعدة والجماعة الإسلامية فيما يخص محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق الهالك حسني مبارك في أديس أبابا في يونيو عام

1995م، فقد كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري يتابع خطواتها خطوة بخطوة. وكان أبطال الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة أمير المجموعة [أبو حازم] وأحمد عبد الله منفذ عملية دار السلام، وآخرين من الذين قاموا بالتنفيذ، قد رابطوا في أديس أبابا حوالي الستين، يخططون ويجهزون للعملية التي كان توقيتها انعقاد مؤتمر القمة الأفريقية بأديس أبابا، وكان هؤلاء الإخوة قد فشلوا في توفير السلاح من نفس البلد، فقد كانوا يحتاجون لكلاشنات وقاذف صاروخي آر بي جي، فوعدهم الشيخ أسامة بتوفير السلاح.

وبطريقة ما دبّر الإخوة بعض الكلاشنات مع قاذف آر بي جي، وانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة الأخ أبا طلحة السوداني للسفر إلى أديس أبابا، ليقوم باستلام السلاح من شخص ما في مكان ما، وبالفعل قام الأخ أبو طلحة رحمه الله، بالمهمة على أكمل وجه، وتم توصيل السلاح للإخوة المنفذين.

كانت خطة العملية هي الاشتباك بالكلاشنات مع سيارة مبارك، وعندما تحاول سيارة مبارك الفرار منطلقاً إلى الأمام كما هو متوقع، كان من المفترض أن يتم تفجير السيارة بعبوة ناسفة ثم ضربها بعد ذلك بقاذف آر بي جي.

ومن مكان مشرف على المطار، كان هناك أخ يرصد حركة مبارك، منذ نزوله من الطائرة وركوبه في سيارته، وحركة موكبه بعد خروجه من المطار، وكان على اتصال بالإخوة المهاجمين. وحتى لا يلفت الإخوة المهاجمون أنظار جنود الاستخبارات الإثيوبيين المنتشرين في الشارع الرئيسي إليهم، كانوا متواجدين في سيارة في شارع خلفي، يبعد قليلاً من النقطة التي من المفترض أن تضرب فيها سيارة مبارك، لكن يشاء الله أن لا تسير الأمور كما خطط لها، ففي اللحظة التي من المفترض أن ينطلق فيها المهاجمون لاعتراض سيارة مبارك لم تعمل سيارتهم، رغم أنها كانت جديدة اشتروها خصيصاً حتى لا تكون هناك أي فرضية لأي عطل، وحتى تتيح لهم سرعة الحركة ويصلوا إلى نقطة الهجوم في نفس اللحظة التي تصل فيها سيارة مبارك. وهنا لم يكن للإخوة أي خيار سوى حمل أسلحتهم والركض بها حتى الشارع العام، مما أدى إلى انكشافهم لقوات الأمن الإثيوبيين، فاشتبكوا معهم واشتبكوا أيضاً مع حراسة مبارك فقتلوا منهم، وقتل أيضاً بعض الإخوة المهاجمين وأسر آخر. وكان مبارك قد اصطحب معه سيارته الخاصة المصفحة التي لا يؤثر فيها الرصاص، وبدلاً من أن تنطلق السيارة إلى الأمام مكلمة طريقها إلى المؤتمر كما هو متوقع ليتم

نسفها بالعبوة المتفجرة، دارت من فورها سريعاً إلى المطار، وشاء الله كذلك أن لا تنطلق قذيفة ال آر بي جي، وهكذا ولحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً، ففرّ مبارك ناجياً بجلده وعاد أدراجهِ إلى بلده.

وبالرغم من أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب النجاح لهذه العملية الانغماسية الجريئة، إلا أنه سبحانه كتب النجاة لعدد من المنفذين لها، بعد تمكنهم من دخول السودان من حدوده البرية، كان من بينهم قائد العملية وأحمد عبد الله منفذ عملية دار السلام، لكنهم لم يلبثوا كثيراً حيث دبروا لهم أوراقاً مكنتهم من السفر إلى إيران ومنها إلى أفغانستان. وكان المصريون قد علموا بطريقتهم أن هؤلاء الإخوة دخلوا السودان، واتهموا زوراً حكومة السودان بإيوائهم، وطالبوا عن طريق مجلس الأمن بتسليم هؤلاء الرجال، فأنكرت حكومة السودان بشدة أي تورط لها بالعملية، أو أي علم لها عن تواجد أولئك الشباب بأراضيها. وأنداك كانت مصر ورئيسها مبارك، يشكلون هاجساً وضغطاً كبيراً على السودان، بسبب دعمها للمعارضة السودانية بشقيها السياسي والمسلح، نتيجة لفتح السودان أراضيهِ للجهاديين المصريين الذين كانوا ينطلقون منه لتنفيذ عملياتهم في مصر، وبسبب ذلك تأزمت الأوضاع بين مصر والسودان، وجاءت هذه العملية لتزيد الطين بلاً وكادت أن تؤدي إلى حرب بين البلدين.

وكان مجلس الأمن قد أمهل السودان ثلاثة أيام لتسليم هؤلاء الرجال، أو يتخذ ضده قراراً تحت البند السابع كان سيشكل عليه مزيداً من الضغوط. فما كان من هؤلاء الإخوة إلا أن أدلوا بتصريح إعلامي، ينكرون فيه تواجدهم في السودان، وأنهم متواجدون في أفغانستان، ففوتوا بذلك الفرصة على مجلس الأمن الذي أسقط في يده.

خروج الشيخ أسامة من السودان وقصة جمال الفضل:

للقوف على تفاصيل خروج الشيخ أسامة - رحمه الله - من السودان، لابد من الوقوف على خلفية الرجل الذي باع نفسه ودينه للشيطان؛ أمريكا، وكان سبباً رئيسياً مباشراً في هذا الأمر. فقد كان المدعو "جمال أحمد محمد الفضل" -سوداني الجنسية- من خيار الإخوة السابقين إلى أرض الجهاد في أفغانستان بعد أن نفر أليها من أمريكا عام 1988م، حيث كان يعمل هناك. ولم يكن جمال الفضل يوماً ما مشار شك عند الإخوة، وعندما غادر الشيخ أسامة إلى السودان عام

1991م، كان جمال الفضل من أول المغادرين إلى هناك ليكون قريباً منه، فقد كان الشيخ أسامة يستعين به في قضاء كثير من الأمور.

وعندما تأسست شركة طابا التجارية في بدايات عام 1992م، كان جمال الفضل هو المدير التجاري للشركة، وكان العبد الفقير محاسباً في نفس الشركة، ورغم أن جمال الفضل كان من عائلة ميسورة الحال؛ إلا أنه كان من خلال هامش الأسعار المخوّل له في البيع، يشترط على الزبائن المتعاملين مع الشركة، دفع عمولة معينة لصالحه مقابل تخفيض سعر السلعة لهم. وبناءً على هذا التلاعب جمع جمال الفضل أموالاً كثيرة، مكنته من شراء بيتٍ وسيارةٍ وبناء مصنع صغير للزيوت.

علمت الشركة بموضوع العمولات من أحد الزبائن أثناء العام 1992م، ورغم ذلك لم تقم الشركة باتهام جمال الفضل أو فتح بلاغٍ ضده في دوائر الشرطة، أو حتى مسألتة ومحاسبته داخلياً على هذا الادّعاء، ورغم ذلك ظلّ جمال في عمله حتى قدم استقالته طواعيةً من الشركة، وذهب يشق طريقه بنفسه.

وبطريقة ما فيما بعد وبالتعاون مع أحد مدراء البنوك؛ استطاع جمال الفضل أن يحصل على قرضٍ حسن قيمته 400 مليون جنيه سوداني، تعادل في تلك الأيام حوالي 200,000 دولار، اشترى بها كميات كبيرة من الفول السوداني، ليقوم بعصره في مصنعه ثم يبيعه في السوق المحلي، وقام جمال بتخزين هذه الكمية الكبيرة من الفول في مخزن مكشوف، وشاءت إرادة المولى الذي يمهّل ولا يهمل، أن هطلت أمطار غزيرة على الفول أحالت أحلامه إلى هواء.

أدرك جمال الفضل حجم الكارثة التي ألمت به، ففرّ هارباً خارج البلاد في منتصف عام 1995م، فذهب إلى سوريا والأردن ويقال أريتريا والسعودية، المهم أنه تجول هنا وهناك حتى نفد جيبه وأُسقط في يده، فقرر أن يستثمر ما لديه من معلومات، ولم يجد ملجأً من الله إلا إلى الشيطان الأكبر أمريكا، والعياذ بالله، فلجأ إلى سفارتها في إحدى هذه الدول، وقدم لهم نفسه على أنه عضو في تنظيم القاعدة، وأنه من المقربين جداً من أميرها الشيخ أسامة بن لادن، وأن لديه كنز من المعلومات، وأن الشيخ أسامة وتنظيمه القاعدة، هم الذين كانوا يقاتلونهم في الصومال، ويستهدفون مصالحهم في شرق أفريقيا... الخ وكان الأمريكيان قد أجروا تحقيقاً أولياً مع جمال الفضل، ووجدوا فعلاً أن الرجل كما يقول، يملك كنزاً من المعلومات، فطاروا به مباشرة إلى نيويورك، وأدخلوه تحت برنامج حماية الشهود [WPB].

ولم يكن الأمريكيان - قبل تسليم جمال الفضل نفسه إليهم - يملكون من المعلومات عن نشاط القاعدة وعن الشيخ أسامة بن لادن إلا النزر اليسير جداً، وهذا باعترافهم أنفسهم، فقدّم لهم هذا المخدول على طبقٍ من ذهب كمّا هائلاً من المعلومات، عن نشاط القاعدة بشقيه العسكري والاقتصادي، بدءاً من نشأتها في أفغانستان، ومروراً بنشاطها في السودان، وكينيا والصومال واليشان واليمن والجزائر وشرق أفريقيا وبلاد الحرمين ومصر وأديس أبابا والبوسنة، إضافة إلى إفادته عن القاعدة ورجالها وغيرهم من المجاهدين، الذين كان الخبيث سبباً مباشراً في أسرهم، منهم الشيخ أبو هاجر العراقي، فك الله أسره، كذلك قدّم لهم جمال الفضل معلومات قيمة عن الجماعات الجهادية الأخرى المتواجدة في السودان، وخاصة جماعة الجهاد المصرية - نشاطها ك شراء السلاح من السودان وتهريبه عبر الصحراء بالجمال إلى مصر، وحركة أفرادها جيئةً وذهاباً من مصر إلى السودان ثم أفغانستان وبالعكس - وكذلك الجماعة الإسلامية المصرية والجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا... الخ.

وعن أهميّة المعلومات التي قدّمها جمال الفضل، قال دان كولمان أحد عملاء الوكالة: "أن الفضل قدّم لهم معلومات قيمة ساعدتهم في فهم عمل وتكتيكات القاعدة في الوقت الذي كانت تعاني فيه السلطات الأمريكية من جهل مطبق عن ماهية تنظيم القاعدة". وقالت عنه البروفيسور جاسيكا استين المختصة في شؤون الارهاب بجامعة هارفارد: "ان الفضل قدّم في شهادته التي ادلى بها في محكمة مانهاتن معلومات قيمة عن الارهاب اصبحت جزءاً من السجل العام. وقالت لقد شرح لنا الفضل طبيعة العدو في الوقت الذي لم نكن نعلم عنه شيئاً، وشبه التنظيم بمؤسسة بيروقراطية يديرها بن لادن في موقعٍ أشبه بالمدير التنفيذي للشركات، ويقوم عليه مجلس شورى وهو يشبه مجلس الأمناء". ويقول عنه المحققون الذين أشرفوا عليه، وهم الآن في المعاش، أنه أشبه ما يكون في التاريخ الأمريكي بجوزيف فلاشي الذي أنسلخ عن المافيا وأعترف لأول مرة بنشاطاتها الإجرامية عام 1962م وقدم للشرطة معلومات حيوية أدت الي القضاء على الشبكة الشهيرة التي أفلقت الحياة المدنية والسلام الاجتماعي في الولايات المتحدة".⁽⁸⁹⁾

(89) نقلاً عن مقال من موقع سودانايل بعنوان " السيرة الخفيّة للسوداني جمال الفضل " للكاتب خالد موسى دفع الله.



جوزيف فلاشي، عضو مافيا سابق



جمال الفضل⁰ عليه من الله ما يستحق

ورغم أن كثيراً من هذه المعلومات التي قدمها هذا المخدول، كانت مضحمة وفيها كثير من الكذب، واكتشف الأمريكان هذه الحقيقة فيما بعد، إلا أنها كانت ذات مصداقية عالية لديهم، خاصة بعد عمليتي نيروبي ودار السلام.

وبموجب هذا الكم الهائل من المعلومات، أنشأت أمريكا في يناير 1996م وحدة متابعة بن لادن، وكان جمال الفضل هو الشاهد الرئيسي رقم 1، ضد الإخوة الذين حوكموا في نيويورك عام 2000م، بتهمة تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام، وكان على رأسهم الأخ وديع الحاج اللبناني وآخرون، أسأل الله الكريم أن يعجل بفكاك أسرهم. كذلك كان جمال الفضل هو المصدر الرئيسي للمعلومات، التي على أساسها أصدرت أمريكا تقريرها الرسمي في أحداث 9/11. فنسأل الله السلامة والعافية.

أيضاً تزامن مع تسليم جمال الفضل نفسه للأمريكان، تسليم أبو الفضل المكي (سيدي غازي مدني الطيّب) نفسه لحكومة بلده (نظام آل سعود). وجدير بالذكر أنّ أبو الفضل المكي كان من أكثر الإخوة المقربين للشيخ أسامة، وكان الشيخ أسامة قد زوجه من ابنة أخته، وكان على علم دقيق بكثير من التفاصيل الدقيقة لأنشطة التنظيم وخاصة السرية، فلما عاد إلى "المملكة" تلقفته استخبارات نظام آل سعود، وبعد تحقيقات مطولة استخرجت منه أهم تفاصيل العمل وأكثرها خصوصية ودقة فيما يتعلق بنشاطات الشيخ أسامة والقاعدة، فأدلى بمعلومات حساسة عن أفراد وشركات وأعمال اقتصادية سرية، كانت تعمل لحساب الشيخ أسامة، ثم حول نظام آل سعود

ملف أبي الفضل المكي إلى الاستخبارات الأمريكية، وكانت تلك أهم غنيمة معلوماتية تحصل عليها أمريكا عن القاعدة وأميرها الشيخ أسامة رحمه الله⁽⁹⁰⁾.

وكان من نتائج هذه المعلومات التي كشف سرّها جمال الفضل وأبو الفضل المكي أن تم التضييق المباشر من أمريكا على السودان، وكانت الحكومة السودانية قد طلبت - قبل إخراج الشيخ أسامة - من كل الليبيين، حتى التابعين للقاعدة والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة المغادرة، وكان الشيخ أسامة قد اجتمع بهؤلاء الإخوة الليبيين، وقال لهم فيما قال: "يبدو أن الدور قادم علينا".

وبالفعل، صدق ما توقعه الشيخ أسامة رحمه الله؛ ففي ذات ليلة، جاء على عثمان محمود طه - نائب الرئيس السوداني السابق عمر البشير - زائرًا للشيخ في بيته، ليخبره بأنهم يتعرضون لضغوط مباشرة لا قبل لهم بها من قبل أمريكا، يطلبون منهم إما تسليمه أو إبعاده من البلاد. ولم تستجب الحكومة السودانية لتسليم الشيخ أسامة، لكنها رضخت بإبعاده من السودان. وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها الشيخ أسامة، أن طلب منه نائب الرئيس، أن يجهز نفسه للسفر غدًا ليلاً إلى جلال أباد في أفغانستان، وقال له بأنهم قد رتبوا له كل شيء هناك مع بعض قادة الجهاد، الذين كان على رأسهم المولوي الشيخ يونس خالص، رحمه الله.

ولم يكن الشيخ أسامة على علم بأي خطوة من هذه الخطوات، وطلب من نائب الرئيس أن يمهله أسبوعًا واحدًا يرتب فيه الأمور، ويقوم بزيارة أخيرة إلى المشاريع الزراعية في منطقة القاش، غير أنّ نائب الرئيس اعتذر بشدة، وأصرّ على أن يكون السفر غدًا ليلاً.

وشاء الله أن تتأخر الرحلة يومًا آخر، نسبة لتأخر وصول إذن مرور الطائرة بالطيران فوق أجواء بلاد الحرمين، وشاء الله أيضًا أن تكون تلك الليلة الأخيرة التي غادر فيها الشيخ أسامة السودان، هي أول ليلة من السنة الهجرية لعام 1417 هـ الموافق 18 مايو 1996 م، فاستبشر الشيخ أسامة كثيرًا لهذا التوافق القدري، الذي لم يكن محسوبًا له أي حساب.

رافق الشيخ أسامة في الطائرة الرئاسية الصغيرة ذات الثمانية ركاب التابعة للقصر الجمهوري، كل من الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، والشيخ أبو

(90) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد (مصطفى حامد) بتصرف.

مُجد المصري، والأخ حمزة الزبير، والشيخ عبد الرحيم اليميني (أبو عمر الأنصاري سابقاً)، والأخ خالد الحبيب، والأخ أبو اليسر التونسي، واثنين من جهاز الأمن السوداني. توقفت الطائرة في مدينة حدودية في إيران للتزود بالوقود⁽⁹¹⁾، ثم أقلعت لتحط رحالها في جلال آباد عاصمة نجرهار، بعد خمس سنوات كاملة بحلوها ومرها قضاها الشيخ أسامة وإخوانه في السودان.

بعد إبعاد الشيخ أسامة، تم التضيق على كل الجماعات الجهادية المتواجدة في السودان، وطلب منها المغادرة، فخرجت جماعة الجهاد، وخرج أميرها آنذاك الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، يرافقه اثنان من أفراد الجماعة - هما الشيخ أبو الفرج المصري (أحمد سلامة مبروك)، والشيخ هشام الحناوي رحمهما الله - متوجهين للشيشان فوقعوا أسرى في داغستان، ومكثوا حوالي الستة أشهر في السجن، دون أن يُعرفوا حتى أُطلق سراحهم بفضل الله، ثم بجهود بعض الإخوة، وكان أمامهم خياران إما أن يواصلوا المسير إلى الشيشان، أو العودة واللاحق بالإخوة في أفغانستان، فاختار الشيخ هشام الحناوي مواصلة طريقه إلى الشيشان، وقتل هناك رحمه الله، وجاء الشيخ الدكتور أيمن الظواهري مع الشيخ أبو الفرج إلى أفغانستان، والتقى بالشيخ أسامة بن لادن وبالشيخ أبي حفص الكمندان، وببقية الأحباب الذين فارقوهم منذ زمن. وبعد فترة قصيرة من التشاور، أدرك الدكتور أيمن أن أفغانستان، كانت وما زالت قلعة الإسلام، واستطاع الشيخ أسامة أن يقنعه بالإقامة في أفغانستان.

كذلك بسبب إجبار الحكومة السودانية لهم بالمغادرة، تضرر كثير من المجاهدين، وتعرضوا للأسر هنا وهناك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، أسر في ألمانيا الشيخ الجليل قارئ القرآن ذو الصوت الندي أبو هاجر العراقي، ثم سُلم إلى أمريكا، فك الله أسره. وبدلاً من أن تكون بلاد المسلمين، ملاذاً آمناً لكل خائف من المسلمين، اضطر بعض الإخوة معرضين أنفسهم وأبناءهم للفتنة، باللجوء إلى ديار الكافرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(91) ليس صحيحاً البتة ما تناولته بعض الوثائقيات بأن طائرة الشيخ أسامة كانت قد نزلت في مطار دبي للترؤد بالوقود، والصحيح أن إحدى الطائرتين اللتان أقلتا بقية الإخوة من السودان بعد ذلك، هي من تزودت بالوقود من مطار دبي.

عظات وعبر من قصة السودان، وقصة تسليم جمال الفضل نفسه للأمريكان:

ولعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نستشققها ونقف عليها ونستفيد منها من قصة جمال الفضل، ومن موقف حكومة البشير مع الشيخ أسامة والجماعات الجهادية هي: ضرورة إخلاص النية، والصدق في التوجه والتجرد لله عز وجل في القول والعمل.

يقول الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر في كتابه "زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه":

"فصلاح حركات العبد الظاهرة بحسب صلاح حركة قلبه وباطنه، فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات جوارحه كلها، بخلاف ما إذا كان قلبه فاسداً قد استولى عليه حب الهوى واتباع الشهوات وتقديم حظوظ النفس، فإن من كان كذلك فسدت حركات جوارحه كلها. ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود سالحة، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المشاهدة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ".

ولعل خير مثال نسوقه على هذا الكلام من صفحات هذا الكتاب هي أن نعقد مقارنتين، الأولى بين ما آل إليه حال جمال الفضل، وبين ما آل إليه حال الإخوة في جماعة القاعدة. والمقارنة الثانية بين ما آلت إليه حكومة البشير، وما آلت إليه حكومة طالبان.

1- كما رأينا فقد حلت بجمال الفضل تداعيات عظيمة من جراء انتكاسته، وتغير نيته، وعدم احتساب الأجر من الله، والرضا بما قسمه له، فوقع في الحرام، واستدرجه الله شيئاً فشيئاً حتى ضاقت عليه الدنيا بما رحبت، ولم يجد ملجأً من الله إلا بيع نفسه ودينه للشيطان بثمن بخس، فوقع في الردّة والعياذ بالله، وكان ما كان من شأنه الذي ذكرناه، فبرئت منه ذمة الله وذمة رسوله، وخسر الدنيا والآخرة إلا أن يتوب ويرجع إلى الله عز وجل.

وهذا الأمر مشاهد ومحسوس في كل من امتدت يده وخاضت بالحرام في أموال الجهاد والمجاهدين، فكم من مجاهد كان من السابقين الأولين، ومن الذين ضحوا وبذلوا لنصرة هذا الدين، ولكنه وللأسف الشديد، بسبب خوضه في أموال الجهاد والمجاهدين، عاقبه الله في الدنيا، فأبعده

من هذه النعمة العظيمة التي كان قد أكرمه بها، وهي نصره دينه، وأصبح في المقابل جنديًا مخلصًا من جنود الصليب، وحذاءً من أحذية الطواغيت، نسأل الله العافية والثبات.

والشيء بالشيء يذكر، فمن الأمور التي كانت سببًا في انتكاسة بعض الإخوة السابقين في هذا الطريق، هي الحرص على الشرف والتصدّر للقيادة، فبعض الإخوة لم يتجرّد لله من حظوظ نفسه، ولم يحتسب أن يكون سهمًا في سبيله يرمى به الأمير حيث ما رمى، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السّاقّة كان في السّاقّة، فتجده راضيًا إذا كان أميرًا، وساخطًا متسخطًا على كلّ شيء إن كان جنديًا، وأمثال هؤلاء - وللأسف الشديد - يهتمون بحياتهم الجهادية، إمّا بالتجنّب عن العمل على نصره هذا الدين، وإمّا بالتسليم إلى الطواغيت، حيث ينتهي بهم المطاف بالوقوع في الرّدّة والخوض في وحل العمالة، وذلك بموالة ومظاهرة الطواغيت وأوليائهم الصليبيين على المجاهدين، كما حدث مع جمال الفضل وغيره. وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم القائل في الحديث: (مَا ذُبَّانٍ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ).

وفي المقابل، عندما كانت نية الإخوة في تنظيم القاعدة كلها لله وفي سبيل الله، حتى تكون كلمة الله هي العليا، هيأ الله لهم - عندما ضاقت بهم الأحوال في باكستان - نفسًا في السودان، حسب ما ذكر سابقًا. ومرة أخرى، هيأ الله لهم هذه الأحداث السابق ذكرها، لتضيّق عليهم الأمور في السودان وتنفرج لهم أيما انفراجٍ في أفغانستان، لتبدأ معها مرحلة جديدة من مراحل التدافع بين الحق والباطل، مع رجالٍ نحسبهم صدقوا مع الله عز وجل، فعقدوا البيعة معه على هلكة أموالهم وقتل أشرافهم، بأن ينصروا دينه، ويمنعوا المستضعفين من المؤمنين بإيوائهم والدفاع عنهم بأغلى ما يملكون.

2- أما فيما يخصّ حكومة البشير، فجدير بالذكر في هذا الموطن أن نعقد مقارنة سريعة بين موقفها وموقف إمارة طالبان الإسلامية بالنسبة لقضية إيواء الشيخ أسامة ومن معه من المستضعفين. فبناءً على التوجّه الإسلامي الذي كانت حكومة البشير قد أعلنته - عندما ملئت الدنيا ضجيجًا وأقامتها ولم تقعدّها، وكانت تردد كلّ شيء لله - كان من المفترض عليها عندما رحّبت بقدوم الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة وغيره من الجماعات الجهادية الأخرى إلى السودان، أن تكون نيّتها خالصة لله تعالى، ومبنية على أساس الولاء لأخوة الإسلام والمسلمين، وليس

بغرض استخدامهم حسب ما تقتضيه المصالح كورقة ضاغطة على حكوماتهم التي ناصبت حكومة البشير العداء. وكانت العقوبة الرئانية لهذه النية المصلحية، هي رضوخ حكومة البشير وانكسارها واستسلامها أمام الضغوط الأمريكية، التي كان من بينها إضافة إلى التخلي عن مشروعهم الإسلامي إبعاد الشيخ أسامة من السودان. وكان أول تعليق أمريكي لهذا الأمر هو أن هذه خطوة أولى في الطريق الصحيح، وبالطبع كانوا يقصدون أن هذه خطوة أولى في طريق طويل من التنازلات يجب على حكومة البشير تقديمها. وبالفعل قدّمت حكومة البشير لأمريكا سيلاً من التنازلات أضاعت بسببها الدين والدنيا، وأوصلت حال البلاد إلى ما وصل إليه اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكانت النتيجة الحتمية لهذه التنازلات هي أن أمريكا لم ترض عن حكومة البشير، ولم تنفذ لها ما وعدتها به، وسخط عليها إخوانها الذين وقفوا بجانبها يوماً ما يقاسمونها الحلوة والمرّة، وصدق الله القائل في كتابه: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. وصدق رسول الله القائل في الحديث: (مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِرِضَاءِ اللَّهِ كَفَّاهُ اللَّهُ).

فالجنوب الذي من أجله أعلنت حكومة البشير الجهاد في سبيل الله، ودفعت له الغالي والنفيس من خيرة شباب البلاد، وثرواتها ومواردها ووقتها، فُطع وفُصل من جسم السودان. ورغم سيل التنازلات التي قدمتها حكومة البشير لإرضاء لأمريكا والمجتمع الدولي، استمر السودان تحت قائمة ما يسمى الدول الراحية للإرهاب، واستمر الحصار الاقتصادي مضروباً عليه، ووضع البشير وبعض كبار المسؤولين في الدولة في قائمة المطلوبين للمحاكمة في محكمة الجنايات الدولية، وفي النهاية كان مآل حكومة البشير ضياع الدين والدنيا، وذهابها غير مأسوفٍ عليها إلى مزبلة التاريخ.

وفي المقابل، عندما صدقت حكومة طالبان في توجيهها مع الله، سجّلت مواقف عظيمة سَطَّرت بمدادٍ من نورٍ في ذاكرة التاريخ ستبقى حجة على أدعياء التوحيد. فها هم الطالبان اليوم بعد مُضى ما يقارب الثلاثة عقود من الزمان، لم تثنهم آلامهم وجراحاتهم ومآسيهم التي مرّوا بها طوال تلك السنين أن يعطوا الدّينة في دينهم قيد أنملة، فلم يحرك فيهم دوي الصواريخ، وأزيز الطائرات، وصرير الدبابات، ودموع اليتامى والثكالى شعرة أن يلينوا أو ينكسروا أمام أمريكا.

لقد ضربت حكومة طالبان الإسلامية أروع الأمثلة في الثبات والصمود على المبادئ والثوابت، وفي التضحية والفداء، وإرخاص النفس والنفيس لنصرة الدين والمستضعفين من المؤمنين. فلاجل

رجلٍ واحدٍ قامت الدنيا في وجهها ولم تقعد، لأجل رجلٍ واحدٍ جسّد الطالبان معاني بيعة الرضوان عندما تباع أصحاب الشجرة... ألف وأربعمئة صحابي بما فيهم رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام... تباعوا على الموت لمجرد رجلٍ واحدٍ من المسلمين، بعثه رسول الله الى قريش أشيع بأنّه قتل. لأجل رجلٍ واحدٍ ضحّى الطالبان بدولتهم عندما رفضوا تسليم الشيخ أسامة رحمه الله لأمریکا، وقال في ذلك أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله قولته المشهورة، عندما هددوه بأن أمریکا ستتدخل عسكرياً للإطاحة بحكومة طالبان، قال: "والله لو تشتعل أفغانستان حجرةً حجرةً لما أسلمت أسامة للكفار".

لقد أيقن أمير المؤمنين بأن ثباته على دينه ورضى ربه هو أعظم غنيمة، أعظم من خسارته لملكه، وما ينفع الملك إذا أورده النار يوم القيامة؟ فالملك متاع يجيء ويذهب، وإنما المفلح من جعله عبادةً يرضي بها ربّه، ومطيةً ينصر بها دينه.

وإزاء هذه المواقف البطولية المشرفة ما زال الطالبان - بفضل الله وحده - ثابتين ثبات الجبال، وأيقنت أمريكا في نهاية المطاف أنها تخوض حرباً خاسرة لا جدوى منها، وأن خيارها الوحيد للحفاظ على ماء وجهها والخروج من هذا المأزق، هو أن تنحني صاغرة أمام طالبان، وتجلس معهم وجهاً لوجه على طاولة التفاوض، لتوقع معهم مسودة اتفاق دلّ بطريقة دبلوماسية على هزيمة واستسلام الولايات المتحدة الأمريكية.

فكل من أخلص دينه لله، واستقام على أمره، وتجرد له، وقبل البيعة معه على أن يضحى في سبيله بالغالي والنفيس، يوفقه الله ويهديه، ويكلؤه بعنايته ورحمته ومعيته كائنًا من كان، فردًا أو جماعة أو دولة. وكل من بدّل وغير وأشرك في نيته، يخذله الله ويستدرجه ويكله إلى نفسه، فيبني بنيانه على شفا جرف هار، حتى ينهار به في نار جهنم والعياذ بالله. فمن كان الله معه، كان معه كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء.

نصيحة الشيخ أسامة لحكومة البشير بعولة قضية الجنوب:

ومما يجدر ذكره فيما يخص قضية الجنوب، أن الشيخ أسامة رحمه الله، كان قد قدم - مع بدايات الحملة الجهادية التي أطلقها حكومة البشير عام 1992م لتحرير الجنوب من قبضة الجيش الشعبي لتحرير السودان - نصيحة للقائمين على أمر البلاد، ينصحهم فيها بعولة قضية الجنوب، واستنفار المسلمين للمشاركة في هذا الواجب الشرعي، وفتح الباب على مصراعيه لمشاركة

المجاهدين، الذين سيأتون من كل أنحاء العالم، كما حدث في أفغانستان والبوسنة على سبيل المثال. وللأسف الشديد تدخلت ثقافة سايكس بيكو، لتقف حجر عثرة في وجه هذا الطرح العظيم، بحجة أن ذلك سيفتح عليهم بابًا من الضغوط الدولية لا قبل لهم بها، والتي لم تنفك عنهم حتى آخر رمق من عمر حكومتهم.

وكانت وجهة نظر الشيخ أسامة في هذه النصيحة القيمة ليس فقط تحرير الجنوب، بل كان يرمي إلى هدف أسمى من ذلك بكثير، وهو تحطيم صنم سايكس بيكو في نفوس المنهزمين من المسلمين، لتحقيق بذلك معاني الجسد الواحد للأمة، التي إذا اشتكى منها عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. هذه المعاني التي ارتعدت وترتعد لها فرائض المستكبرين وأئمة الكفر في كل زمان ومكان، وتتحطم على عتباتها، كل مصالحهم ومخططاتهم ومطامعهم لاحتلال بلاد المسلمين ونهب ثرواتهم. هذه المعاني التي لولاها ليئس الشيطان أن يعبد في الأرض، فأرسل أبالسته ومردته كأمثال سايكس بيكو يخططون ويمكرون الليل وصلًا بالنهار، لتمزيق جسد هذه الأمة إلى حظائر وعششٍ تحد كل واحدة منها خطوط حمراء من زبالات قوانين البشر، والويل كل الويل لمن يتخطاها.

ولنا أن نتخيل كيف كانت ستكون الصورة، لو قدر الله واستجابت حكومة البشير لنصيحة الشيخ أسامة لها بعولة قضية الجنوب، كانت ستكون متنفسًا لكل المسلمين المستضعفين في دول الجوار، مثل أفريقيا الوسطى وكينيا وأوغندا وأثيوبيا والصومال.



السودان بعد انفصال الجنوب

المرحلة الرابعة:

مرحلة أفغانستان الثانية، وتبدأ من خروج الشيخ أسامة من السودان في 18 مايو

1996 حتى أحداث 9/11:

على نفسها جنت براقش:

ما أن لامست عجالات الطائرة الخاصة⁽⁹²⁾، المقلّة للشيخ أسامة - رحمه الله - ورفاق رحلته مطار جلال آباد، في أصيل ذلك اليوم الأول من السنة الهجرية لعام 1417هـ، حتّى بدأت مرحلة جديدة من المواجهة المباشرة والتدافع، وجهًا لوجه بين القاعدة وهبل العصر أمريكا، مرحلة لم يحسب لها ولا لتداعياتها بهذه السرعة أي حساب كِلا الطرفين، ورحم الله الشيخ أسامة، فقد كان يقول: "لقد ساقنا الله سوقًا إلى هذه المواجهة".

وكانت خطة الحكومة الأمريكية - بعد أن يؤسست من أن الحكومة السودانية لن تقوم بتسليم الشيخ أسامة - ممارسة الضغط عليها لإخراجه من السودان، ومن ثم اعتقاله إما باعتراض طائرته في الجو، أو أن يقوم البلد الذي سيحلّ فيه بتسليمه لها، أو أي سيناريوهات أخرى، لكن يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين، فأسقط في أيديهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا بعد أن علموا أن الشيخ أسامة قد استقر به الترحال في تلك الجبال الشوامخ؛ جبال الهندوكوش، التي على قممها تحطمت وتكسرت إمبراطوريتان من قبل: بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتي. وها هي الإمبراطورية الثالثة الولايات المتحدة، ستأتي بعد قليلٍ بقضها وقضيضها، وخيلها ورجلها تحت الخطى، لتلقى نفس المصير الذي لقيه أسلافها، ولتأخذ مكانها في مقبرة الامبراطوريات.

وكانت قيادة القاعدة ومجلس شوراهما، بعد نزول القوات الأمريكية بلاد الحرمين عام 1991م بحجة تحرير الكويت، قد خططوا للتصدي لسياسات أمريكا ومخططاتها، غير أنهم لم يتوقعوا أبدًا أن الأحداث ستسارع وقائعها جدًّا بهذه الصورة وبهذا المعدل من التسارع، لتسوقهم سوقًا إلى المواجهة المباشرة مع هبل العصر أمريكا، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وصدق من قال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

(92) غادر الشيخ أسامة ورفاقه السابق ذكرهم الخرطوم إلى جلال آباد على طائرة الرئيس السوداني عمر البشير.

الشيخ أسامة في ضيافة الشيخ يونس خالص:

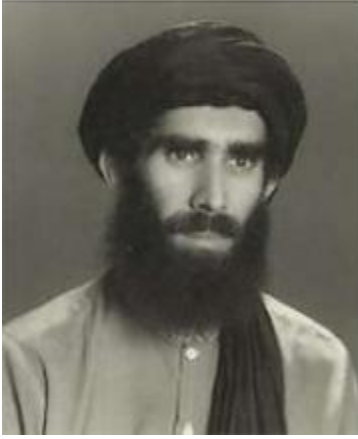
نزل الشيخ أسامة ضيفًا عزيزًا مكرّمًا في ضيافة الشيخ يونس خالص وبعض قيادات الجهاد المخلصين الصادقين في ساحة جلال أباد آنذاك، من أمثال القائد سازنور، والقائد النجير محمود، والقائد معلم أول جل⁽⁹³⁾، والقائد فضل الحق مجاهد⁽⁹⁴⁾ رحمهم الله جميعًا. وكان هؤلاء القادة هم من يُدير شؤون ولاية نجرهار، التي كان يسيطر عليها الحزب الإسلامي بقيادة الشيخ الجليل المولوي يونس خالص الذي كان يتمتع بمكانة عالية، وكلمة مسموعة بين قادة الجهاد. وكان والي الولاية آنذاك، واحد من قادة المجاهدين السابقين في الولاية يدعى حجّي قدير، ويعمل تحت إمرة الشيخ يونس خالص، غير أنه نكص على عقبيه، وغير وبدل، والتحق لاحقًا بتحالف الشمال الذي كان يقاتل الطالبان كما سيأتي ذكره.



الشيخ يونس خالص - رحمه الله

(93) توفي رحمه الله على إثر ذبحة صدرية أصابته في معتقل جوانتنامو في 2 فبراير 2011م.

(94) أُغتيل رحمه الله في بشاور في 31 مايو 1997م وهو في طريقه للمسجد لأداء صلاة العشاء.



فاضل الحق مجاهد - تقبله الله



معلم أول جل - رحمه الله

وكان بيت الضيافة الذي نزل فيه الشيخ أسامة ورفاق رحلته في جلال أباد هو قصر الملك السابق ظاهر شاه، حيث مكثوا هناك حوالي شهر أو يزيد بصحبة القائد فضل الحق مجاهد رحمه الله. ولم يكن الشيخ أسامة ورفاقه خلال هذه الفترة ينامون داخل القصر، بل كانوا ينامون في عدة خيام نصبت لهم في الحديقة بناءً على طلب الشيخ أسامة. وكان كل من الأخوين خالد الحبيب رحمه الله وأبو اليسر التونسي يشرفان على إعداد الطعام، ثم ما لبث الإخوة والعوائل الذين في السودان أن بدأوا يتوافدون على دفعتين، فجاء الذين في الدفعة الأولى بطائرة شحن روسية، وكان بينهم الشيخ سيف العدل حفظه الله، وكانت هذه الطائرة قد هبطت في مدينة شيراز الإيرانية للتزود بالوقود، وأكملت بعدها الرحلة إلى جلال أباد، وكان في استقبالهم د. أمين أحد قادة المجاهدين أيام الجهاد الأول في جبهة جلال أباد وكان تحت قيادة الشيخ يونس خالص، وجاء الذين في الدفعة الثانية بطائرة الخطوط الجوية الأفغانية (أريانا)، فتم إسكان النساء والأطفال داخل القصر، وانتشر بقية الإخوة خارج القصر في الخيام مع الشيخ أسامة رحمه الله⁽⁹⁵⁾.

مجمع نجم الجهاد:

وكان مجلس شورى جلال أباد قد كلف القائد معلم أول جل رحمه الله، ليكون هو المسئول عن تسير كل الأمور التي يحتاج لها الإخوة من خدمات، فخصصت لهم في حي نجم الجهاد، قطعة

(95) نقلاً عن رواية الشيخ سيف العدل، حفظه الله.

أرض لبناء مجمّع سكني، كان قد تبرع بها وبدون مقابل الدكتور أمين حفظه الله، وكان هذا المجمّع قريباً جداً من بيت الشيخ يونس خالص، وانجنير محمود ومعلم أول جل، رحمهم الله جميعاً.

كان المجمّع مقسوماً إلى قسمين، قسم العائلات ومساحته حوالي ثلثي المساحة، وقسم الضيوف والإخوة العزاب والمطبخ ويشغل حوالي الثلث الآخر من المساحة، وبنيت كل البيوت والمباني داخل المجمع من الطين واللبن، وسقوفها من جذوع الأشجار وحصائر من القش فوقها طبقة من الطين. وكان كل بيت - حتى بيوت الشيخ أسامة رحمه الله - عبارة عن غرفة واحدة فقط، ومطبخ وحمّام وردهة صغيرة، بالتقريب لا تتجاوز مساحة البيت الواحد الستون متراً مربعاً.

والإخوة المتزوجون الذين كانوا يسكنون في المجمّع هم:

- 1- الشيخ أسامة بن لادن، رحمه الله.
- 2- الشيخ أبو حفص الكمندان المصري (صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري) رحمه الله.
- 3- الشيخ أبو مُجَّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) رحمه الله.
- 4- الشيخ سيف العدل (مُجَّد صلاح الدين زيدان) المصري، حفظه الله.
- 5- الشيخ سعيد المحاسب (مصطفى أحمد عثمان أبو اليزيد) رحمه الله.
- 6- أبو خليل المدني، رحمه الله.
- 7- أبو طارق التونسي، رحمه الله.
- 8- أبو زياد العراقي، رحمه الله.
- 9- أبو عبد الرحمن المهاجر المصري (محسن موسى متولي)، رحمه الله.
- 10- خليفة المصري، رحمه الله.
- 11- شاكر المصري، رحمه الله.
- 12- أبو الحسن الصعيدي، رحمه الله.
- 13- أبو همام الفلاح الصعيدي، رحمه الله.
- 14- خالد المقدسي المصري (سعدوف)، رحمه الله.
- 15- عبد المهيمن المصري، حفظه الله.

- 16- أبو حفص العرب المصري، رحمه الله.
- 17- رضا التونسي⁽⁹⁶⁾، فك الله أسره
- 18- أمير الفتح⁽⁹⁷⁾ (أحمد فاروق) المصري، رحمه الله.
- 19- أبو بكر جل الأسواني، رحمه الله
- 20- خالد الحبيب المصري، رحمه الله.
- 21- شيخ عيسى الموريتاني، حفظه الله.
- 22- الشيخ أبو عبدة الموريتاني، رحمه الله.
- 23- عائلة أبو عامر الصعيدي المصري - كان مأسورًا حينها والحمد لله فقد فك الله أسره.
- 24- وكان هناك مجمّع آخر، يبعد حوالي مئة متر تُبنى فيه مجموعة بيوت لتستوعب بقية الإخوة، وكانت قطعة أرض هذا المجمّع قد تبرع بها أيضًا بدون مقابل قارئ محمود من أتباع الشيخ يونس خالص رحمه الله، وكان من المفترض أن يسكن في هذا المجمّع بعد اكتماله، كل من الشيخين أبو عبد الرحمن الكندي⁽⁹⁸⁾ (أحمد سعيد خضر) رحمه الله، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله، لكن شاءت الأقدار أن يرحل الجميع إلى قندهار.

(96) الآن والله الحمد والمنة هو حر وموجود بتونس وربما عليه بعض القيود.

(97) أمير الفتح هو شقيق الشيخ أبو عبدة البنشيري، رحمهم الله جميعًا.

(98) من قدامى النافرين إلى أفغانستان منذ عام 1985م. كان له دور فعال في مجال الإغاثة ورعاية الأرامل والأيتام وفي مجال التعليم والرعاية الصحية للمهاجرين الأفغان. كذلك كان له دور بارز عام 1991م في العمل العسكري في فتح ولاية لوجر، وأصيب في قدمه إصابة بالغة. وفي عام 1999م وضعته بريطانيا في قائمة أعضاء القاعدة. استشهد رحمه الله في 2 أكتوبر 2003م إثر مdahمة القوات الأمريكية والباكستانية لمأواه في منطقة القبائل في باكستان، وأصيب في المdahمة ابنه عبد الكريم بطلقة في عموده الفقري سببت له شلل دائم. كذلك كان ابنه عمر خضر قد أسر ورحّل إلى جواتاناموا، وكان أصغر أسير هناك.



الشيخ أبو الوليد المصري
حفظه الله



الشيخ أبو عبد الرحمن الكندي
تقبله الله

الإخوة العزّاب وهم:

- 1- حمزة الزبير المصري رحمه الله.
- 2- أبو عبد العزيز الكندي، من بلاد الحرمين رحمه الله.
- 3- الشيخ أبو دجانة الباشا المصري⁽⁹⁹⁾، رحمه الله.
- 4- أبو اليسر التونسي، حفظه الله.
- 5- الشيخ عبد الرحيم اليمني، رحمه الله.
- 6- أبو أيمن اليمني، رحمه الله.
- 7- أبو مالك الرصاص اليمني، رحمه الله.
- 8- أسد عمر عبد الرحمن المصري - حفظه الله وأخيه رحمه الله قتل.
- 9- أحمد عبد الله المصري، رحمه الله - منقذ عملية دار السلام.
- 10- أبو تميم المصري، رحمه الله.
- 11- الإخوة الأفغان العاملين معنا كالطباخين والسائقين والمترجمين.
- 12- شريف المصري، حفظه الله.

(99) صهر الشيخ أيمن الظواهري.

13- أبو طارق المصري، حفظه الله.

14- خبيب السوداني، حفظه الله.

15- وكان هناك بيت آخر في جلال آباد، مستأجر للإخوة العزاب الذين وصلوا من شمال أفغانستان بقيادة الأخ بلال المكي (عبد الرحيم الناشري)⁽¹⁰⁰⁾، وكان بينهم الأخ حمزة الغامدي، وعزام المكي منفذ عملية نيروبي في كينيا، وكان المسئول عن هذا البيت هو الأخ مهّد بن عتش رحمه الله، وكان معهم أيضًا خلّاد بن عتش⁽¹⁰¹⁾ فك الله أسره.

وكان يوجد في داخل مجمع نجم الجهاد مسجد صغير، تقام فيه كل الصلوات إضافة إلى الجمعات، كذلك كان يوجد دكان صغير تباع فيه السلع الضرورية. وبحكم تلاصق البيوت وقربها من بعضها البعض، كانت الحياة داخل المجمع تحمل كل معاني الأخوة والحب والتعاون، ويُحَيِّم على الجميع شعور واحد بأنهم أسرة واحدة، لفها مصير واحد، إضافة إلى الفرحة العارمة التي عمت كل الإخوة بالعودة مرة أخرى إلى أفغانستان، ومجاورة الطيبين الصالحين من أهلها، أمثال الشيخ يونس خالص وانجنير محمود ومعلم أول جل، رحمهم الله جميعًا.

الشيخ أسامة في جبال تورا بورا:

وكان الشيخ أسامة - لما اكتمل وصول العائلات من السودان، وقبل بناء المجمع - قد أبدى رغبته لمضيفيه في أن يكون مكان إقامته بعيدًا عن تلك القصور، هناك في الجبال، فقد كان يخطط لأمرٍ عظيمٍ يحتاج إلى جوٍ خاص من الهدوء والسكينة لصياغة البيان الذي سيغيّر مجرى التاريخ، فاستجاب مضيفوه لطلبه، وهبوا له مكانًا آمنًا وحصينًا في جبال تورا بورا، كان من قبل قاعدة انطلاق، ينطلق منها المجاهدون لتنفيذ عملياتهم ضد الروس.

كانت جبال تورا بورا تبعد عن جلال آباد حوالي ثلاثة ساعات بالسيارة البك أب، يمر خلالها الطريق بكثيرٍ من القرى والوديان ومجاري المياه، وتورا بورا عبارة عن سلسلة جبلية شاهقة الارتفاع، تمتد شمالًا وجنوبًا لتتصل مع جبال خوست وسلسلة جبال جاجي المشهورة، مكسوة بغطاء شجري معظمها من أشجار الصنوبر والثرو والبَلُوط، وغيرها من الأشجار العالية، والطقس في

(100) المسئول عن عملية تدمير المدمرة الأمريكية يو أس كول في ميناء عدن. حاليًا أسير في معتقل جوانتانامو.

(101) أحد المنسّقين لأحداث الحادي عشر من سبتمبر. حاليًا أسير في معتقل جوانتانامو.

تلك الجبال معتدل صيفًا، وبارد جدًا في الشتاء، حيث تنزل فيها الثلوج التي تغطي قممها صيفًا وشتاءً، حيث كانت ترى بالعين المجردة من مدينة جلال أباد.

كان المكان الذي استقر فيه الشيخ أسامة ورفاقه، وهم الشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، والشيخ سيف العدل، والشيخ عبد الرحيم اليمني، ومجموعة الحراسة التي كان يتناوب عليها الإخوة المتزوجون أسبوعيًا، مكونًا من ثلاثة غرف تربط بينهما ردهة طويلة مغلقة، خصصت واحدة من الغرف لتكون المكتبة ومكان النوم، وبها جهاز المخابرة، والغرفة الصغيرة كانت مجلس الشيخ الخاص. وخلف هذه الغرف كانت هناك غرفًا صغيرة محفورة في الجبل، عبارة عن مخازن سابقة للذخيرة، هيأها الشيخ أسامة لتكون غرفًا لزوجاته وبناته، بينما الأولاد الذكور عبد الرحمن وسعد وعمر وعثمان ومحمد كان نصيبهم خيمة في الخارج بعد أن تم تسوير الحوش بالبلد. وكان الشيخ أبو الوليد المصري والشيخ سيف العدل وعائليتهما وأبنائهما يسكنون في خيمتين، وكان الطعام يُطبخ مركزيًا ثم يوزع على العائلات.

التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه:

يقول الشيخ يوسف الغييري في كتابه " التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه":
إن التواجد الأمريكي في المنطقة لم يكن ردة فعل لقضية محددة كضربات سبتمبر، أو لتسلط رئيس غاشم، إن التواجد الأمريكي في المنطقة هو استراتيجية لا يمكن لأمریکا أبدًا أن تتنازل عنها... إن المنطقة هي شريان العالم للحياة، ومن يسيطر على هذا الشريان فسوف ينتعش ويسود، ومن ثم فإنه سيسيّط على العالم ويخنقه بلا رحمة حسب قناعتهم. هذا هو ملخص أهمية المنطقة بالنسبة لأمریکا، فمن السداجة والسخف أن يُظن أن القوات نزلت بسبب صدام، وسترحل بزوال صدام، كما أنه من السداجة أيضًا أن يُظنّ ولو بقدر بسيط جدًا أن إعلان إخلاء السعودية من القوات الأمريكية - حقيقة على أرض الواقع. التحرك والانتقال من دولة إلى أخرى في المنطقة لا يعدو أن يكون مجرد تحرك عسكري تكتيكي، ولكن الاستراتيجية ثابتة، وهي ضمان السيطرة على منابع النفط، والسيطرة على الممرات وضمان سلامة وصول النفط، وضمان أمن إسرائيل، وضمان عدم وصول الإسلاميين إلى أية سلطة في المنطقة، أو تحركهم بما يهدد سيادة أية دولة في المنطقة، هذه هي الاستراتيجية العسكرية الأمريكية الثابتة في المنطقة، وهذا هو المظهر

الواضح للصورة، وكل ما يحصل في خلفيات الصورة فهو لا يمثل أكثر من تغيير في الديكور لإعطاء الصورة مسحة جمالية خداعة، تُروّج على شعوب المنطقة، والمغفلين⁽¹⁰²⁾.

فكرة قوات التدخل السريع وتطوراتها⁽¹⁰³⁾:

• يعود تاريخ طرح الفكرة، إلى أواخر السبعينات الهجرية أوائل الستينات الميلادية، عندما طرح (روبرت ماكنمارا) وزير الدفاع الأمريكي آنذاك، مبدأ (الرد المرن) بدلاً من مبدأ (الرد الشامل) النووي... ويرتكز مبدأ (الرد المرن) على توسيع القدرات القتالية التقليدية – أي غير النووية – لمواجهة الحركات التمردية، أو الحروب الشعبية أو الأزمات المحلية المحدودة، وطرح إنشاء قوات ضاربة تقليدية متحركة تستطيع التدخل في المناطق النائية وبسرعة وفعالية، إلا أن اقتراحه هذا رفض من قبل الكونجرس الأمريكي في وقته.

• وبعد أزمة الطاقة عام 1393هـ 1973م أثارت هذه الأزمة النقاش حول هذا الطرح، الذي كان بمثابة العلاج لخطر فقدان السيطرة الأمريكية على مصادر النفط. وحاول (كيسنجر) عندما كان وزيراً للخارجية الأمريكية عام 1394هـ 1974م بحث إمكانية قيام قوة أوروبية أمريكية لحماية مصادر النفط، إلا أن حلف (الناتو) رفض ذلك.

• وبعد استلام الرئيس (كارتر) السلطة عام 1396هـ 1976م بعث فكرة (قوات التدخل) من جديد عن طريق مبدئه... ودفعت أحداث المنطقة كسقوط الشاه والغزو السوفيتي إلى المسارعة باتخاذ الخطوات العملية لتفعيل هذه القوة، وقد دفعت هذه التطورات وزير الدفاع الأمريكي (كاسبر واينبرغر) آنذاك أن يقول أمام لجنة الدفاع والشؤون الخارجية التابعة للكونجرس في شهر ربيع الثاني لعام 1401هـ فبراير 1981م (بأن الحاجة باتت ملحة لاحتفاظ الولايات المتحدة لوجود دائم لقواتها في مناطق النفط وحول طرق مواصلاته).

... حتى أن (نيكسون) نفسه تخلّى عن ما عرف (بمبدأ نيكسون) فيما بعد، ليتحول إلى مناصر (لمبدأ كارتر)... فيقول مؤكداً لذلك في كتابه نصر بلا حرب: "إن الولايات المتحدة هي الآن الدولة الوحيدة التي يمكنها حماية المصالح الغربية في الخليج الفارسي، وليس هناك أية دولة من

(102) التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه. للشيخ يوسف العثيري. بتصرّف.

(103) التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه. للشيخ يوسف العثيري. بتصرّف.

دول الخليج الموالية للغرب قوية بالقدر الكافي للقيام بذلك، كما لا تتوافر لأي من حلفائنا الأوروبيين القوة أو الرغبة في أن يقوم بذلك، وينبغي لنا أن نعمل على الجبهة العسكرية لتحسين قدرتنا على إبراز القوة الأمريكية في الخليج، وقد حققنا تقدمًا هامًا في هذا المجال، فقد أنشأ الرئيس كارتر قوة الانتشار السريع، وعزز الرئيس ريغان وضعها بتحويلها إلى قيادة مركزية، واعتمد الكونجرس مليارات الدولارات لقواتها، وقال يستحيل على الولايات المتحدة أن تتدخل في الخليج الفارسي بدون أن تتوفر لها إمكانية الحصول على قواعد جوية في المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى الأصغر، إننا في حاجة إلى وضع قوات جوية في قواعد هناك حتى يمكن أن نحمي قواتنا البرية عند قيامها بإنشاء رأس جسر وبدون تفوق جوي ستصبح أي عملية إنزال أمريكية في الخليج الفارسي تكرارًا لعملية الإنزال البريطانية في غاليبولي أثناء الحرب العالمية الأولى".

نقطة التحول الرئيسية في تاريخ الصراع:

كان استقدام القوات الأمريكية إلى الجزيرة العربية في أغسطس عام 1990م تحت ذريعة تحرير الكويت، قد خلف زلزالًا عنيفًا أصاب الأمة بأسرها، وقسمها أفقيًا ورأسيًا ليس على خلفية احتلال العراق للكويت، بل على مشروعية وجود قوات غربية صليبية في أرض الحرمين والاستعانة بها، فشكل ذلك الغزو نقطة تحول كبيرة في تاريخ الصراع في المنطقة، وكذلك في تحول المسار الفكري للمجاهدين، بما فيهم الشيخ أسامة رحمه الله، بعد أن كشفت لهم الأحداث حقيقة الأنظمة الحاكمة في المنطقة، وحقيقة المؤسسات الدينية التابعة لها، وضخامة المؤامرات الصليبية التي اعتمدت على الأطراف السابقة في وصول جيوشها إلى المنطقة، وإضفاء الشرعية على هذا الوجود الدائم، فقد كانت ضخامة قوات التحالف التي قدرت بمليون جندي - منهم 400 ألف جندي أمريكي، مدعومين بمئات الطائرات والبارجات العملاقة وحاملات الطائرات - كافية لأن يدرك المجاهدون أن هناك مؤامرة عالمية على المسلمين تحاك بالتعاون مع الأنظمة العميلة في المنطقة، ومدعومة بالمؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية⁽¹⁰⁴⁾.

(104) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.



قدوم القوات الأمريكية إلى بلاد الحرمين عام 1991م

وهنا تيقن الشيخ أسامة رحمه الله، أن التواجد العسكري الأمريكي في أرض الحرمين، والبقاء فيها لأجلٍ غير محدود - سواءً أن تم تسويق ذلك الوجود على أنه بطلب من الملك، أو رغمًا عن أنفه - ليس ذريعة لمحاربة أمريكا فقط، بل يعتبر بمثابة المسمار الأخير في نعش شرعية نظام آل سعود لأنه تحول إلى شريك للمحتل الصليبي، وفي ذات الوقت ينكّل برموز الصحة من العلماء والدعاة والمصلحين، الذين كانوا يعارضون الوجود العسكري الأمريكي بالطرق السلمية⁽¹⁰⁵⁾.

وكان رحمه الله قد توصل بتفكيره الشخصي، وتأثره بمنهج التيار الجهادي وفهمه للواقع، إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة، ومنها النظام القائم في بلاد الحرمين، يمر حتمًا بمواجهة أمريكا، وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة⁽¹⁰⁶⁾:

(1) العلماء يضيفون الشرعية على حكومة آل سعود.

(2) وآل سعود يضيفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة.

وهناك إحدى طريقتين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع وهي:

(105) الجهاد في السعودية، قصة تنظيم القاعدة في جزيرة العرب. للكاتب توماس هيغهامر. بتصرف.

(106) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

1- إما مواجهة آل سعود، وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط شرعية آل سعود، وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية، وما زرعه من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من سبعين سنة.

2- وإما الطريق الأسلم، وهو ضرب الوجود الأمريكي، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بيئة أكثر وضوحاً أمام الناس.

البيان الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب:

واختار الشيخ أسامة رحمه الله الخيار الثاني؛ لذلك ما أن استقرت قدماه في جبال تورا بورا، حتى بدأ العمل في صياغة بيان الحرب الأول مع طاغية العصر، وهو إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين. وكان الشيخ أسامة قد طلب من الإخوة المتواجدين في الجبل، أن يقترح كل منهم عنواناً مناسباً ليخرج به البيان، ووفق الله لذلك الشيخ أبو عبيدة الموريتاني رحمه الله، فقد حظي اقتراحه من بين اقتراحات الإخوة، بموافقة الشيخ أسامة، بأن يكون البيان تحت عنوان: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب".

وخرج ذلك البيان للعالم ليكون بمثابة المسمار الأول الذي يُدق في نعش هبل العصر أميركا، ومؤذناً ببدء حرب غيرت مجرى التاريخ، على إثرها سقطت كل الأقنعة فكشفت وجه الغرب الصليبي ووكلائه، حرب كشفت معادن الرجولة والرجال وقسمت العالم أجمع إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط كفر لا إيمان فيه، أعاذنا الله وإياكم منه.

كان خروج ذلك البيان في أغسطس من عام 1996م، بعد ثلاثة أشهر فقط من مغادرة الشيخ أسامة للسودان، وعن ذلك يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان، مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن - بفضل الله - تيسر وجود قاعدة آمنة في خراسان فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها - بفضل الله - أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين (الله أكبر)، واليوم من فوق نفس الذرى، من أفغانستان نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من

التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، واستباحته بلاد الحرمين⁽¹⁰⁷⁾، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه".

حملة الشيخ أسامة التوعوية لما يدعو له:

بعد خروج البيان بدأ الشيخ أسامة رحمه الله، حملة دعوية توعوية لما يدعو إليه، خلاصتها أن الواجبات إذا تعددت قدم أكدها، وأوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هو دفع العدو الصائل أمريكا، التي تسرح وتمرح جيوشها في أقدس مقدسات المسلمين، في بلاد الحرمين ولا محرك ولا مجيب. وكان الشيخ أسامة يخشى أنه إذا لم يقم الناس اليوم، ويتداعوا لدفع صيال العدو عن بلاد الحرمين، فستنسى القضية، وتضيع في زحمة الزمن ومشاغل الحياة، تمامًا كما ضاعت فلسطين من قبل، فيأتي جيلٌ يخلفه جيل، تكبله سياسة الأمر الواقع، وسياسة ألا جدوى، فلا يأبه كثيرًا، ولا يتحرك له ساكن، فدوى صوت الشيخ أسامة وحسن حديثه وحلاوة منطقه عاليًا، يقول للناس:

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| تأهب مثل أهبة ذي كفاح | فإن الأمر جلّ عن التلاح |
| سألّبس ثوبها وأذود عنها | بأطراف الأسنة والصفاح |
| أتركنا وقد كثرت علينا | ذئاب الكفر تأكل من جناحي |
| ذئاب الكفر ما فتئت تؤلب | بني الأشرار من شقّ البطاح |
| فأين الحر من أبناء ديني | يذود عن الحرائر بالسلاح |
| فخير من حياة الذل موت | وبعض العار لا يمحوه ماحي |

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، لا يكاد يترك فرصةً إلا ويحرّض فيها الشباب والمجاهدين على اللحاق بأرض الإعداد والرباط، وعلى الإقدام على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فقد كان يحاضر في المعسكرات، ويعقد الاجتماعات والولائم في أيام الجُمع، وفي حفلات الزواج وفي الأعياد، وفي كل مناسبة يستطيع أن يبلغ فيها رسالة الجهاد والإسلام، وفي إحدى زيارته لمعسكر الفاروق قال مخاطبًا الإخوة المتدربين:

(107) جدير بالذكر أن بعض الإخوة الجهاديين من بلاد الحرمين كانوا قد تدربوا في معسكر الفاروق في خوست، وتأثروا بالشيخ أسامة، فقاموا - قبل إعلان البيان الذي أعلن فيه الشيخ أسامة الحرب على الأمريكيين - بسلسلة عمليات نوعية ضد الوجود الأمريكي، فكانت أول تلك العمليات في نوفمبر 1995م، وهي انفجار تمّ في مكاتب البعثة العسكرية الأمريكية في الرياض، أسفر عن مقتل خمسة أمريكيين وهنديين وجرح 60 آخرين.

" أقسم بالله هذا العدد الذي أراه، أرجو الله أن يجعل فيه البركة، إن تصبروا وتتقوا، والله الذي لا إله إلا هو لنأكلن بكم الأخضر واليابس والعجم بإذن الله. نحن اليوم - بفضل الله سبحانه وتعالى - نعيد رسم خريطة العالم الإسلامي، لتصبح دولة واحدة تحت راية الخلافة بإذن الله سبحانه وتعالى، ونحن اليوم - بفضل الله سبحانه وتعالى - نكتب تاريخًا ناصعًا لأهل الإيمان في هذا الزمن، الذي ادلهمت فيه الظلم، وانتشر فيه الجور والفساد والكفر في مشارق الأرض ومغاربها، فالسعيد من يثبتته الله - سبحانه وتعالى - بجوار راية التوحيد" (108).



الرئيس الأمريكي بوش يزور القوات الأمريكية في بلاد الحرمين بمناسبة "عيد الشكر" عام 1990م

(108) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



الملك فهد يتفقد القوات الأمريكية في بلاد الحرمين مع قائد قوات التحالف الأمريكي، الجنرال شوارزكوف

كذلك أرسل الشيخ أسامة الرسل والرسائل إلى المشايخ والعلماء في باكستان وبلاد الحرمين وغيرها، يذكرهم بفريضة المرحلة، ويطلب منهم أن يقوموا بدورهم وواجبهم في هذا الصدد، وأن لا يتأخروا عن ذلك إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة. كذلك تواصل الشيخ أسامة رحمه الله مع كثير من قادة الحركات الجهادية القطرية المتواجدين في أفغانستان وباكستان، يدعوهم للدخول معه في هذا البرنامج، وكان رحمه الله، قد أدرك أن زمن التنظيمات القطرية المحلية قد ولى، وأنه لا يصلح للمرحلة القادمة، وأن الواجب هو حشد الأمة على مواجهة العدو الخارجي ممثلاً بأمريكا، والتركيز على قضية إخراجهم من جزيرة العرب، ودمج هذا ببعد الصراع مع اليهود حول فلسطين والأقصى.

كذلك كان الشيخ أسامة - بعد عودتي من الشيشان في أكتوبر 1996م - قد أرسلني مرة أخرى إلى الشيشان وبحوزتي بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، ورسالة خطية وأخرى شفوية

للقائد خطّاب رحمه الله، يطلب منه الشيخ أسامة أن يأتي إليه هو وكل الإخوة الذين معه. وكان خطّاب حينها قد توسع عمل جماعته العسكري والدعوي في الشيشان، وواعد بإرسال نائبه حكيم المدني، للتفاهم مع الشيخ أسامة. وبالفعل بعد شهر من تسليمي الرسالة، جاء حكيم المدني لمقابلة الشيخ أسامة ومكث معنا عدّة أيام في مجّمع نجم الجهاد. وكانت هناك رسالة شفوية أخرى إلى الشيخ فتحي (أبو سيف) رحمه الله، يطلب فيها الشيخ أسامة من الشيخ فتحي أن يبذل جهده في البحث عن مهندسين متخصصين في الفيزياء النووية، من أولئك الذين كانوا يعملون مع الاتحاد السوفيتي قبل تفكّكه.

كذلك تواصل الشيخ أسامة مع مجموعة الأخ حمزة الغامدي العائدة آنذاك من طاجكستان، وكان من بينهم الأخوان الملاّ بلال (عبد الرحيم النّاشري) فك الله أسره، قائد عملية استهداف المدمّرة الأمريكية كُول في ميناء عدن، وابن أخته عزام رحمه الله، منقّذ عملية السفارة الأمريكية في نيروبي. كذلك تواصل الشيخ أسامة مع كثير من الإخوة العرب الذين كانوا يقاتلون الطالبان جنبًا إلى جنب مع حزب حكمتيار، فرجع كثير منهم - بعد أن تبين لهم الحق - يقاتلون في صفّ الطالبان دفاعًا عن الإمارة الإسلامية. ولم ينس الشيخ أسامة رحمه الله المتواجدين في جلال أباد، الغير منتسبين الى أي جماعة من الجماعات، كان يدعوهم ويكرمهم ويطرح لهم رؤيته وبرنامجه للمرحلة القادمة.



الأخ حمزة الغامدي (صالح سعيد آل بطيح) - حفظه الله



القائد الشهيد خطّاب (سامر السويلم) - تقبله الله

وبناءً على هذا التحرك، تقاطرت على الشيخ أسامة الآلاف من الوفود والزوار، من أفغانستان وباكستان والخليج ووسط آسيا والقوقاز وأوروبا وشرق آسيا لملاقاته والاستماع لدعوته وتوجيهاته، والشيخ لا يدخر وقتاً ولا يباناً ولا مجهوداً ولا مالاً في شرح قضية جهاد الأمة ضد أعدائها الصليبيين واليهود، وبيان خطرهم والتهوين من قوتهم، وأنهم في الحقيقة جناء لا يملكون عقيدة ولا خلقاً، وليس لديهم إلا المال والعتاد الذي سرعان ما يفرون عنه عند أية مواجهة حقيقية مع جنود الإسلام⁽¹⁰⁹⁾.

خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله:

وكانت خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله، أن الانشغال بقتال الأنظمة المرتدة، أو الاكتفاء بتقديم النصر لقضايا المسلمين المختلفة، سيشنت جهود المجاهدين دون جدوى، وسيجعلهم يدورون في حلقة مفرغة، ما أن تنتهي قضية حتى تبدأ أخرى، وأن أمريكا وحلفاءها من القوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك، رغم الحق الذي فيها، وعليه فمن الضروري البحث عن هدف استراتيجي لجمع جهود المجاهدين المتناثرة هنا وهناك، وتوجيهها ضد هذا الهدف، واستثمار ذلك كله في ادخال الأمة الإسلامية بكاملها كخصم في معركة ضد القوى المتآمرة عليها، وأن الحل يكمن في وجوب التركيز على جهاد رأس الأفعى أمريكا، التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي، بعد تنظيف المنطقة العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها⁽¹¹⁰⁾.

وكان القبول لدعوة الشيخ أسامة عجيباً ومبهراً، وكان إعجاب الناس بشخصيته غالباً وآخذاً للقلوب والأفئدة، فذلك الشخص الذي ترك كل هذه الدنيا خلفه، والذي يحيا هذه الحياة البسيطة المتواضعة، ويتعامل مع الناس بهذه السماحة والأخلاق والأريحية والجود والكرم، ثم هو أيضاً الذي يتحدى أقوى قوة طاغية في العالم، ويدعو الناس بقوة ووضوح وجلاء إلى مقارعتها ومنازلتها، والتصدي لها ولعملائها الخونة والمرتدين بلا مدهانة ولا مداراة ولا لف ولا دوران، وهو

(109) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور إيمان الظواهري.

(110) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

أيضًا الذي أثبت صدقه في دعوته، فما دعاهم لشيء إلا وقد سبقهم إليه؛ دعاهم للترفع عن الدنيا والهجرة والجهاد بعد أن طلق الدنيا وهاجر وجاهد، ودعاهم لدعم الإمارة الإسلامية في أفغانستان بعد أن قاتل في صفوفها وتحت رايته، ودعاهم لبيعة أمير المؤمنين بعد أن بايعه، ودعاهم لقتال الكفر الأكبر بعد أن نازله، وأعلن الحرب عليه⁽¹¹¹⁾.

التواصل مع الصحفيين ووسائل الإعلام:

وحثي يأخذ البيان انتشارًا وبعدًا إعلاميًا أوسع، قام الإخوة بالاتصال ببعض الإعلاميين المحليين في باكستان، الذين يتمتعون بنوع من المصداقية، ومن المحتمل تعاطفهم مع القضية، والذين من الممكن عن طريقهم بناء قاعدة عريضة من عوام الناس، تقف وتدعم وتساند ما يدعو إليه الشيخ أسامة، فالعوام غالبيتهم قد لا يكونون ملمين بتفاصيل ما جاء في البيان، لأن صياغته العلمية المنهجية التفصيلية قد لا يستوعبها كثير من الناس، فيأتي دور الصحفي ليتناول ذلك الخبر، ويقدمه للناس بصورة سهلة مبسطة تستوعبها عقولهم، وهذا ما حدث بالفعل، فقد تعاطفت تلك الشعوب الآسيوية المسلمة، من الأفغان والباكستانيين والبنجلاديشيين مع القضية تعاطفًا منقطع النظير، وصار الشيخ أسامة عندهم رمزًا من الرموز الإسلامية المحترمة، ملئت صورته الفوتوغرافية كل مكان، في الأسواق والسيارات والحوائط وعُلقَت في البيوت والمكاتب وطُبعت على الأقمصة والفنايل.

(111) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور إيمان الطواهري.

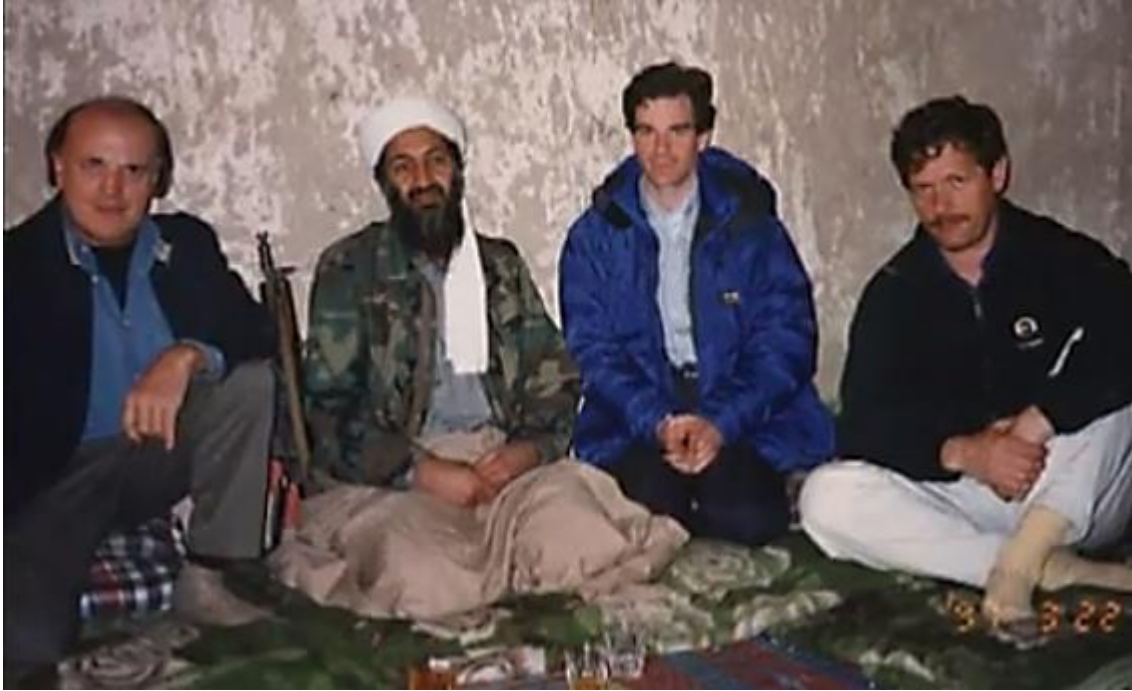


الشيخ أسامة بن لادن أثناء لقائه مع الصحفي الباكستاني حامد مير في جلال أباد

وكان الصحفي عبد الباري عطوان، صاحب جريدة القدس العربي التي تصدر من لندن، أحد الصحفيين العرب الذين اختارهم الإخوة واتصلوا بهم، فجاء عبد الباري إلى جلال أباد في شتاء ديسمبر عام 1996م، وقابل الشيخ أسامة في تورا بورا في ليلة كانت في غاية البرودة والثلج يغطي المكان. وتم اللقاء الذي انبهر فيه عبد الباري بشخصية الشيخ أسامة، ونظرته الشمولية للأمور، بأن الأمة تواجه اليوم عدوًا صائلاً، يجب أن يشترك في دفعه الجميع. وبالفعل أصبح قلم ولسان عبد الباري عطوان كأنه المتحدث باسم القاعدة، فقد كان لسانه وقلمه سلطاً على أمريكا، وسياساتها الجائرة الظالمة، وأطماعها وسرقاتها لثروات الأمة. ورغم اختلافه معنا في التوجهات والوسائل، كان عبد الباري عطوان عندما يُسأل عن رأيه في عملية من عمليات القاعدة، يجيب إجابات في غاية الروعة، ويتكلم بإسهاب عن ماهية الدوافع والأسباب التي أدت ابتداءً إلى ذلك العمل، ويدافع عن الشيخ أسامة، وعن تضحياته وتخليه عن معاني الترف والحياة الرغدة، ويتكلم عن حياته الجم وخلقه الكريم، حتى يظن السامع أنه واحد من أفراد تنظيم القاعدة، رغم أن الزمن الذي التقى فيه عبد الباري مع الشيخ أسامة رحمه الله، كان بضع ساعات قليلة، جزءاً من ليلة وقليلًا من نهار.



الشيخ أسامة بن لادن مع الصحفي عبد الباري عطوان في جبال تورا بورا



لقاء الشيخ أسامة رحمه الله مع فريق قناة ال CNN الأمريكية

وكان الشيخ أسامة يعتقد أنّ الشعوب الغربية تستطيع أن تلعب دورًا محوريًا في تغيير وتوجهات سياسة حكوماتها، تمامًا كما حدث في فيتنام، فالذي حسم قرار الانسحاب من فيتنام، ليست

الهزائم والضربات العسكرية التي مُني بها الجيش الأمريكي - حيث بلغت خسائره في الأرواح 57000 قتيل - إنما خروج الناس في مظاهراتٍ عارمة غاضبة الى الطرقات، معارضين ومنددين بقرار الرئيس بفرض التجنيد الإجباري لمواصلة الحرب، مما جعل القضية تمس كل فرد أمريكي، فاضطر الرئيس الأمريكي نيكسون إلى إعلان قرار الإنسحاب من فيتنام. لذلك لم ينس الشيخ أسامة أن ينقل رسالته للغرب، وعلى وجه الخصوص أمريكا المعنية بالأمر في بيان إعلان الجهاد، فأتيحت الفرصة لقناة CNN وقناة ABC الأمريكيتين.

كذلك أُتيحت الفرصة للقناة الرابعة البريطانية، والصحفي البريطاني المشهور في صحيفة الاندبندنت روبرت فيسك، وكان الهدف من مقابلة هؤلاء الصحفيين الغربيين، هو إيصال رسالة إلى شعوب الغرب بصفة عامة، وعلى وجه الخصوص الشعب الأمريكي، بأنهم وبسبب انتخابهم لحكوماتهم الظالمة الجائرة في سياساتها، وبسبب احتلالهم لأقدس مقدساتنا، وبسبب دفعهم لأموال الضرائب التي تقاثلنا بها حكوماتهم الداعمة لليهود، يكونون بذلك هدفًا مباشرًا لعمليات المجاهدين، ولا يلومون إلا أنفسهم وقد أعذر من أنذر.

كان صدى بيان إعلان الحرب على أمريكا كبيرًا جدًا في الساحات الإعلامية المحلية منها والعالمية، فقد كان ينذر بقرب حدوث العاصفة، وتناوله الباحثون والمحللون والناقدون من كل زواياه، وأدركوا بحق أن البيان له ما بعده، فقد كانت الحملات الإعلامية التي شنّها الشيخ أسامة بن لادن ضد أمريكا موضّحًا عدوانها على المسلمين، ونداءاته المتكررة لتخليص الحرمين من الاحتلال الأمريكي والغربي، ثم إدخاله بعدًا جديدًا إلى دعوته، وهو تبني القضية الفلسطينية ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين، وربط العدوان الأمريكي على المسلمين في العالم بالعدوان الإسرائيلي الصهيوني على المسلمين في فلسطين، أدت كل هذه الحملات المركزة والمنظمة، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية على هذه الحملة، ودخول تلك المواجهات إلى الفضائيات الأمريكية والعالمية والعربية ولاسيما قناة (الجزيرة) القطرية، التي لعبت دورًا محوريًا في إيصال هذا الصراع الإعلامي إلى مئات الملايين من المشاهدين المسلمين في العالم، أدت إلى أن يأخذ التيار الجهادي بعدًا جديدًا نحو عالمية المرحلة، رغم أن معظم التنظيمات العربية أو كلها لم تغير شيئًا من أهدافها ولا برامجها (القطرية - السرية - الهرمية)، ولم تتحوّل باتجاه دعوة الشيخ

أسامة حتى اللحظات الأخيرة من العام 2001م، حيث أقحمتها أمريكا قسرًا في هذا الاتجاه⁽¹¹²⁾.

محاولات أمريكا مع القادة الأفغان لتسليم الشيخ أسامة رحمه الله:

حاولت أمريكا - قبل فوات الأوان - عن طريق حليفها البار نظام آل سعود، تدارك الأمر بشتى الوسائل بالترغيب تارةً وبالترهيب أخرى، فأرسل هؤلاء عملائهم على أعلى المستويات في عدة محاولات، ليتفاوضوا مع القائمين على حكومة جلال أباد - وعلى رأسهم الشيخ والعالم الجليل المولوي يونس خالص - على تسليم الشيخ أسامة. وكان نظام آل سعود قد اعترف آنذاك بحركة طالبان، في محاولة منه لترغيبها وإخراجها للتعاون معه في قضية تسليم الشيخ أسامة.

ففي إحدى المرات، جاء قنصل النظام السعودي سليمان العمري إلى جلال أباد، طالبًا بصلف ووقاحة من الشيخ يونس خالص تسليم الشيخ أسامة، رغم أنهم كانوا في بداية عام 1994م عندما كان في السودان قد سحبوا منه "جنسيته". وهنا تكشففت معاني الرجولة ومعادن الرجال، فردّ الشيخ الجليل يونس خالص على القنصل المتعجرف بكلمات ستبقى مسطرة بماء الذهب في ذاكرة التاريخ، ستذكرها الأجيال جيل بعد جيل. ردّ عليه قائلاً: (يا سليمان! نحن الأفغان، لو أن الأنعام من بلاد الحرمين، البقر والغنم والإبل، استجارت بنا لأجرناها، وأحسنّا جوارها وما أسلمناها لأحد، فكيف برجل لم نر منه إلا النصرة والجهاد والعطاء، وهذه قبور إخوانه وشهداءهم في كل ربوع أفغانستان، هذا لا يكون). فقال سليمان العمري للشيخ يونس خالص: "فليكن في علمك أن الحكومة السعودية تعتبرك مسؤولاً عن كل ما يحصل في السعودية من إرهاب". فقال له الشيخ يونس خالص: "طيب، إذن أخبرهم أنني أنا المسؤول عما يحصل في السعودية"⁽¹¹³⁾.

وفي زيارة لاحقة للتهنئة بالعيد، ضم الشيخ يونس خالص الشيخ أسامة إلى صدره وقال له - بصوت ملؤه الحب والرحمة، وبنبرة متهدّجة تعلو بحماس لتُظهر القوة، لكنها لا تُخفي بحّة مرتعشة تنم عن كبر سن المتحدث - فقال: "لا تظن أنني كبرت وأصبح عمري 90 عامًا. بالأمس وُلدت

(112) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

(113) الطالبان بين آمال المستقبل ومخاطر المؤامرة. مجلة المجاهدون.

لي بنت أسميتها مدينة، على اسم مدينة الرسول، ﷺ، وأضاف رحمه الله: "أنا لا زلت قويًا أقف أمامكم كالدرع أحميكم من أي شيء". وفي إحدى المرات قال للشيخ أسامة: "أنا لا أملك إلا نفسي وهي على عريضة جدًا، ولكن نفسي دون نفسك، ونحري دون نحرِكَ، وأنت في ضيافتنا ولا يصل أحد إليك، وإذا حصل من الطالبان شيء أخبرني، رغم أن إمكانياتي لوصولهم قليلة ولكن أبذل وسعي"⁽¹¹⁴⁾. فرحم الله الشيخ يونس خالص فقد كان رجلًا في زمان عزّ فيه الرجال.

ولم يكن هذا الموقف النبيل الذي وقفه الشيخ يونس خالص هو الموقف الوحيد لأولئك الرجال، بل كانت هناك الكثير من مواقف العزة والإباء التي وقفوها - رغم ضعف قوتهم وقلة حيلتهم - ما تقشعر له الأبدان، ويعجز معها القلم واللسان أن يوفيها حقّها في البيان، سيأتي ذكرها لاحقًا بإذن الله.

بعد تلك المحاولات السلمية، التي لم تُجدِ نفعًا لتسليم الشيخ أسامة، لجأ حكام آل سعود إلى استخدام القوة، مستخدمين عبيدهم من المنافقين، ومن باع دينه بعرض من الدنيا قليل. وكان بطل هذه المحاولة هو حجّي قدير والي ولاية نجرهار، عليه من الله ما يستحق.



حجي قدير - أخزاه الله

وكان حجّي قدير قد أرسل برسالة إلى الشيخ أسامة في تورا بورا، يخبره فيها بأنه يودّ مقابلته في أقرب فرصة في مبنى الولاية في مدينة جلال آباد. وكان مخطط حجّي قدير الذي توجّس منه الشيخ أسامة والإخوة هو احتمالية اعتقاله ومن معه والهروب بهم إلى كابل التي كانت تحت سيطرة حكومة رباني وأحمد شاه مسعود. وكان رباني - بعد أيام قليلة من عودة الشيخ أسامة إلى

(114) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

أفغانستان- قد أعلن عن عزمه إلقاء القبض على الشيخ أسامة وتسليمه الى نظام آل سعود في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.

وكان حجّي قدير يدرك أنّ جلال أباد لا محالة ساقطة في أيدي الطالبان، فأراد تنفيذ ذلك المخطط قبل دخولهم، لكن يأبى الله إلا أن يدافع عن المؤمنين، ويجعل لهم من كل ضيق مخرجًا، ومن كلّ همٍّ فرجًا. وكان الشيخ أسامة قد استشار كل الإخوة المتواجدين في الجبل حول الذهاب لمقابلة الوالي أم عدمه، فكان القرار الذهاب لكن مع أخذ الحيلة الشديدة والحذر. وفي نفس الصباح الذي كان من المفترض أن يتحرك فيه الشيخ أسامة الى جلال أباد لمقابلة الوالي، جاءت الأخبار بأن حجّي قدير قد هرب الى كابول، لأن الطالبان كانوا يحتشدون في بوابة طورخم الحدودية استعدادًا لاجتياح جلال أباد، فخرج بعض الإخوة للتأكد من صحة الأخبار، فشاهدوا في الطريق حركة غير معهودة من السيارات عليها مسلحين متجهين صوب جلال أباد، فعلم الإخوة بعد السؤال أنهم ذاهبين لتأمينها وحمايتها من أي فوضى قد تحدث، فتأكد الإخوة من صحة الأخبار، وحمدوا الله كثيرًا أن سلّم الشيخ أسامة وردّ كيد الظالمين.

مقتل القادة ودخول الطالبان جلال أباد:

وكان بعض قيادات مجلس شورى جلال أباد وعلى رأسهم القائد سazanور وانجنير محمود وغيرهم، قد تحركوا في صباح ذلك اليوم في قافلة من السيارات متجهين صوب نقطة طورخم الحدودية، لاستقبال وفود الطالبان وتسليم زمام الأمور والقيادة لهم، لكن كان هؤلاء القادة على موعد آخر من أقدار الله، فقد كان في منتصف الطريق بين جلال أباد وطورخم نقطة حاکمة مسيطرًا عليها أحد المنافقين، كان أخًا للمدعو "شمالی". وكان شمالی هذا واحدًا من أئمة النفاق المشاكسين في جبهة جلال أباد أيام الجهاد الأول، يثير دائمًا المشاكل والفتن والבלابل في الجبهة، فتداعى عليه قادة الجهاد حينها - وكان من ضمنهم إنجنير محمود والقائد سazanور - فقتلوه، فأراد أخو شمالی المسيطر على هذه النقطة أن يثأر لأخيه، وبالفعل أوقف القافلة، وأمر انجنير محمود والقائد سazanور بالترجل من السيارات والدخول معه الى داخل النقطة، فرفضوا الإمتثال لأمره، لأنهم كانوا على يقين بأن الرجل يضمّر شرًا، وبالفعل لم يمهلهم أخو شمالی طويلاً فعاجلهم، وأمر رجاله بفتح النار على السيّارات، فحدثت فوضى كبيرة قُتل على إثرها الكثير ممن كان في القافلة،

على رأسهم إنجنير محمود والقائد سazanور الذي ضُربت سيارته بقذيفة آر بي جي فاحتَرقت، ولأذ بعدها أخو شمالي بالفرار قبل وصول قوات طالبان الى مسرح الحدث.

كان وقع هذا الحدث - بالرغم من تزامنه مع فرحة دخول طالبان إلى مدينة جلال آباد - شديدًا جدًّا ومؤلمًا ومحزنًا على كل الإخوة، وعلى رأسهم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، فقد كان لهؤلاء الرجال فضلًا ومكانًا كبيرًا في القلوب، لما بذلوه وقدموهم منذ السنوات الأولى للجهاد لنصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين، فلم يغيروا ولم يبدّلوا كما فعل غيرهم، ولم يخوضوا أبدًا في فتنة القتال بين الأحزاب، فمضوا الى ربهم صابرين محتسبين أطهار نحسبهم كذلك والله حسيبهم.

وما أن دخلت قوات طالبان جلال آباد في 11/9/1996م حتّى تنفّس الناس الصعداء، وعمّت الفرحة والشعور بالأمن والأمان كل القلوب، فقد كان لوجود طالبان في كل مكان يُجَلّون فيه خشية ورهبة في قلوب أعدائهم، فهرب كل من كان في قلبه مرض من السُرّاق وقطّاع الطريق وتجار الحروب.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتعرّف فيها الإخوة على حركة طالبان، فقد تواصل معهم قبل ذلك - عندما كان الشيخ أسامة في السودان - الإخوة القائمين على أمر المعسكرات في خوست، وهم أبو عطا التونسي رحمه الله، وأبو الفرج الليبي فك الله أسره. وكان هؤلاء الإخوة قد نقلوا عن طالبان صورةً طيّبة مغايرة لتلك التي كانت سائدة في أذهان كثير من الإخوة، من أنهم صنيعة أمريكية على أيدي المخابرات الباكستانية، فقد كانت خوست من أوائل الولايات التي سيطر عليها طالبان، وتواصلوا بعدها بإخواننا في المعسكرات، ليطمئنوهم ويخبروهم بأنهم جماعة قامت لتقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفساد، الذي كان قد استشرى في كل أفغانستان بواسطة السراق وقطّاع الطريق وتجار الحروب، وأنهم لا يسعون لإغلاق المعسكرات أو الحدّ من نشاطها، رغم أن بعض العرب الذين كانوا مع الحزب الإسلامي حكمتيار، كانوا يقاتلون الطالبان. كانت هذه هي الصورة المشرقة لحركة طالبان في أذهان إخواننا عندما دخلوا جلال آباد، وتأكّد لهم ذلك بعد يوم أو يومين من سيطرة الحركة على جلال آباد، عندما جاء رسولٌ من الحركة لمقابلة الشيخ أسامة في تورا بورا، ليخبره بأنه حلّ أهلاً، ونزل سهلاً وعزيزاً وضيئاً مكرّماً، ولا خوف عليه من جانبهم، فليعيش آمناً مطمئناً في بلده الثاني أفغانستان.

وبعد أن استتب الأمر لطالبان في جلال أباد مرت وفودهم مسلّيةً على الشيخ أسامة، ومجددةً له حسن الجوار، وسمع الإخوة في هذه الزيارات من أفواه أولئك الرجال ما يثلج الصدر، ويزدرف العيون من الفرحه والبهجة، لما رأوا من النصرة والحماية، وكان مما قاله أحد قادة الطالبان للشيخ أسامة: "يا شيخ بلادنا هذه ليست أرض الأفغان، إنها أرض الله، وجهادنا هذا لم يكن جهاد الأفغان وإنما جهاد المسلمين، وهؤلاء شهداؤكم في كل البلاد تشهد قبورهم، وأنتم بين أهليكم وذويكم، ونحن نبارك التراب الذي تمشون عليه"⁽¹¹⁵⁾.

اللقاء الأول مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله⁽¹¹⁶⁾:

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، أثناء وجوده في جلال أباد، قد قام برحلتين إلى قندهار للقاء أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وصحب الشيخ في رحلته الأولى الشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ سيف العدل، والأخ أبو طارق التونسي، وأبو زياد الموصلّي، ومُحَمَّد رحيم الأفغاني، وفضل الرحمن الباكستاني، ومفتي عبد الرحيم الباكستاني، وقد حضر لاصطحابهم بالهليكوبتر من قندهار الملا اختر منصور، الذي أصبح أميراً للمؤمنين بعد وفاة الملا عمر، رحمهما الله. وهمس الشيخ أسامة رحمه الله في أذن الشيخ سيف العدل قائلاً له: "لن أملك دموعي عندما أرى أمير المؤمنين، وسوف أقبل رأسه".

وبعد الدخول على الملا عمر عزّف بينهما الملا منصور، فرحب الملا عمر بالشيخ أسامة، وعبر له عن سروره باستضافته وتشرفه وتشرف طالبان بالدفاع عنه، أولاً كضيف عربي كريم، وثانياً كمجاهد قاتل معهم في حرب أفغانستان. وبدأ أن الملا عمر كان متوعكاً فقد نهض من سرير حديدي خاص بالمستشفيات القديمة جداً، مكسو بملاءة بيضاء عليها بطانية سوداء زهيدة السعر، وكان أمير المؤمنين رجلاً نحيفاً يرتدي لباساً أفغانياً زهيد القيمة، غامق اللون، معتمراً عمامة سوداء لفها حول رأسه على الطريقة القندهارية.

وفي غرفة متواضعة فرشت بتواضع شديد جلس الجميع، وبدأ الشيخ أسامة يعرض قضيته على أمير المؤمنين الملا عمر، والرجل ينصت باهتمام شديد، وفي نفس اللقاء تحدث أمير المؤمنين عن التحديات الخطيرة التي تواجه الطالبان بعد دخول كابول، وخاصة مواجهة قوات عبد الرشيد

(115) الطالبان بين آمال المستقبل ومخاطر المؤامرة. مجلة المجاهدون.

(116) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

دُوسْتَم، وقال للشيخ أسامة إنه قد يكون من الأولى تخفيف الحملة الإعلامية، وأن ذلك مجرد طلب وليس أمرًا إلزاميًا، فرد عليه الشيخ أسامة بأنه قرر التخفيف أو التجميد الكامل للنشاط الإعلامي لفترة حتى قبل أن يطلب منه، فارتاح الملاّ عمر لذلك.

كان ذلك هو اللقاء الأول بين أمير المؤمنين والشيخ أسامة رحمهما الله، أعقبه بعد فترة لقاء آخر تم على مدرج مطار قندهار تحت جناح إحدى الطائرات الروسية العتيقة، حيث فرش حرس أمير المؤمنين الملاّ عمر أرديتهم (البّتو)، وجلس الجميع وتجاوز الرجلان، وكان يترجم بينهما في الرحلتين الأخ محمد رحيم الأفغاني⁽¹¹⁷⁾، فك الله أسره.



أمير المؤمنين الملاّ عمر - رحمه الله

ومن الزيارات المهمة لبعض قادة طالبان للشيخ أسامة في جلال أباد كانت زيارة وزير المالية المولوي إحسان الله إحسان رحمه الله، فبعد أن اعتنق المولوي إحسان الله الشيخ أسامة على الطريقة الأفغانية، قام بإخراج مفتاح سيارته وسلاحه (مسدس مكروف مع الحزام)، ووضعهما بين يدي الشيخ أسامة، وقال له: "هذا الذي معي وأحب أن تكون لك". وبعد طول شكر من الشيخ أسامة، ومحاولات جاهدة لإعادة الهدية لصاحبها، استقر الأمر على قبول المسدس وإعادة السيارة.

(117) من قدامى المجاهدين، ومن الإخوة الأفغان الثقات، الذين كان الشيخ أسامة يعتمد عليهم في الترجمة وفي قضاء الكثير من الأمور، حاليًا أسير منذ عام 2008م، في معتقل جوانتانامو في معسكر 7 المخصص للأسرى الذين تصنفهم الولايات المتحدة بأنهم ذو أهمية عالية، نسأل الله أن يعجل بفكاك أسرهم جميعًا.

ومن المواقف المشرفة أيضًا للمولوي إحسان الله، ذلك الحوار الذي دار بينه وبين سفير النظام السعودي العمري، عندما قال الأخير: "أتحمون أسامة وتعارضون أمريكا؟ ألا تدري أن من يعارض أمريكا لا يمشي على الأرض". فرد عليه المولوي إحسان الله رحمه الله قائلاً: "لقد تعلمت من ديني أن هناك أشياء لا تصرف لغير الله عز وجل. فهو سبحانه الذي يعز ويذل، ونحن لن نسلم مسلمًا لكافر. فإن كانت أمريكا هذه تقدر على شيء فلتفعله" (118).

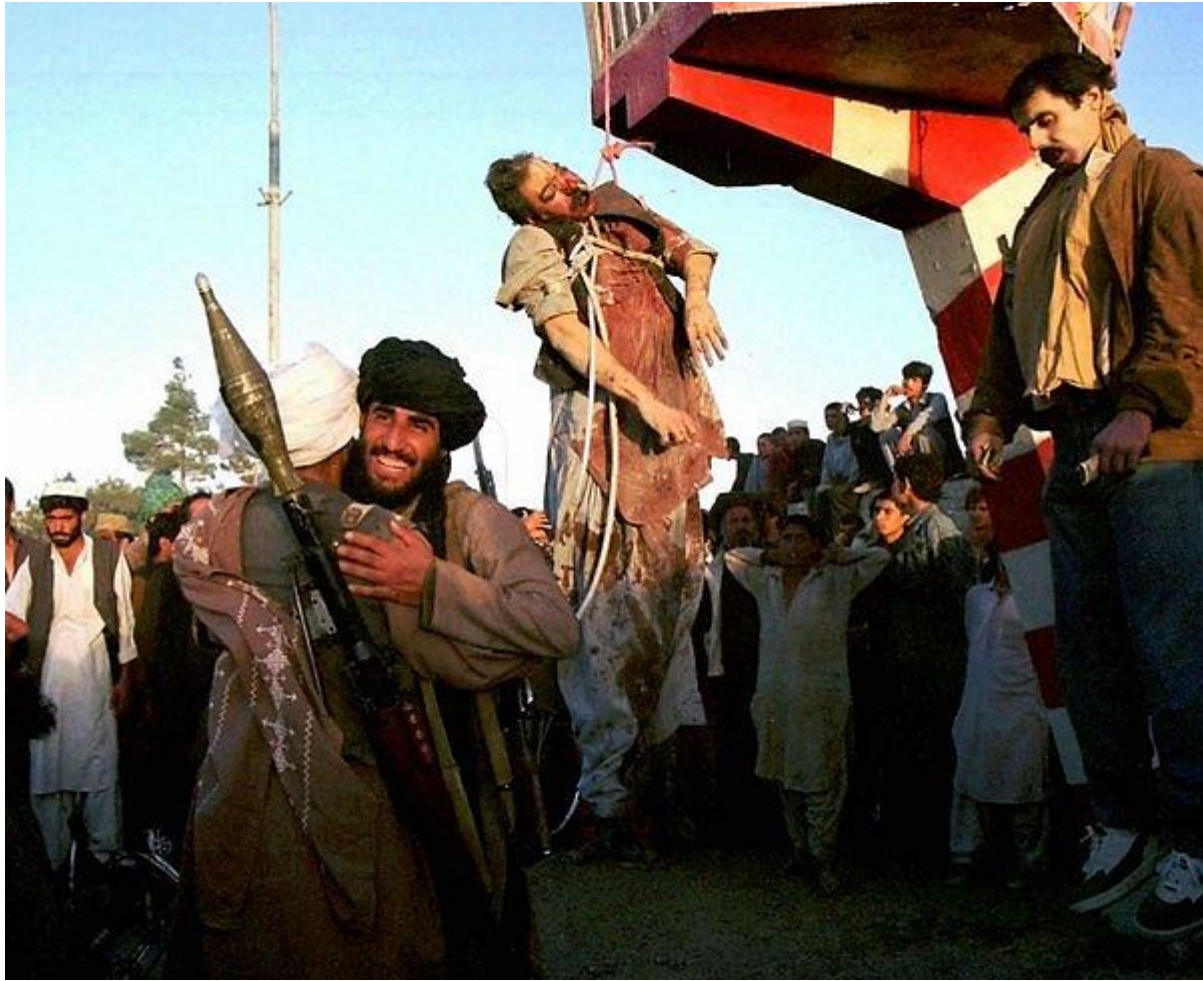
تركت هذه الزيارات واللقاءات التي قام بها الشيخ أسامة أثناء تواجده في جلال آباد مع كبار المسؤولين من قادة طالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر، إنطباعًا طيبًا ومبشّرًا في نفسه لطبيعة المرحلة القادمة، وما تقتضيه من تبعات تحتاج إلى مثل هذه النماذج من الرجال، التي هي أثبت وأرسخ في مواقفها من الجبال، ولا تهزها العواصف والحن، ولا يسيل لعبها لعرض من الدنيا فتبيع دينها بدنياها. رجال أشبه ما يكونون بالأنصار الأوائل الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه ويؤوه وينصروا دين الله على قتل أشرافهم وهلكة أموالهم. وبالفعل صدق هؤلاء الرجال ما عاهدوا الله عليه، فضربوا أروع الأمثلة في الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين، فدفَعوا ثمنًا لذلك ذهاب ملكهم ودولتهم، لكن تبقى تلك المواقف مدوَّنة بمداد من نور في ذاكرة التاريخ شاهدًا على صورة مثالية من عزة وإباء المسلمين، عندما يستمسكون بدينهم وينصرون شريعة ربهم.

سقوط كابل في أيدي الطالبان:

كان سقوط كابل في أيدي الطالبان في 27 سبتمبر عام 1996م انتصارًا وفتحًا عظيمًا ومنّة من الله عز وجل لأولئك الرجال الذين تحالف ضدهم كل الفرقاء من أحزاب المجاهدين السابقة، الذين كانوا بالأمس يتقاتلون فيما بينهم، وذاقت كابل من ظلمهم وفسادهم الويلات. ولم يكن هناك من هدف يجمع هؤلاء الفرقاء سوى قتال طالبان ومنعهم من دخول كابل. فتحالف الشيعة وبقايا الشيوعيين بقيادة عبد الرشيد دُوستم وأحمد شاه مسعود مع عدوهم التقليدي اللدود حكمت يار، وانضم إليهم عبد رب الرسول سياف الذي كان يقاتل الشيعة الهزارة، ووجه نيران أسلحته ليقاتل إخوانه من أهل السنة الطالبان. لكن يأبى الله إلا أن يطهر كابل من دنس

(118) نقلًا عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

المفسدين، فولى جمعهم الدبر إلى الولايات الشمالية ووادي بنشير. وفي نفس ليلة دخولها كابول، اقتحمت بعض قوات طالبان مبنى الأمم المتحدة، وأخرجوا منه عميل الروس نجيب الله، الذي كان آخر رئيس لآخر حكومة ماركسية في أفغانستان، ولجأ إلى الأمم المتحدة ظناً منه أن حصونها الدبلوماسية ستمنعه من إقامة حكم الله فيه والقصاص العادل منه، ولكن هيهات، فقد عُلق مع أخيه بعد قتلها ليراهم العالم أجمع، وليكونا عظةً وعبرةً لأمثالهم.



القصاص العادل لجزار كابل عميل الروس، الرئيس الأفغاني السابق نجيب الله وأخيه

مغادرة جلال أباد إلى قندهار:

كانت المحاولة الثانية للنيل من الشيخ أسامة في جلال أباد خطة مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية عسكرية للقبض على الشيخ أسامة رحمه الله أو تصفيته. وكان برهان الدين رباني - قبل سقوط كابل - قد أعلن عن عزمه على إلقاء القبض على الشيخ، وتسليمه الى نظام آل سعود في أول فرصة يتمكن فيها من ذلك.

كانت تلك المحاولة في شهر أبريل من عام 1997م، وذلك عندما أسر الطالبان قافلة من السلاح في شعب من شُعاب جلال أباد الجبلية. وكان الجميع في ذلك اليوم يحتفلون بزواج الأخ أبي عطا التونسي رحمه الله، عندما جاءت الأخبار بأن يأخذ كل من في المجمع الحيطرة والحذر، لأن المجمع مستهدف بعملٍ عسكري، بناءً على المعلومات التي أدلى بها من أسر في تلك القافلة. فأصدر الشيخ أسامة رحمه الله أوامره لكل أفراد المجمع، بأن يكونوا في السلاح والجُعب، وعلى درجة عالية من الإستعداد لأي طارئ قد يحدث. ومَرَّت تلك الليلة بسلام، لكن كان هناك تطور آخر أخذ مجراه في الصباح بناءً على تلك الأخبار.

ففي اليوم التالي، وبعد الفراغ من صلاة الفجر مباشرة، تكلم الشيخ أسامة بصورة مختصرة، موضِّحاً أنه قد جاء أمر من أمير المؤمنين بإخلاء المجمع فوراً والتحرك الى قندهار، فأعطى الشيخ أسامة مهلة ساعتين فقط لكل الإخوة بأن يجهزوا أنفسهم للرحيل، بما خفَّ وغلا من أغراضهم الضرورية فقط. وبالفعل ما هي إلا ساعات قلائل في ذلك الصباح، كان جميع الإخوة قد غادروا فيها جلال أباد في قافلة من الباصات الصغيرة متوجهين صوب كابول.

كان المشهد محزنًا لجميع الإخوة ومفرحًا في نفس الوقت، كان محزنًا لمفارقة جلال أباد وأهلها الطيبين، وعلى رأسهم الشيخ يونس خالص، ومعلّم أول جل رحمهم الله وغيرهم. فرغم الأشهر القلائل التي قضوها هناك في تورا بورا، والقرية الصغيرة مجمع نجم الجهاد، إلا أنها كانت من أحب الأيام إلى قلوبهم. وكان المشهد مفرحًا لأنهم قريبًا سيستقر بهم الرحال، ويكونون بجوار أولئك الرجال في قندهار، بين أمير المؤمنين ورفاق دربه الميامين، الذين أعادوا للدين مجده وعزّته، بل وحتى ألفاظه التي غابت عن ذاكرة الأمة ردحًا من الزمان، كأمر المؤمنين والإمارة الإسلامية وغيرها.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله قبل التحرك الى قندهار - أثناء فترة الإنتظار في كابل حتى يصفو الجو من الغيوم - قد أوصى كل الإخوة بأن يراعوا عدم إثارة الفوارق المذهبية بين المذاهب، مثل الجهر بالتأمين في الصلاة الجهرية، ووضعية قبض اليدين أثناء القيام في الصلاة، ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه⁽¹¹⁹⁾... الخ لأنهم ذاهبين الى عقر دار الطالبان الذين يلتزمون بالمذهب الحنفي.

(119) قال شيخ الإسلام رحمه الله-أثناء كلامه على بعض المستحبات ومنها مسألة البسملة في الصلاة والجهر بها: (ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه

العظات والعبر من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة بعدم إثارة الفوارق المذهبية:

لعل أعظم عظة وعبرة يمكن أن نقف عليها من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة هي: ما كل حق يُقال في كل وقت ولكل أحد؛ فهذه القاعدة العظيمة قد شدّ عنها كثير من الناس بحسن نية أو بسوءها، مما ترتب عليها كثير من المفاسد وخاصة في مواطن الجهاد. فكان الشيخ أسامة رحمه الله، يذكر الإخوة بأنّ التعصب على الإتيان بتلك السنن قد يوغر الصدور عند العوام، وقد يؤدي إلى فساد ذات البين وهو الحالقة التي تخلق الدين، فالمحافظة على سلامة الصدور ووحدة صف المسلمين أولى من إقامة السنن.

ولم تكن تلك النصيحة من الشيخ أسامة نابعة من فراغ، بل كانت مبنية على تجارب سابقة حدثت من كثير من الإخوة العرب المتعصبين بسبب قلة الفقه وترتيب الأولويات أدت الى مشاحنات أوغرت الصدور بين المجاهدين، وكانت مفسدتها أعظم من مصلحتها وفوتت بذلك كثيراً من الخير.

وفي السنن، عنه عليه السلام قال: (أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ. وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من سننه والترمذي في كتاب صفة القيامة من سننه. وجاء في صحيح مسلم: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى 28/50: "تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنهم هم أهل الفرقة." ١. هـ

القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا).

التحرك إلى قندهار:

كان المخطط له بعد الوصول الى كابل أن تسافر العائلات بالطائرة، وأن يسافر الشيخ أسامة وفريق حراسته بالسيارات براً إلى قندهار. ونسبة لسوء الأحوال الجوية وتلبّد السماء بالغيوم، فقد تأخر سفر العائلات يومان حتى انقشعت الغيوم. وكان السفر إلى كابل آنذاك، يتم بواسطة طائرات نقل عسكرية روسية قديمة، تعتمد إلى حد ما على الرؤيا العينية في خط سيرها. وأثناء تحليق طائرة العائلات في الجو، حدث أمرٌ كاد أن يؤدّي بالطائرة ومن عليها لولا لطف الله وستره. فقد كان عبد الرحمن بن الشيخ أسامة يرتدي جعبته، وأثناء تحركه ومحاولة جلوسه في الطائرة، انتزع شيء ما في جسم الطائرة حلقة أمان القنبلة وتعلقت به، وظل مقبض القنبلة ممسوكاً داخل جيبها الضيق.

يقول عبد الرحمن: "أثناء جلوسي انتابني إحساس بأن القنبلة منزوعة الأمان، فنظرت إليها فإذا هي كذلك، فأمسكت بمقبض القنبلة بيدي وهي ما تزال في الجيب، وناديت الشيخ أبا حفص الكمندان وأخبرته بالأمر". وبهدوء تام أخرج الشيخ أبو حفص القنبلة من جيب جعبه عبد الرحمن، ثم ذهب بها الى كابينه القيادة ليطلب منهم مسماراً أو شيئاً يؤمن به القنبلة. وعندما دخل الشيخ أبو حفص على الطيارين ورأوه ممسكاً بالقنبلة، دبّ الفرع في قلوبهم وظنوا أن الشيخ يهددهم، فقالوا له بالفارسية وهو لا يفهم شيئاً: "ماذا هناك كل شيء يسير على ما يرام، فهذا هو الطريق الى قندهار الذي نظير فوقه". وبالفعل كانت طائرات النقل العسكرية القديمة، تطير فوق الطريق ذهاباً وإياباً بين كابل وقندهار. فأوضح لهم الشيخ بالإشارة أنه يبحث على شيء يؤمن به القنبلة، ففهموا أخيراً حقيقة الأمر. وكان أحد الطيارين قد فتح كوة صغيرة في قمرة القيادة، وطلب من الشيخ أبي حفص أن يعطيه القنبلة ليرميها من الكوة، غير أن الشيخ رفض ذلك خشية أن تصيب شظية منها إذا انفجرت جسم الطائرة، فبحثوا في الطائرة حتى وجدوا حلقة أمان القنبلة وتمّ تأمينها، والله الحمد والمِنَّة.

أمّا قافلة الشيخ أسامة فقد كانت مكونة من أربعة سيارات بك أب، تحركت لتقطع مسافة 500 كيلو متر حتى قندهار في 24 ساعة متواصلة من السفر الشاق، ولم تكن القافلة تتوقف في الطريق إلا لأداء الصلاة والتزود بالطعام والوقود. وكان معظم الطريق إلى قندهار غير معبّد، وممّوج

كأمواج البحر، تسير فيه السيارة ببطء شديد، وأثناء الطريق في بعض المناطق كانت هناك علامات حمراء، تدل على أنّ المنطقة ملغومة يجب الابتعاد منها.

نبذة قصيرة عن كيفية نشوء حركة طالبان:

كانت إذاعة "صوت الشريعة" في قندهار، الناطقة باسم حركة طالبان، قد بثّت في تسجيل صوتي لأمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، يروي فيه قصة نشوء حركة طالبان، وجاء في التسجيل ما نصّه:

"كنت أدرس في مدرسة بلدة سنج سار بقندهار مع حوالي 20 من زملائي الطلاب، فسيطر الفساد على الأرض، واستشرى القتل والنهب والسلب، وكان الأمر بيد الفسقة والفجرة، ولم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال، ولو فكرت أنا أيضًا وقلت في نفسي (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) لكفتني هذه الآية، ولتركت الأمر لأنه لم يكن في وسعي شيء، لكنني توكلت على الله التوكل المحض، ومن يتوكل على الله هذا النوع من التوكل، لا يخيب أمله أبدًا.

ولعل الناس يتساءلون: متى بدأت الحركة؟ ومن كان وراءها؟ ومن يمولها؟ ومن يوجهها ويديرها؟ وأقول: بداية الحركة أنني طويت الكتب في المدرسة في سنج سار، وأخذت معي شخصًا آخر وذهبنا مشيًا على الأقدام إلى منطقة زنجاووات، واستعرت من هناك دراجة نارية من شخص اسمه سرور، ثم ذهبنا إلى تلوكان. هذه هي بداية الحركة، وأخرجوا كل تصور غير هذا من أذهانكم.

بدأنا ننزور الطلاب في المدارس وحلقات الدرس في صباح ذلك اليوم، وذهبنا إلى حلقة درس يدرس فيها حوالي 14 شخصًا، فجمعتهم في دائرة حولي وقلت لهم: "إن دين الله يidas تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس، ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة، يقتلون الإنسان ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق، ولا يجرؤ أحد على أن يواريه التراب.

قلت لهم: لا يمكن الاستمرار في الدراسة في هذه الظروف، ولن تحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة. وأصارحكم القول، بأنه ما وعدنا أحد أن يساعدنا بروية واحدة حتى لا تظنوا أنا

سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب. قلت: إنَّ هذا ليس عمل يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة، بل سيأخذ وقتًا طويلاً. هل تستطيعون القيام بذلك أم لا؟ وكنْتُ أشجعهم وأقول لهم: إن هذا الفاسق الجالس في مركزه مثل القدر الأسود لشدة الحر (وكانت تلك الأيام شديدة الحرارة)، يحارب دين الله علانية، ونحن ندعي أننا من أهل دين الله، ولا نستطيع أن نقوم بعمل شيء لنصرة شرعه.

قلت لهم: إننا إن فتحنا منطقة سندافع عنها، ثم لا تعترضوا لعدم وجود دراسة أو لعدم توقُّر المال والسلاح، فهل تستطيعون القيام بهذا العمل. أم لا؟ فلم يوافق أحد من هؤلاء الـ 14 على القيام بهذا العمل، وقالوا: يمكن أن نقوم ببعض الأعمال أيام الجمعة، فقلت لهم من سيقوم به في الأيام الأخرى؟ أشهد الله على أن الحقيقة هي هذه، وأني سأشهد بذلك أمام الله عز وجل يوم الحشر. هذه الحركة نتيجة التوكل المحض، لأنني لو قست على هذه الحلقة باقي المدارس والحلقات لعدت إلى مدرستي، لكنني وفيت بالعهد الذي كنت قطعتة على نفسي لله تعالى فعاملني بما ترون.

ثم ذهبت إلى حلقة درس أخرى وكان فيها حوالي 7 طلاب، فعرضت الأمر عليهم كما عرضته على طلاب حلقة الدرس الأولى، فاستعد الجميع للعمل. هؤلاء كلهم أمة واحدة، لم تكن بينهم فروق الشباب والشيخوخة أو الطفولة والشباب أو الذكورة والأنوثة، لكن هذا العمل كان مبنياً على حكمة من الله تعالى، فأوقعني منذ بدايته في الامتحان، فتجولنا على هذه الدراجة إلى صلاة العصر على المدارس وحلقات الدرس، حتى استعد 53 شخصاً من أهل التوكل المحض، فعدت إلى مدرستي وقلت لهم: تأتون غداً الصباح، لكنهم جاءوا في الساعة الواحدة ليلاً إلى سنج سار، فكانت هذه هي البداية.

إن العمل بدأ قبل أن تمضي على الفكرة 24 ساعة، وكان أحد أصدقائي يصلي بالناس، فلما صلى بهم صلاة الفجر قال أحد المأمومين، إنني رأيت الليلة في المنام أن الملائكة دخلت إلى سنج سار، وكانت أيديهم ناعمة، فطلبت منهم أن يمسخوني بأيديهم (للتبرك). وطلبنا في صباح الغد الساعة العاشرة سيارتين من الحاج بشر أحد تجار المنطقة، فأعطانا سيارتين سيارة صغيرة وسيارة شحن كبيرة، فنقلنا هؤلاء الطلاب إلى منطقة "كشك نخود" وانضم إلينا آخرون، ولما كثر العدد استعزنا الأسلحة من الناس، فكانت هذه بداية هذه الحركة حتى استمرت". ا. هـ (120)

(120) أُرشيف البتار - لموقع مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

الدروس المستفادة من قصة أمير المؤمنين:

لا شك أن في رواية أمير المؤمنين بنفسه لكيفية نشوء حركة طالبان، دروساً عملية قيّمة لا حصر لها من دروس التوحيد، ستظل دوماً حُجّة بالغة على أدعياء التوحيد. ولن تسع كتب ومجلّدات لاستخراج العظات والعبر المستفادة من هذه الدروس، ناهيك عن هذه الأسطر، التي ما هي إلا مجرد خطوط عريضة على بعض كلمات أمير المؤمنين، لدراستها والوقوف على مدلولاتها بتأنٍ، وهي:

1- توكل أمير المؤمنين التوكل المحض على الله عزّ وجل، وثقته وبقينه المطلق فيه سبحانه وتعالى، بأنه لا يُجيب من توكل عليه - وإن كان رجلاً واحد - هذا النوع من التوكل لتغيير واقعٍ مستحيل التغيير وصفه أمير المؤمنين بقوله: "لم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال". فأمر المؤمنين رحمه الله، لم يقل كما قال كثير من الناس: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولكنه علم أنه مكلف بإنكار المنكر، وعلم أن من قام بما كلفه الله به فإن الله سبحانه سيعينه ويوفقه ويهيئ له الأسباب.

2- ترتيب الأولويات، وهذا باب ضلّ فيه كثير من الناس عامّة، والعلماء وطلبة العلم خاصّة إلا من رحم الله. فقد شُغل اليوم مئات الآلاف من العلماء وطلبة العلم عن فريضة المرحلة، وانكبّوا على تحصيل العلم لأجل العلم، وقعدوا وتحلّفوا عن القيام بأوجب الواجبات وذلك بتحريض الناس لدفع صيال الأعداء عن حرّات الإسلام والمسلمين، وليت الأمر انتهى بكثير منهم عند هذا الحد، بل أصبحوا سيقاً مشرعاً، ولساناً سلطاً به يخذلون ويصدّون ويُجرّمون كل من قام يدفع صيال الأعداء. ورحم الله أمير المؤمنين الملاً عمر عندما قال: "فما قيمة طلب العلم إذا كان دين الله يداس تحت الأقدام". لقد شخّص أمير المؤمنين لطلاب العلم الداء، وفي ذات الوقت وصف لهم الدواء بقوله: "ولن تُحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم نحن الطلبة ضد هذا الفساد، إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة".

ورحم الله الشيخ أسامة بن لادن عندما قال في أحد رسائله التحريضية للأمة. قال: "فنصرة الدين ليست دروساً تعطى فقط، والدين لا يقوم على فتات أوقاتنا وأموالنا، وإنما سلعة الله غالية، فشتان شتان بين الجلوس وتقديم الدروس، وبين تقديم النفوس والرؤوس لنصرة الله".

يقول الشيخ أسامة رحمه الله معلقاً على حديث رسولنا الكريم: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ):

" ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جداً حيث إنه وضح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين، فرأس الأمر الإسلام ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن " لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، فالإيمان فيه شعب، فلا ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها شهادة أن " لا إله إلا الله " الاشتغال بما دونها، فهي الأساس لهذا الدين. فما يفعل الناس في هذا الزمان وهم يرون بأعينهم أن " لا إله إلا الله " بمعناها الذي أنزل على محمد ﷺ قد غيّبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم، ويشغلون بكثير من الشعب مع غياب هذه. فهذا لا يمكن أن يسمّى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروباً عن أداء الواجب، بل عن أعظم واجب في الحياة، وهو تحكيم شهادة أن لا إله إلا الله على كل مؤمن.

ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيّناً، فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاء الله خيراً، بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين، فارقاً عن نصرته لا إله إلا الله ونصرة دين محمد ﷺ، فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية، وهي كما لا يخفى، وللأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبّه الإخوة كما في حديث رسولنا ﷺ عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ) [رواه البخاري]، فالفرائض والطاعات والعبادات هي ما فرض الله سبحانه وتعالى، وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا، وبما يتوافق مع أهوائنا، وبما يتوافق مع نفوسنا وتناقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

3- العمل على تغيير المنكر بالمتاح والمستطاع من الإمكانيات، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾. فأمر المؤمنين لم يعد جموع الطلاب بتوفير السلاح أو المؤونة، حتى يكون من يقوم معه على تغيير المنكر على بينة من أمره، فلا يتضجر أو يتسخط إذا لم يتم توفير الدعم اللازم له. لقد كان أمير المؤمنين في منتهى الصراحة والوضوح بقوله لجموع

الطلبة: "ما وعدنا أحد أن يساعدنا بروية واحدة، حتى لا تظنوا أننا سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب".

وعن مجيء الطالبان يقول الشيخ أسامة رحمه الله في معرض ردّه على أسئلة الصحفي جمال إسماعيل مراسل قناة الجزيرة:

"كنا في حزن شديد أثناء اختلاف الفصائل الأفغانية والمجاهدين، ولكن من الله سبحانه وتعالى على الأمة بحركة طالبان، فجاءت وأنقذت هذا الجهاد من المخطط الأمريكي الذي كان خلف نجيب، وكان يضغط على المجاهدين عبر باكستان لتشكيل حكومة علمانية، فيها خمسون في المائة من الشيوعيين السابقين وبعض الذين درسوا في الغرب، والبقية من الأحزاب الأفغانية الجهادية السبعة. والحمد لله أن وفق لمجيء هذه الحركة، وجاءت في وقت قد بلغ السيل الزبى، وبلغ التعب بالناس مبلغه، وكثر قطاع الطرق للأسف الشديد. وأضاف قائلاً: فكانت هناك خمس دويلات في هذه الدولة الصغيرة، فضلاً عن قطاع الطرق الذين يعتبرون دويلات داخل الدولة، فمن الله على المسلمين بمجيء حكومة طالبان"⁽¹²¹⁾.

طالبان في عدة نقاط:

وبما أننا قد دخلنا معقل الطالبان في قندهار، فمن الجدير هنا أن نذكر في عدة نقاط نبذة قصيرة عن بدايات نشأتهم⁽¹²²⁾.

1- الطالبان، هم طلبة العلم الذين يدرسون في المعاهد والمدارس الشرعية. كان هؤلاء الطلاب من المشاركين في الجهاد الأفغاني الأول، ولم يكن هناك حزب أو جماعة تجمعهم، إنما كانوا أفراداً ومجموعات صغيرة منتشرين بين فصائل الأحزاب المختلفة. ومع دخول المجاهدين الأفغان العاصمة كابل في أبريل 1992م، انطوت آخر صفحة لحكومة نجيب الشيوعية الموالية للروس، وبدأت مرحلة جديدة من التحالفات المشبوهة، سباقاً للسيطرة على كابول، عقدها بعض قادة الجهاد آنذاك مع الأحزاب الشيعية وبقايا الشيوعيين، فبدأت بوادر التناحر والشقاق والقتال بين أحزاب المجاهدين تدق طبولها طلباً للسلطة، وهنا أثر هؤلاء الطلاب ألا يخوضوا في تلك المعارك، ورجعوا

(121) ضمن مقابلة الشيخ أسامة مع مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل.

(122) دمج بين الويكي بيدا عربي، ومقال بعنوان الميزان لحركة طالبان، ليوسف العييري. بتصرف.

إلى مدارسهم لمواصلة طلب العلم في مدارسهم المختلفة في باكستان وأفغانستان. وفي غيابهم دبّ الفساد ونخر في قادة الجهاد، وتقسمت أفغانستان إلى دويلات يحكمها جنرالات الحروب والسرقة وقطّاع الطريق، ودخلت البلاد في نفق مظلم من الفتنة والظلم وانعدام الأمن على الأموال والأعراض.

2- في ربيع 1994م، شاء الله أن تستوقف نقطة من نقاط السيطرة التابعة لأحد الفئات الأفغانية المتناحرة في قرية "سنج سار" القريبة من قندهار سيارة بها عائلة، أنزلت منها فتاتين عنوة، وتم اختطافهما واغتصابهما وقتلهما بعد ذلك. شاع هذا الخبر في قندهار ونما إلى علم الملا عمر رحمه الله، فعزم على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجمع في يوليو 1994م ثلاثة وخمسين رجلاً من أصحابه، كانوا هم النخبة الأولى لحركة طالبان، فهجموا على تلك النقطة، وقتلوا الجناة وقبضوا على قائدها فأقاموا فيه حد الله وتم تعليقه بعد ذلك ليكون عظة وعبرة للآخرين. ثم انتقلوا بعد ذلك إلى منطقة "كشك نخود"، وبدأوا بنزع السلاح من مجموعات أحزاب المجاهدين، وإزالة نقاط التفتيش الموضوعة لجمع الإتاوات على الطرق العامة، ثم استولوا على مديرية أرغستان.

3- وفي أغسطس 1994م، وبعد سماعهم لهذه الأحداث، تدافع طلاب العلم المنتشرين في المدارس الشرعية داخل أفغانستان وباكستان لينضموا لمجموعة الملا عمر، وتعهّدوا على جمع السلاح، واستعادة الأمن والاستقرار وإزالة نقاط التفتيش وجمع الإتاوات. فأخذوا يهاجمون نقاط قطاع الطريق والمفسدين. فاستولوا في أكتوبر 1994م على مديرية "سبين بولدك" الحدودية، كما استولوا على مخازن الأسلحة والذخيرة المركزية للولايات الجنوبية الغربية التابعة للحزب الإسلامي بزعامه حكمتيار، التي تعتبر من أكبر مخازن السلاح في أفغانستان.

4- وفي 1994/11/5م، سيطر الطالبان على مدينة قندهار.

5- تسامعت الولايات المجاورة بما حصل من الأمن والاطمئنان في قندهار، فأرسل أهالي ولاية أوروزجان المجاورة وفداً، وكذلك فعل أعيان ولاية هلمند، ثم أرسل أهالي ولاية زابل وفداً كذلك ليستقدموا الطلبة، وطلبوا منهم تسلّم مقاليد السلطة وتطبيق الشريعة، ففعل الطالبان ذلك وبسطوا سيطرتهم على هذه الولايات دون قتال، وكان ذلك في شهري نوفمبر وديسمبر من عام 1994م.

وكان الطلبة يرفعون الراية البيضاء على كل شبر يسيطرون عليه، ويطبقون فيه الشريعة، ويفرضون الأمن ويجمعون السلاح ويحاربون اللصوص وقطاع الطريق.

6- ثم أرسل أهالي ولاية غزني يريدون من الطلبة أن يرسلوا وفدًا لبحث بسط سيطرتهم عليها، فغضب حكمتيار الذي كانت له قوات هناك، فأرسل لقادته أوامر بمقاتلة الطلبة لو جاءوا إلى غزني. وحاول الشيخ جلال الدين حقاني التوسط، وأرسل لحكمتيار يرجوه ألا يقتتل الناس في الشهر المبارك، وكان شهر رمضان لعام 1415هـ، الموافق يناير 1995م قد حل، وخرج الشيخ حقاني بنفسه في وفد للتوسط، ولكن الوفد التقى بفلول قوات حكمتيار الذين اشتبكوا مع الطلبة وهُزموا بعد معركة قصيرة، ودخلت غزني تحت سيطرة الطالبان في 1995/1/26م.

7- وفي 1995/2/10م، استولى الطالبان في هجوم مباغت على ميدان شهر عاصمة ولاية وردك، المعقل الحصين للحزب الإسلامي لحكمتيار بولاية وردك.

8- وفي 1995/2/14م، أي بعد أربعة أيام من سقوط ولاية وردك، تمكنت حركة طالبان من إحكام سيطرتها على جميع مناطق نفوذ الحزب الإسلامي لحكمتيار حول كابول، بعد انسحابه من مقره في " شاراسياب " إلى منطقة سرروي. وأطلق الطلبة عدة قوافل إغاثية للأمم المتحدة وغيرها، كان حكمتيار قد احتجزها ليضيق على أهل كابول، ويجبر رباني ومسعود على الاستجابة له.

9- وفي 1995/2/19م، بسطت الحركة سيطرتها على معظم مناطق ولايتي بكتيا وبكتيكا الجنوبيتين. وكانت ولاية بكتيا بزعامة الشيخ حقاني قد انضمت صلحًا لطالبان.

10- وفي 1995/5/9م، هاجمت القوات الحكومية بقيادة إسماعيل خان والي هيرات في جنوب غرب أفغانستان حركة طالبان، وتمكنت من استرجاع ولايتي فراه ونيمورز وأكثر مناطق ولاية هلمند، وبدأت تهدد قندهار مركز حركة طالبان ومقرها الحصين.

11- وفي 1995/9/2م، استطاع الطالبان في هجوم مفاجئ أن يستردوا ولاية فراه وهلمند ونيمورز من قوات إسماعيل خان، واستولوا على قاعدة " شين دند " الجوية التي تعتبر من أكبر القواعد الجوية في أفغانستان.

12- وفي 5 سبتمبر من عام 1995م، هاجمت طالبان قوات إسماعيل خان المتمركزة في غرب البلاد، وتمكنت من السيطرة على مدينة هيرات.

13- وفي 10/10/1995م، تقدمت قوات طالبان نحو كابل، بعد أن سيطرت على مساحات شاسعة جنوب غرب أفغانستان، وعلى شاراسياب وتلال خير آباد المشرفة على جنوب كابل للمرة الثانية، وبذلك أحكمت حصارها على العاصمة كابل. وكان الطالبان قد أرسلوا لقادة الأحزاب، وعلى رأسهم رباني ومسعود وحكمتيار وسياف، أن يصطلحوا بينهم، وأن يعلنوا تطبيق الشريعة، ويخرجوا الشيوعيين من صفوفهم، وينظفوا دوائر الدولة من مظاهر الفجور والاختلاط، لكن باءت كل محاولاتهم في جمع شمل الأحزاب بالفشل.

14- وفي 3/4/1996م، بايع 1500 من العلماء من مختلف أنحاء أفغانستان، الملا محمد عمر أميرًا ولقبوه بأمير المؤمنين.

15- وفي 24/8/1996م، استولى الطالبان على قاعدة " سبينة شجة"، المعقل الحصين لحكمتيار بولاية بكتيا، واستولوا على مخازن كبيرة للسلاح.

16- وفي 27/8/1996م، استولى الطالبان على مديرية أزره بولاية لوجر، التي كانت تعتبر خطأ دفاعيًا منيعًا لمدينة كابل.

17- وفي 8/9/1996م، استولى الطالبان على مديرية حصارك، التي تعتبر بوابة مدينة جلال آباد، وانحزمت قوات شوري نجرهار الموالية لحجي قدير دون مقاومة، مخلفة وراءها عشرات الدبابات وراجمات الصواريخ.

18- وفي 11/9/1996م، دخلت قوات طالبان عبر بوابة طورخم إلى مدينة نجرهار بقيادة ملا بورجان، وكان يحكم جلال آباد آنذاك مجلس شوري مكون من عدة أحزاب، وكانت الكتلة الرئيسية من قادة جلال آباد التابعة لحزب المولوي الشيخ يونس خالص على تواصل مع الطالبان، وانضموا معهم بالاتفاق وناصرهم. كذلك وافق زعماء الكتلة الأخرى التابعين لسياف وعلى رأسهم القائد سازنور، على تسليم المدينة للطلبة، ورفضوا أوامر قادتهم بقتال الطلبة، بل إن سازنور رحمه الله، أرسل استقالته إلى سياف قائلاً له: **بأنه لن ينهي تاريخه بقتال طلاب العلم الشرعي، الذين ينشرون الأمن ويحكمون الشريعة.**

19- وفي 13/9/1996م، سقطت ولاية لغمان بيد الحركة.

20- وفي 14/9/1996م، سقطت ولاية كونر بيد الحركة.

21- وفي 1996/9/25م، دخل الطالبان مديرية سرروي بقيادة ملا بورجان وملا عبد الرزاق، واستولوا عليها بعد انسحاب قوات الحكومة منها.

22- وفي 1996/9/26م، تقدمت قوات طالبان إلى منطقة " بل شرخي"، وقتل في هذه المعارك ملا بورجان أحد أشهر القادة العسكريين للحركة.

23- وفي ليلة 1996/9/27م، هاجم الطالبان كابول، فسقطت بسرعة كبيرة في أيديهم بعد قتال ضعيف مع بعض حاميتها من قوات مسعود ورباني وسياف. وهربت الأحزاب شمالاً، ليتوقف القتال عند خط جبل السراج وبوابة ممر سالانج وولايات الشمال في 1996/9/28م. وأعدمت الحركة ليلة دخولها كابل رئيس أفغانستان الشيوعي السابق نجيب الله، وأعلن أمير المؤمنين الملا محمد عمر عن تكوين لجنة من ستة أشخاص، برئاسة ملا محمد رباني النائب الأول له، وسقطت قاعدة بغرام الجوية بيد طالبان.

حتى هذه اللحظة كان قد مر على انطلاق حركة طالبان نحو سنتين، سيطر فيها الطالبان على ولايات الشرق والجنوب والغرب والشمال الغربي إلى هرات - المبنية على الخارطة بالخط الأخضر - وبقي معظم الشمال الذي يشكل نحو 15% من مساحة أفغانستان، والممتد من بدخشان إلى تخار إلى سمنجان إلى بلخ وعاصمتها مزار شريف إلى فارياب وبادغيس، باستثناء ولاية قندوز التي سيطر عليها الطالبان لوجود أقلية من البشتون وقفت معهم. وبقي مع حلف المعارضة ولاية باميان، التي سيطر عليها حزب الوحدة الشيعي التابع لإيران.



ولایات أفغانستان

24- وفي أواسط عام 1997م، تحرك الطالبان شمالاً واستولوا في حركة خاطفة على معظم ولايات الشمال (بالخط الأحمر)، وسقطت عاصمة المعارضة مزار شريف بأيديهم، لكن الأمر انتهى بمذبحة ومؤامرة قامت بها الميليشيات الأوزبكية الشيوعية وحلفائهم الشيعة على الطالبان. وكان القائد عبد الملك المنافس لعبد الرشيد دوستم على قيادة الميليشيات الأوزبكية، قد أظهر أنه انحاز لطالبان وصالحهم وأدخلهم الولاية وسلم لهم عاصمتها مزار شريف وأخرج دستم. فلما أمن الطلبة غدر بهم في مجازر وحشية، ذهب ضحيتها ما يقرب من عشرة آلاف من الطالبان، وحسب الأرقام التي ذكرت دفن كثير منهم فيها أحياء في مقابر جماعية على يد الميليشيات الأوزبكية الشيوعية وحلفائهم الشيعة. وبقيت آلاف الجثث في العراء دون دفن، وعليها آثار التعذيب والتفكيك والقتل والتمثيل. وقتل في هذه المذابح كثير من قيادات الطالبان والوزراء والعلماء، على رأسهم وزير المالية المولوي إحسان الله إحسان، رحمهم الله جميعاً.

25- بعد ذلك عاود الطالبان الزحف شمالاً بحذر أكبر، فسقطت بيدهم ولايات الشمال واحدة تلو الأخرى مرة أخرى، فاستولوا على بادغيس ثم فارياب ثم مزار شريف عاصمة ولاية بلخ، وقتلوا فيها أكثر من ثلاثة ألف ممن تأمر ضدهم من المليشيات. ثم واصلوا تقدمهم نحو سمنجان واستولوا عليها، ثم انحدروا جنوباً وسيطروا على الممرات الشمالية لباميان، وانضمت إليهم مناطق من بدخشان. وانهارت قوات دوستم الذي فر إلى أوزبكستان. ولم يبق كقوة عسكرية أمامهم إلا مسعود في الوادي الضيق الممتد من بنجشير إلى جبل السراج إلى شاريكار إلى بوابات كابل الشمالية، حيث تقف معه قوات تابعة لسياف، بالإضافة لقوات حزب الوحدة الشيعي في باميان.

ثم سقطت باميان في مطلع شهر سبتمبر 1998م، وكان قد سقط قبلها وادي كيان الذي تستحكم فيه القوات الإسماعيلية الأغاخانية، وهم أقلية موجودة في أفغانستان، وغنم الطالبان فيه غنائم تستعصي على الحصر من السلاح، وأقام الطالبان فيه الحدود الشرعية عقوبة على الخيانة والقتل، وشملت الحدود قرابة أربعة ألف شيعي ثأراً لمذبحة مزار شريف. والجدير بالذكر أن أهل السنة لم يدخلوا هذا الوادي الإسماعيلي منذ 800 سنة مضت. ثم واصل الطالبان زحفهم جنوباً وراء قوات مسعود عن طريق غوربند، واستمرت فتوحاتهم حتى بداية الحرب الصليبية بقيادة أمريكا التي بدأت في 7 أكتوبر 2001م، بعد أحداث غزوتي نيويورك وواشنطن. ومع بداية الحرب الصليبية لم يبق مع التحالف الشمالي إلا ولايتي بدخشان ووادي بنشير (بالخط الأزرق الداكن).

الوصول إلى قندهار:

عند الوصول الى قندهار، أنزلت العائلات مؤقتاً في جناح من أجنحة المطار إلى أن يتم تجهيز وتأهيل المجمع السكني المجاور للمطار. وكان الطالبان قد عرضوا على الشيخ أسامة رحمه الله مجمعين للسكن، أحدهما في ولاية هلمند وكان مؤهلاً وجاهزاً للسكن، والآخر قرب مطار قندهار غير أنه لم يكن مؤهلاً وجاهزاً للسكن، فاختار الشيخ أسامة مجمع مطار قندهار، وكان يبعد حوالي 30 كم من المدينة.

وكان المجمع يحتوي على قرابة الـ 80 بيتاً، ومقسوماً الى قسمين. القسم الداخلي وبه 60 بيت، وكل بيت مكون من غرفتين ومطبخ وحمام وممر صغير يربط بينهما، وخصص هذا القسم للعائلات. والقسم الخارجي وبه 20 بيتاً، وكل بيت مكون من ثلاثة غرف ومطبخ وحمام وردهة صغيرة تربط بينهما، وخصصت بعض بيوت هذا القسم لإقامة الإخوة العُزَّاب، وبعضها مضافات

للضيوف والإخوة الزائرين، وبعضها مكاتب للعمل. وكانت بيوت المجمع مبنية بالطوب والإسمنت، وتحتاج الى قليل من الصيانة والنظافة، فقد كان معظمها زرائب لأغنام البدو، ولم تكن البيوت مسورة، وكانت خالية تمامًا من الأبواب والنوافذ، وحوائطها لم يبق فيها موضع شبر إلا وفيه حفرةً لطلقة، أو شرخًا لشظية بسبب الحرب.

بعد أن قُسمت البيوت على الأخوة، شرعوا جميعًا في صيانتها ونظافتها. وكان الإخوة قد اتفقوا قليلًا للمصروفات على أن يقوم كل أخ ببناء سور بيته بنفسه من الطين. وكان الشيخ أسامة رحمه الله منذ وصوله الى قندهار قد توجه مباشرة الى المجمع السكني، واختار له أربعة بيوت وسط المجمع، وأحضر زوجاته وأبنائه فكان أول الساكنين في المجمع، حيث كان يستر غرف بيوته بالأردية الأفغانية (البتوهات) ⁽¹²³⁾ لحين تركيب الأبواب والنوافذ.

وكان الجميع في تلك الأيام يتعاونون فيما بينهم في بناء الأسوار، وكان الشيخ أسامة مع أبنائه عبد الرحمن وسعد وعمر وعثمان ومُحمَّد بينون سور بيوتهم بأنفسهم، فكانوا يعجنون الطين بأيديهم وأرجلهم، وكان بعض الإخوة يعاونوهم في ذلك منهم الشيخ بصير رحمه الله، وخلاد بن عتش فكَّ الله أسره. وكانوا يرددون أثناء العمل أناشيد اليمن الحماسية التي تشجع وتحمّس على العمل مثل: "أربعة شلّو الجمل والجمل ما شلّهم". ولم يمكث ذلك السور طويلاً، فقد كان مائلاً ميلاناً كبيراً سقط مع أول هطول الأمطار. كذلك لم يستمر الإخوة في بناء أسوار بيوتهم، فقد أُرهِقوا كثيراً على حساب الحراسة الليلية، واتفقوا أخيراً على أن يأتوا بعمال يقومون بعملية البناء، فكلّف الأخ أبو حفص العرب للقيام بمهمة الإنشاءات ومتابعتها مع العمال في المجمع، وخلفه بعد فترة الأخ سعدوف رحمه الله. وبجانب بيت الشيخ أسامة، اختار الإخوة أحد البيوت ليكون مسجداً، فتم بناؤه ليلحق بالغرفتين اللتين خصصت إحداهما لتكون غرفة خاصّة بمجلس الشيخ أسامة، والثانية خصصت للإخوة العزاب حراس الشيخ اللصيقين به.

قدوم الإخوة الجدد:

كان قدوم الإخوة الجدد في تلك الأيام إلى ساحة أفغانستان ضعيفاً جداً، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الشيشان. فقد كانت أخبار المعارك الطاحنة التي خاضها المجاهدون ضد الروس،

(123) كلمة (پتو) بالپشتو، لها مقابل في العربية، ولعله أصلها، وهو (البثُّ)، وجاء في المعجم الوسيط أنه: كساء غليظ من صوف أو

والانتصارات العظيمة التي وثقتها الفضائيات وفيديوهات المجاهدين، لا تزال تتردد أصدائها في أذهان الشباب. ورغم وجود هدنة وتوقف القتال بين المجاهدين والروس في ذلك الوقت، إلا أن شباب الجهاد كانوا يشدّون رحالهم إلى الشيشان. وكان بعض الذين يأتون إلى أفغانستان آنذاك يأتون للتدريب فقط، ثم يتوجهون إلى الشيشان.

وكانت الصورة العامة المنطبعة في أذهان الكثير من شباب الجهاد - خاصة أولئك المتواجدين في باكستان - معكوسة ومغلوبة عن طالبان، بحكم الدعاية والإشاعة المضادة، التي كانت تبثها وكالات الأنباء، وكذلك كان يبثها قادة فصائل المجاهدين السابقين المناوئين لطالبان، أمثال سياف ورباني وحكمت يار، الذي كان فصيله يضمّ كثيرًا من المجاهدين العرب، ساهموا بفعالية في بثّ هذه الإشاعات. فكانت الصورة في أذهان هؤلاء، أن طالبان ما هي إلا صنعة ودسيعة أمريكية، تسيّرهما المخابرات الباكستانية. لكن بفضل الله، ثم بصدق جهود الطالبان لإقامة الشريعة، ومحاربة الفساد والمفسدين، ثم بقدم الشيخ أسامة، خاصة بعد خروج بيان إعلان الجهاد على الأمريكيين المحتلين لبلاد الحرمين، زالت هذه الغشاوة، وبدأ الشباب يتدفقون إلى أفغانستان وحدانًا وزرافات، حيث كانوا يُستقبلون في كراتشي، ويسافر معهم أخ ليدخلهم إلى أفغانستان عبر بوابة بولدك القريبة من قندهار.

وكان الشيخ أسامة يفرح كثيرًا عندما يأتي إخوة جدد، فكان قبل ذهابهم إلى معسكر الفاروق في خوست يستقبلهم بحفاوة وكرم، ويجلس معهم مجيئًا على كل تساؤلاتهم عن طالبان وأحوال الأمة، وعارضًا عليهم مشروعه الجديد في توحيد الجهود لقتال هبل العصر أمريكا.

مشاركة القاعدة القتال مع الطالبان:

وكان الشيخ أسامة عند لقائه بأمرير المؤمنين قد عرض عليه المشاركة معهم في القتال، فلم يمانع أمرير المؤمنين ورحب بذلك، ولكن قال إذا دعت الحاجة سنستعين بكم. وكانت جميع الفصائل المناوئة لطالبان بعد سقوط كابول، قد توحدت بعد انسحابها منها تحت مسمى تحالف الشمال. وكانت قوات طالبان قد طاردت هذه الفصائل شمال كابول، وسيطرت على مواقع لقوات مسعود تبعد 70 كيلو مترًا شمال كابل في منطقة جبل السراج القريبة من ممر سالانج ومدخل وادي بنشير معقل قوات أحمد شاه مسعود. وفي إحدى المعارك، توغلت قوات طالبان داخل وادي بنشير، فأطبقت عليها قوات مسعود وقتلت منهم أعدادًا كبيرة، فاضطر الطالبان للرجوع للخلف والتمركز

في جبل السراج. وبعد هذه الحادثة أعلن أمير المؤمنين الملا عمر النفير العام، وكان ذلك في منتصف عام 1997م.

واستجابةً لأمر أمير المؤمنين، أرسل التنظيم للمرة الأولى الكثير من فلذات أكبادهم بقيادة الشيخ أبي حفص المصري، وتبعهم بعد ذلك الشيخ أسامة - رحمهما الله - للمشاركة مع الطالبان في المعارك ضد تحالف الشمال في منطقة جبل السراج، ولم يبق في قندهار سوى قلة قليلة من الأخوة مع العائلات. وكان من الأخوة البارزين المشاركين الشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ سيف العدل، والشيخ عبد الهادي العراقي، والشيخ أبو محمد المصري، وأبو زياد العراقي، والأخ أبو عطا التونسي، وأبناء بن عتش مهند وخلاد وعمير، وطلحة السوداني، وحمزة الزبير المصري، والأخ فهد الكيني، والأخ خالد الحبيب، وآخرين كثير.

وكان الموقع الأول للإخوة في الخط الأمامي مدعومًا بأربعة هاونات 120 مل في منطقة "بُل متك" شمال قرية شاريكار. وكان الأمير في هذا الموقع هو الشيخ أبو محمد المصري تقبله الله، وكان الراصد لرماية المدافع هو الأخ أبو زياد العراقي رحمه الله، وكان موقعه في جبل عال يشرف على المنطقة بأكملها. وبحكم دراسته وتخصصه في المساحة العسكرية، فقد كانت الرمايات دقيقة جدًا، وتأتي بالضبط من أول قذيفة فوق الأماكن التي يرصدها لتحركات قوات مسعود. وكان هناك موقع متقدم آخر، يبعد حوالي مئة متر من الخط الأول لقوات مسعود، وكان موقعًا ساخنًا جدًا أصيب فيه الأخ الشيخ أبو دجانة الباشا⁽¹²⁴⁾ رحمه الله، بشظية أدت إلى بتر ساقه من الفخذ. وكان هناك موقع ثالث على الطريق الثاني - الذي يربط كابل بقاعدة بجرام الجوية، عبر صحراء "ده سبز" - على رأس جبل عال رابط فيه الإخوة، وكان معهم دبابة لحماية كابل من تقدم أي قوات من تلك الجهة.

قصة إنشاء خط ثان للدفاع عن كابول:

وهنا يروي لنا الشيخ سيف العدل حفظه الله قصة إنشاء الخط الثاني للدفاع عن كابول، فقال: "عندما وصلت المجموعة الأولى - تحت قيادة الشيخ أبي حفص رحمه الله، ومعه كلاً من الشيخين أبي وليد المصري وأبي محمد المصري - إلى شمال كابول، وبعد سلسلة من المناوشات مع قوات مسعود، تبين لهم أن الطلبة يعتمدون أسلوب الحرب الخاطفة، مستثمرين المفاجأة وهيبة الشريعة،

(124) صهر الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله.

ولا يأخذون في اعتبارهم تنفيذ ذلك من خلال ترتيبات عسكرية سليمة، خاصة في حال حدوث رد فعل مرتب من العدو. وكان أسلوب الكر والفر هو الغالب، وكان هذا هو سبب رفض الملا عمر رحمه الله لمشاركة⁽¹²⁵⁾ العرب حينما طلبنا منهم المشاركة عند وصولنا لقندهار. كذلك وجد الاخوة أنه لا يوجد بعد الخط الأول خط ثان للدفاع عن كابول.

في هذه الأثناء لم يجد الشيخ أسامة رحمه الله أي راحة في قندهار، وكان يحاول ما أمكن أن يذهب إلى كابل والشيخ أبو حفص رحمه الله يرفض، ويخبره أن الوضع خطير وغير منظم، ومن الممكن أن تنقلب الأمور في أي لحظة. وبعد عدة مشاورات بيني وبين الشيخ أسامة، ابتكر رحمه الله حيلة⁽¹²⁶⁾ لكي نذهب إلى كابول، فطلب مني الشيخ أسامة، أن أطلب من الشيخ أبي حفص رحمه الله، أن نزوره في كابل خلال مرورنا بها في طريقنا إلى خوست⁽¹²⁷⁾. وكان الشيخ أبو حفص نبيهًا ويدرك ما يفكر فيه صاحبه، فقال لي إذا كان مجرد مرور فلا بأس. وقد كان فذهبنا وتحول المرور إلى تواجد ومشاركة بفاعلية وحماس.

وبمجرد وصولنا، أطلعنا المشايخ الثلاثة على خطورة الوضع، وضرورة إقامة خط ثان للدفاع عن كابول. وتم الاتفاق على استطلاع ميداني فقمنا (المشايخ أسامة وأبو الوليد وأبو حفص وكاتب هذه السطور) بجولة من طرف قاعدة بجرام الجوية إلى دوسراك⁽¹²⁸⁾، ثم نزولاً إلى مراد بيك⁽¹²⁹⁾. وتبين لنا صحة ما ذكره الشيخان أبو حفص وأبو الوليد من ضرورة إقامة خط ثان للدفاع عن كابول. وخلال الجولة الاستطلاعية حددنا موقعين: الأول في طرف قاعدة بجرام⁽¹³⁰⁾، وتم تكليف

(125) نقلاً عن الشيخ سيف العدل: "طلب الشيخ أسامة بالمشاركة أكثر من مرة. وتعلل الملا عمر بما أسلفت. وكنت أعطي بعض الشباب دورة في العمل السري بأحد البيوت بقندهار وإذا بمعاون وزير الخارجية يطرق الباب ويخبرني بأن الملا عمر وافق على أن نشارك في القتال شمال كابول. فطرت بالخبر للشيخ أسامة الذي فرح به فرحاً كبيراً".

(126) هذه حقيقة حتى يعلم الناس أن الرجل كان تواقاً للجهاد وتأبى نفسه أن يقعد خلف إخوانه. سيف.

(127) نظراً لخطورة الوضع الأمني في كابل آنذاك فقد كان من المقرر أن يذهب الشيخ أسامة برفقة الشيخ سيف العدل إلى خوست.

(128) مفرق الطريق على بعد خمسين كيلو متراً من كابل محاذ لقاعدة بجرام الجوية.

(129) قرية صغيرة شمال كابل بنحو ستة عشر كيلومتراً.

(130) يقع هذا الموقع على الطريق الثاني، الذي يربط كابل بقاعدة بجرام الجوية، عبر صحراء "ده سبز"، وكان يحكم الطريق جبل عال على جانبه.

الشيخ عبد الهادي العراقي ومعه الأخ حمزة الزبير بتهيئته. والثاني طرف مراد بيك وتم تكليفي بتهيئته.

ذهبت في اليوم التالي إلى وزير الدفاع⁽¹³¹⁾، والتقيته على مشارف بگرام وأخبرته بضرورة إنشاء خط دفاع ثان عن كابل، واحتياجاتنا من الأسلحة وخاصة الدبابات، فقال لي العدو ضعيف لماذا أنتم موسوسون، فقلت له نحن لسنا موسوسين ولكننا نخاف عليكم من رد فعل مسعود وقواته، وأنتم لن يضركم شيء بل هو مفيد. المهم بعد أخذ ورد وافق على دبابتين، واحدة تُوضع في بگرام والأخرى في مراد بيك. فأرسلت الأخ البطل أبو عابد العراقي لاستلام الدبابة، ولكن مسؤول الفرقة ماطل معه.

في هذا الأثناء كان عندنا مشكلة في قلة عدد الاخوة العرب. ولعلاج ذلك اتفقنا مع اخواننا الباكستانيين أن يمدونا بعشرة من إخوانهم. فأخذت الأخ أبو همام الصعيدي والأخ عادل (أمير الاخوة الباكستانيين) ومعنا بعض المعدات والإداريات. نزل الأخ أبو همام ومعهم الإداريات على جبل مراد بيك، وتحركت مع الأخ عادل لإحضار الشباب من المقدمة. وبعد أن أخذنا الشباب وفي طريق عودتنا إلى مراد بيك، قصفت سيارتي وقتل أربعة من الشباب. وبدأ هجوم كبير من أحمد شاه مسعود. وفي سلسلة طويلة من الأحداث انهار فيها صف الطلبة، وتحرك الجميع في انحياز غير مرتب للخلف، استمر من صلاة الظهر إلى فجر اليوم التالي. وبعد أن التقيت بعبد الهادي العراقي، أخذت منه أخين هما خلاد بن عتش وسالم الشريف، وعدنا مشياً إلى جبل مراد بيك. حيث بات أبو همام وحيداً على جبل مراد بيك.

تواصلت مع الاخوة في كابل فأرسلوا سيارة أخرى، فذهبت بصحبة الأخ البطل أبي عابد العراقي رحمه الله للفرقة لاستلام الدبابة. ولم يتردد قائد الفرقة هذه المرة بتسليمنا الدبابة، وانطلق بها أبو عابد إلى مراد بيك، ووقفنا الله على عجل لاختيار مريض مناسب لها، وكان بفضل الله محمي من المواجهة طبيعياً، ولكنه مكشوف من بقية الجهات، ويشرف على الطريق ويقطعه بامتياز.

وبعد العصر وصل أبو الفرج الليبي مع دفعة من الشباب ورشاش دوشكا ومدفع 82 مم وذخائر. أتذكر من الشباب كلاً من كاتب السطور، أبو همام الصعيدي، أبو الفرج الليبي، أبو عابد العراقي، خلاد بن عتش، سالم الشريف، أبو محجن الطائفي، أبو جندل اليمني، أبو محمد

(131) الملا عبيد الله رحمه الله.

العوهلي⁽¹³²⁾، عبد الظاهر الأفغاني، داوود الأفغاني، عبد الصبور الأفغاني، الزبير الباكستاني ومعه ثلاثة إخوة - الذاكرة لا تسعفني في أسمائهم فقد مر على الأحداث أكثر من 23 عامًا - وبلغ عددنا وقتها 16 من أبناء المسلمين.

بسرعة قمت بترتيب الموقع وتوزيع الشباب كالآتي: أبو الفرج الليبي ومعه الزبير الباكستاني وأبو جندل على الدشكا بأعلى الجبل ومعهم ثلاثة من الشباب. ورتبت لسالم الشريف وأبو محجن مع المدفع عديم الارتداد عيار 82 مم موقع أمام الدبابة، يبعد حدود 300 متر في واحدة من الزوايا الجيدة بالجبل، والتي تشرف على الطريق بحيث يندفعوا إليه في حال حدوث هجوم. وشكلت طاقم الدبابة من أبو همام الصعيدي وخلاد بن عتش. وبقيّة الشباب كانوا معي بالقرب من الدبابة. وعلى هذا بتنا ليلتنا في العراء، فالوقت لم يكن كافيًا لأي شيء آخر.

في صباح اليوم التالي، فوجئنا بهجوم للشمالين⁽¹³³⁾. فتحرك كل أخ لموقعه، فباشر أبو الفرج الليبي الاشتباك مع حشود الشماليين. وللدبابة قصة طريفة في مسألة توجيه السبطانة⁽¹³⁴⁾ وحتى في إطلاق القذيفة اليتيمة، حيث لم تنطلق إلا بعد أربعة محاولات ثم تعطل المدفع. المهم أن القذيفة أصابت الهجوم في مقتل، وكذلك اشتباك أبو الفرج بالدشكا، فقد تفاجأ العدو بوجود مقاومة بالجبل، فظن أن هناك حشد كبير فأجّل هجومه.

على الظهر توافدت مجموعات الطلبة، واحتلت القمة التي على ميمتنا. وللتأكد أنهم من الطلبة قصة طريفة أيضًا ليس هنا مجال سردها. كذلك بدأ الطلبة في الانتشار على طول خط

(132) أحد المنقّذين لعملية السفارة الأمريكية في نيروبي. نجّاه الله من الموت رغم أن السيارة المفخخة كانت تحمل ثلاث أطنان من المتفجرات. حاليًا أسير في سجن ADX Florence الواقع في ولاية كولورادو بأمريكا، نسأل الله أن يعجّل بفكك أسره.

(133) قوات مسعود.

(134) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: "بعد أن قفز كلا من أبي همام وخلاد داخل الدبابة، شرعا بتحريك السبطانة باتجاه اليمين دون جدوى، وأنا بالخارج أستعجلهما. فرد علي أبو همام بأنها لا تتحرك. فقامت مع الشباب بدفعها لمسافة معقولة، وسألت أبو همام كيف ترى فقال يصعب الرؤية من المنظار سوف أنظر من السبطانة. ثم قال لا أرى شيء، ووضعت رأسي تحت السبطانة، ودفعها الشباب حتى وصلت إلى اتجاه العدو وقتلت له اضرب في هذا الاتجاه ولمسافة في حدود الكيلومتر ونصف تقريبًا. وبعد ضبط الارتفاع كبر أبو همام وأطلق ولم ينطلق شيء. ثم حاول مرة أخرى وثالثة ولا شيء. فجأة صاح خلاد "أمان المذخر"، فقلت بلهجة مصرية فك ابن الذين ده. ثم أطلق أبو همام القذيفة التي فرقت أحلام الحشد على الطريق. ولكن فارغ القذيفة انخسر ولم يخرج وتعطل المدفع بعدها، ولكن المراد منها بفضل الله قد تم. بعد يوم أو اثنين قام أبو عابد العراقي رحمه الله بإصلاح أعطال الدبابة، وبقيت تعمل إلى آخر وقت".

ميسرة مراد بيك في القرى وحتى سلسلة الجبال. المهم أنه في صباح اليوم التالي، كان جبل مراد بيك وميسرة الطريق قد تحولاً إلى موقع حراسة يصعب اقتحامه⁽¹³⁵⁾، وبقي بفضل الله صامداً إلى الغزو الأمريكي. هذه هي قصة الخط الثاني، خط مراد بيك. وللخط الخط الأول، خط دوسراك قصة أخرى⁽¹³⁶⁾.

بعد ذلك أيقنت قوات مسعود أنه من المستحيل التقدم نحو كابل ما لم تأخذ الجبل، فركزت نيران أسلحتها من دبابات وهاونات وشلكات عليه، وقتل على الجبل كثير من الأخوة المجاهدين كان من بينهم صابر، الذي سُمي الجبل فيما بعد باسمه، فكان يقال جبل صابر. وحاولت قوات مسعود أكثر من مرة اقتحام الجبل، ولكن كان لهم الشباب بالمرصاد، وفي إحدى المرات نجحت قوات مسعود في اقتحام الجبل وسيطروا عليه، لكنهم لم يلبثوا فيه كثيراً حيث أمطرتهم نيران أسلحة الطالبان من كل مكان، فأجبروا على النزول منه. وفي هذه الأيام العصيبة، وليس بعيداً من الجبل قتل الأخ الكريم أبو عطا التونسي، مع ثلاثة أخوة آخرين كانوا في رفقته، رحمهم الله جميعاً.

هجوم طالبان وتأمين كابل:

لم يلبث هذا الوضع طويلاً حيث نظم الطالبان صفوفهم وهجموا على قوات مسعود. لكن حتى تتضح صورة ذلك الهجوم، لا بد أن نذكر قليلاً عن جغرافية المنطقة، فقد كانت عبارة عن وادٍ جبلي يعرف بوادي شمالي، يتسع عرضه في بدايته - بعد الخروج من كابل - إلى 22 كيلو متر، ويضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل عرضه بعد 70 كيلو متر، إلى 8 كيلو مترات في جبل السراج. ويميئاً ويساراً على طول الطريق الرئيسي الذي يشق الوادي تكتظ المنطقة بقرى كثيرة بأزقتها الضيقة، وبأحراش ووديان ومزارع للعنب.

وكانت هجمات الطالبان السابقة تتم كلها بالتقدم بالسيارات البك أب على الطريق العام، حيث كانوا يتوغلون عشرات الكيلو مترات على الطريق دون أن يعترضهم أحد، ثم لا يلبث جنود

(135) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله: "حينما استقر الوضع على جبل مراد بيك، اتصل علي الشيخ أسامة بالمخبرة ينقل كلامه أحد الأخوة للاطمئنان، فلما طمأنته طلبت منه التوجه إلى خوست كما اتفق مع الشيخ أبي حفص قبل أن تأتي إلى كابل. فقال بأدبه الجم من خلال الوسيط اتأذن لنا بالذهاب إلى خوست وأنكم لستم بحاجة لنا فقلت له نعم، فأعاد الطلب مرة أخرى وثالثة. فقلت له اطمئن إن شاء الله، لن يدخل مسعود كابل ونحن أحياء. فتحرك الشيخ رحمه الله إلى خوست كما اتفقنا".

(136) نقلاً عن الشيخ سيف العدل حفظه الله.

مسعود أن يخرجوا عليهم من القرى والأزقة ومزارع العنب، فيوقعوا فيهم قتلى وجرحى فيضطروا مرة أخرى للانسحاب، حدث ذلك الأمر مرتين. وفي المرة الثالثة أمر الطلبة جميع السكان في القرى بإخلائها بعد إعلانها منطقة حرب، فاستجاب السكان وخرجوا بالآلاف من بيوتهم متجهين صوب كابول.

أخذ الطالبان يزحفون بعرض الوادي كله، في خط واحد في غاية التنسيق، فكانوا يفتحون طرقًا جديدة إذا كان هناك عائق لهم في الطريق، وإذا واجهتهم مقاومة كانوا يتصدون لها بثبات. فكانت قوات مسعود في تقهقر مستمر، ولم يكن الطالبان يتقدمون حتى يتأكدوا أن ظهرهم آمن مئة بالمئة، لذلك كان تقدمهم بطيئًا جدًا إلى أن وصلوا بعد أيام إلى منطقة (دو سراك)، المحاذية لقاعدة بگرام الجوية، والتي تبعد حوالي خمسين كيلو مترًا شمال كابول، وهناك ثبت الطالبان الخط ولم يتقدموا، حيث كانت خطتهم التركيز على المعارك الدائرة في مزار شريف، وفي شمال أفغانستان عمومًا.

وفي إحدى المرات حاولت مجموعة من الطالبان التقدم ومعهم مجموعة من الإخوة العرب، فوقعوا في كمين وطلب منهم أصحاب مسعود الاستسلام لكنهم رفضوا، وطلب الإخوة المحاصرون من الإخوة الدعاء بأن يثبتهم الله - حيث كانوا يتواصلون معهم بالمخابرة - فقاتلوا حتى قتلوا جميعًا رحمهم الله، وكان من بينهم أخ نيجيري أسود البشرة، يكتي نفسه بمثنى اللبناني، طلب فيه أصحاب مسعود مبلغًا كبيرًا من المال لتسليم جثته، فرفض الإخوة الاستجابة لطلبهم، فتركه أصحاب مسعود في العراء تحت أشعة الشمس. وكان الجو حارًا جدًا في تلك الأيام، وبعد شهر كامل عندما هجم الطلبة مرة أخرى وجدوه كما هو لم يتغير أو يتعفن.

وبعد هذه المحاولة لم يقم الطالبان بأي محاولة للتقدم للأمام، وبقي الخط ثابتًا في مكانه في منطقة "دو سراك" حوالي أربعة سنوات، حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من التدافع ما زالت رحاها تدور حتى هذه اللحظة.

محاولات النظام السعودي مع أمير المؤمنين لتسليم الشيخ أسامة:

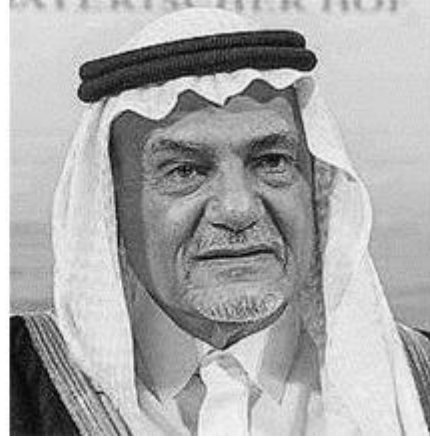
لم تتوقف محاولات نظام آل سعود في الضغط على طالبان لتسليم الشيخ أسامة بن لادن، فلجأ إلى آخر سهم في كناته، وهو إرسال أكثر الأمراء السعوديين خبرة بأفغانستان؛ رئيس الاستخبارات السابق تركي الفيصل. توجه تركي الفيصل بصحبة عبد الله التركي وزير الشؤون

الإسلامية، وسلمان العمري - القائم بأعمال النظام السعودي في كابل - إلى قندهار، لمقابلة أمير المؤمنين بهذا الخصوص. وكان تركي الفيصل قد جاء بطائرة جامبو كبيرة، لا يطلب فقط من أمير المؤمنين تسليم الشيخ أسامة، إنما يطلب معه تسليم كل العرب الذين بصحبته.



وزير الشؤون الإسلامية السابق لعصاة

آل سعود عبد الله التركي



رئيس استخبارات عصاة آل سعود السابق تركي

الفيصل

وفي قندهار قابل وفد النظام السعودي أمير المؤمنين الملا عمر، ودارت بينهما ملاسنة حادة بخصوص تسليم الشيخ أسامة. وفي اللقاء ادعى تركي الفيصل أنه قدّم بناء على طلب من أمير المؤمنين الملا عمر من أجل استلام بن لادن، فأنكر أمير المؤمنين وجود هذا الوعد، بل انتقد شرعية مثل هذا الطلب أصلاً. أعاد الملا عمر على أسماع الأمير السعودي ما تم الاتفاق عليه فعلاً، ولكن السفير تدخل لصالح ولي نعمته، مؤيداً أكذوبة الوعد بالتسليم. فالتفت أمير المؤمنين الملا عمر إلى تركي الفيصل موجّهاً له كلاماً خشناً قائلاً: "ألم أطلب منك ألا تحضر معك هذا الخبيث إلى أفغانستان". تردد المترجم في ترجمة هذا الكلام، فنهره أمير المؤمنين الملا عمر، وأصر على ترجمته حرفياً⁽¹³⁷⁾.

وكان أمير المؤمنين - نتيجة لدبلوماسية الوقاحة التي يتبعها معه السفير السعودي - قد أمر بطرده وعدم السماح له بدخول أفغانستان مرة أخرى، وطلب من تركي الفيصل ألا يصطحبه إلى قندهار. اشتد النقاش بين الطرفين، وقال أمير المؤمنين الملا عمر للوفد: "أنهم إذا كانوا يتحدثون

(137) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري، الذي شهد اللقاء كاملاً.

باسم أمريكا، فلا يلومونه إذا قال أنه يتحدث باسم بن لادن". وكانت عبارة أمير المؤمنين الملا عمر هذه من باب الإحراج للوفد الذي طلب تسليم الشيخ أسامة لأمريكا.

نفذ صبر تركي الفيصل، وضرب سفرة الطعام التي أمامه بقبضة يده صائحًا بغضب أنه لا بد أن يتسلم بن لادن الآن، متهمًا أمير المؤمنين بالكذب والمراوغة. تكهرب الجو، وتناثر الطعام على ملابس الحاضرين، وأوشك الحراس الأفغان أن ينقضوا على المتعجرف السعودي وتلقينه درسًا على الطريقة القندهارية. لكن أمير المؤمنين الملا عمر أشار لهم أن يتوقفوا. وانسحب هو من الجلسة مسرعًا، وذهب للوضوء حتى يطفئ نيران غضبه، ثم عاد عندما استعاد هدوئه ليكرر موقفه، ويطرح تساؤلات نابعة من الفطرة السليمة، فقال الملا عمر متسائلًا:

- لماذا لم تعودوا رجالًا مثل أجدادكم الذين حملوا الإسلام إلينا؟

- لماذا تسلم بن لادن لأمريكا، هل أنت وزير سعودي أم وزير أمريكي؟

- لماذا تسلم مسلمًا لكافر؟ هل أنت "بي غيرت"؟ (وتعني ديوث بالأفغاني).

هدد تركي الفيصل أمير المؤمنين بسحب اعتراف حكومة آل سعود بهم، وقبل أن ينصرف تركي الفيصل طلب منه أمير المؤمنين الملا عمر ألا ينسى بأن يصطحب معه القائم بالأعمال السعودي. وبعد عودة تركي الفيصل إلى الرياض، أرسل معتذرًا لأمير المؤمنين الملا عمر، فرفض الملا عمر قبول الاعتذار، ورفض إعادة القائم بالأعمال السعودي، فقرر السعوديون إبعاد القائم بالأعمال الأفغاني في الرياض⁽¹³⁸⁾.

وكان الشيخ أسامة قد حكى لنا قصة سمعها من رئيس وزراء الطالبان الملا رباني - رحمه الله - مفادها أنه كان قد ذهب مع وفدٍ من حكومته لبلاد الحرمين لتأدية مناسك الحج، وكان وليّ العهد السابق عبد الله قد استضاف الملا رباني ووفده المرافق مرتين، مرةً قبل أن تبدأ مناسك الحج ومرةً أثناء أداء المناسك، وفي كلا المرتين كان عبد الله يطلب من الملا رباني تسليم الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله. وفي كلا المرتين كان الملا رباني يعتذر لولي العهد بصورة لطيفة قائلاً له أن الشيخ أسامة ضيف كريم له مكانة معتبرة عندهم، وأن من أخلاقهم وأعرافهم وعاداتهم عدم خفر الضيف مهما كلفهم الأمر.

(138) صليب في سماء قندهار. للشيخ أبو الوليد المصري، الذي شهد اللقاء كاملاً.

وبعد انتهاء المناسك دعا وليّ العهد عبد الله الملّا ربّاني والوفد المرافق له لوليمة ملكية فخمة، وأثناء الوليمة طلب منهم للمرّة الثالثة تسليم الشيخ أسامة رحمه الله. وهنا ردّ عليه الملّا رباني ردًّا مفحّمًا قاطعًا قائلاً له: "نحن الأفغان عندنا مثل يحكي أن أفغانياً سئل عن عمره ذات مرة فقال: ثلاثون عامًا. وبعد ثلاثون عامًا سئل مرة أخرى عن عمره فقال: ثلاثون عامًا. فقل له كيف هذا، سألناك قبل ثلاثين عامًا عن عمرك فأجبت بثلاثين عامًا، واليوم أيضًا عمرك ثلاثين عامًا. فقال: أنا أفغاني كلامي واحد لا أُغيّره. ونحن مثل هذا الرجل كلامنا واحد لن يختلف قبل الحج، ولا أثناء الحج، ولا بعد الحج".



الملّا ربّاني رحمه الله

ورغم كل تلك المحاولات الفاشلة لم ييأس آل سعود، وقرروا استخدام وسيلة نفسية أخرى للضغط على الشيخ أسامة. وكانت الوسيلة هذه المرة عن طريق والدته التي كانت ممنوعة من السفر، وحُرمت من زيارته منذ أن كان في السودان. وكان نظام آل سعود يعلم أنّه في أشد الشوق إليها، فعمدت إلى ترتيب زيارة خاصة لوالدته بطائرة خاصة أقلتتها إلى قندهار، من أجل الضغط عليه وابتزازه بها. وفعلاً وصلت والدته الشيخ أسامة مع زوجها الذي كان من عائلة العطاس، وقابل الشيخ أسامة والدته بعد أن لم يرها سنين. ولا غرابة أن كان اللقاء عاطفياً رقيقاً، لكن كان واضحاً تماماً أن قضايا الشيخ أسامة ليست مطروحة للنقاش رغم الابتزاز، وعادت الوالدة المكلومة بعد أن كحّلت عينيها برؤية ابنها أسامة رحمه الله جميعاً⁽¹³⁹⁾.

وبجانب هذه المحاولات الدبلوماسية من وكلاء أمريكا للنيل من الشيخ أسامة رحمه الله، كانت هناك أيضاً محاولات استخباراتية من قبل المخابرات المركزية الأمريكية CIA لأسر الشيخ أسامة

(139) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. أبي جندل الأزدي. بتصرّف طفيف.

أو قتله في قندهار. وكان الإخوة بعد الاستقرار في مجمع المطار، قد أنشأوا طوقاً أمنياً للحراسة بعددٍ من المواقع حول المجمع، وكانوا قد استعانوا بالطالبان بأن يمدّوهم بعدد من الأفراد ليغطّوا حراسة أحد هذه المواقع وهو الموقع الجنوبي. وكانت المخابرات الأمريكية قد نجحت في تجنيد قائد هذه المجموعة ليقوم بعملية عسكرية مهمتها أسر أو قتل الشيخ أسامة رحمه الله. ويشاء الله أن وشى أحد أفراد المجموعة بالمخطط للطالبان فتم القبض عليهم جميعاً بفضل الله وحده.

وكان تقرير لجنة الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد اعترف في الصفحات 110-115 بهذه المحاولات، وجاء في التقرير:

" منذ صيف عام 1997م بدأت المخابرات المركزية الأمريكية تناقش خطأً للعمل ضد الشيخ أسامة بن لادن. ومنذ خريف عام 1997م حتى يونيو 1998م أعدت السي آي إيه خطتين لاختطاف الشيخ أسامة بن لادن بواسطة عناصر عميلة في القبائل البشتونية، الأولى بكمين يترصده في حركته من قندهار لمجمعه السكني خارجها، وزعم العملاء القبليون أنهم حاولوا وفشلوا! أما الثانية فكانت عن طريق هجوم ليلي يقوم به عملاء من القبائل على سكن الشيخ أسامة بن لادن للقبض عليه ونقله للمحاكمة في أمريكا أو في بلد عربي حكومته عميلة لأمريكا. وقد تم التصديق على الخطة الأخيرة والتدرب عليها عدة مرات، وحدد يوم 23 يونيو 1998م لتنفيذها، ولكن الخطة ألغيت في آخر مايو 1998م خوفاً من الخسائر، وعدم قدرة القبائل على الحصول على الشيخ أسامة بن لادن حياً"⁽¹⁴⁰⁾.

تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين في 23 فبراير 1998م:

بعد أن دحر الطالبان قوّات مسعود إلى منطقة دو سراك كما تقدّم ذكره استقرت الأوضاع في كابول، ورجع الشيخ أسامة إلى قندهار لتفعيل مخرجات بيان " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب " على أرض الواقع. وكانت أول خطوة في هذا الموضوع هي نجاح الشيخ أسامة رحمه الله، في بداية عام 1998م، من استصدار فتوى من حوالي أربعين عالماً من علماء أفغانستان وباكستان، تؤيد بيانه لإخراج القوات الكافرة من جزيرة العرب. وكانت الفتوى قد وزعت على نطاق واسع في باكستان وأفغانستان، وشُربت للصحافة، حيث نشرت مقاطع منها جريدة القدس العربي.

(140) فرسان تحت راية النبي، للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وكان الشيخ أسامة يهدف لشيئين من هذه الفتوى، الأول: مشروع إسلامي شامل لتجيش علماء المسلمين ضد الوجود الأمريكي في جزيرة العرب، على أساس أن هذه التوقعات ستجمع من جهات وبلاد أخرى. والثاني: الحصول على غطاء أدبي وشرعي له داخل أفغانستان، لأنه قرر إعادة التحرك إعلاميًا، ولا يريد أن يصبح في موقف الضعيف مع الملا عمر⁽¹⁴¹⁾.

وكان من ثمرات تلك الفتوى، ودعوات الشيخ أسامة المتواصلة لتوحيد جهود المجاهدين في جبهة واحدة لمواجهة أمريكا، أن تشكلت (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين) في 23 فبراير 1998م. ورغم أنه لم ينضم للجبهة من الجماعات الجهادية الموجودة في الساحة سوى جماعة الجهاد المصرية، وبعض الجماعات من باكستان وبنجلادش، إلا أن بيانها الأول كان قد صدر في صورة فتوى، دعت لقتل الأمريكان وقتلهم مدنيين كانوا أم عسكريين، واستهداف جميع مصالحهم

السياسية والعسكرية والاقتصادية والمدنية، في أي بقعة كانت من الكرة الأرضية، حتى يكفوا عن جرائمهم ضد المسلمين. وهذا نص الفتوى:

فتوى شرعية⁽¹⁴²⁾:

الحمد لله منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب، والقائل في محكم كتابه: ﴿فَإِذَا
انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ
مَرْصِدٍ﴾.

والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله القائل: (بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَتَّى
يُعْبَدَ اللَّهُ وَخُدَّه، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ رُجْحِي وَجُعِلَ الدُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي). أما بعد:

فمنذ أن دحى الله جزيرة العرب، وخلق فيها صحراءها وحفها ببحارها، لم تدهها غاشية كهذه
الجحافل الصليبية التي انتشرت فيها كالجراد، تزحم أرضها، وتأكُل ثروتها، وتبيد خضراءها. كل
ذلك في وقت تداعت فيه على المسلمين الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. ولم تشهد حدثًا
يمثل هذه الحرب العالمية الشاملة بين الإسلام وبين التحالف الصليبي. ويلزمنا حين عظم الخطب

(141) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. أبي جندل الأزدي.

(142) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وقل الناصر، أن نقف وإياكم على مكنون الأحداث الجارية، كما يجب أن تتفق جميعًا على فصل القضاء فيها.

أمتنا المسلمة:

لا أحد يجادل اليوم في حقائق ثلاث تواترت عليها الشواهد، وأطبق عليها المنصفون. ونحن نذكرها ليتذكر من تذكر، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. وهي:

أولاً: منذ ما يربو على سبع سنين، وأمريكا تحتل أراضي الإسلام في أقدم بقاعها؛ جزيرة العرب، فتنهب خيراتها، وتملي على حكامها، وتذل أهلها، وترعب جيرانها، وتجعل من قواعدنا في الجزيرة رأس حربتنا تقاتل بها شعوب الإسلام المجاورة. وإذا كان في الماضي من جادل في حقيقة هذا الاحتلال، فقد أطبق على الاعتراف به أهل الجزيرة جميعًا. ولا أدل عليه من تمادي الأمريكيان في العدوان ضد شعب العراق انطلاقًا من الجزيرة، رغم أن حكامها جميعًا يرفضون استخدام أرضهم لذلك، ولكنهم مغلوبون.

ثانيًا: رغم الدمار الكبير الذي حل بالشعب العراقي على يد التحالف الصليبي، ورغم العدد الفظيع من القتلى الذي جاوز المليون، رغم كل ذلك يحاول الأمريكيان مرة أخرى معاودة هذه المجازر المروعة، وكأنهم لم يكتفوا بالحصار الطويل بعد الحرب العنيفة، ولا بالتمزيق والتدمير، فها هم يأتون اليوم ليبيدوا بقية هذا الشعب، وليذلوا جيرانه من المسلمين.

ثالثًا: وإذا كانت أهداف الأمريكيان من هذه الحروب دينية واقتصادية، فإنها كذلك تأتي لخدمة دويلة اليهود، ولصرف النظر عن احتلالها لبيت المقدس وقتلها للمسلمين فيه. ولا أدل على ذلك من حرصهم على تدمير العراق، أقوى الدول العربية المجاورة، وسعيهم لتمزيق دول المنطقة جميعًا، كالعراق والسعودية ومصر والسودان إلى دويلات ورقية، تضمن بفرقتها وضعفها بقاء إسرائيل، واستمرار الاحتلال الصليبي الغاشم لأرض الجزيرة.

أمتنا المسلمة:

إن كل تلك الجرائم والبوائق هي من الأمريكيان إعلان صريح للحرب على الله ورسوله وعلى المسلمين. وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا عبر جميع العصور الإسلامية، على أن الجهاد فرض عين إذا دهم العدو بلاد المسلمين. وممن نقل ذلك الإمام ابن قدامة في "المغني"، والإمام الكاساني في "البدائع"، والإمام القرطبي في "تفسيره"، وشيخ الإسلام في "اختياراته"، حيث قال: "أما قتال

الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين، وهو واجب إجماعاً. فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه". ونحن بناء على ذلك، وامثالاً لأمر الله نفتي جميع المسلمين بالحكم التالي:

إن حكم قتل الأمريكان وحلفائهم مدنيين وعسكريين، وقتالهم فرض عين على كل مسلم أمكنه ذلك في كل بلد تيسر فيه، وذلك حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم عن كل أرض الإسلام مفلولة الحد، كسيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أي مسلم، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

أمتنا المسلمة:

إننا باسم الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله، ويرغب في ثوابه إلى امثال أمر الله، بقتل الأمريكان، ونهب أموالهم في أي مكان وجددهم فيه، وفي كل وقت أمكنه ذلك. كما ندعو علماء المسلمين العاملين، وقادتهم المخلصين، وشبابهم وجنودهم المؤمنين، إلى شن الغارة على جنود إبليس الأمريكان ومن تحالف معهم من أعوان الشيطان، وأن يشردوا بهم من خلفهم لعلهم يذكرون. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ 38﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الموقعون:

- 1- الشيخ أسامة بن محمد بن لادن.
- 2- الدكتور أيمن الظواهري (أمير جماعة الجهاد بمصر).
- 3- الشيخ أبو ياسر رفاعي طه، ممثلاً عن (الجماعة الإسلامية بمصر)

- 4- مولانا مير حمزة، سكرتير جمعية علماء الإسلام.
- 5- الشيخ فضل الرحمن خليل، أمير حركة الأنصار بباكستان.
- 6- الشيخ عبد السلام مُجَّد، أمير حركة الجهاد بينجلاديش".



كلمات للمشايخ عن أحوال الأمة الإسلامية

من اليمين: الشيخ أبو حفص الكمندان، الشيخ أسامة، الشيخ رفاعي طه، الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

موقف الجماعة الإسلامية المصرية من بيان الجبهة:

وكانت الجماعة الإسلامية في موقعها على الشبكة قد أصدرت بياناً باسم الشيخ رفاعي طه رحمه الله ينفي توقيعه على بيان الجبهة. وقد يقول قائل لماذا أدرجت القاعدة اسم الشيخ رفاعي طه ضمن الموقعين على البيان؟ لكن الحقيقة التي لم يجرؤ على أن يذكرها أحد من الجماعة الإسلامية هي:

كان الشيخ أبو حفص الكمندان، هو المتولي لجمع التوقيعات على البيان المذكور، وكان الشيخ رفاعي طه رحمه الله، هو رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت؛ فتباحث الشيخ أبو حفص مع الأخ أبي إبراهيم (إسلام الغمري) - المسئول عن الجماعة الإسلامية في قندهار في ذلك الوقت - في أن يتصل بالشيخ رفاعي طه، ويعرض عليه البيان، ويطلب منه توقيعه، ولكن هذا المسئول تمسك للفكرة، وقال لأبي حفص: "ضع توقيع الشيخ رفاعي وأنا ضامن لك موافقته، وسأتصل به فيما بعد، ولا تعطل البيان من أجل ذلك"، وأصر على أبي حفص إصراراً شديداً، وأكد الأمر تأكيداً متكرراً، مما دفع أبو حفص - رحمه الله - لإدراج اسم الشيخ رفاعي طه. ثم بعد ذلك بدأت تظهر على ذلك المسئول علامات ارتباك، وأصر على مغادرة أفغانستان لليمن، ورتب الإخوة له جواز سفر وسافر لليمن، وفي اليمن سلم نفسه للسفارة المصرية، ورحل لمصر، وانضم لتراجعات الجماعة الإسلامية، ولم يجرؤ هو ولا الجماعة الإسلامية على ذكر هذه الحقيقة⁽¹⁴³⁾.

وجدير بالذكر أن الشيخ رفاعي طه رحمه الله، كان قد سجل عام 2000م زيارة لقندهار، ولم يتنكر لقناعته بما جاء في الفتوى التي أصدرتها الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، غير أن الجماعة الإسلامية كانت قد مارست عليه ضغوطاً شديدة لسحب توقيعه بحجة أن هذا الأمر حتماً سيعرض الجماعة وأفرادها في داخل مصر وخارجها لتبعات مواجهة أمريكا.

وكان الشيخ رفاعي طه في كتابه "إمالة اللثام عن بعض أحكام ذروة سنام الإسلام"، قد بين موقفه من قتل وقتال الأمريكان، ومن مبادرة التراجع، التي أعلنها بعض قيادات الجماعة الإسلامية، فقال: "إن الأمريكيين واليهود اليوم، هم كفار معتدون صائلون على أرضنا وأعراضنا، وجب قتلهم في أي أرض كانوا وبأي طريقة أمكن ذلك، وأن ذلك واجب على كل مسلم قادر عليه، ولا يحتاج إلى إذن أحد، فإنه فرض عين لا يسقط عمّن قدر عليه، وهذا حكم أجمع عليه العلماء سلفاً وخلقاً"⁽¹⁴⁴⁾.

وكان الشيخ أسامة قد رتب بعد إعلان تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، حملة دعائية للتعريف بالجبهة، ولتحريض الأمة على قتال الأمريكان واليهود، فعقد

(143) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(144) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

مؤتمراً صحفياً في خوست حضره عدد من الصحفيين الباكستانيين وصحفي صيني، وكان مؤتمراً ناجحاً بفضل الله.

كذلك التقى الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، في مايو 1998م بالصحفي الأمريكي جون ملر، من قناة إيه بي سي الأمريكية. وكان الاتفاق مع ملر أن يقدم أسئلة مكتوبة، وأن يسأل ما اتفق عليه فقط. فقدم أسئلة كثيرة أحس الشيخ أسامة في بعضها رائحة تحقيق مباحثي، فرفضها، منها سؤال عن رمزي يوسف، يسأل ملر: هل لرمزي يوسف صلة بك؟ خاصة وأنه ألقى القبض عليه في مضافة خاصة بك. ورفض الشيخ السؤال، فقد أحس فيه برائحة المباحث، كما أن رمزي لم يقبض عليه في مضافة خاصة بالشيخ أسامة⁽¹⁴⁵⁾.



جانب من المؤتمر الصحفي الذي عقده الشيخ أسامة في خوست بعد إعلان تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين

(145) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



لقاء الشيخ أسامة رحمه الله مع جون ملر مراسل قناة ال ABC الأمريكية

وكان الشيخ أسامة قد قال لمراسل قناة ال إيه بي سي على وجبة الغداء: "والله لننسين وزارة الدفاع وساوس الشيطان، والله لأجعل الأمريكي يفرّ من جنسيته". وبعد أن خرج هذا الصحفي من أفغانستان، أعلن جازمًا أن الشيخ أسامة بن لادن سيقوم بعملية قريبة جدًا ضد أمريكا في غضون أسابيع. وبالفعل كانت عمليات نيروبي ودار السلام بعد ثلاثة أشهر من هذا الإعلان⁽¹⁴⁶⁾.

الحرب الجديدة [الحرب اللا متوازنة]:

كانت تقارير استراتيجية قد خرجت ووُضعت على مكتب الرئيس الأمريكي بل كلنتون، تفيد أن الخطر الحقيقي بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة يكمن في الجهاد العالمي، أو الإسلام المتطرف بالمعنى الأمريكي، لأن هذا النوع من المواجهة إن حدث فسيقود أمريكا إلى ما يسمى بالحرب [اللا متوازنة]، وهو نوع جديد من الحروب، سيسلب الجيش الأمريكي فاعليته العسكرية، لأن صواريخه النووية، وطائراته الشبح، وأقماره الصناعية، وحاملات طائراته، ستكون في مقابل قوة

(146) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية شيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله.

الاستشهاديين الذين يفجرون أنفسهم في الأهداف الحيوية للنظام الأمريكي، دون أن تشكل القوة الأمريكية أي رادع لهم.

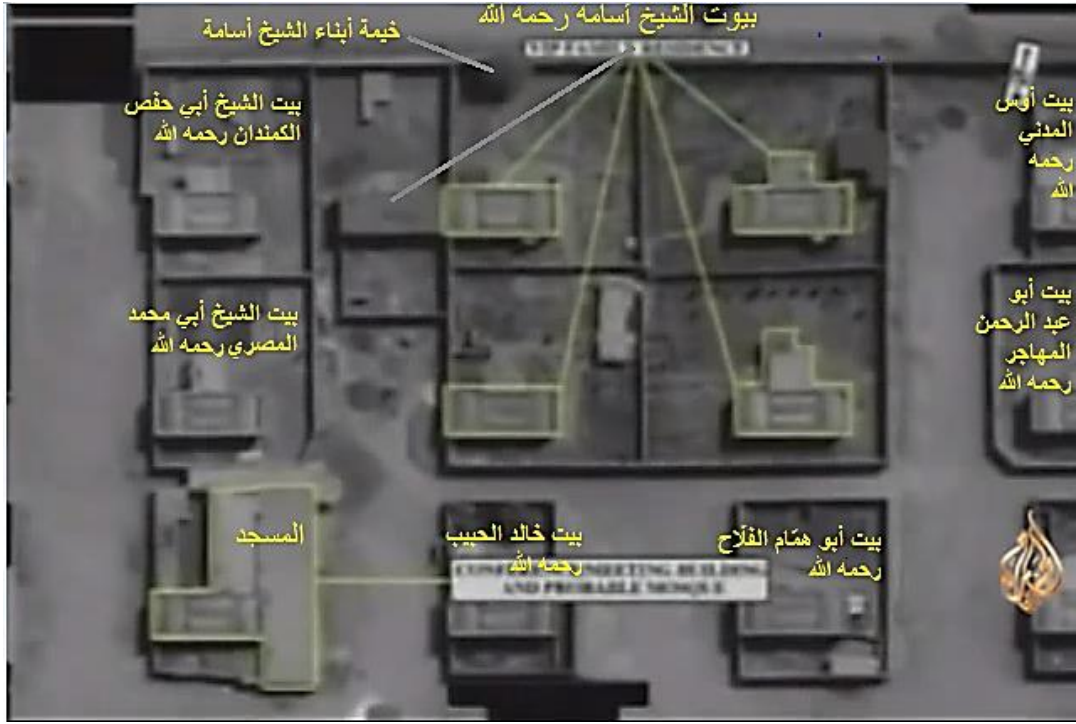
وهذا سبب تسميتها بالحرب اللا متوازنة، لأن اتجاه القوة الذي تسير فيه أمريكا، غير اتجاه القوة الذي تسير فيه القاعدة، أي أن أمريكا بما تملكه من أذرع قوة، وإمكانيات عسكرية، لا ترى أي أهداف حيوية مهمة للقاعدة على الأرض يمكن أن تستثمر قوتها ونفوذها الذي سيطرت على العالم من خلاله في تدميرها. بينما تختار القاعدة أهدافها بسهولة كبيرة، وتدمرها بواسطة العمليات الاستشهادية بسهولة أكبر، مستخدمة [تكنولوجيا الجهل] لتعطيل التقنية المتطورة لآلة الحرب الأمريكية. أي أن القاعدة عندما تستخدم أسلوب تسليم الرسائل باليد (سعاة البريد) للاتصالات بين القادة، فإنها بذلك تعطل كل ما يملكه الأمريكيان من أنظمة مراقبة جوية وأجهزة التنصت والرصد.

كان هذا الأمر مخيفاً جداً بالنسبة للقادة الأمريكيان، وبدى لهم أنه ليس إلا سوى أفكار نظرية - لما يمكن أن يكون عليه الصراع القادم - حتى وضعت القاعدة قدمها على العتبة الأولى في سلم الحرب الجديدة بعمليتي نيروبي ودار السلام عام 1998م⁽¹⁴⁷⁾.

طائرة بدون طيار:

جدير بالذكر أنه قبل أسبوعين أو يزيد من تنفيذ عمليتي نيروبي ودار السلام لاحظ الإخوة وجود طائرة تجسسية بدون طيار تحلق فوق سماء المجمع، وعلى الفور اتخذ الشيخ أسامة رحمه الله قراراً بإخلاء المجمع، وبين عشية وضحاها أُخلي المجمع، ونزحت جميع العائلات إلى مدينة قندهار، حيث تجمعت في بيت كبير - كان معروفاً بين الإخوة ببيت الرمان - حتى يتم استئجار بيوت متفرقة للعائلات وسط المدينة.

(147) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.



صورة جوية من طائرة أمريكية تجسس على مجمع المطار بقندهار



صورة جوية أخرى توضح الشيخ أسامة بثوبه الأبيض، وحوله مجموعة من حرسه أمام بيته في مجمع المطار بقندهار

وكان بعض ضباط ال سي آي آيه - في لقاءات عُرضت معهم في بعض الوثائقيات - يتندّمون ويتحسّرون على أنهم لم يستغلّوا الفرصة التي كانت قد سنحت لهم مرّتين للنيل من الشيخ أسامة؛ فتارة كانوا يتحججون بأن الطائرة بدون طيار لم تكن آنذاك مزوّدة بالصواريخ، وأحياناً كانوا يلقون باللائمة على البيت الأبيض بأنهم تلكّأوا في اتخاذ قرار قصف الشيخ أسامة في الوقت المناسب، بحجّة وجود مسجد بالقرب من مكان سكّنه، وتارة بحجّة لا أساس لها من الصحّة، وهي وجود زوّار قطريين كانوا بجواره، ونسي هؤلاء الحمقى بأن الله سبحانه وتعالى وحده هو خير حافظٍ لأوليائه.

عمليات نيروبي ودار السلام⁽¹⁴⁸⁾:

كانت عمليتي نيروبي ودار السلام هي أول العمليات النوعية الخارجية الكبيرة لاستهداف الأمريكان بعد تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين. وكان الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص المصري قد انتدبا في نوفمبر 1997م الأخ أبي مُحمّد المصري للقيام بهذه المهمة، وأن يكون الأخ هارون فضل القمري مساعداً له. سافر الأخ أبو مُحمّد للسودان للتزود ببعض المال لتجهيز العمليات من الأخ طلحة السوداني، كذلك لمقابلة الأخ هارون فضل القمري هناك، واخباره بتكليف الإخوة له ليكون مساعده في المهمة الجديدة.

بعد وصول الأخوين أبو مُحمّد وهارون إلى كينيا، شرعوا مباشرة في العمل، فسافرا إلى مدينة ممباسا، وهناك قسموا العمل إلى خليتين، خلية جمع المعلومات وخلية التجهيز. تولى أبو مُحمّد وهارون مهمة جمع المعلومات، وتولى الأخ فهد وسالم سويدان رحمهما الله، مهمّة التجهيز، وهي نقل المواد.

وبداية كانت الخطة هي استهداف الأمريكان في ممباسا، فقد كانوا يأتون سنوياً للسياحة قادمين من العراق. فبدأ الأخوان أبو مُحمّد وهارون يتجولون في المدينة لجمع أكبر عدد من المعلومات عن أي أهداف أمريكية. وبعد دراسة أكثر من هدف، قرر الأخ أبو مُحمّد أن يكون الهدف الرئيسي هو ضرب الجنود الأمريكان في الميناء حين قدومهم، وضرب الملاهي التي كانوا يرتادونها هدف ثانوي، لكن هذا الهدف استبعد تماماً لقربه من مساجد كبيرة، ومن المحتمل سقوط

(148) من كتاب الحرب على الإسلام. هارون فضل رحمه الله. بتصرّف.

قتلى مسلمين في حالة ضربها. وكان الأخ أبو مُحمَّد قد سجَّل نفسه في معهد لتعلم اللغة السواحلية، وكان موقع المعهد قريبًا من الأهداف المختارة، فكان يذهب كل صباح للدراسة ولمراقبة الموقع.

لم يأت الجنود الأمريكيان إلى ممباسبًا ذلك العام، وجاء بدلاً عنهم الجنود الفرنسيون، لكنهم لم يكونوا هم الهدف المخطط له، فقرر الإخوة ضرب مركز ال CIA وهي السفارة الأمريكية في نيروبي. وعلى الفور تحرك الأخ هارون فضل إلى نيروبي لجمع المعلومات الجديدة عن السفارة الأمريكية، وكانوا يسمونها "النجمة".

وكان الهدف الجديد أمرًا في غاية السرية، حتى خلية التجهيز لم تكن تعرف شيئًا عنه. وبالفعل اقترب الأخ هارون من السفارة ودرسها بشكل جيد من كل الاتجاهات، فدرس نقاط الضعف فيها، وعرف أنها جُددت بعد ضربة لبنان في سنة 1983م، وتأكد هارون من وجود المارينز الذين يحرسون السفارة من على السطح، واستطاع هارون أن يصل إلى قسم التأشيرات في المدخل، وبدأ يحسب المسافة بالخطوات إلى الشارع العام من الأمام، فكانت عشرون مترًا وكذلك من الخلف، ودرس كل المداخل والمخارج الممكن استخدامها، فقد كانت السفارة ضخمة جدًا، ويتواجد أمامها المئات من السيارات التي تحمل أرقام السفارة الأمريكية، وكانت تقع في منطقة مزدحمة، فهناك أكثر من ثلاثة محطات رئيسية للباصات في المنطقة، أيضًا محطة القطارات كانت قريبة من السفارة، كذلك كانت المنطقة مكتظة بالسكان.

كذلك قرر الإخوة ضرب السفارة الأمريكية في تنزانيا لسهولة الوصول إليها، فقد كانت في مكان معزول بعيدًا عن الزحام، وبجوارها السفارات الفرنسية والبلجيكية والألمانية. وكان الأخ أبو مُحمَّد قد عرض على الأخ عبد الوكيل المصري (أبو جهاد النوبي سابقًا)، ليشرف على عملية دار السلام فوافق، ولم يكن عبد الوكيل يعلم شيئًا عن العمل في نيروبي، فقد أخبره أبو مُحمَّد بأن العمل فقط في دار السلام. ولم يسمع عبد الوكيل بعملية نيروبي إلا بعد تنفيذها، وذلك بعد أن رجع إلى أفغانستان، كذلك أشرك الأخ أبو مُحمَّد الأخ خلفان خميس، وأحمد جيلاني ليكونوا ضمن خلية تنزانيا.

وكانت خلية تجهيز المواد المتفجرة وشرائها مكلفًا بها أحد الإخوة، نجح من تنزانيا في الاتصال ببعض الشركات، وأخبرهم أنه يهتم بصيد السمك والحفر، فكان يشتري منهم المواد المتفجرة TNT، ثم بعد ذلك يقوم الأخ فهد الكيني بنقل تلك المواد عبر الحدود إلى ممباسبًا. وعندما

كثرت تلك المواد، أضاف الأخ أبو مُحمَّد للعملية الأخ شيخ سويدان (أبو يحيى الكيني)، ليشترك فهد في نقل المواد، فقد كان لديه سيارة بيك أب، فاستطاعا احضار معظم المواد وتخزينها في ممباسا. ولم يكن الإخوة العرب الآخرون المتواجدون في كينيا، وهم شعيب (السَّعدي)، ومصطفى (عبد الوكيل)، ومُحمَّد عودة يعرفون أي شيء عن هذه العملية، فقد كانت في غاية السرية.

ولما اكتملت عملية نقل المواد وتخزينها، وصل قادمًا من أفغانستان في مارس 1998م، الأخ الخبير في هندسة المتفجرات أبو عبد الرحمن المهاجر المصري. فتشاور الإخوة أبو مُحمَّد المصري وهارون وعبد الرحمن في تجهيز الشاحنة المفخخة لتكون في نيروبي. وحتى يكونوا خارج دائرة الشبهات، وبعيدًا عن أي مشاكل أمنية، قرروا ضرورة استئجار بيت راقٍ في حي راقٍ، وكان ذلك البيت يبعد عشرين كيلو مترًا من وسط نيروبي، وكان جيرانهم من الديبلوماسيين، ففي ميسرتهم يهودي، وفي الميمنة وزير كيني، وفي الخلف دبلوماسي باكستاني، وفي الأمام رجل ألماني، وكانوا كلهم بعائلاتهم. وأحضر هارون فضل زوجته من السودان لتكون معهم في نفس البيت. ثم بدأ الإخوة فهد والأخ شيخ سويدان في نقل المواد من ممباسا إلى نيروبي يوميًا. كذلك صمم الأخ شيخ سويدان الصناديق الخشبية التي ستحمل الحمولات، وسحبت كل الصناديق قليلًا قليلًا.

وفي هذه الفترة جاء الإخوة المنفذون من أفغانستان، وهم عزام المكّي منفذ عملية نيروبي، وأحمد عبد الله الألماني (مصري) منفذ عملية دار السلام. وبدأ الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر بتجميع المتفجرات في الصناديق بعد خلط مادة ال TNT مع مادة الألمونيوم، وكان يساعده في العمل الأخ عزام وأحمد عبد الله الألماني. وأثناء هذه الفترة، كان الأخ هارون يدرب الأخ عزام على فهم طرقات نيروبي، ونظام السير في شوارعها. وكان على عزام حتى يتمكن من الدخول من المدخل الرئيسي ليصل لمؤخرة السفارة، أن يخالف خط السير، لذلك كانوا يذهبون مرارًا وتكرارًا لمنطقة الهدف، حتى تمكن عزام من حفظ كل المداخل والمخارج بدقة.

وكان من المفترض أن ينفذ الأخ عزام العملية لوحده، لكن لما كان من المؤكد أن الحراس سيواجهون السائق، لذا كان لا بد أن يكون هناك أحد يحميه بالسلاح، حتى تتمكن السيارة من الوصول إلى الهدف. لهذه الأسباب قرر الإخوة أن العملية يجب أن تكون بشخصين، فوصل الاستشهادي مُحمَّد راشد داوود العوهلي في 1998/7/30م، ليكون رفيق عزام في العملية. أما عملية دار السلام، فكان منفذها شخص واحد، وهو أحمد عبد الله الألماني رحمه الله. وبعد

عشرين يومًا من العمل المتواصل، ومع نهاية شهر يونيو، كانت الشاحنة المفخخة لعملية نيروبي جاهزة تمامًا وواقفة في البيت.

بعد اكتمال شاحنة نيروبي، سافر الإخوة أبو عبد الرحمن المهاجر وأحمد عبد الله عبر الحدود إلى تنزانيا، يرافقهم الأخ أحمد جيلاني لتجهيز الشاحنة المفخخة الأخرى لعملية دار السلام. وبالفعل مع نهاية شهر يوليو أصبحت الشاحنة جاهزة. وكان هناك فائض في المواد، فخطرت للإخوة فكرة أن يتم ضرب الصهاينة اليهود مع الأمريكان سويًا. وبالفعل رجع هارون إلى نيروبي، وجمع المعلومات اللازمة لضرب السفارة الصهيونية، فقد كانت هدفًا سهلًا جدًا، يمكن الوصول لها من كل الاتجاهات، فقد كان هناك موقف سيارات مباشر على جدار السفارة، لكن المشكلة الوحيدة كانت أن هناك مدرسة أطفال كينيين بجوار السفارة، لذلك صرف الإخوة النظر عن استهدافها.

وكان الإخوة قد اتخذوا عدة إجراءات، تخفيفًا للخسائر المادية والبشرية المحتملة في صفوف الكينيين منها، أن يكون التنفيذ في العاشرة صباح من يوم الجمعة، نسبة لأن كثيرًا من المسلمين يبدؤون بالذهاب إلى المساجد في هذا الوقت، وبالتالي لن يكون هناك عدد كبير منهم في منطقة السفارة المكتظة بالناس، وحتى الغير مسلمين يكونون في مكاتبهم، وفي مثل هذه الساعة يكون الشارع خاليًا من كثرة المارة، وليس كالساعة الثانية عشرة عندما يخرج الجميع للغداء. كذلك اختار الإخوة يوم الجمعة، لأنه آخر يوم في الأسبوع، فالكمل يكون موجودًا في عمله في السفارة، وقرر الإخوة أيضًا أن يكون الهجوم من الخلف، لينحصر الانفجار في المباني.

وكان الدور الرئيسي للعوهلي هو الهجوم المباشر على حراس البوابة، ثم إبعاد الناس بقنابل صوتية غير مؤذية، مصنوعة من مادة متفجرة فقط بدون شظايا، لطرد أكبر عدد ممكن من الناس من الموقع. أيضًا كان الإخوة قد منحوا عزام مدة، دقيقة واحدة للمناورة والاشتباك مع المارينز بالمسدس، ليعطي العوهلي فرصة لطرد أكبر عدد ممكن من المارة من دائرة التفجير، وإذا أحس أن المارينز سيصيبونه فعليه أن يستخدم السلاح الكبير وهي الشاحنة المتفجرة.



الأخ عبد الوكيل المصري (مصطفى
مُجد فاضل) رحمه الله



الأخ هارون فضل (عبد الله مُجد
فاضل) رحمه الله



أبو مُجد المصري (عبد الله أحمد عبد
الله) تقبله الله



الأخ هشام التنزاني
(أحمد جيلاني) فكَّ الله
أسره



الأخ أبو يحيى الكيني
(شيخ أحمد سالم
سويدان) رحمه الله



الأخ أبو أسامة
الكيني
(فهد مُجد) رحمه الله



الأخ أبو عبد الرحمن
المهاجر
(محسن موسى متولي)
رحمه الله



مُحَمَّد رَاشِد دَاوُود الْعُوْهَلِي (البلوشي)، أَحَد مَنْقِذِي عَمَلِيَّة نِيروِي، فَكَّ اللّٰه أَسْرَهُ (149)

خَلِيَّة عَمَلِيَّات نِيروِي وَدَار السَّلَام (150)

وبعد اكتمال كل التحضيرات، بدأ العد التنازلي لعمليات شرق إفريقيا، وبدأ الأخوة الذين شاركوا في تجهيز العمليات، وهم الأخوة أبو مُحَمَّد (151) وعبد الرحمن المهاجر وفهد وشيخ سويدان

(149) كان على بعد أمتار قلائل من السيارة المفخخة بثلاثة أطنان من المتفجرات، لكن (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا) فكتب الله له الحياة، واستطاع أن ينسحب من مسرح العملية، وحاول أن يتواصل بالإخوة ليرسلوا له مبلغًا من المال، وجواز سفر - لأنه كان قد مرّق جواز سفره - غير أنه بعد ثلاثة أيام وقع أسيرًا في أيدي قوات الأمن الكينية، وسلّم بعدها للأمريكا، فلا نامت أعين الجبناء.

(150) جديرٌ بالذكر أن الحكومة الأمريكية - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر - كانت قد رفعت قيمة المكافأة المالية لكل من يدي بمعلومات تؤدّي لأسر أي أحد من أفراد الخلية إلى خمسة وعشرين مليون دولار.

(151) كان من المفترض - تفاديًا من المرور في طريق عودته إلى أفغانستان بدّي - أن يمر الشيخ أبو مُحَمَّد المصري بالخرطوم، غير أنه سافر مباشرة إلى باكستان. وكان الأمريكيان قد اعترضوا مكالمة هاتفية من أفغانستان بين الشيخ أبي مُحَمَّد المصري وبين الأخ طلحة السوداني رحمهم الله جميعًا، حيث كان طلحة يسأل الشيخ أبا مُحَمَّد ويقول له: لماذا لم تأت؟ فردّ عليه الشيخ أبو مُحَمَّد قائلاً: لقد خفنا عليك. وبناءً على تلك المكالمة - بعد تحليلها - طالب الأمريكيان من حكومة البشير تسليم اثنين من السودانيين يُشتبه أن تكون لهما علاقة بعمليتي نِيروِي ودَار السَّلَام، وبالطبع أنكرت حكومة البشير أي علم لها بهذين الشخصين. وبناءً على تلك المستجذبات كان جهاز الأمن السوداني قد اعتقل كلاً من الإخوة طلحة السوداني وأبي مُحَمَّد السوداني (صلاح كاروري) رحمهم الله، والعبد الفقير، وكان التحقيق معنا يتمحور حول نقطة واحدة فقط وهي: هل الشيخ أسامة وراء تلك العمليات؟ فأنكرنا جميعًا أي علم لنا بضلوع الشيخ أسامة بتلك العمليات. ورغم أن حكومة البشير كانت قد استجابت لضغوط أمريكا كما أسلفنا قبل ذلك بإبعاد الشيخ أسامة من السودان، إلّا أن أخوف ما كانت تخاف منه هو

وعائلته، وأحمد جيلاني ومصطفى وعائلته، والذين لم يشاركوا مثل مُحمَّد عودة والأخ شعيب وعائلته، بدأوا جميعًا في المغادرة والرجوع إلى أفغانستان، باستثناء الأخ خلفان خميس التنزاني، فقد فضّل المغادرة إلى جنوب إفريقيا، لكنه ما لبث أن أُسر في 5 أكتوبر 1999م، وعلى الفور تمّ ترحيله في اليوم التالي لأمريكا، ثم حُوكم عام 2000م مع ثلاثة آخرين هم الأخ وديع الحاج اللبناني، والأخ مُحمَّد راشد داوود العوهلي، والأخ مُحمَّد عودة الأردني بتهمة تفجير السفارات، نسأل الله الكريم أن يعجّل بفكّك أسرهم جميعًا.

وكان الأخ فهد الكيني رحمه الله، والأخ مُحمَّد عودة فك الله أسره، من أواخر الإخوة الذين غادروا كينيا، فوصلوا كراتشي قبل وقت قليل من تنفيذ العمليات، واستطاع الأخ فهد الخروج من المطار، لكن الأخ مُحمَّد عودة كان قد استوقفته سلطات الجوازات، لأنهم شكّوا في جوازه بسبب الصورة التي عليه، وأثناء ذلك حدث تفجير السفارات الذي لم يكن لمحمد عودة أي دخل فيه، ولا علم له به. وهنا احتجزته السلطات الباكستانية واتهموه بأن له يدًا فيها، وتحت التعذيب اعترف مُحمَّد عودة زورًا بضلوعه في العملية، ومعرفته لكل الإخوة الذين شاركوا فيها، ونشاطه السابق في الصومال، وعضويته في القاعدة، وسُلم بعدها مباشرة للأمريكان الذين طاروا به إلى أمريكا، وهناك حُكم عليه بالسجن المؤبد عام 2000م نسأل الله الكريم أن يفكّ أسره، وأسر كل إخواننا المجاهدين.

وحقيقة كان الأخ هارون فضل قد طلب من الأخ مُحمَّد عودة قبل وقت مبكرٍ من تنفيذ العمليات أن يغادر إلى أفغانستان، لأن الإخوة في حاجته هناك، لكن الأخ مُحمَّد كان قد تباطأ كثيرًا في تنفيذ الأمر، وكانت حجّته أنه يبحث عن جواز سفر، ويأمل أن يحصل على جواز سفر رسمي من كينيا، غير أنّ ذلك تأخر كثيرًا. وأخيرًا وجد مُحمَّد عودة جوازًا يمنيًا جديدًا، لكن الصورة التي في الجواز لم تكن مشابهة له، ولم يكن الأخ هارون - باعتباره أفضل خبير في تجهيز الأوراق في التنظيم - مطمئنًا للجواز، وكذلك الأخ أبو مُحمَّد المصري، لكن الأخ مُحمَّد عودة أصرّ على أن

أن تكون للشيخ أسامة رحمه الله علاقة بالحدث، لأنه إن ثبت ذلك سيترتب عليه تداعيات ومزيدًا من الضغوط سيكون لها ما بعدها على البلاد، نسبةً لأن شركات الشيخ أسامة حتى ذلك التاريخ كانت تزاوّل أعمالها في السودان. ولعل هذه المكالمات كانت واحدة من الأسباب الرئيسية على أساسها بنت الحكومة الأمريكية قناعتها الخاطئة بتورط حكومة البشير في العمليات، فصبّت جام غضبها بسبيلٍ من صواريخ كروز انهارت لتدمّر مصنع الشفاء للأدوية، الذي ادّعت أمريكا زورًا ملكيته للشيخ أسامة، وأنه مخصص لإنتاج أسلحه كيميائية.

الصورة التي في الجواز تشبهه ولا داعي لتغييرها. وكان مُجدّ عودة يخشى أن يجازف بموضوع الأوراق فيخسر جوازه الجديد، كما خسر من قبل جوازه الأردني المستخرج من اسلام آباد عام 1996م، عندما تم تغيير صورته الملتحية بصورة أخرى غير ملتحية.

وأخيراً، وبعد إعلان بيان الجبهة الإسلامية العالمية بقليل، وبعد تهديدات متتابة من المجاهدين لأمريكا مطالبة لها بكفّ أذاها عن المسلمين في فلسطين، وإخراج جيوشها من أرض الحرمين، وبعد إعراض من حامية الصليب، صرح الشيخ أسامة، بأنه سيضرب خلال أسابيع. وبقي الأمريكيون في حالة ترقب في المنطقة العربية والخليج، وبينما هم في كامل التأهب اتتهم الضربة في الموقع الذي لم يحتسبوه، ففي يوم الجمعة 1998/8/7م، وهو ذات اليوم الذي وطئت فيه أقدام الأمريكان بلاد الحرمين قبل ثمانية سنين - وما بين العاشرة والنصف والعاشرة وأربعين دقيقة، هز انفجاران عنيفان، يفصل بينهما ثلاثة دقائق، سفارات أمريكا في كل من العاصمة الكينية نيروبي، والعاصمة التنزانية دار السلام.



هكذا أصبحت السفارة الأمريكية في نيروبي أثراً بعد عين

وكالعادة، تضاربت الأنباء حول الخسائر البشرية، لكن كما يقولون: الحق ما شهدت به الأعداء؛ فقد صرحت السفارة الأمريكية بروشنل، وهي تقول بالحرف الواحد في جريدة النيشن الكينية:

" يوم العملية، كنت في الدور 21 في مبنى بنك التنمية المجاور، وكنت أعمل لقاءً مع وزير التعليم الكيني، ثم سمعت صوتاً يشبه الرصاص، فقلت للوزير ما هذا؟ فرد عليّ بأن المنطقة مزدحمة، وهناك عمال السكك الحديدية، ولم ينقطع الصوت، وعندئذ تيقنت أن هناك أمراً ما يحدث، ثم فجأة وجدنا أنفسنا فوق المكاتب، وسمعنا صوت زلزال كبير، ثم توقف المصعد وتعبت جداً حتى وصلت إلى الدور السفلي، ولما توجهت لمكتبي في السفارة المدمرة، قلت لنفسي إنني محظوظة، لو كنت في مكنتي إذًا لأصبحت في خبر كان، أقول بأني قد فقدت 150 من عائلتي".^١ هـ

وكان أحمد عبد الله رحمه الله، وهو من إخوة الجماعة الإسلامية، قد ذكر في وصيته أنه قام بهذه العملية باعتباره أحد جنود جيش تحرير المقدسات، حتى يرفع الحرج عن الجماعة الإسلامية التي تراجعت فيما بعد عن عضويتها في الجبهة الإسلامية العالمية⁽¹⁵²⁾.

وعن غزوتي نيروبي ودار السلام يقول الشيخ أسامة رحمه الله، في معرض ردّه على مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل:

" نشرت التقارير الاستخبارية العالمية أنها كانت ضربة مؤلمة، ولم يأخذوا مثلها منذ تفجير مقر المارينز في لبنان، حيث أن سفارة أمريكا في نيروبي كانت عبارة عن ست سفارات أمريكية مركبة، ومنها انطلق الغزو الأمريكي إلى الصومال، وقتل من إخواننا ونسائنا وأبنائنا في الصومال 13 ألفاً، بل تحت راية الأمم المتحدة، وذكرت الأخبار بالصور أنهم كانوا يشوون إخواننا الصوماليين كما تشوى النعاج ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم يتكلموا عن مدى الوحشية أو عن الاعتداء وغير ذلك، وإنما اللوم يأتي دائماً على المسلمين إذا دافعوا عن أنفسهم. ومن هناك ومن بضع عقود تدار المؤامرات الأمريكية لتقسيم السودان وتنطلق من نيروبي، والذي يدبر الأمر في تلك الدولة هي السفارة الأمريكية كما هو معلوم، وأكبر مركز للمخابرات الأمريكية في شرق إفريقيا هو تلك

(152) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

السفارة، ومن فضل الله على المسلمين كانت ضربة موفقة كبيرة جدًا، كانوا أهلًا لها حتى يذوقوا مما ذقناه في صبرا وشاتيلًا، وفي دير ياسين وقانا وفي الخليل وغيرها".



صليبيون يعذبون أحد الصوماليين شويًا على النار

ومن خلال هاتين العمليتين، أثبتت العناصر الجهادية أن لديها القدرة الإدارية والفنية والبشرية على تنفيذ مهمات خاصة ومعقدة، وأنها استطاعت استغلال عنصر المفاجأة إلى أقصاه، كما أنها استطاعت كذلك التنسيق بين الحادثتين وبكمية تدمير هائلة. وكرد فعل للعمليات، قام الأمريكيون بضرب السودان وأفغانستان، حيث انهارت على أفغانستان عشرات من صواريخ كروز⁽¹⁵³⁾ وجهت لضرب معسكرات القاعدة في خوست، واستشهد على إثرها عدد من الإخوة رحمهم الله. كذلك استهدفت الصواريخ مصنع الشفاء لصناعة الأدوية في السودان. ولم يكن المصنع - كما ادّعت أمريكا - ملكًا للشيخ أسامة ولا يمتّ له بصلة⁽¹⁵⁴⁾.

(153) تكلفة العملية لم تتجاوز نصف مليون دولار في حين تكلفة الرد على العملية تجاوزت أكثر من 100 مليون دولار.

(154) مقال بعنوان: غزوة 11 سبتمبر، المستحيل إذ صار ممكنا. أبو عبيد القرشي. بتصرف.

الخلاف بين الشيخ أسامة وأمير المؤمنين الملا عمر:

نتيجة لزيادة حدة التصعيد الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة عن طريق سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية، التي كان يحرض فيها المسلمين على حرب أمريكا وجهادها، ونتيجة للعمليات الهجومية التي أعقبت ذلك التصعيد على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام، كان لكل ذلك تداعيات كبيرة أدت إلى ضغوط شديدة من قبل أمريكا وحلفائها على طالبان، واتخذت لذلك إجراءات اقتصادية وسياسية من الحصار والعقوبات، بل والتهديدات الجديدة بالحرب والغزو.

وكان جميع وزراء الطالبان قد اجتمعوا - بعد القصف الأمريكي الذي تعرضت له أفغانستان على إثر تفجير السفارات - ثلاثة أيام عند أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، ليتخذ قرارًا في أمر الشيخ أسامة. وكان المتوقع أن يطلب أمير المؤمنين من الشيخ أسامة والعرب تجميد نشاطهم، وإغلاق معسكراتهم، غير أن أمير المؤمنين لم يزد على أن وبّخ بعض الوزراء الذين اعتراهم الخوف والتردد، وأعطاهم درسًا في التوكل على الله، وعدم الخوف من أمريكا، بعد أن هزم الله على أيديهم من هو أقوى من أمريكا، وأقرب إليهم جيرة من أمريكا، وهم الروس وأزال دولتهم. وصرح أمير المؤمنين بقوله: "لو لم يبق في أفغانستان إلا دمي، لمنعت أسامة بن لادن والجاهدين العرب وما أسلمتهم..."⁽¹⁵⁵⁾.

وكان أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، كعادته يتفقد الإخوة بين حين وآخر، وينظر هل ينقصهم شيء ويعمل على استكمالهم؛ فقد كان معهم رحمه الله ودودًا ورفيقًا جدًّا. وكالعادة أحضر معه مجموعة كبيرة من شوري الطالبان، وعددًا من أقاربه إضافة لحرسه. وبدأت الجلسة كالعادة ودية، وكان هدف الزيارة هذه المرة طلب توقف الشيخ أسامة عن النشاط الإعلامي والقتالي. وهنا انفعّل الشيخ أسامة رحمه الله وقال: "إذا كان قد صعب عليكم حمايتنا على أرضكم فإننا نترك لديكم النساء والأطفال، ونخرج نحن للجهاد من مكان آخر". وهنا واجهه الملا عمر رحمه الله بهدوء الأفغان، وحلم أهل العلم وقال له: "لماذا تذهبون، لدينا محاكم شرعية وعلماء ثقات، أنا

(155) أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم - للشيخ أبو مصعب السوري. بتصرف

وأنت نرفع قضيتنا إليهم"⁽¹⁵⁶⁾. وهنا انتهى الحوار وكان الجو مشحوناً، فاستأذن أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله وغادر. وبالطبع لم يحدث هذا الأمر شيئاً في العلاقة بين الرجلين، ولم تتغير قناعات أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله تجاه حماية الشيخ أسامة، لما كان يحمله من مشاعر الوفاء والاحترام تجاه الشيخ أسامة أولاً كضيف عربي كريم، وثانياً لما قدمه الشيخ أسامة الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه، وجاء إلى جبال وصحاري أفغانستان مجاهداً بنفسه وماله. لقد كان أمير المؤمنين رحمه الله، كالطود الشامخ ضد مخالفيه فيما يخص الشيخ أسامة، ورفض دعواهم حتى نصره كبار علماء أفغانستان بفتواهم⁽¹⁵⁷⁾.

وبالفعل جُمع عدد كبير من علماء أفغانستان، وطلب منهم المشورة في مسألة الشيخ أسامة بن لادن. ولم يكن مطروحاً البتة تسليم الشيخ أسامة، لكن الخلاف كان حول هل يبقى أم يُطلب منه أن يغادر أفغانستان. وكان المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يخشون أن يصدر شيء يسوء أهل الإيمان في كل مكان، لكن بحمد الله صدرت توصية العلماء والشيخوخ، لا تلزم الملا عمر بشيء، واختار الملا عمر رحمه الله بقاء الشيخ أسامة في أفغانستان⁽¹⁵⁸⁾.

(156) في مقال سابق بعنوان طالبان وعقدين من الصمود، كنت قد ذكرت خطأً بأن الشيخ أسامة رحمه الله، هو من طلب أن يرفع الخلاف بينه وبين أمير المؤمنين رحمه الله، أمام لجنة قضائية من العلماء. لكن الصحيح هو أن أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، هو من طلب ذلك بناءً على ما تقدّم.

(157) نقلاً من رواية الشيخ سيف العدل حفظه الله.

(158) أسامة بن لادن مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. فارس الزهراني رحمه الله.



مؤتمر علماء أفغانستان لمناقشة موضوع الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله

نص الفتوى التي أفتى بها المولوي عبد الله الذاكري، رئيس اتحاد علماء أفغانستان بشأن إخراج الشيخ أسامة بن لادن (159):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. ﴿وَلَا هُنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

اتحاد علماء أفغانستان

تاريخ 3/ 8/ 1420هـ، الموافق 11 نوفمبر 1999م

أمير المؤمنين المحترم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

(159) الميزان لحركة طالبان تأليف الشيخ الشهيد: يوسف بن صالح العييري.

في تاريخ 30 رجب 1420هـ، جاء إلى بيتنا رئيس المحكمة الاختصاصية الشيخ أحمدي، وقال: يجب على علماء الأفغان أن يدرسوا المشاكل التي تواجه أفغانستان. وفي تاريخ 1 شعبان 1420هـ، جاء الشيخ عبد العلي صاحب وقد اشترك في مجلس العلماء في مدينة كويته، وقال: أنا مدعو لقندهار، ويجب على العلماء أن يسافروا إلى قندهار فوراً، وأن يقابلوا علماء دار الإفتاء في الإمارة الإسلامية في أفغانستان، الرسميين وغير الرسميين، وأن يوحدوا رأيهم مع علماء دار الإفتاء ويرفع لأمر المؤمنين.

وفي 3 شعبان 1420هـ، ذهب وفد من العلماء ومعهم الشيخ ذاكري والشيخ عبد العلي إلى قندهار، وقبل وصولهم إلى قندهار كان علماء دار الإفتاء بالإمارة الإسلامية اتفقوا بتسليم أسامة بن لادن لسفارة الصين أو إيران، وأرسلوا خطاباً لكم بما اتفقوا عليه.

ولكن نظرنا أنه إذا سُلم أسامة سيكون مطلب أمريكا أيضاً رفع الحجاب عن النساء، وإيقاف الحدود والقصاص وغيره، وتوقيف الأحكام الإلهية، وسيطلبون حكومة كفرية خالصة، وينفذون أحكامهم الوضعية وهو مطلبهم، مع إيجاد حكومة عميلة لهم، وعند ذلك سيرضون حينما يصبح الأفغان عقيدة وصورة وسيرة مطابقة لما يرغبون، وفي هذه الحالة لن يرضى الله عنا، وستواجه الأمة الإسلامية خسراً ثقيلاً، ودماء الشهداء ستكون هباءً منثوراً، ويكون في هذه الحالة ذريعة لهم لتكون حكومة كفرية، وسينفّر الشعب الأفغاني ومسلمو العالم من كل عالم وطالب للعلم، ولن يقفوا معهم أبداً، وستكون بينهم قطيعة، وسينظرون لطالب العلم والعالم وهذه الحركة خاصة على أنهم عملاء لأمريكا، وإن حصل شيء من ذلك ستقع المسؤولية أمام الله وأمام الناس على عاتقكم لوحكم.

فلهذا أقول بالتأكيد هذا العمل - أي تسليم أسامة بن لادن - مردود شرعاً وسياسةً، وغير جائز ولا تفعل هذا، لأن هذا العمل هو بمثابة إعلان الحرب على الله، نحن ننتظر جوابكم ولكم الاحترام.

ملاحظة: دين الله المقدس فيه حل لكل المشاكل، فاسمح لنا أن نرتب، وأنتم تنفذون والسلام.

توقيع: بعض أعضاء اتحاد علماء أفغانستان:

مولوي عبد الله، مولوي مُجَّد الحنفي، مولوي مُجَّد صادق، مولوي مُجَّد نور، مولوي أبو الفضل،
مولوي حافظ نور مُجَّد، مولوي جانان احمدي، مولوي مُجَّد حق، مولوي عبد الحق حقاني، مولوي
مُجَّد ريس، مولوي نظر، مولوي آغا جان، مولوي عبد العلي، مولوي سيد بار، مولوي الحاج
حافظ شاكر الله، مولوي مُجَّد رسول، مولوي عمر، مولوي عبد الودود".

رد أمير المؤمنين على رسالة اتحاد علماء أفغانستان:

الإمارة الإسلامية بأفغانستان

المكتب الخاص لأمير المؤمنين حفظه الله

رقم

تاريخ 3/8/1420هـ،

الموافق 11/نوفمبر/1999م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلماء الكرام المحترمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

نحن وأنتم في هذا العالم قد أحيينا اسم الإسلام إلى قدر ما. ومن جهة أخرى لن تقبل
أمريكا أي كلام غير تسليم أسامة بن لادن، وفي حالة تسليمه ستسقط قلوب المسلمين،
وستكون ضربة لحيشة وسياسة الإسلام، وعند ليونة جانبنا لهم - أي أمريكا - ومن بعدها
الإنكار ستقوى شوكتهم. مطلبنا رفع راية الإسلام، والباقي على الله، وما سيحصل بعد ذلك
ليس من أجل أسامة بن لادن، ولكنها مسألة كفر وإسلام، وفي حالة تسليمه سترتفع راية
الكفر، وفي حالة عدم التسليم ترتفع راية الإسلام. ولأجل رفع راية الإسلام يجب أن يتحمل
المسلمون كل المشاكل، وقد استعملنا جميع الحكم، ولكن ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا
النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

ولكم الاحترام

خادم الإسلام أمير المؤمنين

ملاً مُجَّد عمر مجاهد".

وفي خطبة أخرى بشأن إبعاد الشيخ أسامة من أفغانستان، قال الملا عمر رحمه الله: "لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامة بن لادن. إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان، استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم، لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصًا كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد، بل إنهم سيطالبونا بتغيير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين، وأن نشكّل حكومة موسعة، ولا نحكم بالشريعة. وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن".

وبفضل الله، أدت مسألة تسليم الشيخ أسامة التي جعلتها الولايات المتحدة شرطاً في وقف الحصار الذي فرض على أفغانستان بقرار من مجلس الأمن، إلى تقوية مكانة الشيخ أسامة عند الملا عمر، ولم تضعف كما ظن الأمريكيون الذين لا يفهمون خصائص الشعوب وتاريخها؛ فكانت قراراتهم أسباباً في خلق ما يسعون لإبادته، وأعمالهم عوامل بناء لما يريدون هدمه والتخلص منه.

الدروس المستفادة من قضية تسليم الشيخ أسامة:

أولاً: لقد كان بإمكان أمير المؤمنين - نسبة لما سترتب عليه من تبعات - مواجهة إصرار الشيخ أسامة على برنامجيه في مواجهة أمريكا بمنعه بالقوة أو المواجهة، لكن ما كان لأمر طلاب العلم الشرعي أن تصل ردة فعله إلى ذلك الحد، فرفع القضية برمتها أمام العلماء لتكون كلمتهم - بناءً على قول الله عز وجل ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ - هي الفصل في هذه القضية.

ثانياً: لقد علّمنا الطالبان من قضية تسليم الشيخ أسامة وما تبعها من تداعيات دروساً عظيمة في أن الموالاة في الإسلام هي التطبيق العملي لمفهوم الأخوة في الإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. وأخوة الإيمان ليست شعاراً مجرداً عن القول والفعل، بل إن الأخوة الحقّة تقتضي التناصر والتعاون بين المسلمين لإحقاق الحق وإبطال الباطل ورد المعتدي وإجارة المهضوم. فلا يجوز شرعاً وعقلاً أن يترك المسلم أخاه يكافح وحده قوى الشر والعدوان والظلم والطغيان، وهو ينظر إليه نظر المتفرج الذي لا يعنيه الأمر، إنه لا بد من الوقوف مع المسلم على أي حال كان، فيجب على الأخ المسلم أن يرشد أخاه إذا ضل، ويمنعه إن تطاول، ويدافع عنه إذ هوجم، ويقاوم معه إذا

اعتدي عليه واستبيح حماءه، وذلك هو معنى التناصر الذي فرضه الله ومعنى الموالاة التي أرادها الله. قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِأَلْحَمَى وَالسَّهْرِ) ⁽¹⁶⁰⁾. رواه البخاري

ثالثًا: لقد فقه الطالبان حقيقة قول الفقهاء عندما قالوا: لو أن مسلمًا أُسر لدى الكفار لوجب على جميع المسلمين فكّك أسره، ولو تركوه أثموا جميعًا، فكيف بمن يستجيب طائعًا مختارًا لمطالب أمم الكفر بتسليم مسلمٍ مستضعف مستجير، يعيش عزيزًا في أرضه بين المسلمين؟

رابعًا: لقد وضع علماء الطالبان وأمير المؤمنين الملاً عمر النقاط على الحروف، وذلك بفهمهم منذ اللحظة الأولى لحقيقة الصراع التي غفل أو تغافل عن فهمها الكثير من الناس. لقد فهموا أنّ الأمريكان لا يستهدفون أشخاصًا كما يزعمون، بل يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية. لقد فهموا أنه لو فُرض جدلاً وتنازلوا ولو مرة واحدة، وطلبوا من الشيخ أسامة رحمه الله مغادرة أفغانستان، فلن ترضى عنهم اليهود ولا النصارى، ولن تتوقف مطالبهم، وسيقولون لهم - كما قالوا لحكومة البشير من قبل - إن هذه خطوة أولى في الطريق الصحيح يجب أن تتبعها خطوات. فالقضية إذن كما وضّحها أمير المؤمنين رحمه الله، ليست تسليم أو عدم تسليم الشيخ أسامة بن لادن. القضية هي قضية إسلام وكفر، لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامه بن لادن لأن ذلك لن ينهي الصراع معهم.

خامسًا: لقد تيقّن أمير المؤمنين بأن رفضه لتسليم الشيخ أسامة أمرٌ له ما بعده، وسيتربّب عليه تبعات جسيمة، ورغم ذلك لم ينحن ولم يرضخ، وثبت ثبوت الجبال، وتوكل على الله التوكل المحض، وقبل بالتحدي الذي فرضته أمريكا، وما أشبه الليلة بالبارحة. لقد ضرب أمير المؤمنين بمواقفه البطولية مثالًا عمليًا رائعًا لعزّة المسلم، عندما يستمسك بدينه ويتوكل على خالقه، فقد سطر بهذا الموقف سيرة رسول الله ﷺ، عندما بايع تحت الشجرة ألف وأربعمائة صحابي على الموت، لمجرّد رجلٍ واحدٍ من المسلمين بعثه رسول الله إلى قريش أُشيع بأنّه قتل. فلأجل رجل واحد قامت الدنيا في وجه أمير المؤمنين ولم تقعد. لأجل رجل واحد ضحّى الطالبان بدولتهم عندما رفضوا تسليم الشيخ أسامة رحمه الله لأمريكا، وقال في ذلك أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله قولته

(160) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية. محماس بن عبد الله بن مُجَدّ الجلعود. بتصرّف.

المشهورة، عندما هددوه بأن أمريكا ستتدخل عسكرياً للإطاحة بحكومة طالبان، قال: "والله لو تشتعل أفغانستان حرجاً حرجاً لما أسلمت أسامة للكفار".

استهداف المدمرة الأمريكية يو أس أس كُول:

كان من العار أن يرى أحفاد سعد والمثنى وصلاح الدين بوارج الصليبيين الأمريكيان تدخل مواني جزيرة العرب لتتزوّد بالوقود، ثم بعد ذلك تخرج سالمة آمنة لتذهب وتقصف إخواننا المسلمين في العراق. لذلك كان لا بد من إرسال رسالة قوية للمحتل الأمريكي بأنه كما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وكما تهدرون أمننا نهدر أمنكم. وانتدب الشيخ أسامة لهذه المهمة بطل من أبطال المجاهدين الأفاضل، وهو الملاّ بلال (عبد الرحيم النّاشري) فكّ الله أسره.



الشيخ فهد القصع

تقبله الله

جمال أحمد محمد البدوي

تقبله الله

الشيخ أبو علي الحارثي

تقبله الله

أبو بلال (عبد الرحيم

النّاشري) فكّ الله أسره

خلية عملية تدمير المدمرة الأمريكية يو أس أس كُول

وبالتعاون مع أمير القاعدة في اليمن الشيخ أبي علي الحارثي رحمه الله تمّ التخطيط للعملية، وتجميع المواد اللازمة، وشراء القارب وتجهيزه بالمتفجرات. وبعد الرصد والمتابعة والترقب لمجيئ البوارج الأمريكية، كانت المدمرة المستهدفة آنذاك هي " يو أس أس ذا سوليفانز USS The Sullivans". وكان من المفترض أن تتم تلك العملية في شهر رمضان الموافق يناير سنة 2000م، لكنها أُلغيت بسبب غرق القارب نتيجة للحمولة الزائدة من المتفجرات التي كانت

عليه. وبفضل الله تمكن الإخوة من رفع المواد مرة أخرى وإصلاحها وتجهيزها من جديد، لكن كان عليهم الانتظار، لأن البارجة "يو أس أس ذا سوليفانز" كانت قد غادرت.

وبعد ما يقارب السنة من الانتظار، شاء الله أن تكون المدمرة "يو أس أس كول" هي الهدف الجديد. وبفضل الله وحده، تقدمت القاعدة إلى الخطوة الثانية في سلسلة الحرب الجديدة [اللا متوازنة]، إذ بضربة بحرية غير مسبقة وفق الله المجاهدين لضرب المدمرة الأمريكية "يو أس أس كول" التي كان الإعلام العسكري الأمريكي يصورها بصورة الجيش الذي لا يُقهر، والمدمرة التي لا تُدمر. فقد كانت حمولتها تبلغ 8600 طن، وتنقل طاقماً من 350 شخصاً، ويبلغ ثمنها ما يزيد على بليون دولار⁽¹⁶¹⁾.

ففي الثاني عشر من شهر أكتوبر عام 2000م، وبينما كانت شواطئ عدن تفتح ذراعيها لاستقبال المدمرة الأمريكية "يو أس أس كول" لتتزوّد بالوقود وبعض الخدمات، انطلق نحوها قارب بسيط من صنع محلي، مزود بمحرك جرار زراعي، مملوء بالمتفجرات، يقوده مجاهدان (حسان الطائفي ونبراس الصنعاني) تقبلهما الله، حيث فجّرا قاربهما على مقربة من البارجة، وأحدثوا فيها فجوة كبيرة، تراوح قطرها بين ستة أمتار و12 متراً، سببت أضراراً فادحة في داخلها، وقتل على أثر الانفجار ثمانية عشر من البحارة الأميركيين، وجرح أكثر من ثلاثين آخرين⁽¹⁶²⁾.

وما إن سمع الشيخ أسامة بوقوع العملية، حتى أخرج سلاحه الكليנקوف، وأطلق طلقات في الجو ابتهاجاً بوقوعها، وصاح بأعلى صوته (هذا دمك يا محضار، هذا دمك يا محضار)، يقصد أنه قد ثار للشيخ أبي الحسن المحضار من الأميركيين الذين قتلوه ظلماً على يد عميلهم علي عبد الله صالح عليه من الله ما يستحق.

(161) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. بتصرف.

(162) مقال بعنوان "ضرب المدمرة كول الدروس والعبر" للشيخ رفاعي طه. بتصرف.



الشيخ أبو الحسن المحضار - تقبله الله



هذا دمك يا محضار، هذا دمك يا محضار



البحّارة الهلكى في المدمرة الأمريكية يو أس كول ثارًا لدم الشهيد أبي الحسن المحضار

وكان الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر، خبير القاعدة في هندسة النسف والتدمير، هو من درب الشباب على تجهيز العبوة بنفس التقنية التي استخدمها في عملية تفجير السفارات في نيروبي ودار السلام. وكان من المخطط له أيضًا أن يتم تصوير العملية من فندق مشرف على الميناء، وكان الأخ فهد القصع هو المكلف بعملية التصوير، لكنه رحمه الله نام ولم يستيقظ إلا على دوي الانفجار.

لم تكلف عملية تدمير المدمرة كول أكثر من عشرة آلاف من الدولارات، أما الولايات المتحدة فقد أنفقت مئات الملايين من الدولارات في نُظم الحماية، وسحب السفينة، ورفع الاستعدادات، إضافة إلى ما لحق سمعتها العسكرية وسمعة أسلحتها ومدمراتها التي بدت وكأنها لعب أطفال. وأرغمت هذه الغزوة الولايات المتحدة الأمريكية - أكبر قوة عالمية - على أن تجر مدمرتها تحت

جنح الظلام، وتسلك بها مسالك شتى لا تعلن عن خط سيرها، بل ترفع درجة استعداداتها في قواتها البحرية المتواجدة في الخليج، وتمنع سفنها من المرور في قناة السويس (163).

وبدت الإدارة الأمريكية وكأنها لا تريد أن تصدق أن الحرب اللا متوازية قد بدأت بالفعل، فأطالت التحقيقات في القضية، ولم توجه أي اتهام رسمي للقاعدة في حينها، حتى ترحل القضية للرئيس القادم ويفلت كلنتون من أن تبدأ الحرب الجديدة اللا متوازية في عهده (164).

وكان من المفترض أن يكون الشيخ بصير "ناصر عبد الكريم الوحيشي" رحمه الله، أحد المنفذين للعملية. وكان الأخ مسئول العملية - بعد اكتمال كافة التجهيزات - قد أرسل في طلب الأخ المنفذ، فسافر الشيخ بصير رحمه الله إلى كراتشي ليسافر بعدها لليمن للتنفيذ. وفي كراتشي اتصل الإخوة بالشيخ بصير طالبين منه الرجوع إلى قندهار؛ لأن مسئول العملية كان قد اتصل بهم مرة أخرى طالباً منهم ألا يرسلوا أحداً، لأن الأخوين حسان الطائفي (معاذ الخامري) ونبراس الصنعاني (إبراهيم الثور) اللذان شاركا في إعداد القارب، قد أصراً على ألا ينفذ العملية أحدٌ غيرها.



الشيخ بصير (ناصر عبد الكريم الوحيشي) تقبله الله

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، كثيراً ما يلقي في المناسبات قصيدة الشيخ أبي حفص الموريتاني حفظه الله، التي نظمها في تدمير المدمرة كول والتي جاء فيها:

(163) مقال بعنوان "ضرب المدمرة كول الدروس والعبر" للشيخ رفاعي طه. بتصرف.

(164) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.

أيا فتية الإسلام يا عطر أمتي
أحيي فيكم عزمكم وجهادكم
وثبتم إلى الأقصى وقد غدروا به
فأيقظتم التاريخ بعد رقاده
فهذا صلاح الدين يحمل سيفه
فعادت لنا حطين بعد غيابها
وذي أمة الإسلام جاش ضميرها
وإخوانكم في الشرق شذوا سروجهم
ونجد بها هب الشباب مجاهدا
مدمرة يخشى أولو البأس بأسها
تشق غباب البحر يحدو مسيرها
إلى حتفها تسعى حثيثا بظلفها
إلى زورق يلتهو به الموج يختفي
تداعبه الأمواج في كل خفة
فلما التقى الجمعان جمع محمد
وجمع من الكفار جيش يقودهم
ودارت رحى الحرب التي لم تكن سوى
وكان مع النصر المحقق موعد
فطارت رؤوس الكفر في كل جهة
فذلك يوم أنزل الله نصره

إليكم تحياتي من المجد أعطر
وإعلاء دين الله والظهر أحمر
أخذتم بشار القدس والشرق ينظر
فعاد إلى أمجاد ي تذكر
تسيل دماء الكفر منه وتقطر
وعادت إلى الأذهان بدر وخير
قد انتفضت تسعي ثور وتثار
وكابول شدت والنجائب ضمر
وفي عدن هبوا وثاروا ودمروا
تزيدك رعبا حين ترسو وتبحر
غرور وزهو واقتدار مزور
بوهم كبير كاذب تتدثر
مع الموج حيناً ثم يبدو ويظهر
ورب خفيف منه يخشى ويحذر
شهران باسم الله هبوا وكبروا
بحق صليبي المنابع قيصر
ثواني رعب بل أقل وأقصر
فلم يتقدم لا ولم يتأخر
وأشلائها من حولها تتبعثر
وأصدق وعدا في الكتاب يسطر

مؤسسة السحاب الإعلامية:

كان لا بد للقاعدة أن تكون لها مؤسسة إعلامية مستقلة، تعبّر عن خطابها ورسالتها للناس وذلك بتحريضهم على الجهاد، ومواجهة أعداء الأمة؛ فتأسست بناءً على ذلك مؤسسة السحاب الإعلامية في أواخر عام 2000م، وبدأت بإنتاج المواد الإعلامية، وكان من أهمها إصدارًا تحريضيًا يتناول أحوال الأمة، كان له صدى كبير عند صدورهِ، وكان تحديًا صريحًا جريئًا للطغيان الأمريكي، ودعوة للمسلمين لنهضة جهادية ضد السيطرة الصليبية اليهودية، ثم فوق كل ذلك وسيلة عملية لتحقيق ذلك عبر الالتحاق بمراكز ومعسكرات القاعدة، التي أظهر الشريط صورًا مؤثرة من عملها. وجدير بالذكر أن قناة الجزيرة كانت قد أشادت بهذا الإصدار، وذكرت بأنه نقلة نوعية للإعلام الجهادي، واضطر تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لأن يعترف بقوة هذا الشريط، واتساع توزيعه، وقوة تأثيره على المسلمين⁽¹⁶⁵⁾.

وكان يشرف على السحاب الأخ خالد الشيخ محمد، والأخ أبو أنس المكّي (علي حمزة البهلول)⁽¹⁶⁶⁾ فك الله أسرهما، والأخ حمزة الغامدي، والأخ أبو عبد الرحمن المغربي وغيرهم، حفظهم الله جميعًا.



علي حمزة البهلول
فك الله أسره



حمزة الغامدي
حفظه الله



خالد الشيخ محمد
فك الله أسره

(165) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

(166) ما زال أسيرًا في معتقل جوانتانامو منذ يناير 2002م

المؤسسون الأوائل لمؤسسة السحاب الإعلامية

وعن أداء السحاب المتميز يقول مايكل شوير:

" لقد بذل ⁽¹⁶⁷⁾ ومعاونوه قدرًا طائلاً من المال والوقت والفكر، حتى بينوا إعلامًا عالميًا وجهًا للدعاية. ويعمل اليوم هذا الجهاز بكامل طاقته، ويطل ابن لادن والظواهري، ويستحوذان على الإعلام الدولي وقت ما يشاءان. وبنفس الأهمية، فإن الوجود المتعدد المواقع للقاعدة على الإنترنت، يعرض باستمرار تعليقاتها السياسية والدينية وتقاريرها الإخبارية أمام أهم أنصارها؛ طبقات العالم الإسلامي الوسطى والعليا الوسطى الملمة بالإنترنت" ⁽¹⁶⁸⁾.

كذلك يقول مايكل شوير:

" واليوم يقدم ذراع القاعدة الإعلامي إرشادات دينية معمقة للمسلمين، حول مبررات الجهاد المذكورة في القرآن وأحاديث النبي ﷺ وسنته والتاريخ الإسلامي، وحتى باستخدام أجزاء منتقاة من النصوص، فإن علماء القاعدة قد شكلوا أساسًا دينيًا مقنعًا لشن الجهاد الدفاعي، الذي اكتسب التأييد وسط عشرات الملايين من المسلمين وخاصة من الشباب. والمقاتلون الآن مدعمون بحجج دينية يردون بها - وبأسلوب تفكيرهم الخاص - على الحجج المضادة للجهاد من أولئك الذين يعتبرهم الغرب المسلمين (المعتدلين)" ⁽¹⁶⁹⁾.

قصة منظمة الوفاء:

ذكرنا من قبل أن الشيخ أسامة رحمه الله، كان يتعهد معسكر التدريب بزيارات دورية من وقت لآخر، حيث يلتقي هنالك بالشباب الجدد ليحدثهم عن حال الأمة وما دهاها من تسلط الكفار عليها، وحكمها بغير ما أنزل الله، ومن استباحة مقدساتها من قبل الصليبيين المحتلين لبلاد الحرمين، ومن قبلهم اليهود المحتلين لفلسطين والمسجد الأقصى منذ عدة عقود. وكان الشيخ أسامة يرمي من وراء هذه الدروس والمحاضرات إلى تعميق معاني الجهاد والثبات على هذا الطريق في نفوس الشباب، وتحذيرهم أشد الحذر من القعود عن أداء فريضة العصر المتعينة وهي الجهاد في

(167) يقصد الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله.

(168) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(169) المصدر السابق.

سبيل الله، وذلك من خلال ضرب القصص من السيرة النبوية ومن قصص الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي إحدى المرات كان الشيخ أسامة قد ألقى محاضرة في معسكر الفاروق بلمند شرح فيها حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، وبفضل الله وحده وُقِّق الشيخ أسامة توفيقاً منقطع النظر في شرح هذا الحديث الذي يتناول مسألة في غاية الأهمية وهي القعود عن الجهاد وقت تعينه، فذاع صيت تلك المحاضرة المسجلة، وانتشرت انتشار النار في الهشيم بين طلبة العلم - وخاصة في بلاد الحرمين - مثيرة ضجة في أوساطهم هي أن كل من يتخلف عن الجهاد بغير عذر في وقت تعينه فهو آثم كائناً من كان.

ونتيجة لهذه المحاضرة العظيمة نفر كثير من طلبة العلم - الذين كانوا يطلبون العلم لدى كبار المشايخ المرموقين - إلى أفغانستان، وكان هؤلاء الإخوة عندما يلتقون بالشيخ أسامة تتغير كثير من قناعاتهم، وتنقش لديهم غشاوة اللبس والشبهات عن الجهاد والمجاهدين التي شبعهم بها هؤلاء المشايخ والعلماء القاعدون، وعلى إثر ذلك كان هؤلاء الإخوة يؤثرون البقاء في أفغانستان على العودة لبلادهم، وكانوا يبایعون الشيخ أسامة على مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى تتحرر بلاد المسلمين من المحتلين. وجدير بالذكر أن عدد من الإخوة الذين خصهم الله بفضله وكرمه بالمشاركة في غزوتي نيويورك وواشنطن كانوا يطلبون العلم عند هؤلاء المشايخ الذين يشار إليهم بالبنان.

ونتيجة لهذا التحول في قناعات هؤلاء الشباب أرسل هؤلاء المشايخ برسالة للشيخ أسامة مع أحد الإخوة المعروفين السابقين للجهاد منذ أيام الروس، وكانت خلاصة الرسالة عبارة عن رجاء من هؤلاء المشايخ يطلبون فيه من الشيخ أسامة أن لا يؤثّمهم (أي أن لا يقول أنهم آثمون بسبب قعودهم عن الجهاد) - علماً بأن الشيخ أسامة لم يذكر أحداً من المشايخ بعينه، وكان حديثه عاماً - لأن هذا الأمر كان يخرجهم إخراجاً شديداً مع طلابهم الذين كانوا يرون أن الحق في كلام الشيخ أسامة. وكان ردّ الشيخ أسامة لهؤلاء المشايخ بأنه لم يأت بشيء من عنده، وأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي آثم وفسق كل من قعد عن الجهاد لغير عذر والدليل قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وبعد فترة وجيزة أرسل هؤلاء المشايخ نفس الأخ بمشروع ظاهره الخير لكنّه كان يحمل في طيّاته مآرب أخرى. فجاء هذا الأخ بمشروع هيئة خيرية تحت اسم "منظمة الوفاء" لمساعدة الأفغان، وذلك بتقديم بعض الأعمال الخيرية لهم كحفر الآبار، وتقديم الأضاحي وغيرها من أعمال البر، وبطبيعة الحال كان المشروع مدعومًا بأموالٍ طائلة من هؤلاء المشايخ، واستطاع الأخ مدير المشروع استمالة بعض الإخوة المبايعين للشيخ أسامة للعمل معه في مشروعه. وشيئًا فشيئًا تكتشفت النوايا على نبال فتح معسكر تدريب جديد تابعًا ومدعومًا من قبل منظمة الوفاء، وبطبيعة الحال كان الأمر مستغربًا في أوساط الإخوة في قندهار، فما لهيئة خيرية ومعسكرات التدريب؟

وإحسانًا للظن لم يقل أحدٌ من الإخوة أن منظمة الوفاء كانت تهدف من وراء مشاريعها الخيرية ومعسكرها الجديد - الذي اجتذب عددًا من المتدربين الجدد - إلى شقّ صفّ المجاهدين، ولم يؤثر هذا الأمر على العلاقة الحميمة بين الأخ مدير منظمة الوفاء وبين الإخوة في جماعة القاعدة وعلى رأسهم الشيخ أسامة رحمه الله.

وكان هؤلاء المشايخ الذين كانوا وراء منظمة الوفاء يرون أن الشيخ أسامة بحسن حديثه، وحلاوة منطقه وحمّته يسحب البساط من تحت أقدامهم؛ فطّلابهم نتيجة لتأثرهم بمحاضرات ودروس الشيخ أسامة كانوا يناقشونهم بأن الجهاد أصبح متعيّنًا في حقّهم، وتحت إلحاحهم المتزايد على هذا الأمر كان هؤلاء المشايخ يسمحون لطلّابهم بالذهاب إلى أفغانستان للتدريب على أن يعودوا لمواصلة طلب العلم، غير أن هؤلاء الشباب بعد جلوسهم مع الشيخ أسامة كانوا يُسقطون من قاموسهم فكرة الرجوع. وأشهد الله أن الشيخ أسامة لم يفكّر أبدًا فيما ذهب إليه هؤلاء المشايخ، ولكنه الحق عندما تخالط بشاشته القلوب لن ترض عنه بديلاً ولا تحويلاً.

ونتيجة لهذا الأمر، وحيّ يحافظ هؤلاء المشايخ على طّلابهم من الأفكار المنحرفة - كما يزعمون - وتسكينًا وتلبيسًا وامتصاصًا لقناعات طّلابهم الجديدة المخالفة لأقوالهم، وخوفًا عليهم من تفلّتهم بأن يغيّروا مسارهم إلى جانب الشيخ أسامة ارتأى هؤلاء المشايخ فتح المعسكر حتّى يكون طلبتهم تحت أعينهم. ويشاء الله بعد فترة وجيزة - وعلى إثر الضغوط التي كانت تواجهها الإمارة الإسلامية من الأمم المتحدة بضرورة إدخال مفتّشين دوليين للوقوف على حقيقة المعسكرات - أصدر أمير المؤمنين رحمه الله، مرسومًا يقضي بإغلاق جميع معسكرات التدريب، والإبقاء على معسكرٍ واحدٍ فقط هو معسكر القاعدة في منطقة "جرمي واك" بولاية هلمند.

تدمير أصنام بوذا في ولاية باميان مارس 2001م⁽¹⁷⁰⁾:

بعد ما سيطر الطالبان على باميان، استفتى أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله كبار علماء أفغانستان في شأن الصنم؛ فأفتوه بوجوب تحطيمه، وعلى الفور شرعت الإمارة في عملية هدم أصنام بوذا، فبدأوا بالرماية عليها بالدبابات، واستخدموا كذلك الألغام وقذائف الطائرات، مما تسبب بضرر شديد للأصنام لكنها لم تدمر بالكامل. وحينها ضجّ العالم معترضًا بأن هذه الأصنام هي جزء من التراث الإنساني العالمي، ولا يجوز مسّها بسوء. وللأسف الشديد لم يسلم من هذا الاعتراض بعض من ينتسبون إلى علماء المسلمين، فصدّروا عدة فتاوى يناشدون فيها الطالبان بأن تتراجع عن هذا الأمر، بحجة أن تهديمها ليس من الحكمة والمصلحة، وأنه قد يكون ذريعة للهندوس والبوذيين للانتقام من المسلمين في بلادهم.



صنم بوذا الكبير قبل وبعد التفجير

(170) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية شيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله.

وكانت بعض الدول - كالصين واليابان - قد عرضت عروضاً مالية كبيرة على نقل هذه الأصنام وشرائها، غير أن أمير المؤمنين قابل كل تلك العروض بالرفض، وتكلم بكلمات ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ، فقال: "لأن يُنادى عليّ يوم القيامة أين عمر هادم الصنم، أحبّ إليّ من أن يُنادى عليّ أين عمر بائع الصنم". وقال أيضاً: "هذه العبادة التي أغاظتكم، أحبّ إلينا من كل أموالكم".

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، لا يريد أن تفوته فرصة المشاركة في هذا العمل العظيم. ورغم خطورة المنطقة التي كانت معقلاً للشيعنة الهزارة، سافر الشيخ أسامة، وكان بصحبته الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) وآخرون. ولم ينس الشيخ أسامة أن يصحب معه في هذه الرحلة، صاحب الاختصاص، وخبير القاعدة في هندسة التفجير الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر رحمه الله.

بدايةً توجّه الشيخ أسامة إلى كابول، وفور وصوله تلقى إشارة تفيد بأن الشيخ القرضاوي وصل قندهار، يصحبه وفد من عدة دول من قطر والبحرين. وعلى الفور قفل الشيخ أسامة ومن معه عائدين إلى قندهار. وكان من ضمن ذلك الوفد، نائب الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي محيي الدين القرّة داغي، ومُجّد عمارة، وطنطاوي ونصر فريد واصل، ووزير الدولة القطري للشؤون الخارجية وآخرون. وكانت المهمة التي جاء من أجلها الوفد، هي مناظرة الطالبان في محاولة لإثباتهم عن عملية هدم أصنام بوذا، ومن تلك المحاولات العرض الذي قدّمه الوزير القطري للطالبان بأنهم إن نكصوا عن تحطيم الأصنام فسيسعى لإعادة عضويتهم لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وكان أمير المؤمنين قد أرسل لمناظرتهم وفداً من كبار علماء أفغانستان.

وكان الشيخ أبو حفص الكمنداني، والشيخ أحمد حسن أبو الخير، والشيخ أبو الوليد المصري، والشيخ أبو حفص الموريتاني، قد حضروا جلسة المناظرة التي أمّتها بعض من علماء طالبان. وكان الإخوة يريدون توثيق هذه المناظرة بالصورة والصوت، غير أن الإخوة الطالبان رفضوا ذلك، وقالوا التسجيل الصوتي يكفي.

وفي الجلسة تكلم علماء الطالبان، وتكلم الإخوة من بعدهم، وكانت خلاصة الكلام أن هدم الأصنام هو ملّة إبراهيم، التي ما ينبغي أن يختلف اثنان في هدمها، فالأمر واضح. وفي المقابل تكلم وفد العلماء وقالوا بأنهم لا يعترضون على هدم الأصنام، إنما يعترضون على توقيت هدمها. فردّ

عليهم الشيخ أبو حفص الموريتاني - حفظه الله - قائلاً: "الإخوة الطالبان وعلمائهم والشعب الأفغاني، يقولون إنهم سيتحملون التبعات، فإذا كانوا سيتحملون التبعات، ومحتسبين كل ذلك لله سبحانه وتعالى، فجزاهم الله خيراً، لماذا لا بد أن نوقف هدم الأصنام؟".



الشيخ أبو حفص الموريتاني (محفوظ ولد الوالد) - حفظه الله

وكان الشيخ أسامة - على هامش هذه المهمة التي جاء من أجلها هذا الوفد - قد حاول مقابلة الشيخ يوسف القرضاوي، لكنه اعتذر، وأرسل نيابة عنه نائبه الشيخ القرّة داغي، فقابله الشيخ أسامة في مجمع ستّة بقندهار، وعاتبهم عتاباً شديداً على عدم شرعية مهمتهم التي جاءوا من أجلها، واقتنع الشيخ القرّة داغي بحجّة الشيخ أسامة رحمه الله، وقال بأنه سينقل كل ذلك للشيخ القرضاوي.

وبعد انتهاء ذلك الاجتماع، رجع الوفد بخفي حنين، ورجع الإخوة إلى باميان لهدم الأصنام في رحلة أسموها رحلة التوحيد، وفي نفس التوقيت كانت خلايا عمليات الحادي عشر من سبتمبر في طريقها لهدم أصنام أمريكا.

كانت أصنام بوذا عبارة عن صنمين كبيرين هما لبوذا وزوجته. وكان صنم بوذا الكبير، يبلغ طوله ثلاثة وخمسون متر وسماكته عشرون متر، والصنم الآخر يبلغ طوله خمسة وثلاثون متر، وقد بُني الصنمان في القرن السادس الميلادي من صخور رسوبية رملية صلبة. وكان الأفغان يأتون من كل مكان للمشاركة في هدم الأصنام، وكان العلماء يتحملون عناء السفر فتراهم وقد شابت لحاهم يصعدون ويحملون معهم المتفجّرات والألغام والقذائف إلى أعلى الصنم. وكانت مشاركة

الإخوة مشاركة فاعلة في عملية الهدم، وكان الشيخ أسامة رحمه الله، يريد أن يزيل الجبل إزالة كاملة بالبلدوزر حتى لا يبقى له أثر، وكان يستشهد بالآية (ثُمَّ لَنَسْفَعْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا).

إعلان الوحدة بين تنظيم القاعدة وجماعة الجهاد المصرية:

وكان من نعم الله العظيمة بعد ذلك أن وفق جماعة الجهاد المصرية على الوحدة مع القاعدة فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد. فأعلن الشيخ الدكتور أيمن الظواهري أواسط سنة 2001م بيعته للشيخ أسامة بن لادن، وضم تنظيم الجهاد رسميًا لتنظيم القاعدة. وأشاد بهذه الخطوة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله في كتابه فرسان تحت راية النبي فقال:

"كان من نعم الله العظيمة علينا أن وُفِّقنا للوحدة مع القاعدة، فيما أصبح يعرف بقاعدة الجهاد، وهي نعمة أسأل الله أن يعينني على شكرها، ولا بد هنا أن أذكر الفضل لأهله، فقد كان من أهم من سعى في ذلك العمل المبارك الشهيد - كما نحسبه - أبو حفص القائد، وآخرون من أفاضل الدعاة والجهاديين، قد لا أستطيع أن أذكرهم الآن، ولكن الله يعلمهم، أسأله أن يجزيهم خير الجزاء".

وكان يوم إعلان الوحدة يومًا مشهودًا بفضل الله، وقال الشيخ الدكتور أيمن مخاطبًا الشيخ أسامة بن لادن بهذه المناسبة فقال⁽¹⁷¹⁾:

"جئنا إليك نباعك ونمد إليك أيدينا، وامتدت معنا أيدي موتى لا تُعرف لهم قبور، وأسرى لا تُعرف لهم سجون، وثكالى لا يعرفن أين أبناؤهن، وأرامل لا يعرفن أين أزواجهن، وأيتام لا يعرفون أين آباءهم، جاءوا معنا يبايعونك، لا يسألونك نفعًا ولا مغنمًا، ولكن يسألونك أن تتأر ممن ظلمهم. وجئنا إليك لا نحمل إلا همًّا وأحزانًا، ولا نملك شيئًا، ولا نسألك منصبًا أو مغنمًا، إلا أن نقاتل في سبيل الله، حتى نتصر أو نستشهد".

وخطب الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، فقال في كلمته:

"إننا لن ننسى أسارى المسلمين في سجون الطواغيت". وقال أيضًا:

"إنني أشهد أن إخواننا في جماعة الجهاد كانوا أسهل منا في التحضير لقيام الوحدة".

كذلك تكلم الشيخ سليمان أبو الغيث فكَّ الله أسره، فكان مما قال:

(171) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

"ريح البيع يا دكتور. ربح البيع يا دكتور" (172).

تعليق الشيخ أيمن الظواهري على اللبس الذي حدث في مشروع الوحدة (173):

وجدير بالذكر، أن بعض الكتاب كانوا قد ذكروا في مؤلفاتهم أن مشروع الوحدة أدى لانشقاق في صفوف الجماعة بين مؤيد لها ومعارض. وتبياناً لللبس الذي حدث في هذا الأمر، يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله:

"هنا نقطة هامة أود توضيحها، وهي أن الذين لم ينضموا (ولكنهم لم يعلنوا معارضتهم) للوحدة كانوا ثلاثة، واحد منهم كان يشجع على الوحدة ويسعى فيها، ولكنه لأسباب شخصية رأى أن يعمل خارج التنظيمات، وبعد الوحدة كلفه الشيخ أسامة بعمل فسعى فيه بنشاط جزاه الله خيراً، ومع بداية الحرب الصليبية المعاصرة ظل مطارداً لأكثر من عشر سنوات، عانى فيها وأسرته ثم عاد لوطنه، وظروفه الأمنية حرجة، وكانت سيرته هي التعاون والتأييد، ولم يبد أي اعتراض على الوحدة ولا لجماعة قاعدة الجهاد.

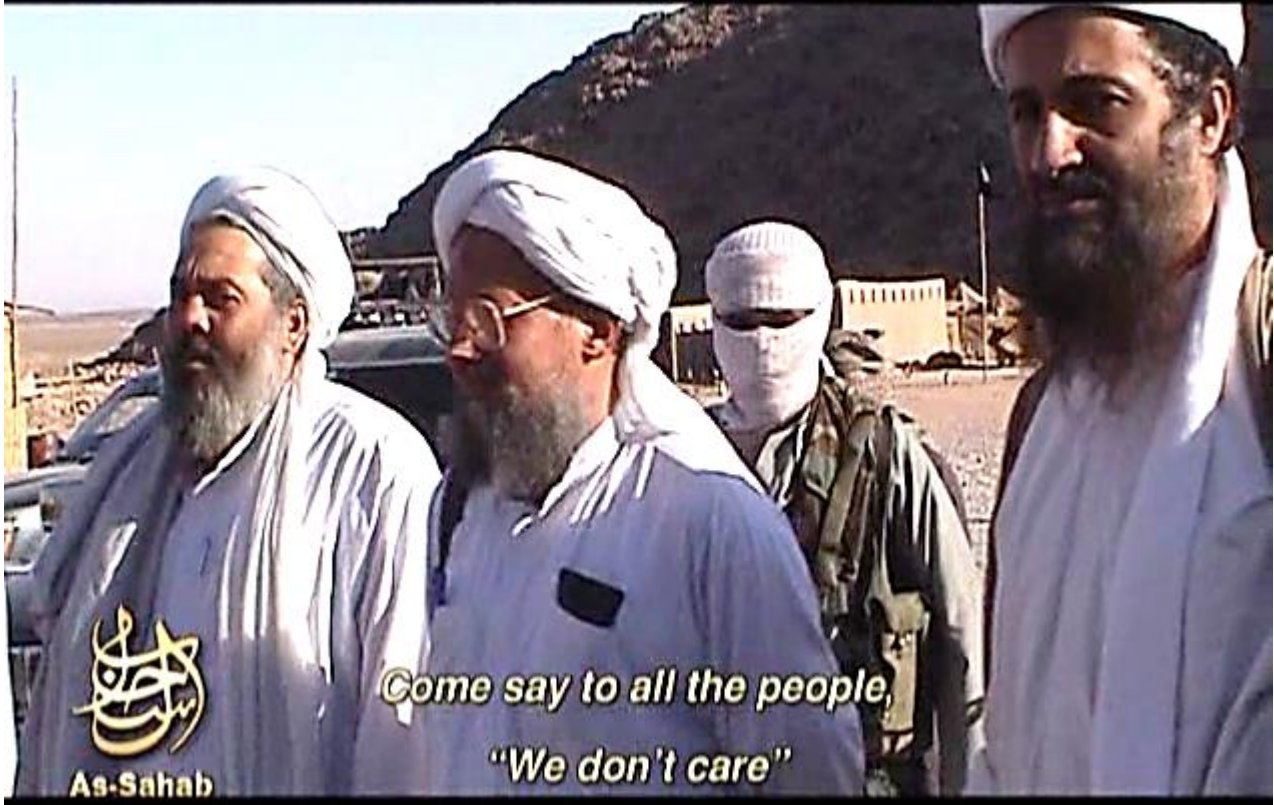
وكان الاثنان الآخران لغضب من أمور إدارية بسيطة قد أعلننا خروجهما من الجماعة، وبعد الوحدة قالوا إنهما لا يعارضانها، ثم بعد ذلك بمدة أعلننا اعتذارهما عن أسلوب تعاملهما مع إخوانهما، وأكد أحدهما هذا الاعتذار كتابة وانخرط في صفوف الجماعة، واستشهد في الحرب الصليبية رحمه الله رحمة واسعة، أما الثاني فهو أسير الآن. فالحاصل أن الذين كانوا في الجماعة فعلياً في وقت البيعة، لم يعترض منهم أحد ولم ينشق، والقرار استوفى شروطه الإدارية كاملة بفضل الله. ومما يؤكد وجهة نظري أن الكم الأكبر من جماعة الجهاد الذين كانوا أسرى في مصر وخرجوا من الأسر في ثورة يناير كانوا يعلنون ولاءهم للقاعدة وللشيخ أسامة رحمه الله، وكانوا يعتبرون أنفسهم امتداداً لها " ا. هـ

وفي اليوم التالي للوحدة، قام المشايخ بزيارة الإخوة المتدربين في معسكر الفاروق بميوند، وألقيت كلمات، منها كلمة جميلة للأخ الحبيب الشهيد - كما نحسبه ولا نزيهه على الله - أبي حفص الكمندان، قال فيها (174):

(172) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(173) تصحيحاً لبعض ما جاء في النسخة الأولية لهذا الكتاب، أرسل لنا الشيخ الدكتور أيمن الظواهري هذا التعليق، وكان ذلك قبل التوقيع على مفاوضات الدوحة.

"نعيش نحن في ظل الشريعة الإسلامية، ونتجمع من كل أقطار العالم وتندرب هنا، ونعد أنفسنا هنا، وتتوحد الجماعات الإسلامية هنا، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد من هنا شيئاً، يريد من هنا شيئاً، فأبشروا يا عباد الله، واثبتوا. إن تحرير فلسطين هو من هنا، وتحرير أرض الجزيرة هو من هنا، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة الإسلام وإلى حكم الشريعة هو من هنا، فاثبتوا يا عباد الله، وأبشروا ووحّدوا جهودكم، والتحقوا بهذه القافلة المباركة، التحقوا بها حتى تكون أيها الأخ المجاهد جندياً مجاهد في سبيل الله، وتعيد مرة أخرى نشر الإسلام في أنحاء العالم كله. لا بد أن نعود مرة أخرى إلى قيادة البشرية. هذا هو دورنا، نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة البشرية بمنهج الله. نحمد الله سبحانه وتعالى على هذه الخطوة المباركة، فهي نعمة من عند الله سبحانه وتعالى" (175).



زيارة المشايخ لمعسكر الفاروق بولاية هلمند في اليوم التالي للوحدة ويبدو في يسار الصورة الشيخ
فُحْد صلاح (نصر فهمي نصر) تقبله الله

(174) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(175) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

نعم هذا هو دورنا، أن نعود إلى قيادة البشرية بمنهج الله:

كلمات من نور نطقت بها شفاه الشيخ أبي حفص الڪمندان، لقد ردد الشيخ أكثر من مرة بأن الله يريد من هنا أي من أفغانستان شيئاً، وكأنه رحمه الله، يرى بفراسته في الأفق وميض نار توشك أن يشب لها ضرام تبید خضراء النظام الدولي الصليبي الكافر. إن قيادة البشرية بمنهج الله، وإعادة بلاد الإسلام إلى مظلة الإسلام وإلى حكم الشريعة ليس بالأمر السهل، إنه أمرٌ تكرهه الملوك، إنه خطٌ أحمر لا تسمح به أمريكا، دونه بحارٌ من الدماء، وجبالٌ من الأشلاء، ولا يتحقق هذا الأمر ولا يحمله ويتحمل تبعاته إلا رجالاً فقهوا حقيقة الصراع فباعوا أنفسهم لله، وكأن الشيخ أبو حفص يقول إن هذا الأمر ليس له إلا أولئك الرجال المتخصصين في هزيمة الإمبراطوريات العظمى، كأنه يقول لأمريكا إن هؤلاء الشعث الغبر الذين لا يؤبه لهم هم الذين سيمرغون أنفك وكبرياءك، ويدوسون على كرامتك وعزتك، وعمّا قريب ستشهد هذه الجبال وهذه السهول والوديان زفافك إلى مزبلة التاريخ.

عملية اغتيال أحمد شاه مسعود:

كان أمير المؤمنين قد طلب من الشيخ أسامة الانتقال من جلال آباد لقندهار، تحرّزاً من خطة تسرّب سرّها قبل فتح الطالبان لكابل، مفادها أن أحمد شاه مسعود قرر القيام بعملية عسكرية للقبض على الشيخ أسامة، وكان مسعود مصمماً على مساعدة الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود الشيخ أسامة، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا سنحت الفرصة. وأكد هذه العلاقة جورج تينيت، مدير المخابرات المركزية السابق في شهادته أمام لجنة الكونجرس الخاصة بالتحقيق في هجمات 11 سبتمبر، حيث صرح بأن المخابرات الأمريكية، تعاونت مع أحمد شاه مسعود - قبل هجمات 11 سبتمبر - لتتبع أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة، غير أن مقتل أحمد شاه مسعود - قبل هجمات سبتمبر - أحبط تلك المخططات⁽¹⁷⁶⁾.

أيضاً شهد على ذلك التعاون رسمياً تقرير الكونجرس عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يقول في أحد المواضع العديدة التي ذكر فيها التعاون بين الأمريكان ومسعود:

(176) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

"وفي الشمال الشرقي كانت هناك قوات مسعود لتحالف الشمال، التي ربما تعد أفضل خيار للسي آي إيه، وفي آخر أكتوبر عام 1999م طارت مجموعة من ضباط مركز مكافحة الإرهاب لوائي بنجشير للقاء مسعود، وهي رحلة خطيرة في حوامات متهالكة، ستتكرر لعدة مرات في المستقبل، وقد بدا مسعود مصممًا على مساعدة الولايات المتحدة في جمع المعلومات عن أنشطة وأماكن وجود بن لادن، كما وافق على أن يحاول القبض عليه إذا سنحت الفرصة"⁽¹⁷⁷⁾.

ولم يكن اتصال أحمد شاه مسعود بالغرب الصليبي وتحالفه معه سرًا، فلقد أعلن ذلك على الملأ حينما ذهب لبروكسل في أبريل 2001م، واستقبلته رئيسة البرلمان الأوروبي (نيكول فونتان) على باب مقر البرلمان كأى رئيس دولة، وألقى كلمة في البرلمان الأوروبي، ووقف له أعضاؤه يصفقون لدقائق، وقال في كلمته: "إنه في خط الدفاع الأول ضد الأصولية الإسلامية"، وعقد مؤتمرًا صحفيًا في مقر البرلمان الأوروبي طلب فيه مساعدة الاتحاد الأوروبي من أجل إسقاط نظام طالبان والقوى الخارجية مثل أسامة بن لادن، حيث قال فيه:

"أنا متأكد أنه دون تدخل باكستان وجنودها النظاميين والقوى الخارجية - مثل أسامة بن لادن والطلاب الباكستانيين - ما كانت قواتنا في احتياج، وبقيني أن الأمة الأفغانية بنفسها، وأهل قندهار بأنفسهم، والعنصر البشتوني بنفسه قادرون على إسقاط نظام طالبان". وطالب أيضًا بالتدخل الأمريكي في أفغانستان حفاظًا على أمن أمريكا وحلفائها، وهو الذي كان يبنى كل دعاياته على أساس أنه يقاتل من أجل طرد نفوذ باكستان الأجنبي عن أفغانستان، الذي كانت تمثله حركة طالبان في زعمه، ولكنه لم يستح - من أجل التنافس على الدنيا وحب الملك - أن يطالب بالتدخل الأمريكي في شؤون أفغانستان، ويؤكد ذلك بأن يهدد أمريكا بما يمكن أن يلحق بها من أخطار على يد أعدائه وأعدائها؛ الإمارة الإسلامية والقاعدة. فقال في نفس المؤتمر:

"رسالتى للسيد بوش، أنه إذا لم يتوجه لمسألة تأمين السلام في أفغانستان، وإذا لم يساعد شعب أفغانستان في طريق الوصول للسلام، فإن المشكلة يقيئًا لن تؤثر فقط على أفغانستان، بل على أمريكا والدول المتحالفة معها"⁽¹⁷⁸⁾.

(177) المصدر السابق.

(178) فرسان تحت راية النبي. الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.



المؤتمر الصحفي الذي عقده مسعود في مقر البرلمان الأوروبي، وطالب فيه مساعدة الاتحاد الأوروبي من أجل إسقاط نظام طالبان

وهكذا أعلن مسعود عن سقوطه في مستنقع العمالة للصليبيين بعد طول تكتم، وأصر على أن يعلن ذلك في عقر دار أوروبا، ومن فوق منبر البرلمان الأوروبي، حتى لا يدع لهم أي مجال للشك في ولائه لهم. وأعلن انضمامه بوضوح تام للحملة الصليبية الأمريكية ضد الإسلام، أو ما تسميه أمريكا بالإرهاب والأصولية. وهكذا لم يترك مسعود لنفسه عذراً، ووقع بنفسه على حكم قتله⁽¹⁷⁹⁾.

وكان الشيخ أسامة قد أرسل رسالة - عن طريق الشيخ أبي حفص الكمندان - لأمير المؤمنين الملا عمر قائلاً له: "ماذا تطلبون منّا؟ نحن نريد أن نخدم دين الله، ونحن جنود بماذا تأمرنا؟". فقال الملا عمر للشيخ أبي حفص: "اقتلوا أحمد شاه مسعود". فقال الشيخ أبو حفص: "اعتبروا أحمد شاه مسعود مقتولاً"، واقترح الشيخ أبو حفص الكمندان على الملا عمر بأن ينتهزوا الفرصة بحشد

(179) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

القوّات في الشمال، كي يباغتوا قوات مسعود ويهجموا عليهم بعد مقتله مباشرة، قبل أن يعيدوا ترتيب أنفسهم ويستجمعوا قوّتهم⁽¹⁸⁰⁾.

ولما كان مسعود مولعًا بالقنوات الفضائية وبحب الظهور، كانت خطة اغتياله بسيطة جدًا، وهي أن يقوم مجاهدان استشهاديان بتقديم نفسيهما لأحمد شاه مسعود على أنهما صحفيان، ويُجرى معه مقابلة تلفزيونية مصورة بكاميرا مفخخة، ثم أثناء المقابلة يتم تفجير الكاميرا. وبالفعل تم شراء كاميرا تلفزيونية خاصة بمثل هذه المقابلات، وقام الأخ مهندس المتفجرات أبو عبد الرحمن المهاجر رحمه الله، بتجهيزها وتفخيخها بالمواد متفجرة.

وتطوع لهذه المهمة بطلان من أبطال الإسلام هما المجاهدان أبو عبيدة التونسي (عبد الستار دحمان) وكريم سوزاني، اللذان كانا يعيشان في بلجيكا. وحتى تكون خطتهما⁽¹⁸¹⁾ محكمة، كانا قد أجريا مقابلة صحفية مصورة مع سيف ورباني. وتوسط لهما سيف عند أحمد شاه مسعود ليقوما بإجراء مقابلة مصورة معه، فتم لهما ذلك، وأخذًا ميعادًا لذلك اللقاء في مقر إقامته في بلدة "خواجة بهاء الدين" بولاية تيار الشمال، بالقرب من الحدود الطاجيكية.

وكانت المقابلة في 9 / 9 / 2001م الموافق 1422/6/18هـ، قبل يومين من أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فقام أحد الأخوين بالتصوير من كاميرة الفيديو المفخخة، والآخر أجرى الحوار، وفي أثناء ذلك تمت العملية كما حُطّط لها فقتل مسعود، وقتل الأخوان اللذان أجريا المقابلة والأسئلة على الفور. وعن مقتل مسعود يقول أخوه ولي مسعود:

" تلك الرحلة إلى أوروبا، ذلك التحذير لبقية العالم كان فعلاً خطيراً، لقد غامر مسعود بحياته، ودفع من حياته ليحذر الآخرين؛ (انظروا، لن تكونوا آمنين إلا إذا فعلتم شيئاً من أجله). لقد ضحى بحياته ليس فقط من أجل الأفغان، بل من أجل المجتمع الدولي. لقد كان مستاءً جداً من الحكومات الغربية، فيما يتعلق ببرنامجه لمحاربة الإرهاب. اكتشف أن برنامج محاربة الإرهاب في ذلك الوقت ليس إلا شعاراً، لم يكن برنامجاً عملياً أو حقيقياً"⁽¹⁸²⁾.

(180) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر. رواية شيخ بصير ناصر الوحيشي رحمه الله. بتصرّف.

(181) كان وراء الخطة مجموعة من الاخوة وعلى رأسهم الشيخ أبو حفص المصري رحمه الله. فقد اشتملت خطة الخداع على ترتيب ثلاثة لقاءات الأول مع وكيل أحمد متوكل عن حركة طالبان. والثاني سيف قاتله الله. والثالث مع أحمد شاه مسعود.

(182) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله.

فشل التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة⁽¹⁸³⁾:

لم يأت عام 2000م مع سيطرة حركة طالبان على نحو 94% من أرض أفغانستان، إلا وقد بلغ عدد الجماعات والتنظيمات والمعسكرات المعترف بها رسميًا من قبل طالبان أربعة عشر، تربطهم جميعًا بوزارات الدفاع والداخلية والاستخبارات ببرامج ضبط وتنسيق وتعاون. وكانت هذه التجمعات مستقلة عن بعضها تمامًا. وكان معظم من تواجد خلال هذه الفترة في أفغانستان من الجهاديين بجانب تنظيم القاعدة، يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرئيسية التالية:

1- المتدربون: وهم الذين قدموا من أجل تلقي التدريب ثم الرحيل، ولم يستقر هؤلاء إلا مدد التدريب التي تتراوح ما بين أشهر قليلة إلى سنة.

2- المهاجرون: وهم الذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهجرة والاستقرار في دار الإسلام الوليدة، وإعمارها والجهاد معها، دون أن يكون لهم أهداف جهادية خارج أفغانستان، ولا ضد حكومات بلادهم، ولا ضد أعداء آخرين داخلين أو خارجين.

3- التنظيمات الجهادية: التي قدمت لتتابع أهدافها وبرامجها القديم المتعلق بالجهاد في بلادها، ولتتابعة بناء تنظيماتها من جديد على الطريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطرية - السرية - الهرمية) مثل الجماعة الإسلامية المصرية، والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وغيرهم.

4- تنظيمات وجماعات وسط آسيا: الذين تنوعت أهدافهم بين الهجرة ونصرة دار الإسلام والجهاد معها، وبين الإعداد للجهاد في بلادهم. وكان أهم وأكبر هذه الجماعات (المجاهدون من أوزبكستان) و(المجاهدون من تركستان الشرقية) التي احتلتها الصين، بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى.

5- المجاهدون من باكستان: وكانوا خليطًا من تلاميذ العلماء والمدارس الدينية في باكستان، وهي امتداد لطالبان فكرًا ومنهاجًا، وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية حجمًا يوازي أو يزيد على مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفًا.

(183) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً:

ورغم ما حققته هذه التجمعات الجهادية من مكاسب في ساحة أفغانستان، إلا أن الخسارة الأساسية كانت في فشل ذلك التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا وأزمات الأمة. وكان قد توفرت آنذاك في الساحة فرصة نادرة الحدوث، تجسّدت في ظروف دولية، وكم من الشباب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المجاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات التي كانت قادرة على توليد تجمع جهادي عالمي منظم يفرض حضوره ومساهمته في حلحلة قضايا الأمة وساحة الصحوة الإسلامية. فقد كان من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجديد، مستغلين الظروف المواتية، والالتفاف جميعاً حول مشروعية أمير المؤمنين الملاً محمد عمر، ورمزية الشيخ أسامة، ولكن ذلك لم يحصل.

وكانت المفاجأة في أن (الفكرة القطرية)، وهي الإطاحة بالأنظمة المرتدة بنفس الأساليب التقليدية في عمل التنظيمات لإقامة أنظمة تحكم بالشريعة الإسلامية، برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد. ولم تنجح محاولات الشيخ أسامة والقاعدة عبر تلك السنوات الخمس في استمالة تلك الجماعات الجهادية - باستثناء تنظيم الجهاد المصري وبعض الجماعات من باكستان وبنجلادش - إلى توجهاته بتوحيد محور المواجهة تجاه أمريكا، سواء بالاندماج معه في جماعة واحدة أو بالدخول في حلف الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين، إلى أن جاءت هجمة أمريكا على الإمارة، وتداعيات أحداث سبتمبر، فأقنعت أمريكا الكل بترك أهدافهم والتفرغ لحربها⁽¹⁸⁴⁾.

(184) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرّف.

المرحلة الخامسة: الحدث الذي غير وجه التاريخ؛ غزوات الحادي عشر من سبتمبر

المباركة:

الهدوء الذي يسبق العاصفة:

كان الشيخ أسامة في أول مقابلة له مع أمير المؤمنين الملا عمر - بعد إعلانه بيان "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" وقبل تنفيذ أي عمليات عسكرية - قد شرح وجهة نظره وأدلته الشرعية حول أولوية جهاد أمريكا المحتلة لمقدسات المسلمين، بتفصيلٍ وعاطفةٍ جياشةٍ أثّرت في أمير المؤمنين الملا عمر وفي كل مسئولٍ طالبان. وكان أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، لا يعارض ضرب أمريكا من حيث المبدأ، لكن يعارض الشيخ أسامة في توقيت ضربها، ويرى أن الأولوية الآن هي تثبيت دعائم الإمارة الإسلامية. وقال أمير المؤمنين الملا عمر للشيخ أسامة في هذا الشأن:

"نحن نعرف أن الأمريكان لا بد أن يتركوا جزيرة العرب، وأن اليهود لا بد أن يتركوا فلسطين، ونحن أيضًا مسلمون ومجاهدون مثلكم، ولا نَقِلُ عنكم غيرة على الإسلام، ونحن لسنا جنباء، فقد قاتلنا ضد الروس، وقدمنا الشهداء والمعوقين حتى هزمناهم، وسوف نأتي معكم لتحرير المقدسات فهذا واجبنا. ولكن وضعي الآن هو هكذا (وهنا قام الملا عمر من مجلسه بقامته النحيلة الفارعة، وقد ثنى ركبتيه) لا أنا منتصب القامة، ولا أنا جالس؛ فانتظروا حتى يستقر أمرنا في أفغانستان، وتنتهي هذه الحرب الداخلية، وسترون أننا سنكون في مقدمة الصفوف نحو تحرير المقدسات" (185).

كانت هذه هي وجهة نظر أمير المؤمنين الملا عمر، وكان في مجلس شورى الشيخ أسامة من يشاطره ذلك الرأي، ويرى أن ضرب أمريكا قد يعرّض وجود الإمارة الإسلامية لكثيرٍ من المخاطر. وكان الشيخ أسامة يخالف الملا عمر في ذلك، وكانت قناعته هي أنه سواء أن انتهت الحرب الداخلية بانتصار طالبان أم لم تنته، أم استقر الأمر لطالبان أم لم يستقر، لن تسمح أمريكا ابتداءً لطالبان - أو لأي حكومة في العالم - بإقامة نظام إسلامي يحكم بالشريعة، وستعمل بكل ما أوتيت من قوة لإسقاط نظام طالبان. وكان أمير المؤمنين وكثير من كبار الطالبان، قد صرحوا في

(185) نقلًا عن الشيخ سيف العدل: هذا الحوار بكامله كان في أول لقاء مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله.

أكثر من مناسبة أنهم مقصودون لدينهم، لا لمجرد وجود أسامة بن لادن، وكما قال أمير المؤمنين: "جاء البريطانيون وهجموا على أفغانستان قبل أن يوجد أسامة بن لادن، ثم جاء الروس كذلك قبل أن يأتي أسامة".

ومصادقاً لرؤية الشيخ أسامة - حتى ولو لم تحدث عمليات 9/11 - فقد كانت أمريكا وحلفائها قد أعلنت سياستها وإرادتها لإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذ أواسط عام 1997م. وكانت الإمارة الإسلامية قبل حدوث عمليات 9/11 بشهرين تعلم علم اليقين أن أمريكا تعد خطة عسكرية لاجتياح أراضيها وضربها ضربة عسكرية جوية قاصمة، لنزع حكومة الإمارة وتنصيب حكومة ظاهر شاه المنفي. وكانت صحيفة (ضرب مؤمن) الإسلامية الباكستانية قد ذكرت أن وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك، قد نقل لحكومة طالبان أن مسؤولين كباراً في الحكومة الأمريكية أبلغوه في منتصف شهر يوليو عام 2001م، أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور، فإن الولايات المتحدة ستقوم بحلول منتصف شهر أكتوبر 2001م بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان. وأشار المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية هو إسقاط حكومة طالبان، وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه. وأوضح الوزير أن واشنطن ستشن عملياتها من قواعد في طاجكستان، وقال إن أوزبكستان ستشارك في العمليات، وأن سبعة عشر ألف جندي روسي يقفون في حالة استعداد. وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها حتى إذا تم تسليم بن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية⁽¹⁸⁶⁾.

إذن لهذه الأسباب وغيرها - بالنسبة لتعامل أمريكا مع أمتنا المسلمة عامة ومع إمارة أفغانستان بصفة خاصة - كانت قناعة الشيخ أسامة بأن ضرب أمريكا وعدم ضربها نتیجته واحدة والضرب عنده أولى وأهم، وغزوها في عقر دارها أولاً أفضل من غزونا في عقر دارنا في النهاية. وقد أقر بهذه الحقيقة أمير المؤمنين الملا عمر نفسه في رسالته إلى الأمة الإسلامية بعد مرور عام على الحرب الصليبية على أفغانستان حيث قال:

(186) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني رحمه الله. بتصرف.

"والحرب التي تشنها أمريكا على بلادنا هي جزء من هذه الحملة على الإسلام. إن أمريكا عندما حاربت أفغانستان، أرادت بالدرجة الأولى القضاء على النظام الإسلامي، ومنع تطبيق الشريعة الإسلامية، ومنع إحياء الدين الإسلامي الذي يخيفها. وإذا كانت أمريكا قد جعلت من عمليات 11 سبتمبر ذريعة لضرب إمارة أفغانستان الإسلامية، وإعلان الحرب على المسلمين، فإننا نعلم أن ذلك ليس هو السبب الوحيد، ونعرف أن أمريكا كانت تريد ضربنا والقضاء على الإمارة الإسلامية قبل ذلك بكثير، وكانت تحاول إيجاد المسوغات، ولو لم توجد 11 سبتمبر لوجدت أمريكا غيرها. ولو لم تكن عند أمريكا هذه النية المبيتة والإرادة المتقررة، لما شنت علينا الحرب بسبب عمل لم تتأكد بعد من الذي قام به".

وكان الشيخ أسامة يعلم أن حجم الضربات المخطط لها لن تكون كسابقاتها، وقد تكون لها تبعات كبيرة تقود إلى حرب لا هوادة فيها، يكون الطالبان والشعب الأفغاني هم الأكثر تضرراً منها. فأمريكا لن تكتفي كما فعلت عندما هوجمت سفاراتها في نيروبي ودار السلام، بضرب أفغانستان بعدد من صواريخ كروز، وربما يجر الأمر إلى أكبر من ذلك. ورغم ذلك كان الشيخ أسامة يعتقد أن تنفيذ وصية رسول الله ﷺ، بإخراج الصليبيين من جزيرة العرب أمر يستحق التضحية، إذ لا قيمة للمسلمين والعرب على أرض الواقع، وحمى المسلمين ومقدساتهم مستباحة، وأوطانهم مستعمرة. فكان يرى أنه لا يوجد شيء يخشى عليه في النهاية، بضرب أمريكا وبغير ضربها، فما يخشونه هم واقعون فيه، والسابح في البحر لا يخشى المطر.

إضافة إلى ذلك كان الشيخ أسامة يستند إلى القاعدة الفقهية التي تقول: "أوجب الواجبات بعد الإيمان، دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا". وانطلاقاً من هذه القاعدة كان الشيخ أسامة يعتقد أن دفع الأمريكان المحتلين لمقدسات المسلمين، هو أوجب الواجبات اليوم، وهو من الجهاد المتعين الذي لا يقبل التأجيل، ولا يجوز التأخر عنه، كما لا يملك الإمام حق إيقافه لأنه من صميم مصلحة الأمة، ومصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الدولة، ومصلحة الدولة مقدمة على مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد. فقد كان رحمه الله يخشى أنه إذا سكّت الناس اليوم، ولم يتداعوا ويقوموا بدفع صيال العدو عن بلاد الحرمين، فلن تمضِ عشر سنوات حتّى يتبلّد الحس تدريجياً وتُنسى القضية، وسيأتي جيل يخلفه جيل تكبله سياسة الأمر

الواقع وسياسة ألا جدوى فلا يأبه كثيراً، ولا يتحرك له ساكن، وستضيع القضية في زحمة الزمن ومشاكل الحياة، تماماً كما ضاعت فلسطين وضاعت الأندلس من قبل.

إذن أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله (187):

ذات مرة، كان بعض قيادات الطالبان قد أتى لزيارة الشيخ أسامة في مجمع المطار، وكان من بينهم الملاً محمد حسن والي قندهار، والطبيب أغا - مدير مكتب أمير المؤمنين - وغيرهم، ورحب بهم الشيخ أسامة وأكرمهم، وكان من الحاضرين لهذه الجلسة الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ أحمد حسن أبو الخير، والشيخ مصطفى أبو اليزيد - رحمهم الله جميعاً - والشيخ الدكتور أيمن الظواهري. وفي الجلسة تكلم الشيخ أسامة وقال: "سيكتب لكم التاريخ أيها الأفغان شيئين، سيكتب لكم أنكم حفظتم العرب من الأمريكان وهذه لكم، والثانية أنكم حفظتم الأمريكان من العرب وهذه عليكم". فردّ عليه الملاً محمد حسن، وكان رئيساً للحكومة آنذاك وقال: "لا لا يا شيخ هذا غير صحيح".

وكان الشيخ أسامة قد أرسل مع الطيّب أغا ملقاً به صور ومقاطع فيديو لليهود، وهم يدنسّون الأقصى ويضربون المسلمين، ويهدمون المساكن والبيوت. وقال الشيخ أسامة للطبيب أغا: "أريدك أن تعرض هذه الصور على أمير المؤمنين". فقال الطبيب أغا: "مستحيل الملاً عمر لا يرى الصور". فقال له الشيخ أسامة: "ضروري لا بدّ أن يراها، فبعض الأحياء لا بدّ للطبيب أن يرى العورة للعلاج، والملاً عمر هو طبيب الأمة، فلا بدّ أن يراها".

وعندما شاهد أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله ما يحتويه الملف، غضب غضباً شديداً وقال للطبيب أغا: "أحضر لي أسامة الآن". وعندما جاء الشيخ أسامة قال له أمير المؤمنين: "أنا أريدك يا شيخ أسامة أن تضرب اليهود في أي مكان". فقال له الشيخ أسامة: "سمعاً وطاعة، وإن شاء الله لا تغيب الشمس، إلا وقد بدأنا في ترتيب العمليات ضد اليهود". وخرج الشيخ أسامة رحمه الله فرحاً مبتسماً من ذلك الاجتماع وقال لمرافقه الشيخ بصير: "لقد أذن أمير المؤمنين".

(187) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رواية الشيخ بصير رحمه الله. بتصرف طفيف.

وآنذاك كانت وزارة خارجية طالبان قد تسلّمت رسالة مباشرة من الأمريكان، تدل على مدى صلف واستحقار الأمريكان لطالبان. كانت الرسالة عبارة عن ورقة بيضاء عادية، بها رسالة مقتضبة تقول: "قولاً واحداً، إمّا أن تسلموا ابن لادن، وإمّا أن نضرب أفغانستان".

وكان الشيخ أسامة يرجو ويتمنى ويطلب من الإخوة أن تتأخر العمليات في نيويورك وواشنطن، حتّى تكون ردّاً ومبرراً كبيراً على ضرب أفغانستان المخطط له. وكان رد الإخوة في أمريكا، أنهم لا يستطيعون تأخير العمليات، لأن الأوضاع لا تسمح لهم بذلك، فقد يقبض عليهم لأدنى شبهة.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله - قبل العمليات بفترة وجيزة - قد اجتمع بالإخوة بمجمّع ستّة في قندهار، وحدّثهم بأنّه ستكون هناك ضربات قوية وموجعة على أمريكا، فعلى الجميع أن يتأهب ويهيئ نفسه لما هو قادم. وبالطبع كانت تفاصيل العمليات أمر في غاية السريّة، فلم يكن أحد من الإخوة - غير القلّة القليلة المشرفين على مجرياتها - يعلم شيئاً عن حجم هذه الضربات، فكانوا يتوقّعون أنّها ستكون كسابقاتها بسيارات مفخخة هنا أو هناك، لذلك كان كثير من الإخوة - من أبرزهم الشيخ مصطفى أبو اليزيد رحمه الله، والشيخ أبو حفص الموريتاني حفظه الله، وآخرون - يعارضون هذا الأمر، وكانت حجّتهم أن هذه مسألة اجتهادية، من المفترض أن يُرجع فيها إلى أمير المؤمنين، وأن العواقب ستكون وخيمة على الأفغان، لذلك يجب التأني.

وبعد أن سمع الشيخ أسامة آراء الإخوة، ألقى كلمة مؤثّرة مستشهداً بمقولة أبي بكر الصّدّيق عليه السلام (أينقص الدين وأنا حي). وفي تلك الجلسة بكى الشيخ أسامة رحمه الله، وكان يقول: "نحن خلفنا أمة تنتظرنا، ولا بد أن نفعل لها شيئاً. وقال: أمّا بالنسبة للاستئذان من أمير المؤمنين، فهو قد سمح لنا بضرب اليهود، والأمريكان هم الوجه الآخر لليهود". وقال أيضاً: "يقول العلماء، إذا رأى آحاد المسلمين فرصة لضرب العدو قبل أن يدخل بلاده أو يفوّت فرصة للمسلمين، فيضربه دون الاستئذان إن كان الاستئذان من الأمير سيؤخّره وتفوّت الفرصة عليه".

وكان الشيخ أسامة يعتقد أن أمريكا حتّمًا سيكون لها ردّة فعل تجاه هذه الضربات، وستعلن الحرب التي ربّما تستمر إلى عقدٍ أو عقدين من خلالها سيتمّ استنزاف أمريكا اقتصادياً وعسكرياً، وبعدها تخرج بفضل الله من كونها امبراطورية ودولة عظمى، ثمّ تبدأ تنحسر على نفسها.

غزوات الحادي عشر من سبتمبر، هل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح؟:

كانت أمريكا تظن أنها القارة العظيمة التي يحميها محيطان عظيمان، وأنها بوضعها الجغرافي الحصين، وقوتها العسكرية المتفردة، محمية من أي غزو خارجي، وأنها هي التي تُلحق الأذى بأراضي غيرها، بينما لا يستطيع أحد أن ينال أرضها بسوء. وقد أكدت خبرة الحربين العالميتين هذا الظن، ففيما عدا الهجوم على بيرل هاربر، فقد تمت كل المعارك الحربية الكبرى بعيدًا عن الأراضي الأمريكية. أما في الغزوات المباركات، فقد تبدد هذا الوهم، وأصبحت أمريكا في بؤرة الخطر، وأضحت كما تدين تدان⁽¹⁸⁸⁾.

يقول الشيخ أبو ياسر رفاعي طه رحمه الله: "إن كل قوي له نقاط ضعف، وكل ضعيف له نقاط قوة، وربما لو أحسن الضعفاء استثمار نقاط قوتهم، ووجهوها حيث مكامن الضعف عند الأقوياء، ربما استطاعوا أن يحققوا نصرًا محتمًا". وقال أيضًا: وبالرغم من ذلك ربما لو تحدث أحد من منفذي غزوات الحادي عشر من سبتمبر المباركة، قبل تنفيذها لأحد من أصحاب النظريات والاستراتيجيات وأولئك الذين يرون في الولايات المتحدة الأمريكية قوة لا تُقهر، ربما قابلوا محدثهم بتهكم شديد واستهجان أشد، وسارعوا باتهامه على الفور بأنه مختل عقليًا"⁽¹⁸⁹⁾.

لماذا يكرهوننا؟

سؤال طالما طرح نفسه، وردده الكثير من الأكاديميين وصانعو السياسة الغربيين على حدٍ سواء وهو: لماذا يكرهوننا؟ فهل صحيح ما يزعمه الأمريكيون أننا نحسدهم على ما أنعم الله عليهم من نعمة الحرية والعدالة والمساواة والديمقراطية و... الخ؟ يجيب على هذا التساؤل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، في رسالته الثانية الصادرة في 29 أكتوبر/ 2004 م، الموجهة إلى الشعب الأمريكي التي يقول فيها:

" سأحدثكم عن الأسباب وراء تلك الأحداث، وسأصدقكم القول باللحظات التي اتخذ فيها هذا القرار لتفكروا، فأقول لكم؛ علم الله ما خطر في بالنا ضرب الأبراج، ولكن بعدما طفح

(188) فرسان تحت راية النبي للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(189) مقال بعنوان: ضرب المدمرة كوكول الدروس والعبر للشيخ رفاعي طه.

الكيل، وشاهدنا ظلم وتعسف التحالف الأميركي الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين ولبنان فبادر إلى ذهني ذلك.

وإن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام 1982م وما تلاها من أحداث، عندما أذنت أميركا للإسرائيليين باجتياح لبنان، وساعد في ذلك الأسطول الثالث الأميركي، وبدأ القصف وقتل وجرح كثيرون وروّع وشردّ آخرون، وما زلت أتذكر تلك المشاهد المؤثرة؛ دماء وأشلاء، وأطفال ونساء صرعى في كل مكان، منازل تدمر بمن فيها، وأبراج تدك على ساكنيها، قذائف كالطرر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلًا لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح.

وكان العالم كله يسمع ويرى ولا يزيد، وفي تلك اللحظات العvisية جاشت في نفسي معان كثيرة يصعب وصفها، ولكنها انتجت شعورًا عارمًا يرفض الظلم، وولدت تصميمًا قويًا على معاقبة الظالمين. وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان، انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل، وأن ندمر أبراجًا في أميركا لتذوق بعض ما ذقنا، ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا. وعلى خلفية تلك الصور وأمثالها جاءت أحداث الحادي عشر، ردًا على تلك المظالم العظام، فهل يلام المرء في الذود عن حماه؟ وهل الدفاع عن النفس ومعاقبة الظالم بالمثل إرهابًا مذمومًا؟ فإن يكن كذلك فما لنا منه بد" (190).



مذابح الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان عام 1982م

(190) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين

وكما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء، فهذا مايكل شوير الضابط الذي عمل لمدة 22 عامًا في السي آي إيه، قبل أن يستقيل في عام 2004م، وكان رئيس (وحدة بن لادن) في مركز مكافحة الإرهاب من 1996م حتى 1999م يقول⁽¹⁹¹⁾:

" لقد كان ابن لادن دقيقًا وهو يخبر أمريكا عن الأسباب التي يشن من أجلها الحرب علينا، وليس من هذه الأسباب ما له صلة بجريتنا وتحررنا وديمقراطيتنا، ولكنها ذات علاقة وطيدة بسياسات الولايات المتحدة وأفعالها في العالم الإسلامي".



مايكل شوير - رئيس وحدة بن لادن سابقًا

وكان الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، يناقش في أفغانستان بعض الإخوة في فكرة استخدام الطائرات لضرب أمريكا في عقر دارها. وكان أخ طيار أمريكي قد أكد للشيخ أبي عبيدة، أنه جاهز لعمل عملية كبيرة داخل أمريكا، عن طريق اسقاط طائرة صغيرة في إحدى المفاعلات النووية الأمريكية⁽¹⁹²⁾. ولما هيا الله لهذا الأمر أن يكون بعد خروج الشيخ أسامة من السودان ووصوله إلى أفغانستان، تعززت الفكرة في ذهن الشيخ أسامة من جديد وأن لها أن تتحقق.

وكان الأخ أبو الحسن الصعيدي رحمه الله، قد رأى رؤيا في جلال أباد عام 1996م، وقصّها للشيخ أسامة - رحمه الله - قائلاً له: "رأيت يا شيخ أننا نلعب مباراة كرة قدم ضدّ الأمريكان،

(191) فرسان تحت راية النبي. للشيخ لدكتور أيمن الظواهري.

(192) الحرب على الإسلام. هارون فضل. بتصرف.

وأنا أحرزنا فيهم أهداف، لكن الغريب في الرؤيا أنّ فريقنا كان كلّ طيارين". فاستبشر الشيخ أسامة خيرًا بهذه الرؤية، وتعززت الفكرة أكثر بعد سقوط طائرة مصرية في أكتوبر عام 1999م⁽¹⁹³⁾ في المحيط الأطلنطي، بعد إقلاعها من أحد المطارات الأمريكية. وكان الأمريكيان قد اتهموا كابتن الطائرة ويدعى جميل البطوطي، بإسقاطها عمدًا في المحيط، فقال الشيخ أسامة: "لو كان أدخلها في أحد المباني، لكان العمل أحدث نكاية عظيمة في الأمريكيان".

وكان لخالد الشيخ مُحمَّد، بالتعاون مع ابن أخته رمزي يوسف وآخرين في فبراير من عام 1993م، محاولة لتدمير مبنى التجارة العالمي. وكانت خطّتهم هي نسف أحد البرجين التوأم، بحيث يتهاوى ويسقط على البرج الآخر، مما يسبب خسائر في الأرواح لا تقل عن ربع مليون نسمة في المجمع بكامله. ولم يشأ الله لهذه العملية أن تتحقق كما حُطّط لها، وانتقل بعد ذلك رمزي يوسف وخالد الشيخ مُحمَّد إلى مسرح آخر لتنفيذ مخطط آخر، أطلقوا عليه رمز مخطط البوجينكا⁽¹⁹⁴⁾.

كان مخطط البوجينكا عبارة عن خطة ينفذها خمسة رجال، مستخدمين قنابل دقيقة لنسف إحدى عشرة طائرة أمريكية في سماء المحيط الهادي من الممكن إن تؤدي إلى مصرع أربعة آلاف شخص، وشل حركة الطيران والسفر العالمية. كذلك كان من ضمن المخطط استئجار طائرة ركاب سيسنا، ثم الارتطام بها في مبنى السي آي أيه CIA. ومرة أخرى لم يقدر الله لهذه العمليات أن تتحقق، ففي يناير 1995م حدث خطأ قاتل أدى إلى نشوب النيران في المختبر الذي كان يعمل فيه رمزي يوسف، مما اضطره للهروب وترك شقته بما فيها من معلومات ومواد كيميائية⁽¹⁹⁵⁾.

وفي منتصف التسعينات، مرت الطائرة الهليكوبتر التي كانت تنقل المجاهد رمزي يوسف بجانب مركز التجارة العالمي، فقال عميل الـ FBI المرافق لرمزي يوسف: "يا رمزي انظر إلى أبراج مركز التجارة العالمي لم تسقط من التفجير". فقال له رمزي يوسف: "إن سقوط مركز التجارة العالمي، مسألة وقت لا أكثر". وبالفعل صدّق الله كلام رمزي يوسف، فجاءت غزوة مانهاتن، بعد خمس

(193) جدير بالذكر أن الخطوات العملية لأحداث الحادي عشر كانت قد بدأت قبل تاريخ سقوط الطائرة المصرية في المحيط.

(194) البوجينكا كلمة كرواتية تعني التفجير.

(195) رمزي يوسف عبقرى الجهاد. عبد الله ذو البجادين. بتصرّف.

سنوات فقط، جعلت الأبراج كـهـشيم محتضر. وكان المخطّط للغزوة، هو خال رمزي يوسف،
الشيخ المجاهد خالد الشيخ مُجَدّ، فكّ الله أسره⁽¹⁹⁶⁾.



المجاهد البطل رمزي يوسف الشيخ المجاهد خالد الشيخ مُجَدّ
فكّ الله أسره فكّ الله أسره

وعندما جاء الشيخ أسامة إلى أفغانستان قادماً من السودان، زاره الأخ خالد الشيخ مُجَدّ،
وتناقشا حول إمكانية استخدام الطائرات للقيام بعملية استشهادية داخل أمريكا. وكان من بين
الأهداف التي نوقشت ضرب المفاعلات النووية، غير أن هذا الأمر استبعد مبدئياً خوفاً من أن
تخرج الأمور خارج السيطرة. وعلى الفور فوضّ الشيخ أسامة الأخ خالد الشيخ مُجَدّ في أن يبدأ
بالشروع في المشروع، وكان ذلك في بدايات عام 1999م، أي قبل أكثر من عامين ونصف تقريباً
من تاريخ تنفيذ العمليات.

وفي بادئ الأمر، كان الشيخ أسامة قد اختار الأخوين الاستشهاديين نواف الحازمي (ربعة)
من بلاد الحرمين، وخالد المحضار (سنان اليمني) رحمهما الله، للذهاب إلى أمريكا لتعلم قيادة
الطائرات في المعاهد المتخصصة لذلك، ولم يخبرهم الشيخ أسامة عن طبيعة المهمة التي سيقومون
بها. واستطاع هؤلاء الإخوة الحصول على فيزا سياحية لدخول أمريكا في أبريل عام 1999م،
ومكثا هناك شهوراً طويلة بذلوا فيها قصارى جهدهم لتعلم الطيران، لكنهم لم يوفّقوا في ذلك
بسبب معاناتهم الكبيرة في تعلم اللغة الإنجليزية، وبسبب صعوبة الاندماج بصورة طبيعية في تلك
البلاد.

(196) المصدر السابق.

غير أن الله إذا أراد أمراً هياً له أسبابه، فمن بلاد شتى جمعتهم ألمانيا للدراسة، وبغير تخطيط مسبق ساقطهم مشيئة الله للسكن جميعاً في شقة واحدة في مدينة هامبرج، وعلى غير ميعاد ساق الله مروان الشحّي إلى أفغانستان أولاً؛ فجلس معه الشيخ أسامة وفتح في الأمر فوافق، وما هي إلا أسبوعين حتى لحق به - بعد التواصل معهم - رفاقه في السكن؛ مُجَّد عطا، وزياذ جراح، ورمزي بن الشيبه، وزكريا الصبّار، وسعيد بحاجي، فقد كانت نيتهم التدريب ثم التوجه للقتال في الشيشان. وكعاداته أحسن الشيخ أسامة استقباهم وأكرمهم، وكان قد ألم بكل المعلومات والمعطيات الدقيقة الخاصة بهم، مثل تحصيلهم العلمي، ومهاراتهم اللغوية، ومعرفتهم بالثقافة وأساليب الحياة الغربية، وإمكانية دخولهم إلى دول الغرب، وغيرها من المعطيات التي تؤهلهم للمشاركة في مثل هذه المهمات الخاصة.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله يتميز بفراصة حادة في الرجال، فجلس مع هؤلاء الإخوة وعرض عليهم الأمر فوافقوا. وكان الأخ رمزي بن الشيبه فك الله أسره، قد سأل الشيخ أسامة مستغرباً، كيف يعرض عليهم أمراً بهذه الخطورة؟ وهم جدد لم يمض على قدومهم سوى أيام قليلة. فقال له الشيخ أسامة رحمه الله: "أنا وقع في خلدي أنكم أنتم من ستهدمون حضارة الغرب فتوكلوا على الله".

وعلى الفور تم توجيه الإخوة مُجَّد عطا، ومروان الشحّي، وزياذ جراح للتوجه إلى أمريكا لتعلم قيادة الطائرات، فمكثوا هناك ما يربو على السنة أو يزيد، وهم يدرسون علوم الطيران ويستطلعون الأهداف. وكان آخر من انضم إليهم بعد ذلك هو هاني حنجور، فقد كان طياراً ممتازاً، وحاصلاً على دورات من قبل في الطيران، ولهذا أختير لضرب البتاجون نسبة لأن مبانيه منخفضة لا تتجاوز الأربعة طوابق. وكان من المفترض أن يكون رمزي بن الشيبه وزكريا الصبّار من ضمن الطيارين، لكنهم لم يوفقوا في الحصول على فيزا دخول لأمريكا، فاختيرا ليكونا ضمن ضباط التنسيق والاتصال المتابعين لمجريات العمليات.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله في محاضراته في المعسكر، ولقاءاته بالإخوة يشجعهم ويحثهم على أن يحدثوا أنفسهم بالعمليات الاستشهادية، وكان يسأل عن من لديه رغبة في العمل الاستشهادي، وكان بعضهم يتردد والشيخ أسامة يحثهم بقوله لهم أن هناك عمل كبير قادم بإذن الله.

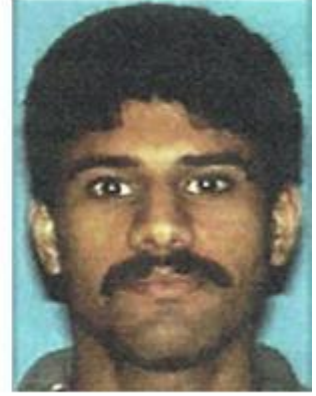
وكان الإخوة قد عقدوا دورة قوَّات خاصَّة قاسية في معسكر عيناك القريب من كابول، وكان الغرض من هذه الدورة هو إعداد الشباب الذين سيشاركون في العملية واختيارهم بناءً على مواصفات معينة بدءًا من الصبر وقوَّة التحمل، والبذل والتضحية، والخلق الكريم... الخ. وكان الشيخ أسامة يشرف بنفسه ويدقق النظر في من يقع الاختيار عليه بالمشاركة.



أبو عبد الرحمن (مُحمَّد)
عطا) رحمه الله



سنان (خالد المحضار)
رحمه الله



ربيعة (نواف الحازمي)
رحمه الله



زياد سمير جرّاح
رحمه الله



مروان يوسف مُحمَّد
الشَّحِي - رحمه الله



هاني صالح حسن حنjour
رحمه الله



سعيد بحاجي
رحمه الله



زكريا الصبّار
رحمه الله



الأخ رمزي بن الشيبة
فكّ الله أسره



أفلحت الوجوه

وكانت الرؤى حول الأحداث قد تواترت من بعض الإخوة، وكان بعضها بالتحديد قد حدد الهدف والمنفذين والقائمين على أمر العملية. فذات ليلة على مائدة العشاء في معسكر عيناك، قال أحد أفراد حراسة الشيخ أسامة موجّهاً حديثه إليه: "يا شيخ أمس رأيت رؤيا". فقال له الشيخ بشّر، وكان رحمه الله يحب سماع الرؤى. فقال الأخ: "رأيت يا شيخ عمارتين طوال في أمريكا، على سطح إحداها مختار (خالد الشيخ مُحمّد) يدرّب الإخوة العُمّيدة كاراتيه، وكانوا على سطح العمارة الأخرى" - وبالفعل كان أفراد المجموعة التي تم اختيارها وعزلها بعد ذلك معروفين بين الإخوة بالعُمّيدة، لأنهم من قبيلة غامد، وكانوا يتدربون في المعسكر في دورة القوات الخاصة

تلك - فالتفت الشيخ أسامة إلى الشيخ أبي حفص وسأله إن كان لديه تأويل، فالتفت الشيخ أبو حفص إلى الأخ وقال له: "يبدو أنك في العشاء أمس، قد أكثرت من أكل الفول". وكان الشيخ أبو حفص رحمه الله، يقصد من هذه الإجابة الدبلوماسية أن يغيّر الموضوع، فقد كشفت الرؤيا التفاصيل الدقيقة للعملية. وكان الشيخ أسامة إذا جاءه أحد من الإخوة يقص عليه رؤيا من العيار الثقيل كهذه يقول له: "بالأمر لا تحكي هذه الرؤيا لأحد". وكان رحمه الله يقول: "كادت الرؤى أن تفضح العمل".

وبعد أن تمّ اختيار المجموعة التي ستشارك في العملية وكانوا من خيرة شباب بلاد الحرمين، تمّ توجيههم للسفر إلى بلادهم لأخذ تأشيرة دخول للولايات المتحدة، ولمزيد من التمويه كان على هؤلاء الإخوة أن يأخذوا بجانب تأشيرة أمريكا تأشيرة دخول لبلدٍ آخر، وبفضل الله نجح أغلبهم في ذلك، ولم يكتب الله عزّ وجلّ هذا الفضل لآخرين. وعند عودتهم إلى أفغانستان، أمر الشيخ أسامة - قبل أشهرٍ قليلة من سفرهم إلى أمريكا - بعزّهم في أحد البيوت، وبدأوا تدريجاً على أعمال القتال القريب واستخدام الأسلحة البيضاء، وأشرف على تدريبهم الأخ أبو تراب الأردني رحمه الله. كما أخذوا دورات في التنفيذ، وإعادة التدريب، ومراجعة للمسدسات استعداداً للعملية، كما أخذوا دورات في محاكاة قيادة الطائرة (سمليتور) والأجهزة بها، وكيفية عملها تحسباً لأي ظرف. وبالرغم من أن هؤلاء الإخوة كانوا يعلمون أنهم ذاهبون إلى عملية استشهادية كبيرة داخل أمريكا، إلّا أنه لم يكن لديهم أدنى علمٍ بتفاصيلها.

وكان مُجدّ عطا قد أُختير ليكون قائد العملية فطلب - رحمه الله - من القيادة أن تقوم بتحديد عدد من الأهداف الأمريكية اليهودية تحت رمزيات محددة - السلطة التشريعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية - وطلب أن يُترك اختيار الأهداف النهائية بعد ذلك له. واختار مُجدّ عطا الأهداف، مراعيًا بأن تسمح النواحي الفنية للطيران بضررها والوصول لها بدقة، وتُرك له تحديد الوقت المناسب لنجاح العملية. وتم اختيار الأهداف الأربعة، التي تحمل في طياتها الهوية اليهودية. فمركز التجارة، أكبر المؤسسات المالية التي يسيطر بها اليهود على العالم، حيث يحتوي على أرقى الكوادر المالية التي تدير من خلاله سياسات العالم المالية، وهو رمز الاقتصاد الأمريكي بل والعالمي. أما البنتاجون رمز القوة والحصن الحصين، فهو المؤسسة العسكرية العملاقة التي تدعم اليهود ليل نهار، مسجلة لهم تفوقاً عسكرياً على كل الجيوش العربية مجتمعة. أما الكونغرس فهو

يمثل الرمز السياسي في العملية، ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبه في دعم اليهود، بدءًا بقراره المشئوم بالموافقة على وعد بلفور عام 1922م، كذلك كل القرارات التي تخرج منه تصب في صالح اليهود، فهو المؤسسة التشريعية التي تمنح وتمنع وتؤيد وترفض وتصدر القرارات والسياسات التي تُستعبد بها شعوبنا الإسلامية⁽¹⁹⁷⁾.

وكانت الخطة أن يضرب مُحمَّد عطا ومروان الشَّحِّي برجي مركز التجارة العالمي، وزياد جراح مهمته ضرب مبنى الكونجرس، أما هاني حنجور فقد اختير لمهارته وبراعته في الطيران، لدك أركان البنتاجون، وبفضل الله وتوفيقه تحقق المراد وجاءت الطعنة النجلاء في كبد أمريكا، وأصبح الأمر تاريخيًا⁽¹⁹⁸⁾.

وكان تخطيط الإخوة هو اختيار طائرات تقلع في وقت متقارب، حتى لا تُحذَّر بقية الطائرات إذا نجح اختطاف طائرة أو أكثر، وبالفعل كانت طائرة المجموعة الرابعة قد حُذِّرت الساعة 9,24 صباحًا من أي تدخل في قمرة القيادة، لأن هناك طائرتين ارتطمتا بمركز التجارة العالمية في نيويورك ولكن لم يفدها التحذير بشيء⁽¹⁹⁹⁾.

كذلك كان الإخوة قد حجزوا مقاعدهم في الدرجة الأولى في الطائرات حتى يكونوا قريبين من قمرة القيادة، وخططوا بأن أفضل وقت لاقتحام قمرة القيادة يكون ما بين 10 إلى 15 دقيقة من إقلاع الطائرة حينما تُفتح أبواب قمرة القيادة لأول مرة. كذلك درس الإخوة جيدًا أنظمة الأمن في الطيران الأمريكي، فقد كان لا يمنع حمل المدى الأقل من أربع بوصات داخل الطائرات. وكان الإخوة قد تدربوا على استخدام ذلك النوع من المدى، وعلى ذبح الخراف ونحر الجمال بها على يد الأخ أبو تراب الأردني رحمه الله. أيضًا اختار الإخوة الطائرات البوينج 767 العابرة لقارة أمريكا من شرقها إلى غربها، لأنها تحمل مخزونًا أكبر من الوقود، ولم يختاروا طائرات الأيربص، لأن بها طيارًا آليًا يمنعها من الارتطام بالأرض.

(197) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. رحمه الله. بتصرّف.

(198) الله أكبر خربت أمريكا. فارس الزهراني. رحمه الله. بتصرّف.

(199) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

وشيئاً فشيئاً كمل الأمر، وأصبح الطيارون جاهزين للعمل، وتم ترتيب سفر الإخوة ليبدأ بذلك العد التنازلي للعملية التي غيّرت وجه التاريخ. وهذه المناسبة قال الشيخ أسامة في لقاءه بالمجاهدين في معسكر الفاروق قبيل الغزوتين:

"بشرناكم بفضل الله سبحانه وتعالى منذ أسابيع، بأن إخواناً لكم قد خرجوا يحملون رؤوسهم على أكفهم، يبتغون الموت مظانّة من أجل رضوان الله سبحانه وتعالى، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم، وأن يسدد رميهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه".

ومع نهاية شهر أغسطس، بدأ المجاهدون في أفغانستان ترتيباتهم الأمنية، استعداداً لسماع خبر الهجوم الذي بات وشيكاً. فقد تتابع وصول الإخوة المنسقين، المتابعين لمجريات سير العملية، وهذا معناه قرب وقوع الهجوم.

عصابتين بعدها شُرطة، كحكاية منها عصاية مدّلاية، يعني أيّه؟:

كان هذا هو اللغز الذي غير مجرى التاريخ، وهو الشفرة التي أبلغها مُحمّد عطا في مكالمته هاتفية لرمزي بن الشيبه في ألمانيا، محدّداً فيها ساعة الصفر للغزوات المباركات؛ فالعصابتين هما 11، والشُرطة هي الفاصلة، والكعكة بعصاية مدّلاية هي رقم 9، فتكتمل الصورة 9/11. ولم يكن الشيخ أسامة نفسه يعلم بالتحديد ذلك التاريخ، حتى طار إليه ابن الشيبه راجعاً إلى أفغانستان يوم الخميس 9/6 أي قبل خمسة أيام فقط من العمليات⁽²⁰⁰⁾.

وكان الشيخ أسامة في ذلك اليوم (الجمعة) متواجداً في معسكر الفاروق بھلمند، عندما جاء رمزي بن الشيبه، وخالد الشيخ مُحمّد وزكريا الصبّار، واستفردوا به ليبلغوه ويشرحوه بأن ساعة الصفر هي يوم الثلاثاء القادم 9/11. بعدها قرر الشيخ أسامة الرجوع سريعاً إلى قندهار، وبات فيها ليلة، ثم غادر في اليوم التالي إلى كابول، وكان بصحبته الشيخ أبو حفص الكمندان، والشيخ الدكتور أيمن الظواهري والشيخ سليمان أبو الغيث، فك الله أسرهم، والشيخ يوسف حمدان رحمه

(200) غزوة منهاتن الجهادية لحظة بلحظة . يسري فودة. بتصرّف.

الله⁽²⁰¹⁾. وفي كابل مكث الشيخ أسامة يومًا واحدًا، ثم تحرك بعدها إلى شعب تورغر المجاور لجلال آباد.

وقبل الخوض في تفاصيل أحداث ذلك اليوم المجيد، جدير بنا أن نعود عامًا إلى الوراء، إلى تلك الجلسة الإيمانية الرائعة في نفس الشعب، عندما لجأ إليه الشيخ أسامة بعد عملية ضرب المدمرة كول؛ فذات يوم بعد العصر كنا جلوسًا مع الشيخ أسامة على رمال ذلك الشعب نتناول الشاي، ونستمع إلى أحاديثه الإيمانية الشيّقة، التي يأسر منطقها العقول وحلاوتها وحسنها القلوب. وبعد انتهاء الشيخ من حديثه التفت إلينا قائلاً: "الضربات القادمة بإذن الله ستكون أكبر من كول بألف مرة".

كان ذلك الخبر مفاجأة صاعقة نزلت على مسامعنا وعلى إثرها خيم الصمت والوجوم والدهشة علينا جميعًا، إذ لم يكن أحدنا يتوقع أو يتخيل أن القاعدة لها المقدرة على أن تضرب ضربات بهذا الحجم. ولا شك أن كل واحد منا كان قد أفلت لخياله العنان، محاولاً رسم صورة ما لهذه الضربات وسأل نفسه هذا السؤال: إذا كانت كول قد استهدفت بطنين من المتفجرات، فهل من المعقول أن تكون القوة التدميرية لهذه الضربات القادمة 2000 طن من المتفجرات؟ أما أنا فقلت في نفسي مستحيل!! اللهم إلا أن تكون ضربة غير تقليدية بأسلحة دمار شامل. كيف؟ الله أعلم.

وبالفعل كانت الضربات بنوع جديد من أسلحة الدمار الشامل التي لم تدر في خيال أحدٍ من كتاب أفلام الخيال الهوليوذيّة، ناهيك أن يتخيلها أحدٌ من عوام الناس. ففي ذلك اليوم المبارك، كان الشيخ أسامة رحمه الله ممسكًا بجهاز الراديو يكاد لا يفارق أذنه. وكان أمين سرّه الشيخ بصير رحمه الله، قد أخبر أفراد الحراسة - نقلًا عن الشيخ أسامة - بأن يتابعوا الأخبار ذلك اليوم، وأن هناك جائزة ألف دولار لمن يبشّر الشيخ بخبر سار. كانت الجائزة مغرية، فأسرع بعض الإخوة يتابعون نشرات الأخبار على أجهزة الراديو، عسى أن يبشّروا الشيخ أسامة بما يسرّه ويفوزوا بالجائزة.

(201) كان أيام الجهاد الأول في أفغانستان مديراً لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في بيشاور، وكان له نشاط فاعل في خدمة الجهاد والمجاهدين، ونفر قبيل الأحداث إلى أفغانستان، وبايع الشيخ أسامة، وكان الشيخ أسامة قد عينه متحدّثاً رسمياً لتنظيم القاعدة، توفي رحمه الله تحت التعذيب في سجون آل سعود.

كان الوقت عصراً في ذلك اليوم التاريخي المبارك؛ الثلاثاء 11\9\2001م. كنت مشغولاً بغسل أواني الغداء تلك اللحظة التي سمعت فيها إطلاق نار قريب، فالتفت إلى حيث يجلس الشيخ أسامة والدكتور أيمن والشيخ أبو حفص الكمندان والشيخ سليمان أبو الغيث، ورأيت الشيخ أسامة ممسكاً بسلاحه يطلق النار. تركت ما بيدي وركضت مسرعاً إلى مكانهم، وتجمع بقية الإخوة حيث علمنا الخبر؛ طائرة ركاب تحترق البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي. ارتج الشعب بأصوات التكبير، وأطلق كل الإخوة زخات من رصاص أسلحتهم فرحاً وابتهاجاً، وسجدوا لله شكرًا أن وفق إخوانهم لهذا العمل العظيم، سائلين الله لهم القبول. طلب الشيخ أسامة من الجميع الصمت ليستمع إلى الأخبار، وأن يكثروا من الدعاء بأن يوفق الله إخواننا، لأنه ما زالت هناك ثلاث طائرات أخرى من المفترض أن تكون في الجو، ولا يفصل بينها وبين الوصول إلى أهدافها إلا دقائق معدودات. الله أكبر! ما زالت هناك ثلاث طائرات أخرى من المفترض أن تكون في الجو، تتم أكثرنا غير مصدق لما سمع، فهل من المعقول أن يكون الإخوة قد نجحوا في اختطاف أربع طائرات في وقت متزامن من داخل المطارات الأمريكية؟ كان ذلك الكلام مفاجأة صاعقة لنا جميعاً، لكنه لم يكن كذلك مع الشيخ أسامة.

وكان الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص كما سبق ذكره - بعد قدوم ابن الشبية في 6/9- على علم بتاريخ تنفيذ العمليات في ذلك اليوم المبارك، لكن كيف سارت الأمور بعد ذلك مع الإخوة المنفذين في ذلك اليوم؟ هل جرت على أكمل وجه أم صادفتهم عقبات أثرت على سير العمليات؟ هل حدث في المطار أمرٌ مكروه لأيٍّ أحدٍ من الإخوة أثناء الإجراءات الأمنية للرحلة؟ هل استطاعت كل مجموعات الخاطفين الصعود إلى الطائرات بسلام؟ هل أفلعت الطائرات في الوقت المحدد لها لتتزامن عمليات الاختطاف جميعاً في وقتٍ واحد؟ هل نجحت كل المجموعات في تنفيذ عملية الاختطاف داخل الطائرات كما خطط لها؟ هل وهل وهل؟ أسئلة كثيرة لا شك أنها كانت تدور في أذهان الشيخين لم يكن لها إجابات محددة نسبة لانقطاع حلقة الوصل في الأيام الأخيرة بين المنفذين والمنسقين بعد رجوعهم إلى أفغانستان، لكن هذا ما كانت ستجيب عليه الدقائق القادمة لمجريات الأحداث.

وبالفعل صار الإخوة يدعون ويتضرعون إلى الله من أعماق قلوبهم، بأن يوفق إخوانهم ويسدد رميهم. وكانت الدقائق تمر كأنها دهر، فقد كان الجميع ملتقّين حول الشيخ أسامة، يستمعون إلى

ذلك المذيع من إذاعة صوت أميركا الذي كان ينقل الحدث بنبرة خوف متقطعة بين حين وآخر من هول المشهد الذي يراه، حيث النيران والدخان، والخوف والرعب الذي خيم على وجوه الناس، ومشاهد أولئك الذين اتخذوا أسوأ قرارٍ في حياتهم، حيث كانوا يلقون بأنفسهم إلى الأرض، مفضلين تلك الصناعة من الموت على أن يموتوا حرقًا. ولم يكن الشيخ أسامة قلقًا على سير العمليات، فقد كان يحسن الظن بالله على نجاحها، لكنه كان متحرِّقًا ومتشوقًا لمعرفة مصير باقي الطائرات.

وفجأة قطع حبال الصمت صوت ذلك المذيع صارخًا: "يا إلهي، طائرة أخرى اصطدمت بالبرج الجنوبي لمركز التجارة". ومرة أخرى ارتجّ الشعب بالتكبيرات ونغمات الرصاص، ثم خيم الصمت المكان إلا من صوت المذيع المرتعش، وتمتعات الإخوة بألستهم التي كانت تلهج بالدعاء والضراعة إلى الله بأن يسدد رمية بقيّة إخوانهم. ومرة أخرى صاح المذيع، لكن هذه المرة جاء صياحه وكأنه غير مصدّق لما يرى، فقد دكّت طائرة ثالثة مباني البنتاجون في العاصمة واشنطن، وبعدها بأقل من نصف ساعة طائرة رابعة أسقطت⁽²⁰²⁾ في بنسلفانيا، قبل أن تصل لتدك هدفها في مبنى الكونجرس.

تنفس الشيخ أسامة الصعداء وحمد الله كثيرًا وأثنى عليه، فقد أنجزت المهمة بعد توفيقه سبحانه وتعالى لإخواننا على أكمل وجه. ثم ما لبث المذيع أن صاح قائلاً: "يا إلهي لا أصدق ما أرى، البرج الجنوبي ينهار إلى ركام"، ثم بعده بنصف ساعة ينهار البرج الشمالي كتوأمه إلى تراب، ليتسبب حطامهما في انهيار أربعة مباني أخرى تابعة لمركز التجارة العالمي، منها فندق ماريوت ذو الإثنتين وعشرون طابقًا، والمبنى 7 ذو السبعة وأربعين طابقًا، كما تضررت أضرارًا بليغة عشرة مبانٍ أخرى محيطة بمجمع مركز التجارة. وكانت التقديرات الأولية لأرقام القتلى التي تناقلتها وكالات الأنباء ذلك اليوم، تقدّر بعشرات الآلاف.

كان جميع الإخوة في فرحة غامرة لا توصف، فهنّأوا بعضهم بعضًا، وعانقوا الشيخ أسامة وبقيّة المشايخ وقبلوا رؤوسهم. فلأول مرة في تاريخها تتعرض أميركا لهذه الصفعة التي مرّغت كبرياءها وعزّها بالتراب. ضربة بهذا الحجم، وصفها المراقبون بأنها فاقت هجوم اليابان لميناء بل هاربور. تسعة

(202) جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن كان قد اعترف في كتابه Decision Points أنه أمر بإسقاط الطائرة الرابعة، وليس صحيحًا ما تناولته الوثائق بأن الركاب هم الذين اشتبكوا مع الإخوة الخاطفين في محاولة للسيطرة على الطائرة.

عشر رجلاً من أبطال الإسلام، يختطفون أربع طائرات في وقت متزامن داخل الأراضي الأمريكية، ليدكوا بها رمز عزتها وكبرياءها وقوتها الاقتصادية والعسكرية. تسعة عشر شاباً يافعاً - طُلاب ثانويات كما كان يحلو للشيخ أسامة أن يسميهم - يصنعون حدثاً يغيّر مجرى التاريخ، ويحيلون الحلم الأمريكي، الذي طالما تغنى به قادتها إلى مزبلة التاريخ. تسعة عشر رجلاً يقولون لأمریکا: ها هي رسالتنا إليك، نخطُّها بدمائنا وأشلاننا، ثأراً لمقدساتنا التي انتهكت، ودماء إخواننا التي سفكت، وثروات أمتنا التي سلبت. ها هو حصاد سياستك الظالمة تجاه قضايا أمتنا المسلمة، تارةً باسم الحرية وإعادة الأمل وتارةً باسم مكافحة الإرهاب. ها هو ثمن دعمك عسكرياً واقتصادياً لليهود، أعدى أعداء أمتنا، المحتلين لمقدساتنا وأولى قبلتنا، تدفعينه اليوم دمًا ورعبًا ودمارًا.

وفي مساء ذلك اليوم جاء خالد الشيخ محمد ورمزي ابن الشيبة وخلّاد بن عتش إلى الشعب، فاستقبلهم الإخوة بالأعناق والأحضان مهتئين ومباركين لهم نجاح العمليات، وسائلين الله لهم أن تكون في موازين حسناتهم. وكان هؤلاء الإخوة قد أحضروا معهم جهاز تلفاز ومولد كهربائي صغير، وتسجيلًا كاملاً لمجريات الأحداث من الفضائيات. وكم كانت الدقائق - حتى يتم تجهيز وتشغيل جهاز التلفاز لعرض مقاطع الأحداث - تمرّ ثقيلة كأنها دهر من الزمان، فقد كان الإخوة في شوق ولهفة بالغة لرؤية تلك المشاهد والأحداث التي تشفي الصدور وتذهب غيظ القلوب، والتي عبّر عنها الكثيرون بقولهم أنها غيّرت مجرى التاريخ.

ولعله في تلك اللحظات أيضاً قد طافت بمخيّلة الشيخ أسامة تلك المشاهد المأساوية لمآسي المسلمين - التي أثرت كما قال رحمه الله بشكل مباشر في نفسه وكانت الدافع الرئيسي لهذه الأحداث - في فلسطين ولبنان، والتي عبّر عنها بقوله: دماء وأشلاء، وأطفال ونساء صرعى في كل مكان، منازل تدمر بمن فيها، وأبراج تدك على ساكنيها، قذائف كالطر تصب على ديارنا بلا رحمة، وكان الحال كتمساح التقم طفلاً لا حول له ولا قوة إلا الصراخ، فهل يفهم التمساح حواراً بغير سلاح. وكأنه رحمه الله يقول لأمریکا: إن ما تذوقينه اليوم، هو ثمن يسيرٌ لسياساتك الظالمة التي تجرّعتها أمتنا منذ عشرات السنين، فمن يزرع الشوك لا يجني به العنب، ومن العدل المعاملة بالمثل والبادئ أظلم.

وفي صباح اليوم التالي للعمليات، وقبل أن يغادر الجميع المكان، أرسل الشيخ أسامة لأمریکا أقوى رسائله، وهي قسمه المشهور بقوله: "وأما أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة:

أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا، بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد صلي الله عليه وسلم، والله أكبر والعزة للإسلام".

وفي ذات الخطاب، وجه الشيخ أسامة رسالة مهمة للأمة المسلمة، يحرضها على نصره الدين، مستبقاً بذلك ما ذكره الرئيس الأمريكي بوش في خطابه: بأن على الجميع أن يحددوا موقفهم، فإما أن يكونوا معه في حربه الصليبية، أو يكونوا مع الإرهابيين. فقال الشيخ أسامة رحمه الله: "إن هذه الأحداث، قد قسّمت العالم بأسره إلى فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط كفر أعاذنا الله منه، وينبغي على كل مسلم أن يهب لنصره دينه، وقد هبت رياح الإيمان ورياح التغيير، لإزالة الباطل من جزيرة محمد صلي الله عليه وسلم".

نعم سيظل صدى هذه الكلمات دوماً يتردد في أذهان وأفكار الرجال، وكل من في قلبه مثقال ذرة من عزة وكرامة وغيرة، بأن الجواب أيها الأمريكان ما ترون لا ما تسمعون. سيظل هذا القسم بمثابة الدافع والمحّز للأجيال القادمة، بأن لا يقر لها قرار، ولا يهدأ لها بال، حتى تجبر عملياتها الجهادية أمريكا على تغيير سياساتها الظالمة نحو أمتنا، وحتى يخرج آخر جندي لها من بلاد المسلمين.

وبعد أن فرغ الشيخ أسامة من ذلك الخطاب التاريخي توجّه الجميع إلى كابول، وهناك في المضافة استقبلته جموع الشباب استقبال الفاتحين، مهنئةً ومباركةً لهذه العمليات التي فاقت كل تصوّر، فجاء الكثير من الأخوة الذين لم تكن في أعناقهم بيعة لبياعوا الشيخ أسامة، فقد أيقنوا أنهم الآن أمام مرحلة جديدة من الصراع، لا بد أن تتكاتف فيها كل الجهود لمواجهة التحديات القادمة. فالجميع الآن على مركب واحد، وسيواجهون معركة مصيرية واحدة مع هبل العصر أمريكا، ولا بد أن تتولى قيادتها قيادة رشيدة، خيرة بمفاصل الصراع.

يقول الشيخ أبو مصعب السوري فك الله أسره:

" لقد أحسن الشيخ أسامة اختيار طبيعة المعركة وتحديد العدو، فقد وُفق - بحسب رأيي - لاختيار مفتاح الصراع والمواجهة، كما أحسن القائمون على تنفيذ هجمات سبتمبر صناعة

صاعق الانفجار، وابتدأوا المعركة بهجوم ظافر كبد العدو خسائر فادحة، وجعل المسلمين يتدثون المبادرة المذهلة"⁽²⁰³⁾.



رمزي بن الشبية



وليد بن عتش (خلاد)



خالد الشيخ محمد



مصطفى هوساوي

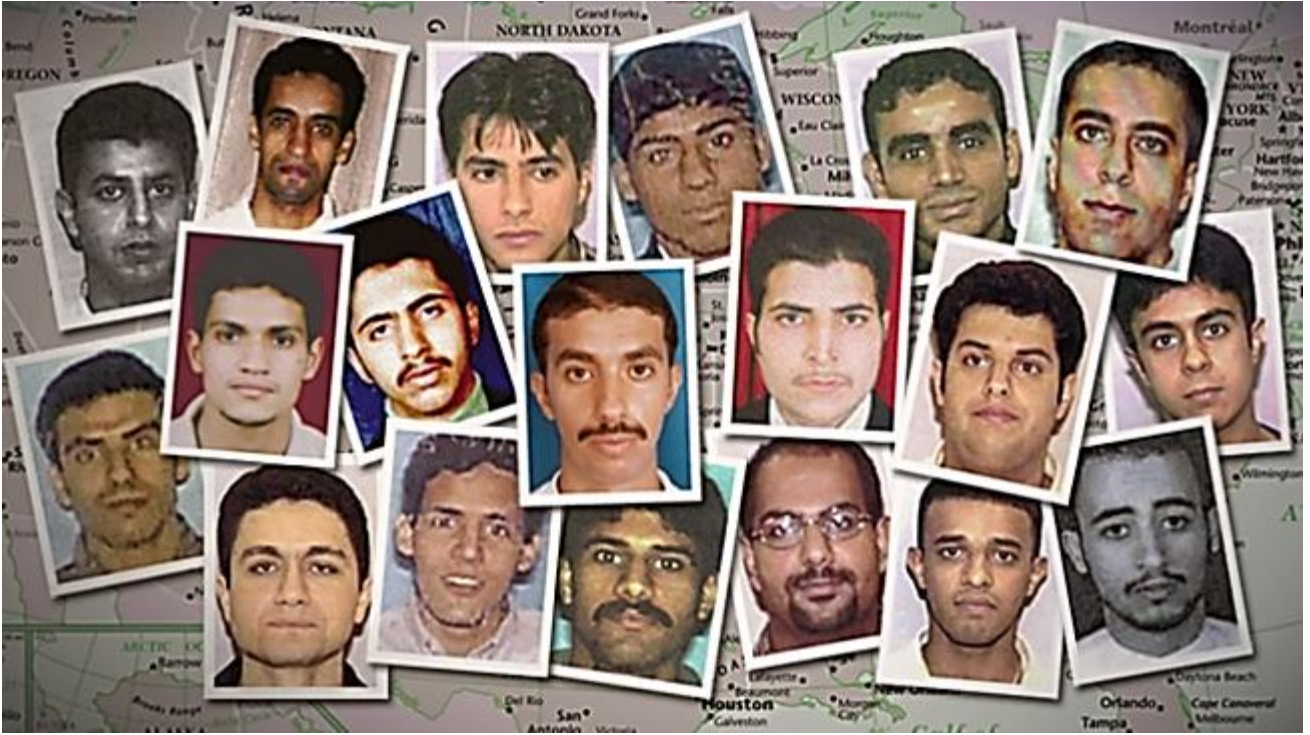


عمار البلوشي (علي)

عبد العزيز علي

الرجال الذين أشرفوا على غزوات الحادي عشر من سبتمبر

(203) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (بتصرف):



الرجال الذين غيروا مجرى التاريخ



هل يفهم التمساح حوارًا بغير سلاح؟



لو أنّ رسائلنا إليكم تحملها الكلمات لما حملناها إليكم بالطائرات



صناعة الموت؛ هؤلاء أخذوا أسوأ قرارٍ في حياتهم



إن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل



لماذا تتكتم الحكومات الأمريكية المتعاقبة عن الأرقام الحقيقية للهلكى في هذه المكاتب؟



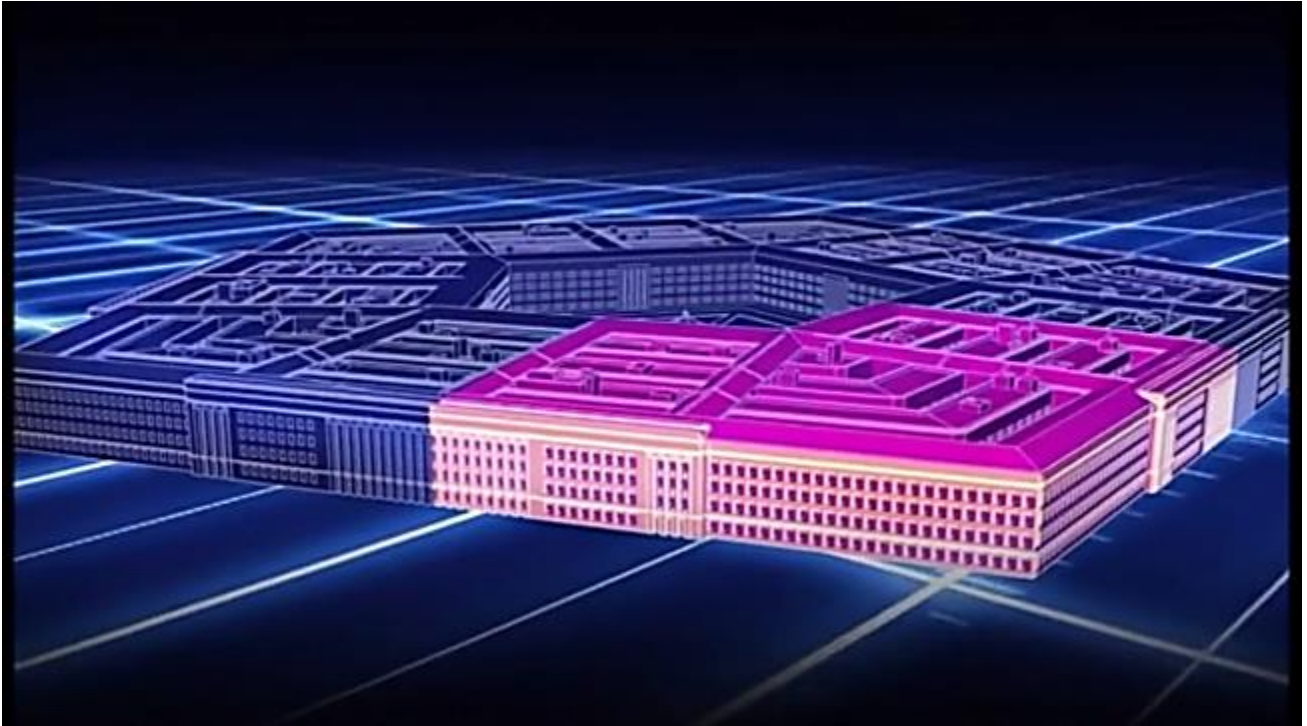
لقطة أخرى من الخلف - يا ترى كم من علجٍ تفحّم في هذه المكاتب؟؟



حطام الطائرة الرابعة، أصبحت أثرًا بعد عينٍ بعد أن أمر الرئيس الأمريكي بوش بقصفها

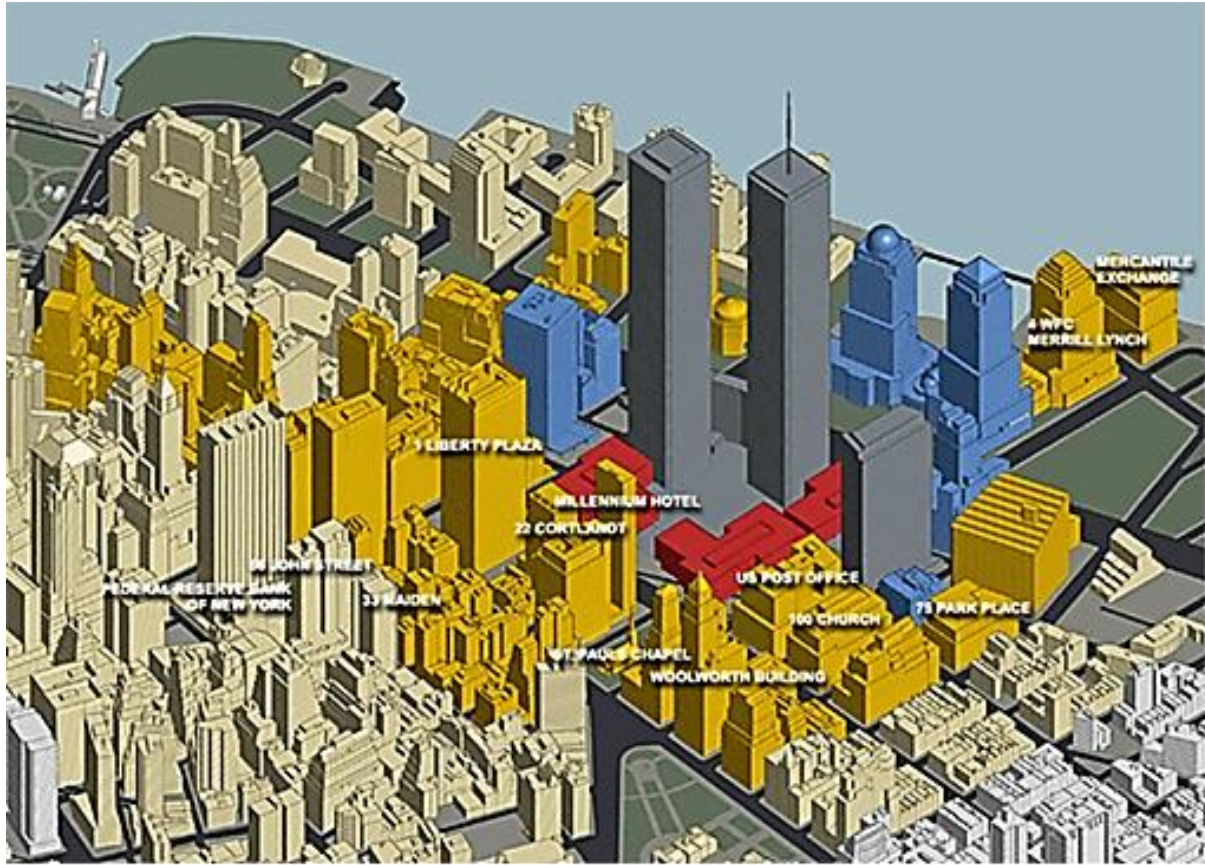


متحف صور الهلكى في غزوات الحادي عشر



لقطة توضح حجم الدمار الذي لحق بمباني البنتاجون مأخوذة من الفيلم الوثائقي

The Pentagon and the U. S. Department of Defense



[الرمادي؛ مدمر / والأحمر؛ مهدد بالانهيار/ والأزرق؛ ضرر رئيس / والأصفر؛ متضرر ولكن في حالة مستقرة / والبيج؛ بحاجة تنظيف].

وكما أسلفنا من قبل، كان بعض الإخوة قبل أحداث الحادي عشر قد اختلف مع الشيخ أسامة - رحمه الله - على خلفية إصراره على تصعيد المواجهة مع أمريكا، ومن هؤلاء كان المسئول عن اللجنة الشرعية في الجماعة الشيخ أبي حفص الموريتاني حفظه الله. وبالرغم من أن الشيخ أبي حفص كان قد قدم استقالته من جماعة القاعدة إلا أنه لما علم بحجم الضربات، امتدحها بقصيدة رائعة قال فيها:

ففتككم في الكفر لم ير مثله
ولا زال مصعوقًا بها مترنحًا
من السكر ما تأتي به الخمر غالبًا
فلله عزم من أولى العزم صادق
ولله ضرب لم ترى البيض مثله
ولا فعلة في الكفر كانت كفعله
نطحتم بعزم هامة الكفر نطحة
فخرت قلاع الكفر للأرض بعدما
فقامت من الهول الرهيب قيامة
وأضحى حمى الأعداء للنار مرتعًا
ففروا فرارًا يمحون كأنهم
فأدرتكم ثأرًا من الكفر ضائعًا
فأنهلتهم منه الردى ثم فارتوى
شفيتهم صدورًا ملؤها الغيظ قبلكم
وأيقظتم التاريخ بعد سباته

وما فاق حتى الآن من هولها الكفر
كأن به سكرًا وليس به سكر
ومنه الذي يأتي به الذعر لا الخمر
ولله صبر ما رأى مثله الصبر
ولا سمعت عنه الرديئة السمر
ولا فتكة فيه عوان ولا بكر
تهشم منها الرأس وانقصم الظهر
تبخر منه الشطر واشتعل الشطر
تخيّر في أوصافها الفكر والشعر
وكان حمى حظرًا وما نفع الحظر
من الذعر فئرانًا تملكها الذعر
بثأر كهذا الثأر فليدرك الثأر
وعمل ولم يعجله من عله الصدر
ألا بعد طول الغيظ قد شفي الصدر
فقد نهضت حطين واستيقظت بدر

نتائج التحقيقات الأمريكية حول العمليات:

كانت السلطات الاميركية قد قامت بتحقيقات موسعة، كان العالم كله مسرحًا لها، شملت كل الاشياء التي يمكن فحصها، ابتداءً من الكهوف في أفغانستان، الى بطاقات الائتمان التي استخدمها التسعة عشر، أملاً منها في أن تحصل على تفسير للكيفية التي قام بها الخاطفون التسعة عشر، بتنفيذ مشروعهم في هجمات 11 سبتمبر. وبعد سبعة أشهر من الأحداث، لم تسفر تلك التحقيقات عن أية نتائج ملموسة وأدلة دامغة حول كيفية تنفيذ الهجمات. وصرح المسؤولون الأمريكيون، أنهم ربما لن يعرفوا مطلقًا بعضًا من أهم التفاصيل التي انطوى عليها الهجوم.

وقال آنذاك مدير مكتب المباحث الفدرالي الأمريكي [FBI] روبرت مولر في خطاب له:

" لم يترك الخاطفون أي دليل مكتوب، وفي كل تحقيقاتنا لم نعثر على ورقة واحدة، سواء هنا في الولايات المتحدة أو في أفغانستان، نتحدث عن أية جزئية من مخطط 11 سبتمبر". وقال

مولر: "إن هجمات 11 سبتمبر، ربما كانت الاستعدادات جارية لتنفيذها لمدة خمس سنوات، وأن الخاطفين اعتمدوا على التخطيط التفصيلي الدقيق، والسرية المطلقة، والإلمام الواسع بالكيفية التي يعمل بها النظام الأميركي في إخفاء مخططهم، بعد أن دخلوا الى الولايات المتحدة عن طريق تأشيرات دخول صحيحة وقانونية من الشرق الأوسط. ولم يعثر المحققون على كومبيوترات أو كومبيوترات منقولة، أو اقراص مدمجة استخدمها الخاطفون في التحضير لهجومهم. بل اعتمد هؤلاء الخاطفون في تأمين اتصالاتهم على استخدام مئات الهواتف العامة والجوالات والبطاقات المسبقة الدفع، التي تصعب تمامًا متابعتها. وكانوا في تحويلاتهم البرقية من أجل تمويل الهجمات، يحولون مبالغ ضئيلة، متفادين المعاملات المالية الضخمة التي تسجل في التقارير المالية الحكومية"، وأضاف مولر: "فعل الخاطفون كل ما يستطيعون ليقفوا بعيداً عن شاشات رادارتنا".

وكانت هذه الملاحظات التي أدلى بها مولر، هي أشمل تقييم صدر عن التحقيقات، كما يعتبر اعترافه هذا خير شاهد على البراعة التي نفذت بها القاعدة - بفضل الله وحده - عملياتها، كما يشير إلى مقدرتها على المحافظة التامة على سرية هذه العمليات. ويقول المسؤولون: إن هناك صعوبات مماثلة في اكتشاف ما إذا كان هناك هجوم جديد، ومدى استعدادهم لصد مثل هذا الهجوم⁽²⁰⁴⁾.

رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

وعن رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يقول الكاتب سيف الدين الأنصاري في مقال له بعنوان "غزوة نيويورك وواشنطن قراءة تأصيلية":

"أجمع الجميع وبلا استثناء، أن غزوات الحادي عشر من سبتمبر كانت نوعية إلى حدٍ لا مثيل له في التاريخ الحديث، ويرى المفكرون أنها بهذه الطريقة في التنفيذ، تكون قد حملت رسائل كثيرة فضّل أصحابها أن تسطر بالمداد الأحمر، ليكون من الصعب جداً محوها من ورقة التاريخ. ومن هذه الرسائل:

أولاً: إن الغزوة - بما تمتعت به من النوعية في الأداء - تقول للعالم أجمع، إن حركة الجهاد قادرة على الفعل، وباستطاعتها صناعة الحدث، الذي يصل في فعاليته إلى التأثير على مجريات

(204) مقال بعنوان: كفاءة منفذي هجمات 11 سبتمبر في إخفاء تحضيراتهم تثير القلق. أرشيف البتار.

الحياة، ويفرض على العالم إعادة تشكيل الخريطة من جديد، في إشارة واضحة إلى أن المجاهدين - بما يملكونه من الكفاءة والأمانة - هم الرقم الصعب، في معادلة الصراع القائم بين الأمة وأعدائها في الداخل والخارج.

ثانيًا: إن الغزوة - بما تمتعت به من النوعية في الأداء - تدعو الجميع إلى نحو تلك الصورة المشوهة التي حرص الأعداء على رسمها للمجاهدين، وأنهم مجموعة من البسطاء. فقد ظهر للعالم أجمع أنها صورة مكذوبة، روجتها الأداة الإعلامية المعادية لتحقيق أغراض خبيثة وأهداف قذرة، كان أهمها خلق حاجز نفسي بين الأمة الإسلامية وطلائعها المجاهدة للإبقاء على حالة الاستسلام والتبعية. وإذا كانت الحركة الجهادية قد أبانت عن قدراتها المتميزة، عندما هدمت ما كان يعرف بـ "الاتحاد السوفيتي"، فإنها بغزوة الثلاثاء، تكون قد رسخت هذه الحقيقة بما لا يترك مجالاً للتحفظ، ودلت على أنها تملك ما يجعلها أهلاً لأن تنال ثقة الأمة في قدرتها على القيادة.

ثالثًا: إن الغزوة - بما تمتعت به من النوعية في الأداء - تكون قد بشرت بجيل جديد من المجاهدين، لعل أخص ما يميزه، هو أنه رغم الثبات على المبادئ التي سار عليها الأولون، فإنه لا يألو جهداً في الاستفادة من الأدوات التي يتيحها الواقع، ولا يتوانى عن تفعيل كل ما هو شرعي من الأساليب والوسائل التي تتعدد وتتغير بتجدد حركة التطور، مستنداً في ذلك إلى رصيد كبير من الخبرات المتراكمة عبر التجارب السابقة، وهذا بالضبط ما يتيح له مجالاً أكبر للمناورة، ويفتح أمامه أفقاً جديدة في صراعه مع العدو. نجزم أن غزوة ثلاثاء الفتح، ما هي إلا الفصل الأول من المعركة، وأن الدرس لازال مستمراً.

رابعًا: إن الغزوة بما تمتعت به من النوعية في الأداء، رسالة إلى العدو، بأن المجاهدين قادرون على رد الصاع صاعين، وفي عقر داره، وبالطريقة التي يعجز أن يدركها خياله، وما غزوة ثلاثاء الفتح، إلا نموذج للجيل الجديد من الضربات التي تنتظره، ولعل العالم قد اكتشف - خاصة بعد الحرب الصليبية العالمية - أن الحركة الجهادية كائن حي ومرن، ويتمتع بقدرة عالية على التأقلم مع الظروف مهما كانت استثنائية، وأنه لن يثني عزمها تلك التهديدات الجبانه، التي تطلق من وراء الجدر". ا. هـ

آثار وتداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا:

وعن آثار وتداعيات غزوات نيويورك وواشنطن على أمريكا، تحدث الشيخ أسامة بن لادن في خطبة عيد الأضحى عام 1423هـ فقال رحمه الله:

"وفي يوم الثلاثاء المبارك، في الثالث والعشرين من جماد الثاني لعام 1422 للهجرة، الموافق للحادي عشر من سبتمبر عام 2001م للميلاد، كان التحالف الصهيوني يهدف إلى إخضاع أهلنا في أرض الأقصى المبارك، بطائرات ودبابات أميركية، وأيدي يهودية، وأبنائنا في العراق يقضون نحبهم نتيجة الحصار الظالم من أميركا وعملائها. وفي المقابل كان العالم الإسلامي يعيش في حالة من البعد الشديد عن إقامة الدين حقًا. وبينما الأمور على تلك الحال من الإحباط واليأس والتسويق عند المسلمين، إلا من رحم الله، فقد كانت بلاد العم سام في غيها سادرة، بطغيانها هادرة، مصعرة خدها للناس، تمشي في الأرض مرحًا لا تبالي بأحد، وتظن ألا سبيل إليها، إذ رموا بثلاثة الأثافي، وما أدراك ما ثلاثة الأثافي، عندما وثب شعث الرؤوس، مغبرو الأقدام، المطاردون في كل مكان، فتية آمنوا برحمتهم وزادهم الله هدى، وربط على عقيدتهم، وكتب الإيمان في قلوبهم، فلم يخشوا في الله لومة لائم، يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء الحياء، فأغاروا بطائرات العدو في عملية جريئة جميلة ما عرفت البشرية لها مثيلاً، فحطموا أصنام أميركا، فأصابوا وزارة الدفاع في صميم فؤادها، وأصابوا الاقتصاد الأميركي في سويداء قلبه، فأرغموا أنف أميركا في التراب، ومرغوا كبرياءها في الطين، فانهار برج نيويورك، وبذلك الانهيار، انهار ما هو أعظم وأضخم، فانهارت أسطورة أميركا العظمى، وانهارت أسطورة الديمقراطية، وظهر للناس أن قيم أميركا في السافلين، وتحطمت أسطورة أرض الحرية، وتحطمت أسطورة الأمن القومي الأميركي، وانهارت أسطورة ال CIA، فله الحمد والمنة.

وكان من أهم الآثار الإيجابية لغزوتي نيويورك وواشنطن، أنها كشفت حقيقة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وأظهرت ضخامة العداء الذي يُكنّه لنا الصليبيون، عندما نزعت الغزوتان جلد الشاة عن الذئب الأميركي، وظهر على حقيقته البشعة. واستيقظ العالم أجمع من الرقاد، وانتبه المسلمون إلى أهمية عقيدة الموالاة في الله والمعاداة في الله، وقويت روح الأخوة الإيمانية بين المسلمين، مما يعتبر خطوة عظيمة نحو توحيد المسلمين تحت كلمة التوحيد لقيام الخلافة الراشدة بإذن الله. وبدا ظاهراً للناس أن أميركا هذه القوة الظالمة يمكن أن تُضرب، ويمكن أن تُذل وتُهَان

وثُقهر. ولأول مرة يعي غالبية الشعب الأميركي حقيقة القضية الفلسطينية، وأن ما أصابهم في منتهاتن، كان بسبب سياسة حكومتهم الظالمة.

وخلاصة الأمر، إن أميركا دولة عظمى ذات قوة عسكرية ضخمة، وذات اقتصاد عريض، ولكن كل ذلك على قاعدة هشة، لذا فإنه بالإمكان استهداف تلك القاعدة الهشة، والتركيز على أبرز نقاط الضعف فيها. وإذا ما ضربت في عُشر معشار تلك النقاط، فإنها بإذن الله ستترنح وتنكمش وتتخلى عن قيادة العالم وظلمه. ولقد استطاع عدد يسير من فتية الإسلام، رغم وقوف التحالف الدولي ضدهم، أن يقيموا الحجة على الناس، بوجود القدرة على مقاومة ومقاتلة ما يسمى بالقوى العظمى، واستطاعوا أن يدافعوا عن دينهم، وأن ينفعوا قضايا أمتهم، أكثر مما فعلته حكومات وشعوب بضع وخمسين دولة في العالم الإسلامي، لأنهم اتخذوا الجهاد سبيلاً لنصرة الدين، وكما قال أبو هلاله:

وللنصر أسباب وللخسر مثلها
وكل فريق يورث الخلد رابح
دروب العلا شتى وأقصرها التي
تريق الدما في جانبيها الزحاح

تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمة الإسلامية:

بدون شك، أن تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمة كانت كبيرة وعظيمة جداً، ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيلها المعلومة للجميع، غير أن هناك من كان تناوله لتلك التداعيات فيه تشبه ببني إسرائيل عندما كانوا يتسخطون على نبي الله موسى عليه السلام ويقولون له لائمين متبرمين: (أُؤْذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) كأنهم - كما يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب - لا يرون في رسالته خيراً، أو كأنما يحملونه تبعة هذا الأذى الأخير. وهناك من يقرّ بأن الثمن كان باهظاً لكنه يستحق ذلك نسبة لأن الهدف غالي. وحتى نكون على بينة من أمرنا، أحببت أن أضيف هنا تناول أهل العلم الربّانيين لهذا الأمر، مجيبين ومفنّدين لكل تلك التساؤلات والشبهات التي أثّرت حول الحدث، إلى جانب دروس التوحيد من أقوال ومواقف أكثر المتضررين من تلك التداعيات، وهم الطالبان وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وقادته الميامين.

شبهات حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

في كتابه تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة، يقول الشيخ يوسف العثيري رحمه الله:

"حين تتابعت الانسحابات في أفغانستان من قبل الإمارة الإسلامية، وبدأت تفقد بعض المكتسبات ومنها المدن والآليات، دب اليأس إلى كثير من المسلمين، وانتابهم شعور بالهزيمة ودنو نهاية المجاهدين هناك، ومن خلال هذا الشعور بدأ همس هنا وهناك بأن المجاهدين قد أخطئوا حساباتهم، وأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، وأنهم كانوا قد تعجلوا وجروا إلى أنفسهم معركة لم تكن متكافئة.

ولما كانت مثل هذه المخاطر لم يسلم منها الأكثرون - حتى من بعض أهل العلم - فقد كان لزاماً أن نقف معها بعض وقفات، هي بمثابة محطات للمتأمل في هذه القضية وفي غيرها.

تساؤلات:

هل جرّ المجاهدون الأمة إلى معركة غير متكافئة؟

للإجابة على هذا السؤال، نطرح الأسئلة التالية ونجيب عليها:

هل كانت عمليات المجاهدين سبباً ومبرراً في حرب الغرب للأمة؟

هل كان الغرب يخطط لغزو أفغانستان والعراق وغيرها من بلاد الإسلام من قبل عمليات

11 سبتمبر؟

ما الذي دفع المجاهدين للتحرش بأقوى قوة عسكرية بشرية في العالم؟

هل يشترط التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم لكي يجاهدوهم؟

هل من الحكمة إدخال الأمة الإسلامية الضعيفة في معركة مع الغرب القوي؟

هل نعطل الجهاد لاحتمال وقوع رد قوي من العدو؟

هل يمكن لعمليات تفجير صغيرة هنا وهناك أن تهزم الغرب القوي؟

هل يمكن لحرب العصابات بالأسلحة الخفيفة أن تهزم الجيوش الجرارة؟

مجيئاً على هذه التساؤلات يقول الشيخ يوسف العثيري رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء في

كتابه (تساؤلات حول الحرب الصليبية الجديدة) بتصرف طفيف:

" إن دعوى أن المجاهدين جرّوا إلى أنفسهم، أو جرّوا أنفسهم إلى معركة غير متكافئة، أو استدرجوا إليها يستلزم الوقوف مع ما يلي:

(1) هل كان ما نسب إلى المجاهدين من هذا العمل، حقًا هو الدافع لأمريكا أن تأتي إلى أفغانستان؟ إن أمريكا كانت منذ زمن تريد وأد طالبان والجهاد، وقد صرح وزير الخارجية الباكستاني الأسبق نياز زينك، أن مسؤولين كبارًا في الحكومة الأمريكية، أبلغوه في منتصف شهر يوليو من عام 2001م، بأن الولايات المتحدة ستتخذ إجراءات عسكرية ضد أفغانستان بحلول منتصف شهر أكتوبر 2001م. وقال نياز: "إن المسؤولين الأمريكيين أبلغوه أنه إذا لم يتم تسليم بن لادن على الفور، فإن الولايات المتحدة ستقوم بعمل عسكري لاعتقاله أو قتله هو والملا عمر زعيم حركة طالبان". ويشير المسؤول الباكستاني إلى أن الهدف الأوسع من تلك العملية سيكون إسقاط حكومة طالبان، وتنصيب حكومة انتقالية من الأفغان المعتدلين من الممكن أن يتزعمها ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه. وشكك المسؤول الباكستاني السابق في إمكانية تراجع الولايات المتحدة عن خططها، حتى إذا تم تسليم بن لادن على الفور من قبل الإمارة الإسلامية.

نعم ربما لم تكن أمريكا تستطيع جمع كل هذا التحالف والتأييد وبهذه السرعة لولا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لكن هذا لا يعني أن تكون تلك الأحداث سببًا لجر أمريكا ومن ثم إلى معركة غير متكافئة، لاسيما إذا أخذ بالاعتبار ما لأمريكا من أطماع في المنطقة. فليس ما حدث إذاً سوى تعجيل لمحبي العدو إن صدق أنه تعجيل.

فهل عمليات الحادي عشر من سبتمبر عمل متعجل جر على المجاهدين معركة غير متكافئة؟ هل يشترط التكافؤ بين المسلمين وأعدائهم لكي يجاهدوهم؟ هل من الحكمة إدخال الأمة الإسلامية الضعيفة في معركة مع الغرب القوي؟

أولاً: ما معنى التكافؤ؟ هل التكافؤ هو المساواة في العدة والعتاد والرجال أيضًا؟

إن انتظار المعركة المتكافئة حتى ولو نسبيًا كما قد يقال، هو في الحقيقة يؤدي في النهاية إلى ألا تكون معركة أصلاً، بل العدو يزداد قوة وما يزيدنا الوقت إلا ضعفًا من حيث المنظور العسكري. إن التاريخ يشهد أنه ما من معركة انتصر فيها المسلمون على عدوهم وكانوا أكثر منه عددًا وعدة، بل العكس، لاسيما في المعارك المشهورة، كمعارك النبي ﷺ بلا استثناء، ومعارك أصحابه رضي الله عنهم، كالفدسية واليرموك وغيرها في التاريخ كثير. بل لما أعجب المسلمون بكثرتهم في حنين، هُزموا أول

الأمر كما قال سبحانه: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ).

ثانيًا: أين التكافؤ في غزوة مؤتة؟ والمسلمون ثلاثة آلاف والعدو مائتا ألف. نسبة لا تخطر على بال (100:1.5)، وإن شئت قلت كل مجاهد من المسلمين، يقابل أكثر من ستة وستين مقاتلاً من العدو. ومع ذلك قاتل المسلمون وأبلوا بلاءً حسنًا، حتى قتل قادة المعركة كلهم، زيد وجعفر وابن رواحة عليهم السلام أجمعين. ولقد كانوا ترددوا لما علموا بكثرة عدد العدو، لكن ابن رواحة رضي الله عنه شجعهم على المضي. ولما رجعوا لم يعاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم على دخولهم المعركة غير المتكافئة، بل العكس، فإن المسلمين استقبلوهم يحثون في وجوههم التراب، ويقولون يا فرار أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسوا بفرار ولكنهم كُرار إن شاء الله.

ومن فوائد هذه الغزوة، أن من مقاصد الجهاد إظهار عزة الإسلام وهيبته وقوته، وأن أهله لا يهابون الموت، وإن لم يتحقق بذلك نصر حاسم، كما هو الشأن في هذه الغزوة. إن عدم التكافؤ، هو حين يقصر المسلمون في إعداد أنفسهم، ولا يبدلون الوسع والطاقة في ذلك. أما حين يأخذون بقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) فإن ما فوق ذلك ليس مما كلفوا به.

ثانيًا: إذا ترتب على الجهاد رد من العدو. وهاهنا سؤال: هل نعطل الجهاد إذا ترتب عليه رد من العدو؟ وللإجابة على ذلك نقول:

أولًا: لقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر يريد غير قريش، إذًا لقد كان هدفه ضربة للعدو عسكرية واقتصادية ولنتأمل هذه الغزوة:

فلقد كان من المحتمل بل من شبه المؤكد، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين يغير على قافلة قريش التجارية، أنه سيكون ردّها عنيفًا قاسيًا لأنها لا تحتل المساس بتجارها واقتصادها. ويؤيد ذلك الواقع حيث استنفرت قريش قوتها ورجالها للذود عن تلك القافلة، وخرجت بخيلها وخيلائها لتؤدب من هموا بذلك. مع هذا كله، ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم يدرك ذلك، فهل اعتبره مانعًا من تنفيذ تلك العملية؟

بل إن غزوة أحد، ما هي في الحقيقة إلا رد فعلٍ من قريش على غزوة بدر، وقد كانوا ينوون اجتياح المدينة، وحصلت المصيبة في هذه الغزوة على المسلمين، فهل نزل العتاب من السماء على تعجل المسلمين في بدر وجرهم العدو إليهم؟ أم أن العتاب كان على معصية القائد والتعجل إلى الدنيا؟ وإذا كان المسلمون انتصروا في بدر فإنهم لم يكونوا يقطعون بهذه النتيجة، فلو كانوا أصيبوا

فهل كان ذلك ليغير الحكم في أصل خروجهم للعرير، بمعنى أن يقال: إنهم إذا جرّوا قريشًا لمعركة لا يكافئونها فيها، وأثاروها عليهم وتعجلوا في ذلك. والشيء نفسه يقال في غزوة حنين وتبوك وكذلك مؤتة.

ثانيًا: إن هذا المنطق، وهو خشية أن يجر عمل من أعمال الجهاد ردة فعل عنيفة من العدو، قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تعطيل كثير من مظاهر الجهاد، بل حتى الجهاد بالكلمة والقلم والنصح والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فما من عملٍ من تلك الأعمال التي لا يجلبها الكافرون أو الجاهلون والمعرضون، إلا ويقابلها ردة فعل منهم تتفاوت شدة وضعفًا. وإذا علم العدو الكافر أو المخالف الجاهل، أن هذا الحس - وهو خشية ردة الفعل - يسيطر على أهل الحق، فإنه سيشتيع الإرهاب الفكري وبث الرعب، ويشجع على ترسيخ هذا الإحساس حتى يبيّن له سياجًا دفاعيًا لا يكلفه سوى حملات إعلامية، إضافة إلى بعض التآديبات التي تؤكد أن ردة فعله قوية.

ومن أخذ بهذا المنطق المشار إليه، يلزمه ألا يؤيد أي عمل في فلسطين، لأن ردة الفعل اليهودية عنيفة، والأمثلة كثيرة تقع كل يوم. فما من عملية للمجاهدين في الأرض المقدسة يقتل فيها يهودي واحد أو يجرح، إلا ويقابلها قصف عنيف ربما يسقط به عشرات، وتضييق على العمّال الفلسطينيين وغير ذلك.

وهكذا كل عمل من هذا القبيل، ولئن كان هذا المثال (فلسطين) يُناقش به الإسلاميون، فإنه حجة أيضًا على القوميين. فما من عمل من أعمال المقاومة (المشروعة) كما يسمونها، إلا وهي من جنس أعمال الحادي عشر، بل ولا ترقى أن تكون مثلها من حيث المكاسب.

وكذلك الحال في الجهاد القائم في أفغانستان من الثلة المؤمنة ضد قوى الكفر ومن تحالف معهم، فإنها مقاومة مشروعة على وفق جميع القوانين، وبمثال فلسطين، يُناقش كل من يؤيد قضية فلسطين من الحكومات التي تزايد عليها، فما يجوز في حق اليهود ويُشرع ويُؤيد ويُدعم، فأولى به من وراء يهود وهو رأس الأفعى اليهودية الغاشمة.

ثالثًا: لم نقيس الأمور بنتائجها الآنية الظاهرة؟ وإنما الميزان القسط، هو تقييم أصل العمل إن كان مستوفيًا للشروط، وليس يضره بعد ذلك ألا يحقق الهدف منه.

إن القياس بالتناجح فحسب، ليس من شأن المؤمنين الذين يعلمون أن النتائج بيد الله تعالى، وما على العبد إلا أن يجتهد ويتحرى، ومن ذلك الاستفادة والاعتبار من التجارب السابقة، والمشاورة بين أهل الخبرة في ذلك، ثم يعزم ويتوكل على الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. فإذا أخذ المؤمن بذلك فإنه قد اجتهد، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. وأما أن يقال بعد ذلك إن عملك حين لم يؤد النتيجة المطلوبة، أو ترتب عليه مفسدة معينة فهو خطأ في أصله وتعجل، فإن هذا خلل في التقييم والميزان، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، ويقول: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾، ويقول: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ والله تعالى قال لنبيه الذي ينزل عليه الوحي ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، وقال: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ مَا نُزِّلَتْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَاِئْتِنَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾. قال الطبري رحمه الله 172/13: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، " وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته " 1. ه وقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، والآيات في أن العبد ليس عليه إلا ما أمر به، وليس عليه النتيجة كثيرة.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: (فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالرَّجُلَيْنِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ) فهل يا ترى مثل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، يمكن أن يخطر على بال مسلم أنهم قصرُوا في الأخذ بالأسباب في دعوتهم؟ حاشاهم وربّي من ذلك.

وإذا هُزم المسلم وانكسر وابتلي بقتل أو كلف أو أسر، فهذا هو شأن الجهاد، ولا ينبغي أن يُعد ذلك من خطأ الأصل، ما دام مبنياً على أسس صحيحة. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، فذلك كله من حِكم الجهاد، ومن مراد الله تعالى فيه، فما لنا نختزل كل ذلك في النصر الأرضي العاجل؟

وهذه الآيات من سورة آل عمران، لنا معها وقفات إن شاء الله، لعظم ما فيها من المعاني التي قد نغفل عنها. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْ غَارِزَةٍ، أَوْ

سَرِيَّةٍ، تَغْزُوا فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلْثِي أَجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أَجُورُهُمْ).

ولعل البعض حين سمع ببعض الأخبار من قتل بعض المجاهدين أو أسرهم، أو حتى تعرض بعض العوائل للأذى والقصف والتشريد، أصابه من الأسف والحزن ما قد أنساه بعض تلك المعاني المشار إليها، وربما أوقعه ذلك في الوقيعة فيمن لا سبيل له عليه. نعم إن القلب ليتقطع أسى وألماً حين يبلغ المسلم خبر إصابة لأخيه أو أخته وإن دقت، لكن لا ينبغي بحال أن ننسى ما في هذه الآيات والأحاديث من البيان الجلي للمعاني العالية التي علينا أن نتعلق بها، وأن ما يصيب هؤلاء هو بإذن الله من الاصطفاء واتخاذ الشهداء، أو الابتلاء الذي تمحص به الذنوب، وترفع به الدرجات، ويعتز به الإسلام. وقد كان النساء يجاهدن مع رسول الله ﷺ، مع احتمال أسرهن وقتلهن. وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قصة أسر امرأة من المسلمين.

وهكذا كل من ينفر للجهاد عليه أن يربي نفسه ويوطنّها على احتمال المتغيرات، وأن يجعل في حسابه جميع التوقعات، وأن يكون لديه من مدد الإيمان والتوكل وشيء من العلم ما يثبت به في الملمات. ومن النماذج التي تُذكر في هذا الصدد: إحدى الأخوات العربيات في قندهار، تعزم على زوجها وتستحلفه بالله أن إذا دخل في عملية استشهادية أن يصحبها معه، لتعينه على الجهاد وتنال الشهادة معه في سبيل الله، فيكتب الله أن تقع قذيفة من قذائف راعية السلام وحامية حقوق الإنسان فتقتلها جميعاً، جمعهما الله في منازل الشهداء آمين.

وإذا كان هذا شأن المؤمنين، فإن من صفات غيرهم أنهم تستخفهم النتائج، ليلقوا باللائمة على الأعمال التي أنتجتها والعاملين فيها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

من كسب المعركة؟

على ضوء ما تقدم بيانه فيما سبق، فإن ذلك الهجوم الذي نفذ في أمريكا بالمنظور العسكري كسب للمبادرة في المعركة، وهذا مهم لدى العسكريين، وربما كان سبباً للانتصار في نظرهم، وهي حقاً مبادرة أربكت أمريكا بجميع أجهزتها، وهذّت من معنويات شعبها، وأورثتهم رعباً وهلعاً، وأجأتهم لاستعجال الخطط العسكرية والرد قبل استكمال التخطيط والتجهيز، وقبل التهيئة الشعبية والسياسية الكافية، وقبل رصد التوقعات المحتملة وغير ذلك، هذه واحدة.

الثانية: أن ذاك الهجوم هو كسب للمعركة قبل خوضها، بمعنى أن أمريكا غاية ما ستفعله هو القضاء على من كان في أفغانستان من طالبان والعرب، وذلك لا يوازي بحال ما حصل لها من كوارث وهزائم سياسية واقتصادية وأمنية، جراء هجوم الحادي عشر، مع أن القضاء على من كان في أفغانستان لن يقضي على عداوة أمريكا في نفوس المسلمين ومنهم من يبيع نفسه لله من أجل حربها. بل كلما أوغلت في تنفيذ حملتها العسكرية وما يتبعها من حملات مخبرائية وملاحظات مالية، ضاعف ذلك من أعدائها وعدائها، وأجج من عداوتها في النفوس، علماً أن المجاهدين يرون أن تأجيج عداوة أمريكا في نفوس المسلمين، والدعوة إلى جهادها وبغضها والسعي إلى الإضرار بها، يعد مرجحاً يستحق التضحية من أجله، لأنه سيكون سبباً ولو بعد حين لجهاد أمريكا جهاداً شاملاً.

الثالثة: أن هجوم الحادي عشر من سبتمبر، نجح في جر أمريكا إلى الأرض المطلوبة للمعركة، حيث يحسنها المجاهدون، ويجهلها الأمريكيون، وكل الخيارات المطروحة لأرض المعركة لا يمكن أن تكون أنسب من أفغانستان. ونجح الهجوم أيضاً في تحديد زمن المعركة، ونجح في إخراج أمريكا من الحرب المستترة والمتوارية، ودعم هذا وذاك إلى خوضها المعركة بنفسها وظهورها للناس مسلمهم وكافرهم، وهذا له آثاره من حيث إثارة عداوتها في نفوس المسلمين، وكراهيتها وإذكاء روح الجهاد في قلوبهم، مما قد لا يظهر في حروبها على المسلمين في أنواع أخرى. وظهورها أيضاً أمام العالم كله بغطرستها وكبرياءها وهي تلاحق مجموعة من الناس في الجبال، ثم لا تستطيع الآن لو هزمت - نسأل الله ذلك - أن تخفي هزيمتها، وهي التي تقود المعركة بنفسها.

وإننا لنطمع أن ينطبق على أمريكا هذه الآيات البينات الشافيات من سورة براءة، والتي ختمت بالوعد بالنصر عليهم يقول الله جل ذكره:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَخْشَوْنَهُمْ فَاَللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةَ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قد يسلّم البعض بكل ما تقدم ولكنه يقول: "تلك قضية خاسرة، فماذا عسى أن يفعل مجموعة من المتفرقين في الجبال والملاحقين من الأمريكان ومن عملائهم، في مقابل القوة الأمريكية وترسانتها الحربية؟"

والجواب كما يلي:

(1) ليس من خيار أمام المجاهدين غير الدفاع عن أنفسهم، وإلا فإنهم سيكونون بين الإبادة والأسر، وهل يمكن لمسلم أن يأمرهم بالاستسلام لذلك؟

وليس صحيحاً أن يقف المجاهدون لانتظار العدو كي يصل إليهم ليدافعوا عن أنفسهم، وهم يعلمون يقيناً أنه أحرص عليهم من حرصه على الحياة، وهم أحرص الناس على حياة. وخير وسيلة للدفاع هي الهجوم، وعليهم أن يبذلوا ما بوسعهم لقطع الطريق على العدو بشق السبل والوسائل، وعلى المسلمين أن يعينوهم على إنقاذ أنفسهم فضلاً عن محاربة هذا العدو اللدود.

وإذا كان الفقهاء قالوا: لو أن مسلماً أسر لدى الكفار، لوجب على جميع المسلمين فكاهه، ولو تركوه أمثوا جميعاً، فكيف بمن يلاحقه الكفار في أرضه؟

(2) إن إطلاق قاعدة القضية الخاسرة على كل عمل لم تظهر بوادر نجاحه عاجلاً، يمكن أن ينهدم بها قضايا ومشاريع واجتهادات، مما يقتنع به القائل بهذه القاعدة فمنها:

أ - قضية فلسطين، فلا داعي للجهاد فيها وبذل الأنفس والأموال لأنها قضية خاسرة وفق هذا المنظور، فإذا كانت القضية في أفغانستان خاسرة، فمن باب أولى أن تكون القضية في فلسطين خاسرة، لأن المجاهدين في فلسطين أقل من المجاهدين في أفغانستان، من حيث المقومات الجغرافية والقوة والعدد والعدة.

ب - بعض قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحياناً قد يقال فيها أنه لا فائدة من الأمر أو النهي في هذه القضية أو تلك، ولكن الله أجاب عن ذلك بقوله: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، أفيخل المسلمون على المجاهدين بما عساه أن يكون معذرة لهم عند الله ولعلمهم ينصرون؟ وهل ييخل المجاهدون أيضاً على أنفسهم بعمل يكون لهم معذرة ولعلمهم ينصرون؟

ج - بعض قضايا الدعوة أيضاً، فقد لا تظهر النتيجة في بادئ الأمر، فهل يتراجع الداعية ويقطع الدعم، لأن المؤشرات تقول لا نتيجة؟

(3) لا خلاف بين الناس فضلاً عن أهل العلم، أن المريض الميؤوس منه لا يجوز تركه يموت، مع إمكان بذل شيء له. وما زلنا نرى الملايين تنفق في معالجة مرضى السرطان، مع أن نسبة الشفاء منه قد لا تتجاوز 10%، وما رأينا أحداً أنكر ذلك. فهلا اعتبرنا المجاهدين من مرضى السرطان، فبذلنا لهم بعض ما نبذل لأولئك بدلاً من اعتبار القضية خاسرة؟

(4) ذكر الفقهاء وجوب فكك الأسير، وبذل الأموال الطائلة في سبيل مسلم واحد، فكيف بمن هم أعظم من ذلك؟

(5) هذه القضية ليست خاسرة بالمنظور الإسلامي، فقد أخذ المجاهدون استعدادهم المتاح، وبذلوا ما يرونه واجباً عليهم، ولم يقصّروا إن شاء الله في شيء من ذلك، وهذا جهدهم وبهذا لم يدخلوا في قضية خاسرة، وإلا فما عسى أن تقارن قوة واستعداد النبي ﷺ ومن معه من المسلمين يوم بدر باستعداد قريش؟

وماذا يمكن أن يقال في غزوة مؤتة: ثلاثة آلاف في مقابل مائتي ألف بأحدث الأسلحة والمؤن والتجهيز؟ لم يتراجع المسلمون في مؤتة ويقولوا إنها قضية خاسرة، ولم يعاتبهم النبي ﷺ على دخولهم في قضية خاسرة، بل لما أراد المسلمون انتظار المدد، شجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي، وما بلغنا أن النبي ﷺ خطأ ما صنع ابن رواحة، بل ولا تلميحاً، ولو كان فيه من خطأ،

لما ترك البيان لهم رسول الله ﷺ، وهو الحريص على البيان لأمته بالمؤمنين رؤوف رحيم، بآبائنا هو وأمهاتنا. وماذا عن خروج سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وحده خلف الغزاة من فزارة، الذين أغاروا على سرح النبي ﷺ، وهي المسماة غزوة ذي قرد التي أخرجها مسلم مطولة والبخاري مختصرة، أفكان مضياً في قضية خاسرة؟

وماذا عن الذين كانوا بماء الرגיע رضي الله عنه، بقيادة عاصم بن ثابت حيث لم يستسلموا للعدو وكانوا عشرة نفر، ولأهمية القصة وفوائدها إليكموها من البخاري 307/7، 378 رقم (3989)، (4086): (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَّةِ بَيْنَ عَسْفَانَ، وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَذِيلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامَ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ التَّمَرِ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ، فَقَالُوا: تَمَرٌ يَثْرِبُ، فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا حَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى مَوْضِعٍ فَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِثَاقُ: أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا الْقَوْمُ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَمَوْهُمْ بِالْنبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِثَاقِ، مِنْهُمْ حُبَيْبٌ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنِةِ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، قَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ: هَذَا أَوَّلُ الْعَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أَسْوَأَ، يُرِيدُ الْقَتْلَى، فَجَرَّوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَاِنْطَلَقَ بِحُبَيْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنِةِ... الحديث.

ففي هذه القصة لجوء هؤلاء العشرة، وهم عشرة فقط إلى الجبال ليتحصنوا بها، ولم يقبلوا الاستسلام، ولذا بوب عليه البخاري في موضع آخر (هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر).

وفي القصة جواز المقاتلة وجواز الاستسلام، وكلاهما فعله بعض الصحابة هنا، وإن كان القائد عاصم وأكثر من معه لم يقبلوا الاستسلام، ومن قبل الاستسلام فقد قتل بعد الأسر، وناله شيء من الإيذاء، ولذا فإننا نختار ألا نستسلم للعدو بأي حال من الأحوال، وهذا أخذ بالعزيمة، وإنما الاستسلام رخصة، كما ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله في الفتح 374/7، ونقل عن سفيان الثوري كراهة الاستسلام. ١. هـ قلت: ولا يبعد حرمةه للقادة وأهل الشأن خاصة.

ولأن استسلام المجاهد مع ما فيه من الانهزام وشيء من الذل، وما فيه من كسر قلوب المسلمين، وثلمة في موقف المجاهدين، وما فيه من سرور العدو وغبطته، وشماتته بالمجاهدين والمسلمين عامة، ورفع معنوياته. مع ما في الاستسلام من جميع تلك المفاصل، إلا أنه أيضًا لا يحقق للمستسلم ما خاف على نفسه منه وهو الموت، فإنه سيصير إلى قتلة أشنع وأذل مما سيقتل عليها لو لم يستسلم، هذا إن لم يمر قبل ذلك على التعذيب والتنكيل، وانتزاع المعلومات التي قد تضر غيره.

نعود إلى الشاهد من هذه القصة، وهو أن هؤلاء الصحابة العشرة عليهم السلام، لم يعتبروا قضيتهم خاسرة فيستكينوا. ولو علم بهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يمكنه مساعدتهم بما يستطيع ما تردد في ذلك، وحاشاه حتى وإن أدرك أنهم لن ينجوا مما هم فيه. ولو استقرأنا السنة والسيرة والتاريخ، لوقفنا على أمثلة كثيرة من هذا القبيل. ولم يُنقل أن النبي صلى الله عليه وسلم توقف في إمداد سرية، أو إنقاذ معصوم تذرعًا بالإيأس من إنقاذه.

(6) أخيرًا، من الذي أوقفنا على حقيقة الأمر وجلى لنا الغيب لنحكم بأنها قضية خاسرة، ومن الحكمة عدم إضاعة الوقت والمال والأنفس بالرهان عليها وهي خاسرة؟

(7) على من اعتبر أن القضية خاسرة، ألا يخذل غيره وأن يكتفي بكف يده ورفعها، وترك من يرى غير ذلك أن يقدم معذرتة إلى ربه ويبرئ ذمته وليس عليه منهم من سبيل، وما هو عليهم بحفيظ.

والقضية بإذن الله ليست خاسرة، لأنها بين النصر أو الشهادة، وتلك الأمور لا يمكن أبدًا أن يعدها المسلم خسارة بأي حال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾، فسماهما الله حسنين وبين تلك الحسينين بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فبيل الشهادة لذاتها والبحث عنها في كل موطن، يعد غاية ومقصودًا للمسلم. وهذا الأمر يدل عليه أكثر من ثلاثين دليلًا من الكتاب والسنة، سوى أقوال أهل العلم في ذلك، ولا مجال للإطالة في ذكرها، ولعلنا نقف معها في مواطن أخرى. والحسنى الثانية التي بينها الله في كتابه هي:

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والذي أنزل الفرقان، ونصر الإسلام بيوم الفرقان، لندرج أن نكون تحت راية أمير المؤمنين، ممن تنطبق عليهم هذه الآيات من سورة الحج حيث قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هُمَا لَفَاسِدٌ وَسَاغَتْ فِيهَا أَسْمَاءُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). ١. هـ

هل يمكن لحرب العصابات بالأسلحة الخفيفة أن تهزم الجيوش الجرارة؟

هل يمكن لعمليات تفجير صغيرة هنا وهناك أن تهزم الغرب القوي؟

الإجابة من حلقات (الحرب الصليبية على العراق) للشيخ يوسف الغييري رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء، وكتاب (المدخل للثقافة العسكرية) لهاني أحمد الدرديري، وكتاب (هكذا نرى الجهاد وهكذا نريده) لحازم المدني - نفع الله به - بتصرف وزيادة.

" بثبات وبقين أقول نعم، بمقدور عصابة مؤمنة متسلحة بأسلحة خفيفة أن تهزم جيوشاً جرارة.

أولاً: يجب أن نوقن تماماً أن الله عز وجل عندما أمرنا بقتال عدونا، أمرنا بإعداد العدة قدر الاستطاعة، ولم يكلفنا ما لم نستطيع فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الآية، ووعدنا إن نحن أعددنا ما نستطيع أن ينصرنا نصرًا من عنده، لا بسبب العدة والعتاد والعدد. والناظر في المعارك التي دارت منذ البعثة المحمدية وحتى وقتنا الحاضر، يعلم تمام العلم أن المسلمين كانوا في الغالبية العظمى من تلك الوقائع أقل عددًا وعدة، ومع ذلك نصرهم الله على عدوهم. فالعدة والعتاد والعدد ماهي إلا أسباب للنصر الذي ينزله الله على عباده متى استوفوا شروط النصر. والأمة اليوم هي أضعف ما تكون بسبب بعدها عن دينها، وتسلب الأعداء عليها، فلا يفسحون لها المجال للتسلح وبناء قوتها العسكرية، وغاية ما تملكه الأمة اليوم من السلاح الفعال ضد العدو: الإيمان في قلوب أبنائه وحرب العصابات، فهي حرب لا تحتاج إلى قاذفات قنابل عملاقة، ولا إلى حاملات طائرات نووية، ولا إلى صواريخ عابرة للقارات، ولا إلى قنابل ذكية، بل غاية ما تحتاجه هو رجل عصابات ذا عقيدة صحيحة، وإيمان راسخ ماهر في

استخدام الأسلحة المختلفة، وسلاح خفيف ينكي بالعدو، بدءًا من البنادق وحتى المتفجرات والقنابل.

ثانيًا: إن ضرب العدو في عمليات صغيرة ومتفرقة على مناطق شاسعة من الأرض وبشكل مستمر، أو ما يسمى بحرب العصابات، يعتبر من أشد الأسلحة التي يمتلكها الضعفاء، ممن ليس لديهم جيوش جرارة، ولا سلاح جوي ولا بحري. وللتدليل على أهمية هذا النوع من الحروب، نذكر بالتأرجح التي حققتها العصابات الصينية ضد الغزاة اليابانيين، والسوفيتية ضد الألمانين، والجزائرية ضد الفرنسيين، والفيتنامية ضد الفرنسيين ثم الأمريكيين، وقوات حركة موختي باهيتي في بنجالديش ضد القوات الباكستانية، وليس ببعيد سقوط الاتحاد السوفيتي أكبر قوة عسكرية بشرية عرفها التاريخ، على أيدي مجاهدين قلائل يقاتلون بأسلحة خفيفة، وكذلك دحر القوات الروسية من الشيشان في الحرب الأولى، كان بسبب حرب العصابات كذلك.

بل إنه ليس أدل على أهمية هذا النوع من الحروب، من أن دولًا كالولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا الاتحادية، وفرنسا، قد استفادت من فكرتها بإنشاء قوات تنهج أسلوب رجال العصابات، بالرغم مما تملكه هذه الدول من إمكانيات التعبئة النظامية.

فحرب العصابات في أفغانستان والعراق مثلاً مع القوات الصليبية، منعهم من استخدام السلاح الجوي والسلاح الصاروخي الذي يتفوق فيه العدو الصليبي. ففي هذا النوع من الحروب، تشل قدرات العدو من استخدام جميع تلك الأسلحة، بل إننا لم نسمع في حال حصول حرب مدن أو حرب عصابات عن قصف القاذفات الاستراتيجية، ولم نسمع عن قصف صواريخ (توما هوك)، ولا حتى القنابل التقليدية من مختلف الأوزان، وربما لن نسمع عن قصف مدفعية الميدان إلا ما ندر، لأن حرب المدن خاصة وحرب العصابات عامة، تعطل كل تلك الخيارات التي أمام العدو الصليبي، لأن جنوده متواجدون داخل المدن، ولن يستخدم أي سلاح يمكن أن يضر بجنوده. إضافة إلى ذلك، أنه لن يستخدم هذه الأسلحة لعدم تمكنه من تحديد القوات التي تتخذ من حرب العصابات أسلوبًا لها، كما هو الحال الآن في العراق وأفغانستان. فبعد تورأ بورا، لم يسمع أحد عن استخدام القاذفات الاستراتيجية، أو الصواريخ الموجهة بالأقمار أو القصف الكثيف، لعدم تمكن العدو من تحديد مواقع المجاهدين، الذين يضربونه في الوقت وبالأسلوب الذي يروق

لهم، ثم يختفون لينهك العدو بالبحث عنهم دون مواجهتهم، فهذه أحد الإيجابيات التي تتميز بها حروب العصابات عامة.

وقد هزم الفيتناميون على مر 12 عامًا، هزموا الجيش الأمريكي بعد أن كبده ما يقرب من 67 ألف قتيل، قبل أن يعلن هزيمته رسميًا. وكان القادة الفيتناميين يفتخرون ويرددون الطرفة القائلة، بأنهم خاضوا الحرب، ولم يستطع الجيش الأمريكي أن يدمر لهم دبابة واحدة، في إشارة إلى أن الجيش الأمريكي أعلن هزيمته، وخرج من الحرب في المرحلة الأولى من مراحل حرب العصابات، قبل أن يملك الفيتناميون الأسلحة الثقيلة. وبالفعل لم تدمر دبابة واحدة للفيتناميين، لأنهم لم يصلوا إلى مرحلة امتلاك السلاح الثقيل، فإذا كانت المرحلة الأولى في فيتنام، كبدت الجيش الأمريكي هذه الخسائر، فكيف لو أن الجيش الأمريكي أصر ولم ينسحب حتى دخل في المرحلة الثانية والثالثة؟

وبنفس الأسلوب تعامل الأفغان مع الاتحاد السوفيتي، وخاضوا حرب عصابات ضده على مر 10 سنوات، تكبد أكبر جيش في العالم آنذاك خسائر فادحة في المرحلة الأولى من الحرب، وأعلن الجيش الأحمر انسحابه وهزيمته في أفغانستان، قبل أن تنتقل الحرب إلى مرحلتها الثانية على جميع قطاعات أفغانستان، حيث كانت هناك قطاعات مثل جلال آباد وخوست وقندهار وغيرها، تحولت أثناء وجود السوفييت إلى المرحلة الثانية، إلا أن التحول بشكل كامل لم يحصل إلا بعد انسحاب السوفييت، لتنتقل الحرب إلى المرحلة الثانية ضد حكومة نجيب الشيوعية لمدة سنتين ونصف تقريبًا، ثم حصل الانهيار في الحكومة الشيوعية ليكون الحسم خلال شهرين فقط.

وها هم الأمريكان اليوم، يصرخون ويستجدون العالم أجمع مشاركتهم في العراق، ويستجلبون المرتزقة من كل بقاع الأرض ليقاتلوا معهم، وما ذلك إلا توفيق من الله عز وجل، ونصر من عنده، ثم بسبب التزيف المتواصل الذي تسببت لهم فيه حروب العصابات، والضربات التي يظن البعض أنها لا تؤثر جهلاً منه بالثقافة العسكرية، وتاريخ الحروب. ونحن موقنون بإذن الله، أن نصر الله قريب، وفرجه آتٍ، ويومئذ يفرح المؤمنون". ا. هـ

إضافة إلى ما سبق ذكره من إجاباتٍ وافية للشيخ يوسف الغييري - رحمه الله - لكل تلك الشبهات، قد يتساءل متسائل فيقول: ألا ترى أن الثمن كان باهظاً؟

يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري، مجيباً على مثل هذا التساؤل في كتابه تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمه الخور والضعف:

" وجوابي نعم، ثمن باهظ لهدف غال يستحق ذلك الثمن. يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

ومن يخطب الحسنة لم يغلها المهر...

ثم إن هذا هو الطريق. يكفي أن أضرب مثلاً بالفتوحات الإسلامية، التي أنشأت في قرن واحد دولة، علّمت الدنيا التوحيد ومكارم الأخلاق من الأندلس لأطراف الصين. كم كان ثمن هذا التحول التاريخي في مسيرة البشرية؟ عشرات الآلاف من شهداء الصحابة والتابعين وتابعيهم ﷺ، الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله". ا. هـ

وعن نفس الموضوع يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني:

" هب أن أهلنا وإخواننا في أفغانستان قد بادوا جميعاً، فهل من بقي يرتع في هذه الحياة ويتنعم بها يستحق أن يقال عنه سعيد وهو يعيش مهيناً حقيراً مستعبداً؟
أما إذا وقع الوعد الإلهي بالنصر - وهو أمل كل المؤمنين - فضرورة هذا النصر تستحق كل هذا العناء بل وأكثر منه والله لكنها رحمة الله تعالى.

إن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة والله، وجود أمثال أمير المؤمنين ملاً لمحمد عمر الذي أحيى صوت السلف، وجهاد الآباء والأجداد، ومواقف الإيمان، وستبقى هذه الصورة للأجيال القادمة أملاً يصبو إليها كل من عرف قيمة الإيمان، وأهمية مواقف الرجال.

والله إنها منحة من الله تعالى، وما كان للمنع الإلهية أن تنزل إلا بالحن، والله إنها طريق التمكين، وما كان للتمكين أن يكون إلا بابتلاء، فهل نسي أهل الإسلام هذا الذي سمعوه من الخطباء والمدرسين وقرؤوه من كلمات السلف؟!

وأنا أريد أن أسأل بعض أصحاب القلوب الضعيفة سؤالاً: كيف تتصورون الجهاد؟ وكيف تتوقعون بناء دولة الخلافة؟ وكيف يحق لأحد أن يحلم بأن يكون عزيزاً مهيب الجانب من غير طريق الابتلاء والمحن والجهاد؟ " ا. هـ (205)

لا يختلف اثنان في أن الصراع بين الحق والباطل، وبين أولياء الرحمن وفراعنة الشيطان صراع قديم يدور رحاه حول تحرير الإنسان، وأرقى منازل ذلك التحرير هي أن يتحرر الإنسان من عبودية العباد إلى عبودية ربّ العباد، وطاعته دون سواه من العباد.

فإذا كانت كل معارك الاستقلال والتحرر من العبودية للاستعمار التي خاضتها الشعوب المسلمة، قد خلّفت على سبيل المثال في الجزائر مليون شهيد، ومئات الآلاف من اليتامى، ومثلهم من الأرمال، وأضعافهم من الجرحى والمعوقين، فإذا كانت الشعوب تسترخص كل ذلك الثمن الفادح ليتمخض عنه بعد ذلك دولة اشتراكية شعبية، أو ديمقراطية حرّة تستمد أحكامها وقوانينها وشريعتها من زبالات عقول البشر، فلماذا يستكثر الناس على المجاهدين ذلك الثمن الفادح في سبيل التحرر من عبودية النظام الدولي الذي تهيمن عليه أمريكا، والذي يقف حجر عثرة في سبيل تعبيد الناس لرب العالمين؟.

دروسٌ عملية من دروس التوحيد:

مما لا شكّ فيه أن أكثر من تضرر من تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر هم الطالبان، وبالرغم من ذلك لم يعرب الطالبان عن موصوف ولا صفة، ولم ينطقوا ببنت شفة بشجب أو إدانة أو استنكار لهذه العمليات، بل ولم يُلِقِ الطالبان ولو همساً بالائمة على الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، ناهيك عن مساءلته، أو إحالته للقضاء لأنّه تسبب في كل تلك التداعيات المأساوية التي تعرّضوا لها، وعلى العكس من ذلك، لقد أصبح الشيخ أسامة بن لادن رمزاً لعزّتهم وموضع فخرهم وتضحيتهم من أجله بأغلى ما يملكون، وأصبحت تلك المواقف الرجولية المشرفة - التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً - التي وقفها أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، ورفاق دربه الميامين تجاه الشيخ أسامة بن لادن مضرّباً للمثل، ودروساً عملية من دروس التوحيد وعزة الإسلام في كيفة التعامل مع الأحداث، وفي كيفية الصمود والثبات على المبادئ، يتوجّب علينا أن نتأملها ونتعلمها ونقف على مدلولاتها.

(205) مقال للشيخ أبي قتادة الفلسطيني بعنوان " الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا "

ففي خطابه التاريخي الذي استنصر به المسلمين والعلماء في كل مكان بعد أقل من شهر من الأحداث بتاريخ 1422/7/16هـ، الموافق 2001/10/3م، تحدّث أمير المؤمنين، الملاً عمر رحمه الله، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، والقائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد القائل: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) رواه أحمد وأبو داود.

أما بعد: فيا أمة الإسلام العظيمة، يا خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، أيها المسلمون جميعاً:

لا شك أنكم تتابعون بكل عناية واهتمام الحملة الصليبية السافرة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، بدعم دولي من بريطانيا ودول أوروبا النصرانية، وحلف شمال الأطلسي وروسيا والدول الشيوعية السابقة، ومن انضم إليهم من ملل الكفر والمتردين وخبالة المسلمين، يجيشون الجيوش، ويجزبون الأحزاب ضد الإمارة الإسلامية في أفغانستان، لتحقيق أهدافٍ أعلنوا عنها في مقدمتها الإطاحة بالحكومة الإسلامية في أفغانستان، والقضاء على ما يسمونه قواعد الإرهاب.

ولا شك أنكم تدركون أن الأسباب التي يدعي هؤلاء أنها وراء حملتهم الصليبية هذه، ليست إلا مجرد ذريعة لتحقيق أهداف مبيتة عندهم، أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٠﴾

إنهم يريدون أن يقضوا على هذه الدولة الإسلامية، لأنها إسلامية، وإلا ففي أي شرع أو قانون تجوز معاقبة شخص لمجرد شبهة اتهام لم تثبت، فضلاً عن معاقبة أمة بسبب ذلك الشخص؟ إن مما اتفقت عليه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، ولكنهم يقاتلوننا لأننا أقمنا نظام حكم إسلامي مستقل، وهذا في الحقيقة، أشد عليهم من الهجمات التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن.

أيها المسلمون في العالم:

إن السؤال الآن لم يعد حول ما إذا كانت العمليات التي تمت ضد أمريكا صواباً أم خطأ، فالذي حصل حصل، أيده من أيده وعارضه من عارضه. إن السؤال المطروح الآن هو: ما هو واجب الأمة الإسلامية تجاه هذه الحملة الصليبية الجديدة على أفغانستان؟ وما هو حكم من يتولى هؤلاء الصليبيين، ويقف إلى جانبهم بأي نوع من أنواع الدعم والمساندة؟

إن مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، واتفق عليه الأئمة، أنه في مثل هذه الحال التي نحن فيها اليوم، يصبح الجهاد ضد هؤلاء الغزاة فرض عين على كل مسلم، لا إذن لوالد على ولده، ولا لسيد على عبد، ولا لزوج على زوجه، ولا لدائن على مدينه، لا خلاف في هذا بين العلماء. هذا عن حكم الجهاد ضد هؤلاء الغزاة، وواجب المسلمين في ذلك.

أما حكم من تعاون مع هؤلاء، فقد بينه الله سبحانه أكمل بيان، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿١٠١﴾

لقد بين الله سبحانه في هذه الآيات عدة أمور، منها:

- 1- النهي عن موالاة اليهود والنصارى ودعمهم ومظاهرتهم.
- 2- أن من يتولاهم ويعينهم ويظاهرهم حكمه حكمهم.

3- أن موالاتهم من خصال المنافقين وأخلاقهم.

وقد بين سبحانه أن موالاته المشركين تنافي الإيمان بالله ورسوله، فقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. ومن هذه الآيات وغيرها، أخذ العلماء أن مظاهرة المشركين على المسلمين ناقض من نواقض الإسلام، يحكم على صاحبه بالردة والخروج من الملة.

يا علماء الإسلام الكرام، ويا أيها الدعاة إلى الله في كل مكان: إن واجبكم الأول هو الصدع بهذه الحقائق، لا تخافون في الله لومة لائم، فذلك مقتضى الميثاق الذي أخذه الله تعالى على أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، فبينوا للناس دينهم، وحرصوهم على الجهاد في سبيله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

ويا أيها التجار وأصحاب الأموال: إن واجبكم الأول هو الإنفاق في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةُ﴾، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ويا شباب الإسلام: إن واجبكم الأول هو الجهاد والاستعداد والضغط على الزناد، فقد قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ويا أيها المسلمون في كل مكان: إن رسول الله ﷺ يقول: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ)، وفي لفظ: (يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ) لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) رواه مسلم. فهذا الحديث قسم الناس إلى ثلاث طوائف:

- 1- الطائفة المنصورة: وهم أهل الإسلام القائمون به المقاتلون عليه.
- 2- الطائفة المخالفة: وهم اليهود والنصارى وأهل الكفر والردة وخبالة المسلمين.
- 3- الطائفة المخدلة: وهم من قعد عن نصره الطائفة المسلمة وزين ذلك للناس.

وليس هنالك طائفة أخرى، فليُنظر كل مسلم من أي هذه الطوائف هو. وفي هذا الحديث أيضاً أن هذه الطائفة المنصورة، لا يضرها من خالفها من المشركين، ولا من خذلها ممن ينتسبون للإسلام، فهي منصور لا محالة، ونحن على يقين من هذا النصر الذي وعدنا الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ولكن هذا النصر الموعود، مشروط بنصرتنا لدين الله، والإخلاص في ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وعندما ينصرنا الله تعالى، فلا تستطيع أمريكا وحلفاؤها وأنصارها الوقوف أمامنا، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾.

إن أمريكا وحزبها مهما أوتوا من قوة، فإن قوتهم لا تساوي شيئاً بالنسبة لقوة القوي الجبار، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَأَعْدَاؤُهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

إن جنود أمريكا لا تخيفنا أعدادها ولا عددها؛ لأننا من جند الله القائل: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

والقوة الاقتصادية الأمريكية لا ترهبنا، فالله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

وميزانياتها الدفاعية لا تفرغنا، فالله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

وأنظمة الدفاع الأمريكية المتطورة لا تفت في عضدنا، فالله سبحانه يقول: ﴿وَطُنُّوا أُنْتَهُمْ مَانِعْتُهُمْ خُصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

فيا أيها المسلمون: ثقوا بنصر الله تعالى الذي وعدكم به، إن الله لا يخلف الميعاد، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٠٠﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام أمير المؤمنين / ملا محمد عمر مجاهد".

وهذا خطاب آخر لأمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، موجّه بصفة خاصّة إلى الشعب الأفغاني يحثهم فيه على التوكّل على الله، والصبر والثبات، والتصدي للعدوان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد:

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إلى أمة الإسلام وإلى الشعب الأفغاني الغيور:

هذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، كلكم على علم أن الإنجليز هجموا على أفغانستان، فبأي حق هجموا على أفغانستان؟ هل كان هناك أسامة؟ وكذلك هجم الروس على أفغانستان، هل كان هناك أسامة؟ وهذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، وكلكم على علم أن المسألة ليست قضية أسامة، وإنما هي قضية الإسلام، فهم يعادون الإسلام والمسلمين...

اعلموا أن المخرج من هذه الأزمة هو الاعتماد والتوكّل على الله والصبر والثبات، فهذا هو الطريق الوحيد، فإذا هاجمتنا أمريكا ب كروز أو غيره وهجمت على البلاد، فلا بد من مواجهتها والتصدي لها.

وإذا كان الله أراد هذا فلا بد أن يُقضى، والمخرج هو التوكّل على الله والتصدي للعدوان، فعلى المسلمين أن يفكروا وينظروا إلى الإسلام وإلى حميتهم الإسلامية، وأن لا يخافوا ولا يجزنوا، فلا بد من هذه المشاكل، والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا، لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم، فليثبت المسلمون وليصبروا وليتوكّلوا على الله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. فهل نعتمد على قول الله تبارك وتعالى، أم على قول أمريكا؟

وإذا كانت المشاكل لا بد منها أن تقع فلتقع ومن الذي لا تأتي عليه المشاكل؟ الإنجليز والروس قتلوا الملايين من شعبنا ولكن الله أهلكهم بسبب تضحياتنا، وإن لم تضحوا وتغاروا، على دينكم فانظروا إلى الدول في العالم، سلب منهم إيمانهم وغيرتهم وسلب منهم كل شيء، لماذا نخاف ونحن الذين هُزمت إمبراطوريتنا الإنجليز والروس بأيدي شعبنا ومُزقوا كل ممزق؟

أفغانستان هي أفغانستان السابقة، وغيرها هي غيرها السابقة، ودينها هو دينها السابق، وإيمانها هو إيمانها السابق، فما هو المشكل إذن؟

إنه لا أكثر من أن يموت الناس، فليموتوا لكن مع الإيمان والإسلام، فليس في هذا غضاضة، وإنما المصيبة الكبرى أن يسلب منهم الإسلام والإيمان ويموتوا بغير الإسلام والإيمان، فلا يخف أحد، وليكن كل واحد على استعداد للجهاد، ولْيُبدِ كل منا استعدادًا للقيام بأي عمل يكلف به عند الحاجة، وأي تضحية دون إيمانه ودون دينه ودون كلمة (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله) فليُنو كل أحد هذا وليعزم عليه، فالله ينصركم ويقضي على جميع الفتن والبلايا.

إنكم إن جبنتم، ولم تغاروا على دينكم، فعليكم أن تنظروا إلى تاريخ أجدادكم الأماجد، وانظروا إلى هؤلاء المعوقين الذين قطعت أطرافهم في الجهاد ضد الروس، كيف غاروا على دينهم وكيف سوا الإمبراطورية الروسية بالأرض، وأنتم ترون المجاهدين وهم أحياء.

إن ما يحصل هو تدبير وإرادة من الله تبارك وتعالى، فلا تخافوا ولا تحزنوا ولا تلوموا الطالبان ولا أسامة، فأقسم بوحداية الله أننا لو سلمنا إليهم أسامة لا تنتهي المشكلة، وسيقولون بعده لماذا فعلتم هذا أو ذاك؟ افعلوا هذا وافعلوا هذا كما نقول ونأمركم، فأين يكون إيماننا وديننا في تلك الحالة؟

هذه فقط فقط هي الإمبراطورية الثالثة تفرض نفسها على العالم، يغريها بذلك ويزينه لها العلمانيون وضعاف الإيمان الذين يقفون بجانبها، بل وقف إلى جانبها من يفترض أنهم أعداؤها، لقد وقف الجميع ضدكم.

فعلى كل مسلم أن يتذكر إيمانه ودينه ويثبت في جميع الأحوال، وإلا كان في قلق واضطراب ولا ينجيه ذلك من الموت لأن الموت لا بد منه. إنه يجب أولاً على المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يغاروا على دينهم ويذودوا عنه وعن أفغانستان، وأن يستعدوا لكل تضحية من أجل الإسلام،

وإن لم يفعلوا فعلى شعب أفغانستان أن يثبتوا على إيمانهم وغيرتهم وشجاعتهم ويجددوا تاريخهم الجليل.

عندما هجم الإنجليز على أفغانستان، وعندما هجم الروس لم أكن أنا ولا أسامة بن لادن، وقد تصدى لهم الشعب الأفغاني بكل شجاعة، ودون أن أمرهم أنا أو أسامة بذلك، ولكن الشعب الأفغاني ضحى وغاروا على دينهم وإيمانهم، وهذه الآن أيضًا حلقة من سلسلة هذه المواجهات، فيجب على كل مسلم أن يثبت، ولو كلفه ذلك حياته فهذا هو طريق الفوز، ولا شك في هذا وليعتمد كل مسلم على ربه وليثق بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط (أن يقول أنا مسلم) دون أن يُخلص في هذا ويصدق، فلا بد من الإيمان الواقعي وبعد الإيمان الواقعي يكون الفوز حليفك، وهذا وعد من الله تبارك وتعالى ولا يخلف الله الميعاد.

إنني لا أخاف ولا أداهن أعداء الإسلام والمسلمين، وسلطتي وحكمي ورئاستي حتى حياتي في خطر، وأنا مستعد لكل تضحية إن شاء الله. ولو أنني أداهن الكفار وأسامهم مخالفًا للإسلام فسيؤمنون لي الإمارة والسلطة، ويمدونني بالمال، وأكون في سعة ورخاء كما يعاملون رؤساء سائر البلاد، ولكني أضحي حتى بنفسي، وأغار على ديني الإسلام، وعلى هذا الوطن المبارك، فما بال فرد من الأفراد العاديين الذين ليس عندهم ما يخافون عليه لا يغار على دينه ووطنه، ويخاف ولا يحضر الجهاد ويفر خارج البلاد؟ فما بالهم وليس عندهم ما يخافون عليه عجبًا؟!

إن حكمي وسلطتي وحياتي كلها في خطر، ومع هذا أغار على ديني وأدافع عنه فما بالك أنت لا تغار على دينك وتخاف؟ إن هناك ضعفًا وهوانًا في إيمانك، فإن كنت مؤمنًا حقًا يكون الإيمان عزيزًا عظيمًا عندك، فعليك أن تضحي في سبيله.

إنني مستعد لكل هذه التضحيات إن شاء الله، فأعجب منك كيف لا تستعد؟!، فإن كان عندك إيمان أو غيره فلتثبت، وإلا فلا أبالي بك ولا أستمع لك، ولماذا أستمع لك وليس عندك غيره ولا إيمان؟ أنت تشير علي أن أفعل هذا وأدع هذا، فإن كان معك إيمان فلا تتنازل عن دينك وإيمانك، ولا تقبل بما فيه خطر على الإيمان والإسلام واستقلال الوطن، فإذا كنت تتنازل عن كل شيء وتقبل كل شيء فظاهر أن فيك ضعف إيمان، فيجب عليك أن تقوي إيمانك وتعيد النظر

في منهجك، لأن الذي معه إيمان قوي ويريد أن يحافظ على إيمانه فلا يقبل أمرًا يكون فيه خطر على الإيمان والإسلام.

فيجب على كل مسلم أن يفكر بعمق ويغار على الإسلام والقرآن، فالله رؤوف رحيم وسوف يكرمنا بالفوز، والفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك، وهذا هو طريق رفع راية الإسلام، وليس رفع راية الإسلام ولا رفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في غير هذا الطريق، في غير هذا الطريق هدم الإسلام لأن هدم الإسلام أن تقبل ما يقوله الكفار ويأمرونك به، فهذا هو طريق هدم الإسلام، وأنت بفعلك هذا سويت اسم الإسلام وقدره بالأرض. لا تسقط راية الإسلام بالموت والتضحية، وإنما تسقط بأن تقبل ما يخالف الإسلام ويكون فيه خطر على الإسلام.

عندما يكون هناك استنفار للجهاد فيجب على كل أحد أن يستعد. وأنا لا أقول لكم هذا من أجل الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة، ففكروا جيدًا فلو كنت أريد مجرد البقاء في السلطة فيمكنني ذلك بالمداينة في الدين والتنازل عن الإسلام - لا قدر الله - فلو فعلت ذلك فسوف يحمونني ويمدونني بالأموال، حتى بالقوات العسكرية، وليس طريق البقاء في الحكم أن يستعد الإنسان للتضحية، وأنتم تعلمون أنني لا أقاتل من أجل الحكم والسيطرة ولا أحرصكم لأجل ذلك، وإنما هذا أمر القرآن الكريم فانظروا في القرآن الكريم بماذا يأمركم وإلى أي طريق يهديكم؟

وصيتي لكم هو ما وصاكم الله به في القرآن الكريم، فعلى كل مسلم أن يكون على يقظة في الأمور وألا يخاف، ولا تخدعكم وسائل الإعلام فتضعف إيمانكم، والله يوفق جميع المسلمين إلى أن يثبتوا على الإيمان والإسلام، ومن الله التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خادم الإسلام أمير المؤمنين / ملا محمد عمر مجاهد".

رحمك الله يا أمير المؤمنين، فقد أقمت الحجة على أئمة الضلال والتراجعات، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول، فقد كان من السهل عليك أن تحتفظ بسلطتك وحكمك بالتمسك في قاعدة المصالح والمفاسد فتطلب - على أقل تقدير - من الشيخ أسامة أن يغادر، لأن شعبك يقتل ويشرد، وبلادك تدمر، والمساجد تهدم، والأموال تنهب، والأعراض تنتهك، لكنك لم تفعل وأثرت رغم كل تلك المآسي أن تعلم الأمة درسًا غاليًا من دروس التوحيد، هو أن الفوز الأكبر هو الموت على الإيمان، فالقضية هي قضية إسلام وكفر، ونحن بين خيارين اثنين لا ثالث لهما، كما

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وهذا درس آخر من دروس التوحيد، نتعلمه من الملا محمد حسن رحماني، الذي كان واليًا لقندهار، ونائبًا لأمير المؤمنين الملا عمر رحمهم الله جميعًا. وكان مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان، في لقائه مع الملا محمد حسن، قد وجه له السؤال الآتي: "بالنسبة لقراركم بعدم إبعاد أسامة بن لادن، أو بتسليمه للأمريكيين، لكنتم جنّبت الشعب الأفغاني كل هذه المآسي التي يعاني منها الآن، فهل أنتم نادمون على قرار عدم تسليم أسامة بن لادن؟"

انظروا ماذا كان ردّ الملا محمد حسن رحمه الله. قال: "تعلمون جيدًا بأن الطالبان مجاهدون يؤمنون بعقيدة قوية وإيمانٍ راسخ، ويجاهدون من أجل ذلك. لذا كيف يعقل بأن يندم المجاهدون على عدم تسليم أسامة بن لادن. إن من أساسيات عقيدتنا وإيماننا، هو أن نحفظ كل مسلم من الكفر، وأن ننقذه من الكفر وأهله، إذ لا يعقل أبدًا، ولا يمكن أن يساورنا أي تفكير بالندم على عدم تسليمه للعدو، فهو محل فخرنا واعتزازنا، ونحن نعتز بوقوفه في وجه الكفر وأهله، ومواجهة أعداء الإسلام. والشيخ أسامة وهكذا غيره من المسلمين، لا نقبل بتسليمهم إلى الكفر وأهله، ولا يمكن أن نسلم أي مسلم بأي حال من الأحوال، وهذا ما لن يحدث أبدًا" (206)

وعن طبيعة العلاقة مع الشيخ أسامة وجه مراسل قناة الجزيرة للملا محمد حسن هذا السؤال: "كيف علاقتكم مع أسامة بن لادن الآن؟ أين هو الآن؟ هل لكم علاقة معه؟ كيف علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ هل يشاركون في المعارك التي تخوضونها ضد القوات الغربية في أفغانستان؟".

فكان جواب الملا محمد حسن رحماني رحمه الله: "الشيخ أسامة من كبار المجاهدين، ولا يمكن أن نفشي سر مكانه، ولا أين يقيم في أي حال من الأحوال، ومن المعلوم بأن المسلم أخو المسلم، وكل المسلمين عونًا لبعضهم ويدًا واحدة، مصدر قوتنا بوقوف المسلمين معنا، وكل المسلمين متعاونون معنا ونحن محتاجون إليهم، فالمسلمون يشاركوننا جهادنا بأموالهم وأبدانهم

(206) تفريغ لمقابلة الملا محمد حسن رحماني رحمه الله، مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان بتاريخ 25/7/2008م.

ودعائهم، ونحن محتاجون إلى وقوف كل مسلم. والشيخ أسامة في صحة وعافية وراجون الله بأن يحفظه وندعو الله أن يكأه بحفظه ويخب أعداء الأمة في الوصول إله وإلى مكانه".



الملا محمد حسن رحمانى - تقبله الله



الملا محمد حسن رحمانى رحمه الله، أثناء لقائه مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان

وهذا الملا داد الله رحمه الله، مثأً آخر لواحد من أولئك الأشاوس، الذين سطّروا بدمائهم عزّ ومجد هذه الأمة، لا تملك إلا أن تقف مشدوهاً أمام قوة موقفه مجيباً على أسئلة وجهها له

الصحفي أحمد زيدان مراسل الجزيرة، وهي: ما هي طبيعة علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ وهل لديكم صلات بهم الآن؟

فأجاب الملا داد الله رحمه الله:



الملا داد الله رحمه الله، أثناء لقائه مع مراسل قناة الجزيرة أحمد زيدان

"العالم كله يعرف أننا ضحينا بحكومتنا من أجل مجاهدي (القاعدة)، وهذه كانت فريضة إسلامية علينا، فكيف نفقد الصلة بهم؟ والآن نحن وإياهم في جبهة واحدة، وساحة واحدة ضد العدو المشترك، وسنبقى في هذه المعركة حتى النصر أو الشهادة بإذن الله. فهدفنا مواصلة الجهاد، فديننا واحد، وهدفنا واحد، وعدونا واحد أيضاً، وإن شاء الله سنبقى مع الإخوة في (القاعدة)، شيئاً واحداً حتى نلحق الهزيمة بعدونا الصليبي المشترك".

ويسأله الأستاذ أحمد زيدان: هل أنتم نادمون على مساندتكم لتنظيم (القاعدة) بعد أن خسرتم حكومتكم؟

فيجيب الملا داد الله رحمه الله: "كلامنا هو كلام الشهيد حين يوضع في القبر فيقول: تميت أن أحيا ثم أقتل مرة ثانية، وذلك للمشاركة في الجهاد ليستشهد مرة ثانية، لما يرى من

المكانة السامية التي يراها بسبب جهاده واستشهاده، ونحن نقول: ليتنا نستولي على الحكومة مائة مرة ثم نفقدها، ونضحى بأنفسنا من أجل هؤلاء المجاهدين من تنظيم القاعدة"⁽²⁰⁷⁾.

كذلك سُئل سفير طالبان السابق الملا عبد السلام ضعيف وقيل له: هل تشعر بالندم بسبب موقفكم؟

فقال بكل ثبات وطمأنينة: "لا لقد فعلنا مقتضى ما جاء في ديننا وفعلنا كل ما بوسعنا ولو قدر لنا أن تعاد الأحداث ثانية لما تغير موقفنا أبدًا".

وهذا سؤال تم توجيهه من مركز الدراسات والبحوث الإسلامية للأخ محمد الطيب آغا مدير مكتب أمير المؤمنين الملا محمد عمر رحمه الله، فانظروا ماذا كان ردّه.

س: تردد في أوساط بعض الأفغان أن وقوف حكومة طالبان مع الشيخ أسامة بن لادن هو السبب في الحرب الأمريكية ضدها، وأنه كان يمكن تجنب هذه الحرب في حالة التخلّي عن حمايته، فما رأي حركة طالبان في هذه المسألة؟

ج: نحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأننا مستهدفون من قبل الكفر العالمي بقيادة أمريكا، لسبب أساسي هو إعلاننا تحكيم شرع الله، ورفضنا التبعية لأية قوة كفرية، وكل الأسباب الأخرى التي يرددها الكفر، نابعة من هذا السبب الأساسي، ولو كنا قبلنا - لا سمح الله - بالتخلّي عن حماية الشيخ أسامة لما اكتفوا بذلك منا، فكانوا سوف يفتحون لنا موضوع حقوق الإنسان، وموضوع المرأة، وموضوع المخدرات التي قضينا عليها باعتراف الأمم المتحدة... الخ.

هذه حقيقة أكد عليها أمير المؤمنين مرارًا، فرفض فتح باب التنازل أصلًا، لأن حقيقة هؤلاء قد أخبرنا الله عنها بقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وبمثل هؤلاء - كما قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله - تقام الأمم، وتحيا المبادئ، وتنتصر العقائد.

(207) التبرئة للشيخ الدكتور أيمن الظواهري

نجومُ سماءٍ كلما غاب كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسودٌ تسير المنايا حيث سارت كتائبه
أولئك آبائي فجنني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريئ المجامع

مستخلصاً بعض الدروس من أحداث الحادي عشر من سبتمبر يقول الشيخ أبو قتادة الفلسطيني - حفظه الله - في مقال له بعنوان " الرؤية الشرعية لأحداث أمريكا":

"لقد تعلمنا الكثير من هذه الأحداث، فقد تعلمنا:

1- أن الإيمان موقف، وأن الإسلام حالة، وأن الموقف والحالة تحتاج للضريبة والثمن، وما كان لشيء يستحق القيمة إلا بعد أن تبذل في سبيله الأرواح والمهج والتضحيات.

2- تعلمنا أن الانتساب للسلف ليس تصوُّراً عقدياً بحثاً، بل الانتساب هو عمل وقول، فقد سقط الكثير من أولئك الذين قد ثروا بهذه النسبة كذباً وزوراً، وبأن من كان يعبد الله على حرف، ومن هو مستعد أن يموت في سبيل الله وفي سبيل دينه.

3- تعلمنا أن الزهد ليست حالة فردية شخصية، فلم نكن نعلم أبداً، ولم نقرأ في كتاب أن الزهد هو موقف دولة كذلك، كانوا يقولون إن الزهد في الدنيا يعين على طاعة الله، وأن الرغبة في الدار الآخرة تهوّن عليك مصائب الدنيا، لكننا تعلمنا في هذه الأحداث أن زهد الدولة كذلك يجعلها تقف هذا الموقف، فلو كانت أفغانستان من تلك الدول التي رُفعت فيها البنايات المليئة بالزجاج والبلور، وفيها الناس في رغد وهناء، وكان حكامها لهم الأرصدة المتخمة في بنوك الغرب أكانت هذه الحركة تقف هذا الموقف الإيماني؟ لا والله، فحالة الزهد القدري الذي قدره الرب في أفغانستان هو الذي أعان حركة طالبان وزعيمها أمير المؤمنين ملا مُحمَّد عمر - رحمه الله - أن تقف هذا الموقف الإيماني.

فلا نامت أعين من خاف ذهاب دنياه فضحى بدينه من أجلها.

4- تعلمنا كيف يكشف الله ستر من كاد لدين الله تعالى، وأن المحن طريق كشفه، فمثل هؤلاء الشيوخ الذين أكثروا الفساد في الأرض، ومثل هؤلاء الحكام الذي غيَّروا الدين وبدلوا الملة ما عاد أحد يثق بهم، وما عاد أحد يستطيع أن يدافع عنهم، لأن روائحهم قد فاحت، وقذاره أقوالهم ومواقفهم غطت على محاولات الترفيع.

5- علّمنا الحدث أن قدر الله أقوى من قدرة البشر، وأن مهما بلغت قدرة الطاغوت، ومهما تبجح وتكبر فإن الله إذا قدر أمرًا أمضاه، لا يرده سلطان ولا إرادة فهو صاحب الأمر كله، فالله هو القوي المتين، وأن سحر الشيطان لا ينفذ إلا على عباده ممن يخشونه ويهابونه، وأما أولئك الذين يخشون الله تعالى فهم الذين لا يأبجون لسلطان ولا لعاتٍ مهما بلغ أمره وشأنه.

6- علّمنا الحدث أن هذه الأمة أقوى من كل عوامل التعرية والإفناء، وأن في الزوايا خبايا، وأن ما يقرأه الناس عن الأوائل ليس ضربًا من الخيال ولا أسطورة من الوهم، وأن عالم القيم والإيمان ما زال يُحدث أثره في الوجود، بل هو المؤثر الأول والقوي في حياة البشر وصناعة التاريخ، فإذا كان الناس يهربون من أمام النار والحريق، فإن لهذا الدين أبناء لا يحلو لهم إلا الطيران إلى فطان الموت والشهادة، وأن النار لا ترهبهم بل هم يشتهون أن يكونوا وقودها ومسعريها.

7- علّمنا الحدث أن هذه الأمة لا يستنفرها شيء سوى التحدي، وكلما كان الخصم أقوى وأوضح كلما كان تفاعل الأمة أقوى وأعظم " ١. هـ

حجر الأساس لبداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية:

كانت التداعيات التي حققتها غزوات الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا كارثية من كل النواحي وبكل المقاييس، فهذه الضربات قد أصابت أمريكا في مقتل في عقر دارها، ورمز عزتها. ولسنا هنا بصدد ذكر هذه التداعيات العظيمة التي تناولها الكتاب والباحثون والمحللون، وأشعبت بحثًا من كل جوانبها وزواياها العسكرية والاقتصادية والأمنية والسياسية والمعنوية، لكننا بصدد الوقوف والتأمل في جزئية واحدة فقط من هذه التداعيات، وهي مسودة اتفاق الدوحة الأخير الذي وقعته أمريكا مع إمارة أفغانستان الإسلامية، والذي يثبت بجدارة حقيقة ما ذكره الكاتب سيف الدين الأنصاري في مقالٍ له بعنوان: "غزوة نيويورك وواشنطن قراءة تأصيلية" حيث يقول: "غزوة نيويورك قد دشنت بداية العد العكسي لأكبر دولة إجرامية عرفها التاريخ الحديث، ووضعت الحجر الأساس لبداية النهاية للإمبراطورية الأمريكية". انتهى كلامه.

مصدقًا لهذا الكلام، فقد شهد العالم كله بداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية في الحرب التي خاضتها أمريكا في أفغانستان، والتي انتهت أخيرًا بمسودة اتفاق وقعته أمريكا مع إمارة أفغانستان الإسلامية، يقضي بخروج القوات الأمريكية وقوات حلفائها الأخرى من أفغانستان، وفق جدول زمني محدد.

فأمريكا التي أنفقت التريلونات من دولاراتها في بناء ترسانتها العسكرية، لتكون القوى العظمى، والقطب المهيمن الأوحيد في العالم، لم تستطع على مدى تسعة عشر عامًا كاملة - مع أكثر من أربعين دولة من حلفائها من دول الناتو وغير الناتو - أن تحقق نصرًا عسكريًا حاسمًا على مجاهدي الإمارة الإسلامية وأنصارها في أفغانستان، وترنحت تحت وقع ضرباتهم، مما اضطرها أخيرًا أن تنحني صاغرة، وتجلس معهم على طاولة التفاوض.



توقيع اتفاق خروج القوات الأمريكية وحلفائها من أفغانستان

ولطالما تشدقت أمريكا ردحًا من الزمن، بأن لا تفاوض ⁽²⁰⁸⁾ ولا حوار ولا سلام مع مجاهدي الإمارة الإسلامية، وصنفتهم على أنهم جماعة إرهابية وقتلة، ها هي اليوم تجلس معهم وجهًا لوجه، ونندًا لند على طاولة واحدة، لتوقع معهم مسودة اتفاق، يدل بطريقة دبلوماسية على حقيقة أجمع عليها الكُتّاب والمحللون وأرباب السياسة، وهي هزيمة واستسلام الولايات المتحدة الأمريكية.

⁽²⁰⁸⁾ جديرٌ بالذكر أن الأمريكيان كانوا يريدون التفاوض مع حركة طالبان منذ عام 2010م، وأصرّت حينها الإمارة الإسلامية أن يكون أساس التفاوض هو خروج أمريكا وحلفائها من أفغانستان، وحينها رفضت أمريكا وواصلت القتال، ثم ما لبثت أن رضخت عام 2018م لمبدأ التفاوض على نفس الأساس السابق الذي رفضته أول مرة، فله الحمد والمِنَّة.

لقد كان زمام المبادرة في هذه المفاوضات بيد إمارة أفغانستان الإسلامية، فكانت تفاوض من منطق قوّة وثبات فاشترطت بادئ ذي بدء شروطاً محددة على أساسها يتم التفاوض، واستجابت أمريكا صاغرة لتلك الشروط التي كان من أبرزها:

1- اشترطت الإمارة الإسلامية أن تكون قطر - وليس أي دولة أخرى منافسة لها - هي الدولة المضيئة لجولات التفاوض.

2- اشترطت الإمارة الإسلامية أن يكون البند الرئيسي للتفاوض، هو خروج القوات الأمريكية وقوات حلفائها الأخرى من أفغانستان، وفق جدول زمني محدد أقصاه أربعة عشر شهراً.

3- لم تقبل الإمارة الإسلامية إدراج مسألة تطبيق الشريعة كنظام للحكم على طاولة المفاوضات.

4- اشترطت الإمارة الإسلامية إطلاق سراح الآلاف من مجاهدي الإمارة الإسلامية، وبعض قيادات الحركة المأسورين في معتقلات أمريكا ورفع أسمائهم من القائمة السوداء حتى يتمكنوا من المشاركة في عملية التفاوض.

5- اشترطت الإمارة الإسلامية رفع جميع العقوبات الأمريكية والدولية الجائرة المفروضة على الحركة بما في ذلك وصفها بالإرهاب.

6- لم تقبل الإمارة الإسلامية الدخول في أي عملية تفاوضية مع حكومة كابول، قبل توقيع اتفاق خروج القوات الأمريكية والقوات الحليفة لها.

7- اشترطت الإمارة الإسلامية ألا تتدخل أمريكا في شؤون أفغانستان، ولا تتعدى على استقلالها، ولا تمس سيادتها، ولا تستعمل القوة ضدها، ولا تعتدي على أراضيها.

8- ومع أن الإمارة الإسلامية تعهّدت من جانبها بعدم السماح للجماعات الجهادية بتهديد أمن أمريكا وحلفائها انطلاقاً من أفغانستان، إلا أنها في المقابل رفضت الدخول في أي صراع أو مواجهة مع تلك الجماعات، وأنها هي من يحدد الطريقة التي ستتعامل بها معهم، كذلك احتفظت الإمارة الإسلامية بحقها في منح حق اللجوء لكل من أراد من المستضعفين من المؤمنين أن يستجير بها ويأمن في حماها.

مفارقات عجيبة:

1- من المفارقات العجيبة جداً، بل وليس غريباً أن نضيفها إلى عجائب الدنيا إن كانت بالفعل كما يقولون سبع، فالناس كلهم يتحدثون ويتساءلون كيف حققت حركة طالبان من اللا شيء - بعد أن فقدت دولتها - هذا النصر العظيم على دولة تمتلك من أسباب القوة المادية ما جعلها "أقوى وأعظم دولة" في العالم؟ هل من المعقول أن أمريكا وخمسين دولة من لم حلفائها - على مدى عشرين سنة - لم يستطيعوا أن يحققوا نصراً عسكرياً حاسماً على حركة طالبان وأنصارها في هذه الحرب، ثم بعد كل ذلك ينتهي الأمر بموجب اتفاق يقضي بانسحابها هذا الانسحاب المذل، الذي أجمع المراقبون وأرباب السياسة في كل العالم بأنه هزيمة ساحقة لأمريكا، بينما تصوّره أمريكا - من باب ذر الرماد في العيون - على لسان رئيسها المعتوه جو بايدن بأنه انتصار لها، وأنه لا جدوى من وجود قواتها في أفغانستان بعد أن حققت أهدافها التي دفعتها إلى هذه الحرب، وهي مقتل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وضمان أن لا تسمح إمارة طالبان الإسلامية للجماعات الجهادية بتهديد أمن أمريكا وحلفائها انطلاقاً من أفغانستان؟

يا سبحان الله، ما يقارب التريليونين من الدولارات أنفقتها أمريكا في هذه الحرب، وأكثر من ستة آلاف من الجنود والمتعاقدين الأمريكيين قتلوا، وعشرات الآلاف من الجرحى والمعاقين إعاقة دائمة، ومثلهم من الذين عادوا إلى بلادهم سالمين لم يسلموا من أمراض نفسية مزمنة، وغيرها وغيرها من التداعيات، فهل هذا الثمن يستحق أن تدفعه أمريكا لتحقيق هذين الهدفين؟ ألم يكن باستطاعة أمريكا التي تمتلك أكبر وزارة خارجية في العالم، وأكبر جهاز استخبارات في العالم تحقيق هذين الهدفين عن طريقهما؟ لا يسعنا هنا سوى أن نقول صدق سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْنَعُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾.

2- لقد كانت هذه الشروط - وغيرها من الشروط الاستباقية لقيام عملية التفاوض - نصراً في حد ذاتها، دلّ على مدى الإذلال والصغار الذي ألحقته الإمارة الإسلامية بالولايات المتحدة الأمريكية. ولم تستطع "سيدة العالم الأولى أمريكا" أن تملّي شروطها الاستعلائية المذلة، التي طالما أملتها لكثير من الأنظمة الحاكمة، وهي استبعاد أحكام الإسلام بالكلية من نظام الحكم. لقد كان هذا الشرط الذي من أجله شنّ الأمريكان حربهم على إمارة أفغانستان الإسلامية خطأ

سيادياً أحمر، لم يجرؤوا على الاقتراب منه، لأن مفاوضي الإمارة الإسلامية، لم يقبلوا ابتداءً إدراجه للمناقشة على طاولة التفاوض.

3- كذلك من المفارقات العجيبة في هذه المفاوضات التي نجحت فيها إمارة أفغانستان الإسلامية في تحقيق وفرض ما تريد، أن مفاوضي الإمارة لم يكونوا من السياسيين المخضرمين الذين عرّكتهم وحنّكتهم ميادين السياسة، ولم يكونوا من علماء النفس الماهرين في عمليات التفاوض، ولا من القانونيين الخبراء في دراسة العلاقات الدولية وكيفية هندسة المفاوضات، بل ولم يتخرّج أيّ منهم من أيّ جامعة من جامعات العالم التي يُزعم بأنها مرموقة، كهارفرد وأكسفورد والسوربون. لقد تخرّج مفاوضي الإمارة الإسلامية من مدرسة واحدة، ومن جامعة واحدة، تستقي منهاجها وتعاليمها من كتاب ربّها وسنّة نبيّها علمتهم كيفيّة صناعة الرجال، وكيفية هندسة الثبات والصمود. لقد تخرّج مفاوضي الإمارة الإسلامية من جامعة الجهاد الأفغاني المتخصصة في هزيمة الإمبراطوريات العظمى، وفي كيفية إلحاق الذل والهوان والصغار بها، لقد تخرّجوا جميعاً من ساحات المعارك والنزال، التي ربّتهم فيها صيحات الله أكبر، على أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.



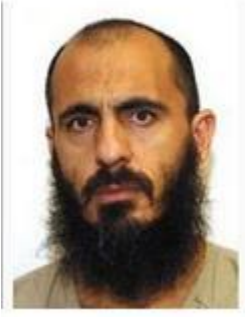
الملا عبد السلام ضعيف
حفظه الله



الملا خير الله خير خواه
حفظه الله



الملا عبد الغني برادر
حفظه الله



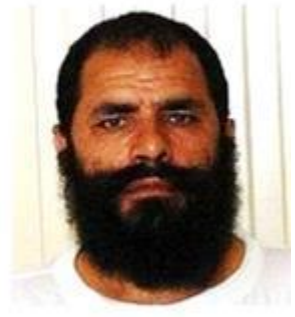
الملا محمد نجي عمري
حفظه الله



الملا عبد الحق وثيق
حفظه الله



الملا نور الله نوري
حفظه الله



الملا محمد فاضل
حفظه الله

قادة طالبان الذين كانوا أسرى في جوانتانامو وشاركوا في مفاوضات الدوحة (209)



الجندي الأمريكي بوي بريجدال المحرر مقابل قادة طالبان الخمسة الكبار

4- ومن المفارقات العجيبة جدًا التي دلّت على أن الإمارة الإسلامية مرّغت أنف أمريكا في وحل الهزيمة والعجز والذلة، هي أن الكثير من مفاوضي الإمارة الإسلامية الذين شاركوا في عملية التفاوض وجّهًا لوجه مع المفاوض الأمريكي، كانوا أسرى في معتقلات أمريكا، وعلى رأس هؤلاء المفاوضين الملا عبد الغني برادر الذي كان مسجونًا لتسع سنوات تحت عين ونظر المخابرات الأمريكية في سجون عملائهم في باكستان، ثم أخلي سبيله وعيّن رئيسًا للمكتب السياسي

(209) هذه الصور عندما كانوا أسرى في جوانتانامو.

للإمارة الإسلامية في قطر لياشر ما يقارب السنتين عملية التفاوض مع المحتلّين الأمريكيين، وليوقّع معهم - نيابة عن الإمارة الإسلامية - مسوّدّة اتفاق الدوحة.

كذلك شارك في هذه المفاوضات مفاوضين قضوا عدة سنوات أسرى في معتقل جوانتانامو، كان من بينهم الملاّ عبد السلام ضعيف، الذي كان سفيرًا لحكومة طالبان في باكستان. وكان أمير الإمارة الإسلامية الشيخ "هبة الله أخند زاده" حفظه الله - مزيدًا في إذلال أمريكا - قد أصدر مرسومًا بتعيين قادة طالبان الخمسة في المكتب السياسي للإمارة الإسلامية في قطر ليمارسوا التفاوض مع الأمريكان.

وكان هؤلاء القادة قد أُطلق سراحهم معزّزين مكرّمين في يونيو 2014م بموجب صفقة مبادلتهم بالجندي الأمريكي الأسير بوي بريجدال، بعد ثلاثة عشر عامًا من الأسر قضوها في معتقل "جوانتانامو" وهم:

أ- الملاّ مُحمّد فاضل [رئيس أركان الحرب إبان حكم الإمارة الإسلامية].

ب- الملاّ نور الله نوري [الرئيس التنسيقي للإقليم الشمالي وحاكم ولاية بلخ سابقًا].

ت- الملاّ خير الله خير خوا [وزير الداخلية ووالي هرات سابقًا].

ث- الملاّ عبد الحق وثيق [مساعد الرئيس العام للاستخبارات سابقًا].

ج- الملاّ مُحمّد نبي عمري [قائد لواء الحدود سابقًا].

5- ومن المفارقات العجيبة كذلك أن إرادة الله شاءت أن يتمّ هذا الاتفاق، وتوقع أمريكا على هزيمتها بانسحابها دون تحقيق أي مكاسب تذكر قبل ظهور جائحة كورونا. فلو كان هذا الاتفاق قد تم بعد ظهور الجائحة لقال الناس إن كورونا وليست عمليات الطالبان هي السبب الذي أجبر أمريكا على الانسحاب، لكن شاءت إرادة الحكيم الخبير أن تذوق أمريكا الذلّ والعذاب والويلات أولًا على هذه الأيدي المتوضّئة، ليشهد العالم أجمع هزيمة الامبراطورية الثالثة على أيدي المجاهدين في أفغانستان، ثمّ بعد ذلك لتذوق بيد جندي واحدٍ من جنود الله لا يرى بالعين المجرّدة لونًا آخر من العذاب أشدّ وأنكى عليها من العذاب والويلات الذي لاقتّه على أيدي الطالبان وأنصارهم، وصدق القوي العزيز في قوله تعالى: ﴿فَلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرْتَضُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

فهل بعد ذلك من شك، في أن غزوات نيويورك وواشنطن بالفعل قد دشنت ووضعت حجر الأساس، لبداية النهاية للإمبراطورية الأمريكية.

من أقوالهم عن مفاوضات الدوحة: هذا هو الدرس يا عرب!

يقول الدكتور مصطفى يوسف اللداوي من رابطة أدباء الشام في مقال له بمجلة الصمود العدد 169 معلقًا على نتائج مفاوضات الدوحة:

" فحركة طالبان التي قاتلت الأمريكيين طوال عقدين من الزمن، فاوضتهم سنتين فقط، حصلت خلاهما على ما تريد، وحققت كل ما كانت تتطلع بالبندقية إليه، إذ استعادت أرضها كلها، ولم تنازل لأمريكا عن بعضها، ولم تقبل بتصنيفها وتجزئتها، ولم ترض ببقاء جندي أمريكي على أرضها، ولم تمنحه صفةً أخرى أو تقايضه على وضع آخر، ورفضت أن تكون وصيةً على الأفغان في حواراتهم الوطنية وخلافاتهم الداخلية، وأصرت على أن يكون من حقها العودة إلى القتال في حال أخلت أمريكا بشروط الاتفاق، أو بدلت فيها وغيرت. تجربة طالبان تؤكد لنا أن العدو لا يحترم غير الأقوياء، ولا يخضع لغير الذين يوجعونه ويؤلمونه، ويجبرونه على البكاء والندم، وهو لا يحترم الضعفاء، ولا يتنازل لمن تخلوا عن السلاح، وقبلوا أن يكونوا له عيوناً ولأمنه حراساً، وارتضوا أن يعملوا عنده وأن يطمئنوا إليه ويصدقوه، وأن يثقوا به ويعتمدوا عليه، فمن أراد أن يفاوض فلا يفاوض عن ضعفٍ، ولا يخضع لشروطٍ، ولا يتخلّى عن سلاحٍ، ولا يعجل بخلع الثياب ونزع البزة، بل يبقى يده على الزناد ويفاوض إن أراد، ويقبض على البندقية ويجاور إن شاء".

كذلك في نفس العدد علّق على الحدث مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني بقوله:

" لا شك في أن مجريات عملية التفاوض الطويلة تمثل هزيمة مدوية للأمريكيين سياسياً وعسكرياً، فبعد تصنيفهم الحركة بأنها (إرهابية)، ووعيد القادة الأمريكيين بسحقها، وتصريحات رامسفيلد وديك تشيني وجورج بوش عام 2001م، ها هم يُوفدون مبعوثاً خاصاً إلى مقر المكتب السياسي لطالبان في الدوحة، ليجلس مع هؤلاء (الإرهابيين)، ويتفاوض معهم بمستوى الند للند... ولا شك أيضاً، في أن خليل زادا مكلف بالخروج بصيغة تحفظ ماء وجه أمريكا بعد عجزها عن تحقيق نصرٍ عسكري على (طالبان)، بحيث تتمكن واشنطن من

القول لمواطنيها إننا خرجنا من هذا البلد بعد تأسيس نظامٍ سياسيٍّ جديد، أو أننا ببساطة تركنا شيئاً ذا قيمة بعد خروجنا، لذلك يصر خليل زادا على فرض صيغة الحكم في أفغانستان بعد الانسحاب ومستوى مشاركة (طالبان) في هذه الصيغة، لكنه يدرك أنه إذا انسحبت القوات الأجنبية من أفغانستان فسيصبح نظام الحكم شأناً داخلياً يتحكم فيه الأقوى، وهو حركة طالبان".

وفي تغريدة للمدوّن طارق المطيري يقول في نفس العدد السابق:

" ما الذي حوّل حركة طالبان من حركة (إرهابية) في عين أمريكا وبحسب وصفها إلى حركة توقع معها اتفاقية سلام؟! ليست الديمقراطية ولا حقوق الإنسان، ولا تراجع عن الفكرة والأيديولوجيا، ولا الخيار السلمي بل الجهاد والسلاح في يد أصحاب الحق، هذا هو الدرس يا عرب... أين أسراب الطائرات؟ أين سلاحها النوعي؟ أين بارجاتها وغواصاتها؟ أين صواريخها الباليستية؟ أين دفاعها الجوي؟ أين استخباراتها؟ أين حلفاءها الدوليين؟ أين ميزانياتها المليارية؟ أين توازن القوى؟ هذه اشتراطات القعود والتعجيز التي لم تتوقف عندها طالبان وتوقف عندها الكثيرون! "

وفي تغريدة أخرى للمدون الدكتور مهمت كانبيكلي نقلتها مجلة الصمود العدد 176:

" ساقوه - يعني الملا محمد نبي العمري - معتقلاً إلى غوانتانامو مكبلاً، وربما وهم يصرخون بوجهه ويشتمونه ويلقبونه بأخطر إرهابي في العالم، ثم يأتي زمان يقف فيه هذا المعتقل السابق ليحاوّر وزير الخارجية الأمريكي على شروط انسحاب أمريكا من بلده " الانتصار لا يعانق من ينتحب، بل يعانق من تكبد وعناء السفر في سبيل تحقيقه".

كذلك نقل نفس عدد المجلة السابق تغريدة للصحفي عبد الباري عطوان يقول فيها:

" أن يقف بومبيو صاغراً وذليلاً إلى جانب وفد طالبان المفاوض طالباً الصفح والغفران، ومستجدياً انسحاباً آمناً لقواته من أفغانستان فهذا درس للعرب ولل فلسطينيين خاصة. أعرف الطالبان جيداً لا تملك قيادتهم طائرات خاصة، ولا يلبسون الحرير، ولا يعرفون الكذب، ولهذا انتصروا وفرضوا شروطهم".

هل هي ضرب من الجنون؟:

عندما خاض المجاهدون في أفغانستان حربهم الأولى على أقوى دولة في العالم آنذاك؛ الاتحاد السوفيتي، كان الناس يرمون المجاهدين بالجنون، وعندما سَعَّر الشيخ أسامة بن لادن - رحمه الله - هذه الحرب على أمريكا، نسي الناس أنه بفضل الله وحده انتصر المجاهدون على الاتحاد السوفيتي، ومرة أخرى كانوا يرددون: (عَرَّ هُؤْلَاءِ دِينَهُمْ ﷺ)، أنتم مجانين، أنتم تحلمون، أنتم تزرعون في الهواء، كيف تقاتلوا أمريكا، ليس لكم أمل في البقاء أحياء، وسوف تمحيكم أمريكا من الوجود... الخ، وكان الرئيس الأمريكي السابق بوش قد توَعَّد الطالبان في بداية هذه الحرب وقال بصريح العبارة (we will smoke them) أي سوف نبخرهم؟.

كانت هذه هي أحاسيس كثير من الناس ومشاعرهم وتوقعاتهم تجاه هذه الحرب، لكنها لم تكن كذلك لمن خالط الإيمان بشاشة قلوبها، وعرفوا طبيعة هذا الدين، وطبيعة هذا الصراع.

فقد جاء في السيرة أن رسول الله ﷺ بعد وفاة عمِّه أبي طالب - وكان حينها في أضعف حالاته - أتى قبيلة بكر بن وائل يطلب منهم المنعة والنصرة، فرفضوا ذلك وقالوا له: "لا منعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نُجبر عليهم". فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: "فتجعلون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهم أن تسبِّحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبروه أربعاً وثلاثين". قالوا: ومن أنت؟ قال: "أنا رسول الله". ثم انطلق.

وكان عمُّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في الذروة منا، فعن أيِّ شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: "زعم أنه رسول الله"، قال: "ألا لا ترفعوا برأسه قولاً، فإنَّه مجنون يهذي من أُمِّ رأسه". قالوا: "قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر".

نعم، لقد اعتبرت بكر بن وائل دعوة الرسول ﷺ لها وكلامه في شأن فارس ضرباً من الجنون، لأن فارس كانت في ذلك الوقت دولة عظمى وأحد قطبي العالم، ولا أحد من العرب يجرؤ على أن يخرج على نظامها الدولي.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا مرة أخرى معاني الثقة في موعود الله في أضعف حالات الجهد والبلاء التي تميز المؤمنين من المنافقين، ففي غزوة الأحزاب عندما كان المسلمون

يحفرون الخندق بشّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قد أُوتي مفاتيح الشام، ومفاتيح فارس، ومفاتيح اليمن، ومع أن المسلمين كانوا في أضعف أحوالهم من الجوع والخوف، إلا أنهم تقبلوا هذه البشارات تقبل المؤمن الموقن المصدق بوعد الله، لأنها وعود على لسان من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، بينما كان تقبل أهل النفاق لها بقولهم: "ألا تعجبون من مُجَّد، يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق، وأن نغنم كنوز فارس والروم، ونحن هنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله لما يعدنا إلا غرورًا".

لذلك حرّى بنا جميعًا أن نقف طويلاً أمام موقف أمير المؤمنين المَلّا عمر رحمه الله، عندما قال في أحلك ظروفه تلك الكلمات المعدودات التي تقشعر لها الجلود وتخشع أمام جلالها القلوب: "لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق". لقد كان أمير المؤمنين يرى أن هناك وميض نار توشك أن يشبّ لها ضرام، ومع ذلك لم يلن، ولم يعط الدنية في دينه عندما هددوه بوعيد الرئيس الأمريكي بوش، بل قال تلك الكلمات وكله ثقة ويقين واطمئنان بموعود الله عز وجلّ القائل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وأن العاقبة للمتقين ولو كره الكافرون.

نعم يا أمير المؤمنين، نعم قرير العين، فقد صدق الله وعده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وتحققت كلماتك أخيراً، فها هو العالم أجمع يرى بأم عينه "الدولة العظمى" الولايات المتحدة الأمريكية، صاحبة أكبر ترسانة عسكرية على وجه الأرض، تخرج كما خرج أسلافها من قبل صاغرة ذليلة من أفغانستان. ها هي ذي الولايات المتحدة الأمريكية وصويحاتها سارعن في تفكيك قواعدهن، ولممت ترساناتهن العسكرية التي لم تغني عنهن شيئاً. ها هو الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف متحسراً بعظمة لسانه أنهم لم يتعلموا الدرس إلا بعد عشرين عاماً، ويقول بكل صراحة: "الأحداث التي نراها الآن هي إثبات بأنه ما من قوّة عسكرية من شأنها أن تبني الاستقرار في أفغانستان، فهي معروفة بأنها مقبرة الامبراطوريات". ها هي ولايات أفغانستان

ومدّها قد تطهّرت من رجس أمريكا، وعادت مرّة أخرى في سرعة ماراثونية واحدة تلو الأخرى إلى حضن الإمارة الإسلامية. ها هي يا أمير المؤمنين مراكز الدراسات والبحوث وخلايا الأزمات، تخسر رهانها أمام الصورة الحضارية التي ظهرت فيها حركة طالبان، مقتدياً بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكّة، بأنّ اليوم يوم الرحمة، فأعلنت العفو الشامل لصناديد أمريكا من

العسكريين والمدنيين والمسؤولين، قائلةً لهم: "إذهبوا فأنتم الطلقاء"، غير أن أفغانستان أبت إلا أن تلفظ خبثها من هؤلاء المنافقين عبّاد الصليب، الذين يأنفون العيش في ظل الإمارة الإسلامية، فعجّت المنافذ الحدودية ومطار كابل بعشرات الآلاف منهم أبوا إلا اللحاق بفسطاط الكافرين والعياذ بالله.

ها هم يا أمير المؤمنين جنودك الأشاوس الأبطال، بلباسهم الأفغاني البسيط، وبعمائمهم ولحاهم الطويلة، وتكبيراتهم المتعالية على كل من طغى وتجبر، قد حققوا وقطفوا بفضل الله وحده، أعظم ثمرة للنصر في هذه الحرب، ألا وهي الثبات والصمود على الثوابت والمبادئ، وعدم الانكسار لأئمة الكفر من الطغاة والجبابرة.



لقد وعدنا الله بالنصر، ووعدتنا أمريكا بالهزيمة، وسوف نرى أي الوعدين أصدق



الرئيس الأمريكي جو بايدن يعترف بأن أفغانستان مقبرة الغزاة





أفغانستان تلفظ خبثها من عشرات الآلاف من الأفغان المتعاونين مع الصليبيين

ملحمة تورا بورا:

كان الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله - بعد الغزوات المباركات على نيويورك وواشنطن، وحتى سقوط كابل في 13 نوفمبر 2001م - يتحرك بين جبال تورا بورا وأماكن وبيوت آمنة في مدينة جلال آباد، وفي العاصمة كابل وولاية لوجر، ومدينة خوست، وأحياناً كان الشيخ أسامة ومرافقوه يفتشون الأرض ويلتحفون السماء في السهول والوديان والشعاب. وكان مرافقو الشيخ أسامة في هذه التحركات هم الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله، والشيخ سليمان أبو الغيث فك الله أسره، كذلك كان الأخ محمد رحيم الأفغاني فك الله أسره⁽²¹⁰⁾، من الإخوة الأفغان الثقات الذين

(210) أسير في جوانتانامو مع مجموعة الكبار، الذين يعتبرهم الأمريكيان أسرى ذوي قيمة عالية، نسأل الله الكريم أن يعجل بفكاك أسره جميعاً.

كان الشيخ أسامة يعتمد عليهم في قضاء الكثير من الأمور، فكان من المرافقين الأساسيين في مثل هذه التحركات، لما لوجوده من أهمية كبيرة في الحركة، وفي التواصل والاتصالات، فهو من أهل البلد، وفي ذات الوقت من ولاية نجرهار.

وكان الشيخ أسامة رحمه الله، يتوقع أن الطالبان سيصمدون فترة من الزمن، وأن منطقة تورا بورا بسلسلة جبالها المرتفعة الوعرة، وأشجارها العالية، ستكون بإذن الله مصيدة ومقبرة للغزاة الأمريكيان، غير أن إرادة الحكيم الخبير كانت غير ذلك، فسرعان ما بدأت مدن الشمال في التساقط في أيدي الصليبيين، حتى تبعها سقوط كابل في 13 نوفمبر 2001م. وعلى إثر ذلك، انسحب أغلب العرب وغيرهم من الأنصار متوجهين نحو ولاية لوجر، وخوست وجرديز في ولاية بكتيكا. كذلك انسحب عدّة مئات من الإخوة وأنجّهموا شرقاً نحو مدينة جلال آباد.

وفي كابل - قبل سقوطها بليلة واحدة - كان الشيخ أسامة على موعدٍ مع الشيخ أبي سليمان المكي⁽²¹¹⁾ حفظه الله، وكان الأمريكيان قد عثروا في أحد السيّارات التابعة للشيخ أسامة، والتي كانت قد تُركت في أسفل تورا بورا على شريط فيديو لهذا اللقاء، وفيه كان الشيخ أسامة يروي للشيخ أبي سليمان شيء من تفاصيل العمليات، وتوقعاته لما سيحدث للأبراج بعد الضربات. كذلك تناول الحديث قصّة الرؤيا التي كان قد رآها الأخ أبو الحسن الصعيدي في جلال آباد عام 1996م. وكان الأمريكيان قد دندنوا كثيراً على هذا الشريط، واعتبروه دليلاً دامغاً على مسئولية الشيخ أسامة للعمليات.

وبعد انتهاء اللقاء مع الشيخ أبو سليمان المكي توجه الشيخ أسامة ومرافقوه إلى جلال آباد، وباتوا ليلتهم تلك في أحد البيوت الآمنة. وفي صباح اليوم التالي نقلت وكالات الأنباء خبر سقوط كابل في أيدي قوات تحالف الشمال، فأمر الشيخ أسامة بالخروج من البيت والتوجه إلى مزارع الزيتون المحيطة بمدينة جلال آباد، وهناك انتظر الجمع حتى حلول الظلام، ثم أعطى الشيخ أسامة أوامره بالتوجه إلى تورا بورا، وعند الوصول تُركت السيّارات في المعسكر أسفل الجبل، وحمل كلُّ

(211) من طلبة العلم الذين نفروا للجهاد الأول في أفغانستان، وكان له دور بارز في الدروس والمواظب التي كان يلقيها في الجبهات، وقد أصيب في جبهة جلال آباد إصابة أصابته بشلل نصفي فأقعدته. وبعد الأحداث، ومع أن الله قد عذره وحاول معه أقاربه كثيراً أن يبقى إلا أنه رفض القعود، وأبى إلا أن ينفر مرة أخرى إلى أفغانستان.

متاعه على ظهره ليكمل المشوار الذي يستغرق حوالي ثمانية ساعات سيرًا على الأقدام صعودًا إلى أعالي تورا بورا، وكانت تلك هي المرة الثانية التي يصعد فيها الشيخ أسامة إلى هناك.



لقاء الشيخ أسامة مع الشيخ أبي سليمان المكي

وكان الشيخ أسامة قد وجّه كل الإخوة المتواجدين في جلال أباد والمنسحبين من كابل بالصعود سريعًا إلى جبال تورا بورا، حيث توزعوا في مجموعات على قمم الجبال، وبدأت كل مجموعة في اتخاذ الأسباب القتالية اللازمة، من حفر الخنادق وتمويهها و... الخ.

وكان موقع الشيخ أسامة يكمن في قمة عالية، يوجد بها غرفة مموهة بصورة جيدة تحت أشجار الصنوبر الكثيفة، كانت مأوى للمجاهدين الأوائل أيام الروس. وكانت مهمة التموين قد تولّى بها رجلٌ من خيرة الرجال من نفس المنطقة، اسمه معراج الدين⁽²¹²⁾؛ فكان رجاله يمدوننا بالماء، والتموين بالغذاء، وينقلون الذخائر على ظهور البغال، وكانوا قد تولوا أيضًا مهمة حفر المزيد من

(212) كان التحالف الصليبي قد تواصل معه عبر المنافقين ليتعاون معهم، لكنه رفض ولم يبع دينه بعرض من الدنيا، فقصفوا بيته وقتلوا على إثر ذلك سبعة عشر فردًا من أفراد عائلته، ولم تنجو من القصف إلا أمّه. أسأل الله العظيم أن يتولاه بحفظه إن كان حيًا، وأن يتغمّده بواسع رحمته إن كان غير ذلك.

الخنادق في أماكن متفرقة ومتباعدة في تلك السلسلة الجبلية. أيضاً كان رجال القبائل من نفس المنطقة يتوافدون علينا، فجاء بعضهم طالباً العمل كحفر الخنادق، وبعضهم جاء يريد رؤية المجاهدين والشيخ أسامة، ومنهم من جاء يريد تقديم المساعدة وواجب الضيافة.

وكانت أنظار الأمريكيين بعد سقوط مدينة جلال آباد في 14 نوفمبر 2001م قد تحولت نحو سلسلة جبال تورا بورا، فقد كانوا يعلمون علم اليقين عبر منافقيهم أن الشيخ أسامة متواجد فيها. وكانت طائراتهم التجسسية يُسمع صوتها ليلاً ونهاراً حيث لم تترك موضع شبرٍ في تلك الجبال إلا أشبعته مسحاً وتصويراً بأبعاده الثلاثة، ورغم ذلك فقد عزف قائد القوات الأمريكية، وجبئ عن اتخاذ قرارٍ باقتحام الجبل خوفاً من الخسائر الكبيرة التي من المتوقع أن تتكبدها قواته، وكان خياره المفضل تقديم قوات عميلة من الأفغان بقيادة حجّي دين مُحمّد وحضرة علي وحجّي مُحمّد زمان، بعد التمهيد لها بقصف مجنون بطائرات ال بي اثنين وخمسين، وال أف 16، والأباتشي وغيرها، والصواريخ المخصصة لاختراق الكهوف، والقنابل زنة سبعة طن، وغيرها مما خفي علينا من أنواع الأسلحة.



الشيخ أسامة بن لادن والشيخ الدكتور أيمن الظواهري يتنقلون في أحراش وجبال تورا بورا



الشيخ أسامة يتحدث أمام مجموعة من الإخوة في تورا بورا عن فضل الشهادة في سبيل الله

وكانت طائرات ال "بي اثنين وخمسين" ترسم فوق سماء تورا بورا دائرة من دخانها المتكثف، كأهم يقولون لنا أنتم محاصرون، سلموا أنفسكم. ولأكثر من ثلاثة أسابيع تواصلت تلك القصفات ليلاً ونهاراً، وكانت كلها في معسكر التركستانيين في سفح الجبل، وهو نفس المكان الذي حلّ فيه الشيخ أسامة أول مرة عندما قدم من السودان. وفي هذا الفترة من القصف المتواصل لم يقتل - بفضل الله وحده - سوى عدد يسير من الإخوة لا يتعدّى أصابع اليد الواحد



طائرة " بي اثنين وخمسين " ترسم دائرة من دخانها المتكثف فوق جبال تورا بورا

وبعد منتصف رمضان، كان القصف قد بدأ يقترب شيئاً فشيئاً نحو الأعلى، وكان مما لا شك فيه أن المنافقين المدسوسين أكدوا للأمريكان تواجد الشيخ أسامة على القمة، لذلك كان لا بدّ من تحرك سريع لتأمين الشيخ أسامة ومرافقيه، وعلى إثر ذلك تحوّلوا جميعاً إلى الجبل الذي تعتبر قمّته أعلى قمّة في سلسلة تورا بورا، وكان يبعد عدّة ساعات مشياً على الأقدام من غرفة القيادة التي كان يتولاها الأخ البحريني عبد القدّوس⁽²¹³⁾.

وفي ذلك الجبل - الذي انتقل إليه الشيخ أسامة - وليس بعيداً من القمّة، كان الأفغان قد حفروا عدّة خنادق في أكثر من مكان، وسقفوها بجذوع الأشجار، وخصصت هذه الخنادق لتكون مكان الشيخ أسامة ومرافقيه، وكان بعض الإخوة اليمنيين متواجدين أيضاً في نفس المكان. وكالعادة كان الأفغان يأتون إلى الموقع بالماء وكل الاحتياجات على ظهور البغال، وبطبيعة الحال لم

(213) كان مدرّباً في معسكر الفاروق في منطقة جهاد وال، ومن الإخوة الذين شاركوا في الصومال.

نكن نعرفهم، ورغم ذلك لم يساورنا أي شك على أي أحد منهم، لكن كان لا بدّ من أخذ كل إجراءات الحيطة والحذر.

لم يمكث الشيخ أسامة في المكان الجديد سوى عدّة أيام حيث كان قد رأى رؤيا توجّس منها، فكان قد رأى عقرباً في خندقه. وفي صبيحة اليوم التالي طلب الشيخ أسامة من فريق الحراسة أن يشدّوا رحالهم قليلاً إلى الأعلى. وبالطبع لم تكن هناك خنادق محفورة في المكان، لكن كان هناك مكان جيّد مغطّى بالأشجار من ثلاثة جوانب، هيأناه ليكون مأوئاً للشيخ أسامة ومرافقيه من المشايخ. ورغم أن الطقس كان بارداً جداً في تلك الأيام، والثلوج تغطّي المكان، إلا أن أكياس النوم العسكرية التي كانت معنا، كانت من النوع المحشو بالريش، فكانت كافية لتقي أحدنا من البرد القارس.

وفي ساعة متأخرة من أول ليلة أو ثاني ليلة بعد الانتقال للأعلى - كانت ليلة الرابع والعشرين من رمضان - وأثناء نوبة حراسة كاتب هذه الصفحات، قصفت إحدى الطائرات أسفل منا - في نفس اتجاه خندق الشيخ أسامة الذي كان فيه - وكان صوت الانفجار هائلاً ومدوياً.

وفي صباح اليوم التالي تبين الخبر، فقد أصبح خندق الشيخ أسامة رحمه الله، أثراً بعد عين. فحمدنا الله كثيراً على سلامة الشيخ أسامة، والشيخ الدكتور أيمن، والشيخ سليمان أبو الغيث، لكن كان هناك خبرٌ آخر، فقد استشهد أخٌ واحد كان نائماً في الخندق تلك الليلة، اسمه أسامة العدني (الزمبياكو). وسبحان الله كان هذا الأخ هو اليمني الوحيد مع إخوة جرائرين، وكان موقعهم يبعد بالتقريب خمسة إلى ستة ساعات مشياً على الأقدام من موقع خندق الشيخ المقصوف، ويشاء الله في ذلك اليوم أن تحرك الأخ من موقعه الأول، ليكون في صحبة الإخوة اليمنيين، غير أن الله سبحانه وتعالى كان قد اصطفاه واختاره ليكون في جوارٍ خير جوارهم، فهنئاً له الشهادة. ومن فضل الله لم يُصب أحدٌ من الإخوة الآخرين بسوء، فقد كانت خنادقهم بعيدة عن الخندق المقصوف.

وفي أواخر رمضان، كان الشيخ أسامة بالتشاور مع الإخوة قد اتخذ قرار الانسحاب من تورا بورا، ولعل السبب الرئيسي في ذلك القرار هو الحفاظ على الإخوة بسبب كثافة القصف، ولقلّة الذخائر التي أوشكت على النفاد بسبب الحصار الذي فرضه المنافقون والعملاء على مداخل ومخارج تورا بورا. وبالفعل تم الاتفاق مع بعض أهل المنطقة لتهديب الشباب على مجموعات عبر

الجال إلى باكستان. وكانت مجموعة حراسة الشيخ أسامة مع إخوة آخرين، هي أول المجموعات التي غادرت تورا بورا، وكان عددهم واحد وثلاثين فردًا. وللأسف الشديد كانت هناك خيانات من بعض الذين تولوا عملية التهريب، فبدلاً من تهريب الإخوة إلى القرى السنية في باكستان حسب المتفق عليه، تمّ تهريبهم إلى مناطق الشيعة - القرية من مدينة بريشمار - الذين تظاهروا بضيافة الإخوة وحسن استقبالهم، وفي النهاية قاموا بتسليمهم وبيعهم للشرطة الباكستانية.

أما الشيخ أسامة والشيخ الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ سليمان أبو الغيث، والشيخ بصير (ناصر الوحيشي)، والأخ الحبيب حمزة الغامدي، وأبناء الشيخ أسامة عثمان ومُحمَّد، فقد انقسموا إلى مجموعتين، وبفضل الله خرجوا بسلام وأمان من دائرة الخطر. وكان الذي تولّى عملية إخراج الشيخ أسامة من دائرة الحصار رجل اسمه نور مُحمَّد⁽²¹⁴⁾. وكان هذا الرجل من أهل المنطقة، وكان مسئولاً مع رجاله عن جزء من دائرة الحصار المضروبة على الإخوة في تورا بورا، غير أن حبه للمجاهدين وكرهه للكافرين دفعه بأن يصعد الجبل ليقابل الشيخ أسامة، وهناك أخبره بأنه رهن إشارته، وتعهّد له بأنه لن يصل إليه أي ضرر من جانبه. وبالفعل وفيّ نور مُحمَّد رحمه الله بعهدته مع الشيخ أسامة، فكان هو الذي أنزله وأخرجه من دائرة الحصار في تورا بورا، وأسلمه لأيدي أخرى أمينة تولّت هي الأخرى خروجه من جلال آباد، وكان بطل تلك المخاطرة الكبيرة هو معلم أول جل رحمه الله.

جدير بالذكر أن الشيخ أسامة ومرافقيه - قبل سقوط مدينة جلال آباد - كانوا يأوون أحياناً لأيام في بيت معلّم أول جل، وكان رحمه الله - عقب سقوط المدينة - قد تواصل مع الشيخ أسامة في الجبل، وذكر له بأن تحالف الشمال قد استبقاه في منصبه الذي كان يشغله - وهو رئاسة فرقة جلال آباد - فماذا يشير عليه؟ فأشار عليه الشيخ أسامة بأن يخلّ عنهم ما استطاع.

وكان شيخ بصير قد أخبرني، أن معلّم أول جل هو الذي نقل بسيارته الشيخ أسامة بعد نزوله من تورا بورا، وعبر به بكامل هيئته ما يقارب الثلاثين نقطة دون تفتيش. وكان الشيخ أسامة أثناء الطريق يردد قول الله عزّ جل ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

(214) اغتيل - رحمه الله - في بيشاور لمساعدته للشيخ أسامة بالخروج من تورا بورا.

يَتَفَكَّرُونَ». وكان الأفغان المرافقون للشيخ أسامة غير مصدّقين لما يروا بأعينهم، واعتبروا ذلك كرامةً من الله لولي من أوليائه.

وعندما استتب الأمر للأمريكان تبين لهم ما قام به معلم أول جل في عملية تهريب الشيخ أسامة، وبناءً عليه تم أسره وترحيله لمعتقل جوانتانامو.

وكان لنجاة الشيخ أسامة من دائرة الحصار في تورا بورا وقع سيئ في نفوس الأمريكان؛ فقد كان الرجل في متناول أيديهم، وما هي إلا ساعات حتى ينالوا منه كما كانوا يظنون، ولكن خيب الله ظنّهم، وجعلهم يتحسّرون على تفويتهم لتلك الفرصة، ويلقون باللائمة على قائد العمليات، الذي جبن على اقتحام تورا بورا، وأوكل هذه المهمة على قوات النفاق والردّة، التي كان يقودها حجّي دين مُحمّد وحجّي زمان وحضرة علي أخزاهم الله.

وجدير بالذكر أن الشيخ أسامة رحمه الله - أثناء حصار تورا بورا - كان قد أرسل برسالة نصيحة وإشفاق لحجّي دين مُحمّد، يذكره فيها بالله - عسى أن تنفعه الذكرى - بأنه كان يومًا من الأيام من الذين يجاهدون أعداء الله الروس الملاحدة، فكيف يقاتل اليوم في صفّ الصليبيين إخوانه المسلمين. وكان ممّا قال له في تلك الرسالة: "إنّ أباك قد سمّاك دين محمّد، ولم يسمّك دين بوش".

وجزى الله الشيخ أسامة خير الجزاء بهذه النصيحة الغالية، فقد أدّى ما عليه، وقام بواجب النصح، وأسمع لو نادى حيًّا ولكن لا حياة لمن ينادي.

وهنا نفسح المجال للشيخ أسامة، ليروي لنا جزءًا من تفاصيل معركة تورا بورا، ففي رسالته لأهل العراق بعنوان "بشائر وتذكير وتحريض ومؤازرة" بتاريخ 11 فبراير 2003م، قال رحمه الله:

" تلك المعركة العظيمة، التي انتصر فيها الإيمان على جميع القوى المادية لأهل الشر، بالثبات على المبدأ بفضل الله سبحانه وتعالى، وسأذكر لكم طرقًا من تلك المعركة العظيمة، للتدليل على مدى جبنهم من جهة، ومدى فعالية الخنادق في استنزافهم من جهة أخرى.

فقد كان عددنا يصل إلى ثلاثمائة مجاهد، وكنا قد حفرنا مائة خندق منتشرة في مساحة لا تزيد عن ميل مربع، بمعدل خندق لكل ثلاثة أخوة، حتى نتلافى الإصابات البشرية الكبيرة من القصف، وقد تعرضت مراكزنا منذ الساعة الأولى للحملة الأمريكية - في العشرين من رجب لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين للهجرة الموافق السابع من أكتوبر لسنة ألفين وواحد ميلادية - لقصف

مركز، ثم استمر ذلك القصف بشكل متقطع إلى منتصف رمضان، وبعدها في صبيحة السابع عشر من رمضان بدأ قصف شديد جدًا، وخاصة بعد ما تأكدت القيادة الأمريكية بوجود بعض قيادات القاعدة في تورا بورا، بما فيهم العبد الفقير والأخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وأصبح القصف على مدار الساعة، فلم تكن تمر علينا ثانية بدون طائرات حربية فوقنا ليلاً أو نهارًا، حيث تفرغت غرفة قيادة وزارة الدفاع الأمريكية، مع جميع القوى المتحالفة معها لنسف وتدمير هذه البقعة الصغيرة وإزالتها من الوجود. فكانت الطائرات تصب حممها فوقنا، وخصوصًا بعد أن أنهت مهماتها الأساسية في أفغانستان، وكانت القوات الأمريكية تقصفنا بالقنابل الذكية، والقنابل ذات آلاف الأرتال، والقنابل العنقودية، وكذلك كانت القنابل الخارقة للكهوف، وقد كانت قاذفات القنابل كطائرات "بي اثنين وخمسين" تحوم الواحدة منها لأكثر من ساعتين فوق رؤوسنا، وترمي في كل دفعة من عشرين إلى ثلاثين قنبلة، وكانت طائرات السي مائه وثلاثين المعدلة، ترمينا ليلاً بالأبسطة المتفجرة، وغيرها من القنابل الحديثة.

ورغم ذلك القصف الهائل، مع الإعلام الدعائي الرهيب الذين لم يسبق لهما مثيل على مثل هذه البقعة الصغيرة المحاصرة من جميع الجهات، بالإضافة لقوات المنافقين التي دفعوها لقتالنا لمدة نصف شهر متصل، والتي صددنا موجاتهم اليومية كلها بفضل الله سبحانه وتعالى، وأرجعناهم في كل مرة مهزومين يحملون قتلاهم وجرحاهم، رغم ذلك كله ما تجرأت القوات الأمريكية على اقتحام مواقعنا، فأى دلالة أظهر من ذلك على جبنهم وخوفهم، وكذبهم في أساطيرهم المدعاة لقواهم المزعومة.

خلاصة المعركة: الفشل الهائل الذريع لتحالف الشر العالمي بجميع قواه على مجموعة صغيرة من المجاهدين، على ثلاثمائة مجاهد في خنادقهم داخل ميل مربع، في درجة حرارة بلغت عشر درجات تحت الصفر، وكانت نتيجة المعركة إصاباتنا في الأفراد بست في المائة تقريبًا، نرجو الله أن يتقبلهم في الشهداء، وأما إصاباتنا في الخنادق، فكانت بنسبة اثنين في المائة والحمد لله.

فإذا كانت جميع قوى الشر العالمي لم تستطع أن تحقق مرادها على ميل مربع بعدد بسيط من المجاهدين بإمكانيات متواضعة جدًا، فكيف يمكن لهذه القوى الشريرة أن تنتصر على العالم الإسلامي، فهذا محال بإذن الله، إذا ثبت الناس على الدين، وأصروا على الجهاد في سبيله". ا. هـ

معادن الرجال:

لقد كشفت لنا ملحمة تورا بورا معادن الرجال، فقد عاشرنا رجالاً لم تربطنا بهم من قبل أي معرفة سوى أخوة الإسلام، ونعمّ بها من أخوة، فقد حللنا في بلادهم وفي ديارهم، وهم يعلمون أن طائرات أميركا وقنابلها تتعقب آثارنا حيث ما حللنا، ورغم ذلك فتحوا لنا بيوتهم، ورحّبوا بنا في بلادهم، وعرضوا أنفسهم وأبناءهم بسببنا إلى خطر عظيم. فهذا معراج الدين الذي قام على خدمتنا، وقدم لنا كل ما يستطيع، تواصل معه التحالف الصليبي عبر المنافقين وساوومه على التعاون معهم لكنه رفض ولم يبع دينه بعرض من الدنيا، فقصفوا بيته وقتلوا على إثر ذلك سبعة عشر فرداً من أفراد عائلته، ولم تنج من القصف إلا أمّه العجوز، وعندما جئنا نعيه كان بعضنا يبكي وكان هو يقول: "ماشي مشكلة أهم شيء أن الشيخ أسامة بخير". وعندما نزل الشيخ أسامة لينسحب من الجبل، قابله معراج الدين في أسفل الوادي، فبكى عندما علم أن الشيخ أسامة سيخرج من تورا بورا، وظل يردد: "عار على الأفغان خروج العرب من أفغانستان، عار على الأفغان خروج العرب من أفغانستان". أسأل الله العظيم أن يتولاه بحفظه إن كان حيّاً، وأن يتغمّده بواسع رحمته إن كان غير ذلك.

كذلك أذكر أن رجلاً مسنّاً، كان يأتي إلينا بين حين وآخر بكمية كبيرة من ثمر الجوز (نوع من أنواع المكسرات)، فجزاه الله عنا خير الجزاء. وذات مرّة في أواخر شهر رمضان، أوى الشيخ أسامة في قرية صغيرة من قرى المنطقة في بيت أحد الأفغان، وعندما أراد الشيخ أسامة مغادرة المكان، طلب منه صاحب الدار أن يكتب له ورقة، لكي يحتفظ بها مفتخراً لأحفاده أن الشيخ أسامة بن لادن قد آوى إلى بيته يوماً من الأيام. وبالطبع لم يخيب الشيخ أسامة طلب الرجل، فكتب له شاكراً ومقدراً ضيافته وكرمه.

وفي المقابل رأينا مسحاً باعوا دينهم وإخوانهم بعرض من الدنيا قليل؛ فوقعوا في الكفر البواح والردة الصراح، كانوا بالأمس - كحجّي دين مُجّد، وحضرة علي، وحجّي زمان - محسوين على المجاهدين، يقاتلون الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، لكنهم اليوم يقاتلون المجاهدين تحت راية الصليب. جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا). فأى فتنة سقط فيها هؤلاء، نسأل الله العافية والثبات.



حضرة علي، أخواه الله

حجّي زمان، أخواه الله

ملحمة قلعة جنكي⁽²¹⁵⁾:

كانت جميع الفصائل المناوئة لطالبان بعد سقوط كابل في أيديهم في 27 سبتمبر عام 1996م قد توحدت تحت مسمى تحالف الشمال، وكان الطالبان قد دخلوا مع هذا التحالف في صراع مرير، ومعاركٍ كَثُرَ وفِرَّ أسفرت بعد تضحياتٍ كبيرة على سيطرة طالبان على معظم ولايات الشمال. ومع بداية الحرب الصليبية بقيادة أمريكا في 7 أكتوبر 2001م، لم يبق مع التحالف الشمالي إلا ولاية بدخشان ووادي (بنشير).

وكان أمير المؤمنين الملا مُحَمَّد عمر رحمه الله في أواسط عام 2001م، قد أمر بتشكيل لواء من جميع المجاهدين غير الأفغان - من العرب والباكستانيين ومجاهدي وسط آسيا - لياشر مهام قتالية في شمال أفغانستان، في ولاية قندوز و تخار، ووقع اختيار أمير المؤمنين على القائد جمعة باي - المسؤول العسكري للأوزبك - لرئاسة وإدارة ذلك اللواء، الذي أطلق عليه أسم اللواء (21)، وربطه بالقيادة العسكرية لجيش الطالبان (كولو أوردو).

وكان أمير المؤمنين الملاَّ عمر رحمه الله، قد علق آمالاً كبيرة على ذلك المشروع، ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيات. وكان عدد المشاركين في ذلك اللواء يزيد على ألف ومئتي مجاهد، من غير الأفغان. وبطبيعة الحال استعان جمعه باي في إدارته العسكرية لذلك اللواء بنخبة من الإخوة القادة من العرب والباكستانيين والتركستانيين. ومع بدايات الهجوم الأمريكي على أفغانستان، قدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف - قبل سقوطها - على نقطة تجمع للمجاهدين من ذلك اللواء، ليستشهد جمعة باي مع 12 من أبرز قادة اللواء من العرب والأوزبك، رحمهم الله جميعاً⁽²¹⁶⁾.

وهنا نترك الشيخ عبد الهادي العراقي (نشوان عبد الرزاق عبد الباقي) فكَّ الله أسره، ليروي لنا تفاصيل تلك الملحمة، التي وقف فيها العالم مشدوهاً على شجاعة وصلابة أولئك الرجال، الذين سَطَّروا بدمائهم وأشلائهم مواقف أشبه بالخيال، يعجز القلم أن يجد لها ما يناسبها من القول سوى

(215) القصة كلها من رواية الشيخ عبد الهادي العراقي، فكَّ الله أسره. بتصرف.

(216) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

قول الله عز وجل: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

يقول الشيخ عبد الهادي، فك الله أسره:

" ملحمة قلعة جنك.. الملحمة المنسية.. ملحمة الشهداء.. ملحمة الشهداء المنسيين..
شهداء قلعة جنك المجهولين.. أبطال رفضوا الهوان..

حقيقة احترت في اختيار عنوان لهم، يعبر عما قاموا به من بطولة ورفض للهوان والذل الذي يمكن أن يتعرضوا له لو بقوا أحياء. فهم ليسوا كباقي القطعان الحية، يسوقهم أعداء الله بالعصا وهم راضخين أذلاء، مقابل البقاء أحياء متمتعين بزيف الدنيا.

كنت أُميرهم، ولكن أقدار الله شاءت أن أبتعد عنهم في اللحظات الحاسمة الصعبة، وهي ليست المرة الأولى التي أراها بعيني، فالشهادة اختيار واصطفاء من الله.

عدة شهور مضت على اتخاذ قرار المشاركة في جبهات شمال أفغانستان، فاخترت المجموعة الأولى من المجاهدين، الذين أمضوا فترات طويلة في جبهة شمال كابول، فشككت منهم مجموعة طيبة صابرة لا توصف بعطائها وبذلها.

أسود جميعهم، لا تكاد تفاضل أحدهم على الآخر، وحسبنا أنهم ذهبوا إلى جوار رحمن رحيم كريم، في أشرف ساحات الوغى وميادين الرجال، ضد أعداء الله من الأمريكان والمنافقين.

كانت الحملة الصليبية الأمريكية قد بدأت على أفغانستان بعد عمليات مركز التجارة والبنتاغون البطولية، التي رد فيها المجاهدون بقوة على الاستعلاء الأمريكي، واحتلالهم للمقدسات الإسلامية، وإعانتهم لليهود ضد إخواننا الفلسطينيين. وكان القصف قد اشتد على مزار شريف خصوصاً، لفسح المجال أمام قوات دُوستم وحلفائه الهزارة (الشيعة) وغيرهم للسيطرة على المدينة والمطار، لعمل موطئ قدم ينزل فيه الأمريكان لتوسيع عملياتهم لاكتساح مواقع الطلبة الصامدة إلى تلك الأيام أمام القصف العنيف والهجمات الشرسة، حتى أنهم - الأمريكان - تحيروا وكادت خططهم أن تفشل، وأصيبوا بالإحباط لولا التطورات اللاحقة التي حصلت وحيرت المراقبين، بل وغالبية الطلبة أنفسهم، ومن كانوا يشاركونهم الدفاع عن دولة الشريعة والقرآن.

وكانت أوامر أمير المؤمنين لازالت واضحة قوية: (اصمدوا واجتهدوا في الدفاع عن مواقعكم إلى آخر رجل. وأن الحياة ليست ملكاً لبوش، الذي يهدد بسلبها ممن سيبقى ويصمد).

بدأ القصف يزداد عنفاً لحظة بعد لحظة، وبدأت المعنويات تنهار شيئاً فشيئاً؛ فالقصف العنيف أخذ يتضاعف، وبدأ ينتشر على كل جبهات مزار شريف، ويمتد إلى خارج مركز قندهار، إلى القرى المحيطة بعاصمة أمير المؤمنين ومخزن قواته، بحجة أن هناك مواقع مشبوهة ممكن أن يتواجد فيها أمير المؤمنين والشيخ أسامة بن لادن. وبدأت أعداد الضحايا المدنيين في ازدياد، على عكس الضحايا في الجبهات، فقد كانت نسبتهم قليلة جداً إذا قورنت مع شدة القصف. ودخلت أخيراً قنابل زنة 7 طن و8 طن التي تأتي على سقف الأسلحة التقليدية قبل مرحلة القنبلة النووية، وأصيبت نفسيات الطلبة بالضعف الشديد، وهم يرون الأهوال من تلك القنابل، وتم الانسحاب من مزار شريف بدون ترتيب وبلا سابق إنذار، وبعدها صدرت الأوامر بالانسحاب من جبهات تخار التي كان الإخوة العرب موجودين فيها، وهم محور قصتنا هذه.

كانت مواقع لواء المجاهدين⁽²¹⁷⁾ (وهم يزيدون عن 1200 مجاهد، شكلهم أمير المؤمنين من المجاهدين غير الأفغان قبل عدة شهور) تمتد من ضفاف نهر جيحون على مركز مديرية خوجة غار، (وخط الجبهة يمتد من هناك إلى تخار وفيه الإخوة الطلبة). وكان القائد العسكري لشمال أفغانستان - الملا فضل - حفظه الله، قد أصدر أمراً بالانسحاب من مقدمة جبهة تخار، والعودة إلى قندوز (التي تبعد حوالي 70 كم عن طالقان مركز ولاية تخار)، لتقليل الخسائر وتنظيم الصفوف. خصوصاً أن الشمال - بعد سقوط مدن مزار شريف وسمنجان وبول خمري وبعدها باميان بأيدي قوات التحالف الشمالي الموالي للأمريكان والصليبيين - كان قد انفصل عن القيادة المركزية للطالبان في جنوب أفغانستان، وحدثت فوضى واضطراب شديدين في صفوف الطالبان، على الرغم من نداءات أمير المؤمنين المتكررة بالصمود والدفاع، وكلمته المشهورة التي ردها:

[إما الحياة بعزة وغيره على دين ومحارم الله، أو الموت والشهادة (زندي به غيرت يا مرگ به شهادت)].

في البداية - في ضوء المعنويات المرتفعة - رفض الإخوة في اللواء الانسحاب، فهم وعلى مدى يومين سابقين، كانوا قد صدوا عدة هجمات للعدو، آخرها استمر لمدة 12 ساعة متواصلة، لم يستطع العدو التقدم شبراً واحداً على الرغم من القصف المدفعي الثقيل الشديد، والدعم الجوي الكبير للطيران الأمريكي الصليبي. وإلى أن أقنع قادة الطلبة الإخوة بالانسحاب، كان قد مر على

(217) نفس اللواء الذي شكّله أمير المؤمنين.

انسحاب بقية قطعات الطلبة أكثر من نهار كامل، ومع هذا تأخرت مجموعة يتراوح عددها بـ 25 أخًا عرييًا، رفضت الانسحاب إلى ما بعد يومين من استكمال انسحاب الجميع، طبعًا حاصرهم العدو، ولكن لم يستطع اقتحام مواقعهم.

وكان خط الانسحاب من خوجة غار إلى دشت أرجي وإلى قندوز مكشوفًا، يمر بمنطقة تلال صعبة قاحلة من أي أشجار، وطوال الطريق كان الطيران يقصف الآليات، ولكن لم تحدث أية خسارة على الإطلاق بتوفيق الله وحفظه.

وحين استقرت هذه القوات كلها حول مدينة قندوز، كانت قوات التحالف الشمالي قد أطبقت الحصار على المدينة، فمن ناحية كانت قوات جلام جم (دوستم والهزارة) قد وصلت من مزار شريف، وقوات شورى نظار (والتي كان قائدها المشهور مسعود قد اغتيل قبل أسابيع) من ناحية أخرى، وكانت المنافسة شديدة بينهم، فمن يدخل المدينة أولاً سينال الخطوة والأموال والمكافأة. وكانت قوات دوستم محسوبة على الأمريكيان، وقوات شورى نظار تتلقى دعمها الكامل من روسيا وإيران، على الرغم من أن الطرفين يتمتعان بالدعم الجوي الأمريكي المباشر.

رمى دوستم (الجنرال الشيوعي السابق) ثقله كاملاً لإجراء مفاوضات لدخول قندز سلمًا، وعرض على الطالبان الاستسلام مقابل العفو وإيصال المقاتلين إلى أماكن سكنهم. وكانت هناك ضغوط شديدة من أهالي المنطقة لخروج الطالبان أو استسلامهم لتجنب مناطقهم الدمار من جراء القصف الجوي الذي لا يميز بين قطعة عسكرية وبين قرية أو تجمع سكاني مدني. كذلك كان دوستم قد زاد في الحاحه على الطالبان بالتسليم مقابل ضمانات كثيرة، ليسبق خصمه محمد فهم قائد شورى نظار، ويدخل قندوز ويضيفها إلى مناطق نفوذه، ليقوي بها موقعه ومكانته عند أسياده الأمريكيان.

لا ندري ما جرى حقيقة في المفاوضات، فقد حصل الاتفاق فجأة على خروج غير الأفغان من هناك، والتوجه إلى مزار شريف للحفاظ عليهم ابتداءً، وعند وصولهم إلى هناك، يستكمل تسليم بقية قوات الطالبان لقوات دوستم. وانطلقت السيارات الشاحنة تقل 350 مجاهد، منهم 154 أخ من العرب، مع 100 أخ من الأوزبك والطاجيك، والبقية من المجاهدين الباكستانيين، وقليل من الطالبان. وكان في صحبة الشاحنات 4 سيارات صغيرة من قوات دوستم، ومن أفراد الكمندان ناصر خروي البشتوني بالتحديد كأمان لهم ودليل.

وخلال الطريق، لم يعترض الشاحنات أحد، وحين اقتربوا من مدينة مزار شريف كان الليل قد اقترب من نهايته، وبدأ الدليل يَحْقُض من سرعة السيارة، إلى أن توقف قائلاً: "إنَّ وجهتنا إلى بلخ الواقعة خلف مدينة مزار شريف، وهناك طريقان، أحدهما طويل يلتف حول مزار، والآخر قصير يخترق المدينة ولكنه خطر لأن هناك قوات من الهزارة، وهم لا يطيعون لنا ونخاف أن يتعرضوا لكم وتكون هناك مشاكل، ولكن الطريق الطويل خطر أيضًا، لأننا نريد أن نوصلكم إلى بلخ بدون علم دُوستم، وإذا طلع النهار ممكن استخبارات دُوستم تكشف الموضوع ويعرقل الأمر، فلهذا سنرسل سيارة لتأمين طريق المدينة، ثم تعود لتسير بالقافلة". المهم تحركت السيارة باتجاه المدينة بسرعة، وبعد ساعة تحركت السيارة الثانية بحجة أن الأولى تأخرت، وعند بزوغ ضوء النهار تحركت الثالثة، وبعدها بقليل الرابعة لاستكشاف الأمر. بدأ الشك يزداد عند الإخوة، نظروا حولهم فإذا هم في منطقة سهلة، ليست فيها أي تضاريس أو وادي أو مرتفع، وفجأة سمعوا صوت مدرعات تتجه صوبهم، أمعن الذين في المقدمة فإذا هي فعلاً مدرعات، ولكنها لا تسير باتجاههم مباشرة، بل قسم منها ينحرف بعيداً إلى اليمين، والآخر بعيداً إلى اليسار.

تشاور المسؤولون بسرعة، وقرروا تشكيل خط دفاعي دائري، يكون العرب في المقدمة، والأوزبك على الجناحين، والباكستانيون يحمون المؤخرة. وفعلاً وبسرعة تنم عن خبرة قتالية توزعت الأعداد، وأخذ المجاهدون أماكنهم، وكانت الأسلحة لحد الآن لم تسحب منهم، عندها كانت قوات العدو قد استكملت حصار المنطقة كاملاً، تخندق الإخوة وسحبوا أقسام الأسلحة استعداداً لأي طارئ.

بدأت إحدى السيارات التي كانت قد غادرت لترتيب أمر عبور المدينة تتجه بسرعة إلى مركز تواجد الإخوة، تركها الإخوة تقترب، نزل مسؤولها وهرول إلى مسؤول المجموعات وكان الخوف يملأه.

المهم أن الأفغاني بدأ مهتماً بتهدة الإخوة قائلاً إن الأمور بخير، ولكن هناك مشكلة بسيطة وهي أن الجنرال دُوستم قد عرف الأمر، وهو يصر على أن يذهب الجميع لمراكزه ليحافظ عليهم، فقط عليهم الآن تسليم أسلحتهم. طبعاً انتفض الإخوة، فكيف يكون ذلك، ولحد هذه اللحظة لم يستطع المنافقون الاقتراب منهم؟ ولقد صدوا العديد من هجماتهم المدعومة بالقصف الأمريكي الصليبي العنيف، وعندما رأى الدليل الأفغاني إصرار الإخوة على عدم تسليم الأسلحة، اقترح

عليهم أن يتصلوا بالملّا فاضل في قندوز، ليأخذوا منه التعليمات، وكان الإخوة قد نصبوا المخابرة في الميدان.

المهم بعد انتهاء اتصاهم بنا تكلموا مع ملا فضل وطلب منهم الرضوخ لمطالبهم، وتسليم الأسلحة للحفاظ على بقية الطلبة الموجودين في قندوز، قائلاً: "إننا لحد الآن لم نسلم أسلحتنا، ولكن إذا عملتم مشاكل فرمّا يبدؤون بقصفنا والتعرض علينا، خصوصاً أن قواتهم بدأت تدخل المدينة. وقال لهم عليكم السمع والطاعة، وأن عملي هذا الغرض منه إنقاذ حياة أكبر عدد ممكن من الطالبان بأمر أمير المؤمنين". تردد الإخوة بتسليم الأسلحة، فنادى ملا فضل الملا ذاكر عبد القيوم ليكلّمهم على المخابرة، وكان ملا ذاكر هو أمير قطاع عمليّاتنا في خوجة غار ودشت أرجي.



الملا محمد فاضل - حفظه الله (218)

بعدها رضخ الإخوة للطلب، وتشاوروا على تسليم الأسلحة الكبيرة الظاهرة، وإخفاء القنابل اليدوية والمسدسات والسكاكين للطواري، وبدأ وضع السلاح على الأرض والأغلبية غير مقتنعة تماماً، ومندehشة لما يحصل. وبعد استكمال تسليم الأسلحة، طلب الدليل من قسم من قوات

(218) كان يشغل منصب رئيس أركان الحرب في الإمارة الإسلامية، وكان من المقربين جداً للأمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله، وكان من أوائل الأسرى في معتقل جوانتانامو، أطلق سراحه معزّزاً مكرّماً في يونيو 2014م، مع أربعة آخرين من كبار قادة طالبان، في عملية تبادل الأسير الأمريكي بوي بريجدال.

العدو الاقتراب واستلام الأسلحة، وطالب الإخوة بتسليم كل ما لديهم من سلاح، فأجابوه بأنه لم يبق شيء آخر، وإزاء هذا العناد طلب منهم التوجه إلى السيارات للتحرك إلى مزار شريف.

انطلقت أمام القافلة سيارة الجرحى مع دليل واحد، وكان هناك أربعة من الجرحى، منهم أبو ناصر الأبيني وأسامة الحضرمي، وكانوا قد جرحوا في القصف سابقًا. أسرعَت السيارة وسبقت القافلة، وعند وصولها إلى داخل المدينة، أوقفها حاجز لحزب وحدت الشيعي، وحينما عرفوا أن فيها عربًا، أنزلوا منها الدليل، ورغم توسله لهم قائلاً إنه منهم ومن أفراد كومندان ناصر، وهؤلاء مستسلمون، وسأخذهم إلى السجن، ولكن بدون فائدة، فبدأوا بضربه وبسبه بشتى الألفاظ القبيحة، وانهالوا بالضرب على الجرحى غير آبهين لحالتهم، واقتادوا الجميع للسجن عندهم وبدأوا بالتحقيق معهم.

وهنا ندع أحًا أفغانياً من الطلبة - كان مجروحًا ركب معهم السيارة - يحكي القصة، حيث يقول: "بدأوا بضرب الجميع ضربًا شديدًا، ثم أوقفوا السيارة في الخارج، واستدعوني للتحقيق، فقلت لهم إنني لست معهم، بل أنا جريح وأتيت معهم فقط بالسيارة. فقالوا لي لا نعرف ذلك، وإذا أردت الخروج فكم ستعطينا؟ حينها تذكرت بأن الإخوة أخفوا مسدسًا وبعض الأموال التي جمعوها من بعضهم خوفًا من السرقة، وأخفوها في محرك السيارة، ففكرت أنهم سيأخذون السيارة كلها، فلأفدي نفسي بالمسدس، ففاوضتهم على إعطائهم له مقابل خروجي، فوافقوا فأرشدتهم إلى مكانه فذهبوا وأخرجوه، ولكن عندما عادوا قالوا هذا لا يكفي نريد ورق أخضر (يقصدون الدولار)، فأرشدتهم على مكان الأموال، وعندما رأوها قالوا لي اخرج واترك لنا هؤلاء العرب نبيعهم بالدولار. فخرجت من عندهم، وأنا أسمع صيحات وتأوهات الإخوة الجرحى، حيث بدأ المنافقون بضربهم، ثم نقلوهم إلى المستشفى، ثم سلموهم للأمريكان".

ثم نعود للقافلة الكبيرة، حيث أخذوا الإخوة إلى قلعة جنكي، وهي قلعة كبيرة على أطراف مزار شريف، ترتفع عن الأرض كثيرًا، يحيطها سور عريض، يمكن للدبابة أن تسير عليه، وخلفه قناة ماء. وكانت القلعة كبيرة جدًا، ومكونة من عدة طبقات، وفي الأسفل سرايب وغرف، وهي قلعة عسكرية مجهزة للقتال والصمود أمام الحصار، وفيها مخزن أسلحة وذخائر كثيرة.



قلعة جنكي

وعند الوصول للقلعة دخلت السيارات، وكان قد سبقهم إليها أكابر كمندانات حزب وحدت الشيوعي، وأكابر كمندانات دُوستم ورئيس استخباراته، وكذلك قوات كبيرة تقدر بعدة مئات، كذلك مندوبين من القوات الأجنبية الأمريكية والـCIA، وتم تقسيم الإخوة وتوزيعهم على الغرف، ثم بعد ذلك بدأت قوات العدو بفتح الغرف، غرفة غرفة وإخراج الإخوة لتفتيشهم، وتسجيل الأسماء وأخذ المعلومات.

وكان يشرف على التسجيل ضباط أمريكيان، وكبار ضباط دُوستم والهزارة. وكان أفراد العدو والمحققين يتعمدون إساءة المعاملة والتلفظ بكلمات قذرة على الإخوة والجهاد والدين، ويستهزؤون بالجميع، وحين رأى الإخوة ذلك وقبل أن يستكملوا الغرفة الأولى، تبادل عدد من الشباب الإشارات، وتقدم الأول للتفتيش واضعاً يده في جيبيه، وانتبه لذلك المحقق فصاح عليه أن أخرج يدك يا ابن.. فشد الأخ قبضة يده من جيبيه، وفجأة دوى انفجار كبير أعقبه آخر، وقتل الأخ مباشرة، وقتل على إثر انفجار القنبلتين اليدويتين أيضاً المحقق الأمريكي ورئيس استخبارات مزار شريف، وأكابر كمندانات حزب وحدت، وعدد من كبار قادة دُوستم.

وساد الهلع قوات العدو، وبدأوا يتناثرون كذر غبار اشتدت به الريح، وسارع عدد من الإخوة إلى أسلحة المقتولين ليأخذوها، وسارع آخرون إلى بوابات القلعة ليغلقوها لمنع العدو وبقية الأمريكان من الفرار، وذهب البقية لفتح أبواب الغرف لإخراج إخوانهم، وسادت فترة قصيرة من الصمت، ولكنها كانت رهيبة، وانفتح بعدها باب جهنم على الأمريكان والأعداء الذين فوجئوا بما حدث، فهم لم يروا ذلك من قبل، ناس في الأسر لا يصيرون على إهانات، هي عندهم في أعرفهم أمور عادية يتبادلونها بينهم بفرح. ولكن أنى يكون ذلك لحرٍ عزيز ذاق طعم الجهاد، وما أنزل السلاح من على كتفه إلا قبل لحظات سمعًا وطاعة لأمره، ولكن على غير اقتناع وثقة في الطرف المقابل الذي وضع يده بأيدي الكفرة والصليبيين لهدم صرح دولة الشريعة.

ودارت معركة رهيبة، كان العدو فيها كالجرذان المرعوبة لا تدري أين الفرار؟ وبدأ قسم منهم يقفز من الجدران العالية، لا أحد منهم يجرؤ على المواجهة، فهم لم يأتوا للموت بل لجمع الأموال والتمتع بشهوة التسلط وما سينعم به الأمريكان عليهم. وما هو إلا وقت قصير قتل فيها الإخوة أغلب الذين كانوا موجودين من العدو والأمريكان.

وبدأ الجدمرة أخرى، فالساعة ساعة حزم وأمر، تقسمت المجموعات، وتوزعت المهام بدقة، فالناس أصحاب خبرة قتالية سابقة. توجهت مجموعة لكسر المخازن واستخراج الأسلحة، وأخرى لجلب الذخيرة وتوزيعها، وأخرى لاستخراج ونصب الرشاشات الثقيلة والهاونات وهكذا. وبعد فترة عادت المجموعة المكلفة بإحصاء وجرد إصابات العدو وإصابات الإخوة، والنتيجة كانت مذهلة [15] قتل أمريكي تقريباً، 200 قتيل من المنافقين]. لم يبق منهم أحد حي، لا خسائر ولا إصابات بين المجاهدين، عدا الأخ الذي ألقى القنبلتين اليدويتين في البداية.

ثم تشاور الإخوة وقرروا الصمود داخل القلعة لأن العدو بدأ يتجمع في الخارج، والمدركات والدبابات بدأت تحاصر القلعة، وصوت الطيران يستكشف المنطقة. بدأ الشباب المجاهد توزيع المهام الدفاعية على الجميع، متوقعين أن العدو سيبدأ عملية اقتحام القلعة، بعدما رأوا كثافة نيران الرشاشات والمدفعية الموجهة عليهم ونداءات طلب الاستسلام.

وإلى صباح اليوم التالي لم يحاول العدو الاقتراب من عرين الأسود، ولكن مع إشراقة الصباح بدأ قصف جوي شديد، وكذلك قصف مدفعي من الأرض، واستمر الأمر إلى المغرب، ولم يستطع الإخوة عمل شيء أكثر من إخلاء الجرحى للطابق السفلي، وكذلك تقليل الأعداد الموجودة في

محيط القلعة للدفاع ضد أي معتدي، واستمر ذلك طوال الليل، ولم يكن هناك من الطعام إلا القليل جدًا مع الماء، هداً القصف ليلاً، ليعود مرة أخرى في الصباح بشدة أكبر مع محاولات لاقترب دبابات، إلا أن الإخوة ردوها على أعقابها، ومع اشتداد القصف بدأ الدخان يتصاعد، والذخائر تنفجر، والدمار يتجاوز الطابق العلوي إلى الطوابق السفلية، ومع نهاية اليوم الثالث من القصف العنيف المستمر، كان أغلب الموجودين قد دفن تحت الأنقاض، أو جرح جروحاً بليغة، ولم ينج من الجرحى إلا من لجأ إلى الخنادق العميقة تحت الأرض.

دخل عدد من أفراد العدو القلعة خفية، ليتأكدوا من مقتل الجميع، وأعطوا إشارة للبقية بانتهاء المقاومة ومقتل الجميع، وعند اكتشافهم وجود عدد من الجرحى في الأنفاق، دخل اثنان من العدو لإخراجهم، فأخرج أخ مسدسه وقتل الاثنين، ورفض الجميع نداءات العدو للخروج من الأنفاق، ففتح عليهم الماء لإجبارهم على الخروج فلم يفلحوا، فبدأوا بإغراق هذه الأنفاق والملاجئ بالديزل والبنزين وأشعلوا فيها النار، عندها اضطر من بقي على قيد الحياة إلى الخروج لينجو من الحرق والاختناق.

وكان عدد من تبقى من هذه المذبحة 80 أخًا أغلبهم من الباكستانيين، وكان من بين الجرحى الأخ الأمريكي جون ووكر الذي أخرج وجوده بوش، فقد كان غير مصدق لوجود أمريكي في صفوف الطالبان.

وهكذا انتهت هذه الملحمة التي سطرها الشباب المجاهد، الراض لهذا الهوان الذي تعيشه الأمة، وفُضِّل لقاء ربه الكريم على حياة ملؤها الذل والخنوع، وما خاب وما خسر في اختياره، بل هو خروج من هذا السجن الكبير، إلى جنات الرضوان مع الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - وصحبه الكرام في أعلى عليين.

وبعد: فهذه أحداث عايشناها ورأيناها، حفرت أخاديد عميقة في عقولنا وقلوبنا، أبطأها إخوة أفاضل سبقونا إلى ما كنا قد وضعنا أعيننا وتعاهدنا عليه، رضا الرحمن وجنات الرضوان، فنحن على طريقهم لن نكل ولن نمل، وقسمًا نبره؛ فقد بعنا، وقد اشترى الرحمن. صفقة لن نندم عليها أبدًا، نرويه لمن كان له قلب، وما زال به ذرة من إيمان أو رجولة أو نخوة لعل الله ينفعه بها. نسأل الله القبول، ولأمتنا الاستيقاظ والنهوض، ولشبابنا العودة إلى الطريق التي ارتضاها الله لنا".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الهادي العراقي

آخر ذو الحجة 1422هـ،

الموافق 14 مارس 2002م



الشيخ عبد الهادي العراقي (نشوان عبد الرزاق عبد الباقي)، فكّ الله أسره

عمليات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر:

إني لأشهد أنهم من كل بتار أحد
يا طالما خاضوا الصعاب وطالما صالوا وشدوا
شتان، شتان بين الذين لربهم باعوا النفوسا
الباسمين إلى الردى والسيف يرمقهم عبوسا
الناصبين صدورهم من دون دعوتهم تروسا
إن أطبقت سدف الظلام وعضنا ناب أكل
وديارنا طفحت دمًا ومضى به الباغي يصول
ومن الميادين اختفت لُمع الأسنة والخيول
وعلت على الأتات أنغام المعازف والطبول
هبت عواصفهم تدك صروحه وله تقول
لن نوقف الغارات حتى عن مرابعنا نزول (219)

بعد بدء القصف الهستيري على أفغانستان، وسقوط الكثير من القتلى في أوساط المدنيين، كان الشيخ أسامة رحمه الله، قد أدلى بتصريح مقتضب وجهه للأمريكان قال فيه:

"وليس من الإنصاف أن تهنؤوا بالعيش وإخواننا في غزة في أنكد عيش! وعليه، فبإذن الله غاراتنا عليكم ستتواصل ما دام دعمكم للإسرائيليين متواصلًا".

وكما عهد على الشيخ أسامة بأنه لا يهدد من فراغ، وأن تهديداته وتصريحاته التي كان يدلي بها، كانت دائمًا تُحمل على محمل الجد. وبالفعل كان الإخوة قد رتبوا لعاصفة من العمليات المتزامنة، تستخدم فيها الطائرات حسب ما ذكر الشيخ أسامة في تصريحه، كان من المفترض أن تنفذ بعد غزوتي نيويورك وواشنطن.

وكان أبطال هذه العمليات هم، عبد الجبار الجاماكي (ريتشارد ريد) بريطاني الجنسية، وساجد محمد بادات من أصول هندية يحمل الجنسية البريطانية، وزكريا موسوي المكّي ب

(219) من كلمات الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله.

(صحراوي) ويحمل الجنسية الفرنسية. واستعدادًا لهذه العمليات، أخذ هؤلاء الإخوة عدّة دورات في المتفجرات، على يد خبير المتفجرات الأخ أبو عبد الرحمن المهاجر رحمه الله.



الأخ صحراوي
(زكريا موسوي)
فكّ الله أسره



الأخ ساجد مُحمَّد بادات



الأخ عبد الجبّار الجاميكي
(ريتشارد ريد) فكّ الله أسره

عملية الحذاء المفخخ في الطائرة الأمريكية في 2001/12/22م:

كان خطة هذه العمليات أن يستقل كل من الأخ عبد الجبّار والأخ ساجد طائرتين مختلفتين متجهتين إلى الولايات المتحدة، وعندما تكون الطائرات في المحيط، يقوموا بتفجير حذائيهما المفخخين بمواد متفجرة غير قابلة للكشف. وفي يوم 22 ديسمبر 2001م، ركب الأخ عبد الجبار من مطار باريس طائرة أمريكية كانت متوجهة إلى ميامي في أمريكا. ولم يشأ الله لهذه العملية أن تتم، فقد حاول بطلنا أن يشعل فتيل التفجير، غير أنه لم ينجح في ذلك بسبب الرطوبة، واشتمّ الركاب رائحة الاشتعال. ولما كانت الأجواء مشحونة بالرعب والخوف من جرّاء أحداث الحادي عشر، التي لم يمض على وقوعها سوى ثلاثة أشهر، لم يسعف الركاب الأخ عبد الجبّار فاشتبكوا معه وشلّوا حركته.

وأثناء محاكمة عبد الجبّار قال له القاضي: "أترى هذا العلم يا سيد ريد؟ هذا العلم يمثل الحرية، وسيبقى يرفرف عاليًا بعد ذهابك أنت وأعوانك، أخرجوه". فردّ عليه عبد الجبّار قائلاً: "هذا

العلم سيسقط قبل يوم القيامة، ثم سيحكم الله بيني وبينك"، وقال أيضًا: "لن أعتذر لكم، فأنتم قد قتلتم أكثر من مليونين من أطفالنا، واغتصبتن نساءنا. انا لست إرهابيًا، نحن في حرب معكم وانا جندي، ولأني للإسلام ولأسامة بن لادن"⁽²²⁰⁾. نسأل الله العظيم أن يعجل بفكك أسره.

أما بالنسبة للأخ ساجد، فعندما سمع بفشل عملية الأخ عبد الجبار تملكه الخوف وأحجم عن خوض العملية، وقطع كل علاقة له بالإخوة المنسقين معه في باكستان. وفي نوفمبر 2003م، تمّ إلقاء القبض على ساجد وحكم عليه في فبراير 2005م بالسجن ثلاثة عشر عامًا. ونظرًا لأنه انسحب من تنفيذ العملية، ووافق على التعاون مع المخابرات البريطانية والأمريكية، أطلق سراحه في مارس 2010م.

أما بالنسبة للأخ صحراوي، فقد كان من المفترض أن يقوم بتنفيذ عملية داخل الأراضي الأمريكية، لا ندري شيئًا عن تفاصيلها، غير أنه كان يتدرب على قيادة الطائرات في أحد مدارس التدريب في مدينة نورمان بأوكلاهوما، لكنه من المؤكد، كما تبين للأمريكان من التحقيقات، لم تكن له أي علاقة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وغير صحيح ما هو شائع عنه بأنه رقم عشرون، الذي كان من المفترض أن يكون ضمن المجموعة. ولم يشأ الله لصحراوي أن ينقذ ما كان ينوي عليه، فقد أعتقل قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر في 16/8/2001م. نسأل الله العظيم أن يعجل بفكك أسره.

(220) الذئب الفردي عدو أمريكا. يحيى المهاجر

عملية جربة في تونس 11 أبريل 2002م:



كنيس اليهود في جزيرة جربا جزيرة جربا بتونس

كانت عملية جزيرة جربة هي أول عملية على اليهود بعد أحداث 9/11، قام بتنفيذها الأخ سيف التونسي رحمه الله في 11 أبريل 2002م. وكان الأخ سيف نموذجًا للعزيمة والهمة العالية، والإصرار على بلوغ الهدف مهما طال الزمن، فقد كان يعمل لوحده لما يقارب الثلاثة سنوات، فبعد أن أخذ دورات خاصة في المتفجرات والالكترونيات، جُهِز جوازه باسم نزار، وغادر أفغانستان سنة 1999م إلى أوروبا، ودخل بعدها تونس كأنه مغترب عائد إلى بلده، فجمع المعلومات والمتفجرات، وجهاز السيارة وقام بالتنفيذ على كنيس لليهود في جزيرة جربا، ليحصل لوحده رحمه الله، ستة عشر روحًا من اليهود، منهم أربعة عشر ألمانيًا وفرنسيان وثلاثين جريحًا.

ضرب ناقلة النفط الفرنسية العملاقة (لمبورج) في المكلا باليمن في 2002/10/6م.

تزامنًا مع الذكرى الأولى لغزوات الحادي عشر من سبتمبر، وفي عملية ناجحة خطط لها كل من الشيخ أبو علي الحارثي، والشيخ قاسم الربيعي، وفؤاز الربيعي رحمهم الله جميعًا، وآخرون، تمكن بفضل الله وحده مجاهدو القاعدة في جزيرة العرب في 2002/10/6م، من ضرب ناقلة النفط الفرنسية الضخمة لمبورج. وقام بتنفيذ هذه العملية الأخوان ناصر عوض ناصر فرج الكندي، المكني (أبو خيثمة الحضرمي)، وحسين البدوي، المكني (أبو الحارث البدوي) تقبلهم الله جميعًا.



الشيخ قاسم الرمي
تقبله الله



الأخ فرقان (فواز الربيعي)
تقبله الله



الشيخ أبو علي الحارثي
تقبله الله



أبو خيثمة الحضرمي - تقبله الله



ناقلة النفط الفرنسية لمبورج

وكان الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، بمناسبة مرور سنة على بدء الحرب الصليبية الأمريكية الجديدة قد أشاد في بيانٍ له بالعملية فقال:

"نحنى أمتنا الإسلامية بالعمليات البطولية الجهادية الجريئة، التي نفذها أبناؤها من المجاهدين البررة في اليمن ضد ناقلة البترول الصليبية، وفي الكويت ضد قوات الغزو والاحتلال الأمريكية. فقد ضرب المجاهدون بتفجيرهم لحاملة البترول في اليمن الحبل السري، وخط التموين والتغذية لشريان حياة الأمة الصليبية، مذكّرين الأعداء بثقل فاتورة الدم، وفداحة الخسائر التي سيدفعونها ثمناً لاستمرار عدوانهم على أمتنا، ونهبهم لخيراتنا وثرواتنا.

إن تزامن ضرب هدف عسكريٍّ بأهمية قوات المارينز في الكويت، وتفجير هدف اقتصاديٍّ بحجم ناقلة بترول في اليمن، وإصدار بيانات مسموعة ومقروءة من قيادات طالبان والقاعدة، الذين راهنت أمريكا على القضاء عليهم، تزامن كل ذلك مع مرور سنة على بدء الحرب الصليبية، ليس من الصدفة في شيء، وإنما هو رسالة واضحة وقوية لكل الأعداء والأصدقاء على حد سواء،

بأن المجاهدين بفضل الله ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، وأن الله رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً" (221).

أيضاً كان تنظيم القاعدة قد أصدر بمناسبة هذه العملية البيان التالي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"بيان من تنظيم القاعدة حول تفجير ناقلة البترول الصليبية في اليمن

قال الله عز وجل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة.

بعد أن ظنت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها الصليبيون أنهم قد قضوا على خطر المجاهدين، وأمنوا مصالحهم الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية في المنطقة، وأوهمو أنفسهم وشعوبهم في الداخل، وحلفاءهم والعالم في الخارج بذلك.

وبعد أن بذل نظام حكم الخيانة والعمالة في اليمن كل ما يستطيع وما لا يستطيع في ملاحقة ومطاردة واعتقال الشباب المسلم المجاهد في اليمن.

وتزامناً مع مرور عام كامل على الحرب العالمية الصليبية على الجهاد والمجاهدين في العالم، ومرور حولين كاملين على تدمير المدمرة الأمريكية (يو أس أس كول) في ميناء عدن اليمني.

في هذا الوقت بالذات، وفي اليمن بالتحديد، وبمقربة من المكان الذي دمرت فيه المدمرة في عدن، وعلى مسافة ليست بعيدة من باب المندب ذي الأهمية الاستراتيجية، ضرب المجاهدون من جديد هدف استراتيجي صليبي هو ناقلة بترول تحمل علماً فرنسياً في الشواطئ اليمنية. وضرب هدف اقتصادي بهذا الحجم، وفي هذا الوقت، وفي مثل هذه الظروف، وبهذه الطريقة، له أكثر من دلالة ومعنى؛ فهو يعني فيما يعني:

أولاً: أن كل الجهود العسكرية والأمنية والسياسية وغيرها مما بذلته أمريكا وحلفاؤها لتأمين مصالحهم الاستراتيجية في المنطقة، ذهبت كلها أدراج الرياح.

(221) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

ثانيًا: أن المجاهدين - بفضل الله - لازالوا يملكون زمام المبادرة والقدرة على مباغتة العدو، وضرب مفاصله ومقاتله الاستراتيجية، وفي الزمان والمكان المناسبين اللذين يحددانهما.

وسواء كانت القاعدة هي التي قامت بهذه الضربة، أو كان غيرها من (قواعد المجاهدين)، الذين ينتمون لنفس العقيدة والفكرة والمنهج، فكلتا الفرضيتين سيئة بالنسبة للأمريكيين وحلفائهم من الصليبيين، لأن فرضية أن القاعدة هي التي قامت بالهجوم، تعني أول ما تعني أن القاعدة مازالت قوية، وقادرة على الضرب في نفس المكان الذي ضربت فيه من قبل، وأن كل الهالة الإعلامية التي أحاط بها الأمريكيان ما يسمونه (الحرب على الإرهاب)، ونجاحاتهم الخارقة في (استئصال الإرهاب والقضاء على رؤوسه وقواعده وجذوره)، مجرد دجل إعلامي، وتضليل كلامي تبخر مع أول سحب الدخان المتصاعدة من السفينة.

وإذا كان غير القاعدة من المجاهدين الذين على منهجها هم من قام بالهجوم، فالأمر أخطر، لأنه يعني ببساطة أن القاعدة التي يتزعمها الشيخ أسامة بن لادن، ليس إلا قاعدة من (قواعد) عديدة منتشرة في هذه الأمة، وعلى أمريكا وحلفائها الصليبيين أن يحسبوا لها ألف حساب.

وحتى لا نقدم استشارة أمنية مجانية للعدو، فلن نحدد له أي الفرضيتين هي الصواب، ونتركه يغرق في كل الفرضيات والاحتمالات التي تحاصره منذ سنتين، دون أن يصل إلى شيء في قضية تدمير المدمرة (يو أس أس كول).

ثالثًا: كما كشفت العملية عن جانب من الخطر الحقيقي الذي يمثله المجاهدون للمصالح الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية للعدو الصليبي، فإذا كان زورق بحري لا يساوي ألف دولار قد استطاع من قبل أن يدمر مدمرة قيمتها المادية فوق المليار دولار، وقيمتها المعنوية لا تقدر بمقدار، وكان زورق مماثل قد استطاع الفتك بناقلة بترول بهذا الحجم، فلنا أن نتصور حجم المخاطر التي تهدد عصب الحياة الاقتصادية الغربية، وهو البترول الذي ترقد المنطقة على أكبر احتياطاته، وتنتج أكبر كمياته، وتضم أهم معابر وممراته.

إن عملية ضرب ناقلة البترول الفرنسية ليست ضربة عابرة لناقلة عابرة، بل هي ضربة لخط نقل البترول الدولي بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

رابعًا: وفوق الدلالات الأمنية والعسكرية والاقتصادية، حملت العملية رسالة سياسية قوية لحلفاء واشنطن في حربها وعدوانها ضد الأمة الإسلامية، بأنهم لن يبقوا إلى الأبد بمنأى عن يد

انتقام الله ثم المجاهدين، وأن عليهم إذا تمادوا في هذا التحالف أن يستعدوا لدفع ثمن ذلك فاتورة ثقيلة من دمائهم ومصالحهم.

وهذه رسالة حملتها عملية ناقلة البترول هذه للفرنسيين، كما حملتها للألمان عملية ضرب المعبد اليهودي في تونس التي قُتل فيها بضعة عشر المانيًا يهوديًا. فعلى الذين لم يفهموا رسالة تجنب المجاهدين للبدء باستهدافهم أن يفهموا الرسالة المقابلة، ولا زال خط الرجعة مفتوحًا لمن أراد إعادة النظر في موقفه قبل فوات الأوان.

وفي الختام: فإننا نبارك للشعب اليمني البطل هذه العملية البطولية الرجولية التي يضيفها لرصيده المملئ بالأعجاد والجهاد والاستشهاد، الزاخر بالبذل والعطاء، والتضحية والفداء؛ فقد كان أهل اليمن عبر تاريخ الإسلام أخف الناس إلى الثغور، وأسرعهم لميادين الجهاد. وقبور شهداء اليمن المنتثرة في جبال أفغانستان، ووديان الشيشان، وقرى البوسنة وغيرها من بلاد الإسلام، شاهد بهذه الحقيقة.

ونحن إذ نبارك هذه العملية، ونهنئ بها الأمة، فإننا ندعو الشباب المسلم في كل مكان للسير على هذا الطريق، والمضي في هذا الدرب، درب العزة والكرامة والشهامة، والبطولة والرجولة، والجهاد والاستشهاد ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. الأنفال.

والله أكبر، والله العزة ورسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون.

(المكتب السياسي لتنظيم قاعدة الجهاد)

الأحد 6 شعبان 1423هـ، الموافق 13 أكتوبر 2002م

عملية على الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت 8 أكتوبر 2002:

استجابة لأمر رسولنا ﷺ بإخراج المشركين من جزيرة العرب، ففي 8 أكتوبر 2002، قام بطلان من أبطال الكويت، هما أنس أحمد الكندري وجاسم محمد الهاجري - بالتزامن مع ضرب ناقلة البترول الفرنسية في (المكلا) باليمن - بالهجوم على جنود مارينز أمريكيان، كانوا يتدربون على أرض جزيرة فيلكا الكويتية.



جزير فيلكا - بالأحمر



جاسم محمد الهاجري، تقبله الله



أنس الكندري، تقبله الله

فبعد استطلاع الهدف، وتأكيـد المعلومة المستطلعة قبل الهجوم، وتحديد الوقت المناسب للهجوم، بناءً على دقة المعلومة للبرنامج اليومي للجنود، الذين كانوا في حالة راحة واسترخاء يمارسون بعض الأنشطة الترويحية مجردين من أسلحتهم، قام البطلان باختراق جميع الأطواق الأمنية، والاحتياطات العسكرية، وأجهزة المراقبة الدقيقة، وفتحوا نيران أسلحتهم الرشاشة على الجنود، وأوقعوا في صفوفهم خسائر فادحة من القتلى والجرحى⁽²²²⁾.

دلالات عملية فيلكا⁽²²³⁾:

1- أكدت هذه العملية القدرة العسكرية الفائقة للمجاهد المسلم الذي أحسن التدريب وحمل السلاح، وأنه لا توجد قوة على الأرض تقف حائلاً أمامه عندما ينطلق لتأدية أمر الله تعالى في قتال أعدائه.

2- دكت العملية الرائعة النظرية الأمنية الأمريكية للمرة الثانية، بعدما غادروا البر العربي للإقامة في الجزر العربية بالمياه الإسلامية، وبهذه العملية تكتمل حلقة الرعب على التواجد الأمريكي في المنطقة، فقد ضربوا في البر، وسحقوا في الجو، وحُصدت أرواحهم في جزر البحر، وفي بارجاتهم العائمة، فأين يذهبون؟

(222) من بيان تنظيم القاعدة حول عملية جزيرة فيلكا الكويتية. بتصرف.

(223) من مقال بعنوان: شفاء صدور المؤمنين [بين يدي العمليات في المكلا وفيلكا وبالي] بقلم: سالم المكي.

3- كما أكدت على رداءة الجندي الأمريكي، وضعف مستواه التدريبي من خلال رد فعلهم الضعيف إزاء عملية الإغارة المباغتة في المكان والزمان، ومن رجلين إثنيين فقط من أبطال الأمة، أسالوا نهرًا من دماء عدوهم.

4- انتصار الإرادة الإسلامية للشعب الكويتي على محاولة تغريبه وإفقاده هويته الإسلامية من قبل الولايات المتحدة، مؤكدين بنموذج مثالي في التضحية والفداء، أن صد الهجوم الأمريكي الصليبي على العراق يبدأ من الكويت، في تجسيد رائع لوحدة الأمة.

5- بينت واقع الاحتلال الأليم، وقاع الذل المهين الذي ترزح فيه الأنظمة الحاكمة المتجبرة على شعوبها، المذللة لخدمة أعداء الله، في صورة مخزية حينما انبطحت وحدات الأمن الحكومية الكويتية على بطونها، وجردت من أسلحتها على أرضها، ومُنِع دخول وزيري الدفاع والداخلية للنظام الحاكم، ولا عزاء للسيدات.

6- أنّ الولايات المتحدة تسير من فشل لفشل، ومن حفرة لمنحدر، وأنّ العداء لهم استشرى في جسد الأمة مما يؤكد أن أمتنا بخير، وشعوبنا واعية ومستعدة أن تبذل مهجها خلف نخبها الصادقة وقادتها المخلصين. فيلى قادة الجماعات والتنظيمات الإسلامية: خذوا بيد أمتكم لعز الدنيا والأخرة.

تدمير الملهى الليلى فى بالى بأندونيسيا فى 2002/10/12م.

كان الشيخ أسامة رحمه الله - فى مقابلته مع مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بتاريخ 2001/10/7م - قد أرسل تهديدًا قوي اللهجة لكل الدول التي تشارك الرئيس الأمريكي بوش فى حملته الصليبية على أفغانستان بأن تراجع حساباتها. وكان من بين هذه الدول التي خصّها الشيخ أسامة بالذكر أستراليا، فقال:

" والحرب كما وُعدنا بها وما هي قائمة بالأساس اليوم بيننا وبين اليهود، فأى دولة تدخل فى خندق اليهود، فلا تلومن إلا نفسها. وإن كان الشيخ سليمان أبو غيث صرح فى بعض تصريحاته السابقة خصّ أمريكا وبريطانية، فهذا ليس للحصر، وإنما إعطاء فرصة للدول الأخرى تراجع حساباتها. فما شأن اليابان وشأننا؟ من الذي يدخل اليابان فى هذه الحرب الصعبة، القوية، الشرسة، فى اعتداء سافر على أبنائنا فى فلسطين؟ ولن تحتمل اليابان أن تدخل معنا فى حرب،

فلها أن تراجع نفسها. ما شأن أستراليا في أقصى الجنوب وحال هؤلاء المستضعفين في أفغانستان، وحال المستضعفين في فلسطين؟" (224).

ولما لم ترعو أستراليا، كان لا بد من معاقبتها بتطبيق المعادلة الصحيحة التي أقرها الشيخ أسامة في كثير من رسائله: **كما تقتلون تُقتلون، وكما تقصفون تُقصفون، وكما تهدرون أمننا تهدر أمنكم، والجواب ما ترون لا ما تسمعون**. فكانت عمليات جنوب شرق آسيا التي خطط لها مسئول العمل الخارجي، البطل خالد الشيخ محمد - فك الله أسره - بالتعاون مع أبطال إندونيسيا. وكان الهدف هو منتجع بالي في منطقة كوتا السياحية، الذي يرتاده كثير من السياح الأستراليين، وغيرهم من رعايا الدول الأوروبية المشاركة في الحملة الصليبية.

ففي يوم 12 أكتوبر 2002م، وقع أكبر هجوم في تاريخ إندونيسيا، حيث قام الأخ الاستشهادي بتفجير عبوته المحمولة في حقيبة ظهره داخل ملهى بادي الليلي (أيضاً يسمّى حانة بادي الآيرلندية)، مما تسبب في العديد من الإصابات. وعندما سارع المتواجدين داخل الملهى إلى الفرار إلى الشارع، كان بانتظارهم سيارة ميتسوبيشي مفخخة، انفجرت خارج ملهى ساري المقابل للملهى بادي، بعد عشرين ثانية من الانفجار الأول. أسفر الهجوم عن مقتل 202 شخصاً (بينهم 88 أسترالي، 27 بريطاني، 7 أمريكي، 6 سويديين)، وبلغ عدد الجرحى 209 شخصاً، وشفى الله صدور المؤمنين.

وبعد شهر من عمليات بالي، أرسل الشيخ أسامة رحمه الله بتاريخ 7 رمضان 1423هـ، الموافق 12 نوفمبر 2002م، رسالة إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية، جاء فيها:

من عبد الله أسامة بن لادن، إلى شعوب الدول المتحالفة مع الحكومة الأمريكية الظالمة.

السلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

" فإن طريق الأمان يبدأ برفع العدوان، وإن من العدل المعاملة بالمثل، وإن ما حدث منذ

غزوتي واشنطن ونيويورك إلى يومنا الحالي:

- كقتل الألمان في تونس،

(224) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

- والفرنسيين في كراتشي،
 - وتفجير الناقلات العملاقة الفرنسية في اليمن،
 - والبريطانيين والأستراليين في جزيرة بالي،
 - وعملية موسكو الأخيرة،
 - وقتل المارينز في فيلكا،
 - مع بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك،
- ما هو إلا رد فعل، وتعامل بالمثل قام بها أبناء الإسلام الغيورون ذودًا عن دينهم، واستجابةً لأمر ربهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام.
- إن ما يقوم به بوش فرعون العصر من قتل لأبنائنا في العراق، وما تقوم به إسرائيل حليفة أمريكا بقصف المنازل بمن فيها من شيوخ وأطفال ونساء بالطائرات الأمريكية في فلسطين، كان كافيًا للعقلاء من حكامكم للابتعاد عن عصابة الإجرام هذه، فأهلنا في فلسطين يُقتلون ويُسامون سوء العذاب منذ قرن من الزمان تقريبًا.
- فإذا دافعنا عن أهلينا في فلسطين قام العالم واضطرب، وتحالف ضد المسلمين تحت مسمى مكافحة الإرهاب بغيًا وزورًا. فما شأن حكوماتكم للتحالف مع عصابة الإجرام في البيت الأبيض ضد المسلمين، أما تعلم حكوماتكم أن عصابة البيت الأبيض هم أكبر سفاحي العصر!
- فهذا رامسفيلد جزار فيتنام، قتل مليونين من البشر فضلاً عن الجرحى، وها هما تشيني وياول فعلا من القتل والدمار في بغداد أكثر مما فعله هولوكو. فما شأن حكوماتكم بالتحالف مع أمريكا في الهجوم علينا في أفغانستان، وأخص بالذكر بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وكندا وألمانيا وأستراليا.
- وأستراليا هي تلك التي حذرناها من قبل عن مشاركتها في أفغانستان، فضلاً عن سعيها المذموم في فصل تيمور الشرقية، فتجاهلت التحذير، إلى أن استيقظت على أصوات الانفجارات في بالي، ثم زعمت حكومتها بهتاناً وزوراً أنهم غير مستهدفين.

فإن ساءكم النظر إلى قتلاكم وقتلى حلفائكم من الرجال في تونس وفيلكا وبالي وكراتشي وعمان، فتذكروا قتلانا من الأطفال في فلسطين والعراق يوميًا، وتذكروا قتلانا عن عمد في الأفراح والأعراف في أفغانستان" (225). ا. هـ

وشاءت إرادة الحكيم الخبير أن يقع بعض القائمين على عملية بالي في الأسر، كان منهم علي أمروزي، وهدي بن عبد الحق، وإمام سائدرا، وفيما بعد حكمت عليهم محكمة الطاغوت بالإعدام رميًا بالرصاص. أمّا نور الدين مُجّد توب، فقد قتل مع ثلاثة آخرين بعد مقاومة شرسة لمداهمة تمت عليهم في 19 سبتمبر 2009م، نسأل الله أن يتقبلهم جميعًا في أعالي الجنان.



إمام سائدرا
تقبّله الله



نور الدين مُجّد توب
تقبّله الله



هدي بن عبد الحق
تقبّله الله



علي أمروزي بن حجّي
نور حسين
تقبّله الله

أبطال عملية بالي تقبلهم الله

ضربات اليهود في شرق افريقيا؛ إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي في 23 رمضان 1422هـ الموافق 2002/11/28م:

بعد نجاح عملية تفجير المدمرة الأمريكية كول، وافقت هذه المرحلة أحداث عالمية بالغة الأهمية والأثر على العالم الإسلامي، كان في طليعتها اشتعال الانتفاضة الفلسطينية، وانتقالها من مرحلة

(225) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

ثورة الحجارة إلى مرحلة العمل المسلح والعمليات الاستشهادية. وبناء على ذلك قرر الشيخ أسامة - رحمه الله - مواصلة الضربات في شرق افريقيا، وتوجيهها هذه المرة على اليهود. فكلف الشيخ أسامة الأخ هارون فضل القمري للقيام بهذه المهمة، فاختار الأخ هارون رحمه الله، بعض الإخوة ليكونوا ضمن خلите التي بلغ عددها 11 أخاً، كان منهم الأخ أبو يوسف التنزاني المعروف بـ(صالح نيهان)، وأبو الحسن الكيني، وطلحة السوداني، الذي كلف فيما بعد بتولي قيادة العمل في شرق افريقيا، رحمهم الله جميعاً.



الأخ صالح نيهان
تقبله الله



الأخ طلحة السوداني
تقبله الله



الأخ هارون فضل
تقبله الله

وكانت المهمة تقضي بأن يقوم الشباب بضرب مراكز ومصالح اليهود المنتشرة في منطقة شرق افريقيا، ردًا على مقتل الطفل الشهيد مُحَمَّد الدّرة في حضن والده أمام عدسات القنوات الفضائية. والجدير بالذكر، أن الإخوة منفذي عملية نيروبي في كينيا عام 1998م، كانوا يريدون استهداف السفارة اليهودية بجانب السفارة الأمريكية، وما منعهم من القيام بذلك إلا وجود مدرسة أطفال كينيين بجوار مبنى السفارة.



الطفل الفلسطيني مُحمَّد الدرة يحتمي بظهر والده قبل لحظات من مقتله

وكانت الأهداف بعد رصدها ودراستها، عبارة عن استهداف طائرة العال اليهودية بصاروخين سام 7، بالتزامن مع استهداف فندق باراديس الذي كان ينزل فيه اليهود. وكانت طائرة العال تقوم برحلتين في الأسبوع في موسم السياحة في كينيا، حيث كانت تأتي بسياح يهود وتأخذ آخرين، وكلهم كانوا ينزلون في نفس الفندق.

وفي يوم الخميس 23 رمضان 1422هـ، الموافق 2002/11/28م سجد الإخوة لله شكرًا، فقد أذاعت البي بي سي سواحيلي خبرًا مفاده أن سيارة مفخخة اقتحمت منطقة الاستقبال في فندق باراديس، وانفجرت أثناء وجود 150 إسرائيليًا في الاستقبال. وكان منفذ عملية الفندق هو الأخ أبو سعيد الكيني رحمه الله. أمّا المحاولة الثانية، فكانت عملية استهداف الطائرة الإسرائيلية العال أثناء إقلاعها من مطار ممباسا، لكن الصواريخ أخطأت الهدف⁽²²⁶⁾. وكان تنظيم القاعدة قد أصدر بيانًا حول العملية جاء فيه:

(226) الحرب على الإسلام. هارون فضل. رحمه الله.

"بيان من تنظيم القاعدة

حول عمليتي مومباسا الكينية ضد اليهود

الحمد لله القائل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصُرُوا نَفْسَهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

في هذا الشهر الكريم، وفي هذه العشر المباركة الأخيرة منه، نتوجه إلى أهلنا في فلسطين أولاً، وإلى أمتنا الإسلامية ثانياً، بالتهنئة والتبريك والتي تعمداً تأخيرها لتتزامن مع عمليتي مومباسا الكينية - ضد المصالح الإسرائيلية - فتكون التهنئة ذات معنى في ظل الظروف التي تعانيها الأمة على أيدي أعداءها من الصليبيين واليهود.

فمن نفس المكان الذي ضرب فيه (التحالف الصليبي اليهودي) قبل أربع سنوات، وبالتحديد في نيروبي ودار السلام ضد سفارتي أمريكا، ها هم المجاهدون من (تنظيم القاعدة)، يعودون مرة أخرى ليوجهوا ضربة موجعة لهذا التحالف الغادر، ولكن هذه المرة ضد اليهود، موصولين لهم بذلك رسالة مفادها: أن ما تمارسونه من إفساد في الأرض، واحتلال لمقدساتنا، وأعمال إجرامية ضد أهلنا في فلسطين من قتل للأطفال، والنساء، والشيخوخ، وهدم للمنازل، وقلع للأشجار، وحصار جائر، لن يمر دون عمل يماثله في النوع، ويفوقه في التأثير بإذن الله. فمقابل أطفالنا أطفالكم، ومقابل نساءنا نساؤكم، ومقابل شيخوخنا شيخوخكم، ومقابل بيوتنا صروحكم ومعالمكم، ومقابل حصار اللقمة والعيش، حصار الرعب والخوف، نلاحقكم به بإذن الله أينما كنتم براً وبحراً وجواً.

لقد صدق المجاهدون بما عاهدوا الله عليه من نصرته دينه، ووقفوا لأمتهم ما قطعوه على أنفسهم من إعزازها ورفع الذل والمهانة عنها، وذلك بتوجيههم ضربات موجعة، وعمليات موفقة بفضل الله عز وجل، ضد (التحالف الصليبي اليهودي) الغادر، حيث قاموا والله الحمد من قبل ومن بعد، بـ:

- 1- تدمير السفارة الأمريكية في نيروبي.
- 2- تدمير السفارة الأمريكية في دار السلام.
- 3- تدمير المدمرة الأمريكية (كول) في عدن.
- 4- تدمير برج التجارة العالمي في نيويورك.

5- تدمير القلعة العسكرية الأمريكية (البنتاغون)

6- خطف طائرة الركاب الأمريكية في (بنسلفينيا)، والتي كانت متوجهة إلى الكونغرس الأمريكي.

فجن بذلك جنون أمريكا بعد ما أصابتها حالة من الهول والذعر والذهول لما ترى وتسمع، ولم تتحمل ما أصابها وهز كيائها، وأسقطت هيبتها إلى الأبد، فأرغمت العالم كله على الانضواء تحت رايتها، وضمن فسطاطها، فشن بوش حملته الظلمة - والتي لم يشهد التاريخ لها مثلاً لا في القديم ولا في الحديث - على هذه العصبة المؤمنة المجاهدة، والدولة الإسلامية الفتية، طانين بذلك أنهم قادرون على إطفاء جذوة الجهاد، والقضاء على جند الله.

وتحول العالم كله إلى مكتب من مكاتب إدارة الاستخبارات الأمريكية، تلاحقهم فوق كل أرض وتحت كل سماء، ونسي هؤلاء أن العقيدة الإسلامية إنما تقوى وتشتد وتتجذر عند الشدائد والمحن والكروب، وهذا ما برهنه المجاهدون واقعاً عملياً حيث استطاعوا - بفضل الله تعالى - توجيه ضرباتهم، وشن هجماتهم خلال عام من الملاحقات والمطاردات والتضييق، فحاولوا ونفذوا منذ انطلاق الحملة الصليبية على أفغانستان في منتصف رجب 1422هـ إلى يومنا هذا، العمليات الآتية:

7- عملية جربا ضد المعبد اليهودي في تونس.

8- الحذاء المفخخ في الطائرة الأمريكية.

9- ضرب العسكريين الفرنسيين في باكستان.

10- ضرب ناقلة النفط العملاقة في (المكلا) باليمن.

11- قتل الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت.

12- تدمير الملهى الليلي في بالي، وما صاحبه من عمليات أخرى في نفس اليوم بإندونيسيا.

13- عمليتي مومباسا في كينيا ضد المصالح اليهودية (إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي).

14- عشرات العمليات في أفغانستان وأماكن أخرى غيرها في بقاع شتى من العالم.

15- وعمليات أخرى لم تذكر لاعتبارات خاصة.

مؤكدين بأن ضرباتهم ستتواصل بإذن الله عز وجل، ليعلم العالم بأسره أن الحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين قد باءت بالفشل، فلن تنجح، ولن تؤتي أكلها وثمارها كما يشتهي مسعروها من اليهود والصليبيين؛ لأنها باختصار حرب بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين العدل والظلم، وأن الله ناصرٌ لهذا الدين، ومؤيدٌ لعباده المجاهدين.

إن عمليتي مومباسا - في كينيا ضد أهداف إسرائيلية - تأتي في هذا الوقت بالذات، لتؤكد عددًا من الحقائق المهمة والدلالات الخاصة فمن ذلك:

1- أن المجاهدين نجحوا في الوصول إلى هدفهم المختار - بعناية فائقة والله الحمد - في وقت يقف العالم بأسره شرقه وغربه ضدهم، بل ويطاردتهم في كل بقعة من الأرض، مما يدل على هشاشة هذه الحملة وتفككها ووقوفها عاجزة أمام تحركات وهجمات المجاهدين الموفقة بفضل الله.

2- كما تأتي هاتين العمليتين، لتقضي على كل أحلام (التحالف اليهودي الصليبي) في تأمين مصالحهم الاستراتيجية في هذه المنطقة، وتؤكد على فشل أمريكا وحلفائها الذين حشدوا أساطيلهم البحرية الضخمة لتطويق ومحاصرة القرن الأفريقي، بهدف مطاردة المجاهدين في هذه المنطقة، ومنعهم من التسلل إليها، أو إيصال الإمدادات لهم، وضمان عدم تكرار مثل هذه الهجمات التي طالتهم قبل أربع سنوات.

3- كما تأتي هاتين العمليتين - بفضل الله لتصفع الموساد الإسرائيلي صفعه أخرى - كما صفعته في ضرب المعبد اليهودي في جربا، وكما صُفعت جميع أجهزة الأمن الأمريكية من قبل - لتقضي على أسطوره وصورته التي أربب بها العالم، من قدرته على الاختراق والوصول لمن يريد، ولتقطع الذراع التي أعلن شارون أنها ستطال كل من يحاول العبث بأمن إسرائيل داخليًا وخارجيًا.

4- كما تأتي هاتين العمليتين، لتضع ألف علامة استفهام وتعجب أمام دول هذا التحالف، والذي أنفق المليارات على برامج حماية الطائرات من الداخل، وإذا به يواجه عاصفة المجاهدين من الخارج فأني له بهذه؟

5- كما تأتي هاتين العمليتين، لتؤكد على أن الشعوب التي تدفع بالسفاحين والقتلة ومجرمي الحروب إلى سدة الحكم - كما يفعل الأمريكان واليهود وغيرهم - ستتحمل تبعات أفعالها ورغباتها، ولن تفلت من الانتقام الإلهي على أيدي عباده المجاهدين، وجديد أدلتنا الملموسة على ما نقول، ما حدث في بالي وما تبعه من تداعيات أفضت مضاجع أعداء الأمة في كل مكان.

6- كما تأتي هاتين العمليتين، لتبشر المسلمين في كل مكان بأن المجاهدين: مع أهلهم في فلسطين متضامنين، وعلى الطريق ماضين، ولما يُصيّهم في سبيل الله محتسبين، وعلى رفع الذل عن أمتهم عازمين، وأنهم وبفضل الله وحده مازالوا يملكون زمام المبادرة والقدرة على مفاجأة العدو، وضرب مفاصله الحيوية في الزمان والمكان المناسبين اللذين يحددهما.

7- وتأتي هاتين العمليتين أخيراً، لتعلن أن الأمة - عربها وعجمها، سودها وبيضها - قد وقفوا وقفة رجل واحد في وجه هذا العدو، وأمام هذه الهجمة المعلنّة ضد المسلمين.

ونحن هنا ندعوا كل إخواننا أصحاب السواعد السمرّاء في هذه القارة - وهم أكثر الشعوب معاناة من الاستعمار الذي اغتصب أراضيهم، وسلب خيراتهم، وجعلهم سخرة له، وحرّمهم من أبسط حقوق البشر - أن يحدّوا حذو أبطال عمليتي مومباسا، فيجعلوا الأرض جحيماً تحت أقدام المحتلين من اليهود والصليبيين.

وختاماً: فإننا ندعوا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، كما ندعوهم لتحمل مسؤولياتهم كاملة أمام هذه الهجمة - الصليبية اليهودية - والتي تهدف أول ما تهدف إلى استئصال المسلمين، وطمس عقيدتهم، واحتلال ديارهم، وسلب خيراتهم وثرواتهم، وأن يعلموا حقيقة أنهم قادرون على فعل شيء ضد هذا العدو، ففكرة (الضحية) والتي صاحبنا أكثر من قرن قد ولّت بلا رجعة، وسنوات التيه والهزيمة، التي أراد عدونا أن نعيشها، قد تحولت بإذن الله إلى أيام نصر وعز وتمكين. ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة.

وما قدمه لكم إخوانكم من براهين من خلال عملياتهم، وما دفعوه من دمائهم، وما بذلوه من أموالهم وأوقاتهم، لدليل كاف على قدرة هذه الأمة على العطاء والمواجهة والصمود والانتصار بأذن الله. ولا يفوتنا في هذه المناسبة المباركة، أن نذكر المسلمين من خطورة الوقوع في خطيئة الرضا بما تعدّه أمريكا وحلفاؤها ضد الشعب العراقي المسلم، وعليهم أن يهبوا لنصرة إخوانهم بما يملكون، وأن لا يسمحوا بموطئ قدم لاحتل أمريكي على أراضيهم، وأن يقاوموه بشتى الوسائل والطرق، حتى يشعر أنه على أرض لا تسعه، وتحت سماء لا تظله، وبين شعوبٍ تعاديه وتمقته.

والله أكبر، والله العزة ولسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون⁽²²⁷⁾". ا. هـ

ما تقدّم ذكره من عمليات، ما هو إلا غيض من فيض لعشرات العمليات في أفغانستان، وأماكن أخرى في بقاع شتى من العالم، وعمليات أخرى لم تذكر لاعتبارات خاصة. وتأتي هذه العمليات العظام، لتؤكد ما ذكره الشيخ أسامة في قسمه الشهير بأنكم أيها الأمريكان لن تحلموا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج جميع جيوشكم الكافرة من أرض مُجَدِّ صلي الله عليه وسلم. وما أشبه هذا القسم بمقولة الصحابي الجليل خالد بن الوليد لأهل مدينة أغلقوا حصونهم في وجهه، فقال لهم: "أين تذهبون منا؟ والله لو صعدتم إلى السحب لأصعدنا الله إليكم أو أمطركم علينا".

ومن خلال النقاط التالية سنمر في نشوة النصر على ما تحقق من نتائج تلك العمليات⁽²²⁸⁾:

- 1- نجاح دعوة الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، في إشعال خط التماس في أرجاء المعمورة بين الحلف الإسلامي من رجال الأمة وطليعتها المباركة (القاعدة)، وبين التحالف اليهودي الصليبي المتسلط على مقدسات المسلمين وثرواتهم.
- 2- أكدت على مستوى الوعي الرائع لشباب الأمة في انطلاقتهم للفتك بعدوهم، وعدم استنزافهم في معارك جانبية مع الأذنان والمرتدين. فتوحيد الهدف، وحشد الجهود، وصرف الطاقات للعمل عليه، من أهم المبادئ العسكرية لمن درس علم الحرب، وأتقن فنّها.
- 3- أن شجرة التدريب التي غرس فسيلتها تنظيم القاعدة في معسكراته بأفغانستان، قد نمت في قلوب الشباب المسلم، وآتت ثمارها في أرجاء العالم. فهذه القوافل التي تمحق الباطل، تُخَرِّج أغلبها من معسكر الفاروق.

- 4- بينت القاعدة بمحاولة ضرب طائرة أمريكية في بلاد الحرمين، وتفجير المعبد اليهودي في تونس، والفتك بسفينتين في اليمن، والهجوم على قاعدة فيلكا في الكويت، ونسف دور اللهو

(227) أرشيف البتار.

(228) مقال بعنوان: شفاء صدور المؤمنين [بين يدي العمليات في المكلا وفيلكا وبالي] بقلم: سالم المكي.

والفجور في إندونيسيا، أن لا حرج لدى القاعدة في الضرب داخل الأراضي الإسلامية والعربية على حد سواء، طالما أن الهدف لم يخرج عن التحالف اليهودي الصليبي.

5- أن الآلة الأمنية الأمريكية ومخابراتها، بكافة أنواعها وأقسامها القديم منها وما استحدثته بعد غزوة سبتمبر المباركة، ما هي إلا تهويل إعلامي وأكذوبة كبرى، لا تنطلي على الصادقين من أبناء الأمة المقبلين على الله بقلوبهم.

6- أن الحملة الأمريكية على القاعدة في أفغانستان قد نقلت القاعدة نقلة نوعية خطيرة، حيث اختفى جسمها البارز في أفغانستان، وتحولت من التمرکز في مكان معروف إلى برنامج سري معقد، ومشاريع شهادة منتشرة في كل أرجاء المعمورة، وأن القضاء على القاعدة بات أمراً مستحيلاً، ولتحصد الإدارة الأمريكية حماقاتها. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ النور.

7- أن القاعدة نجحت في تصدير فكرها الأصيل النابع من عقيدتها الإسلامية، ليكون البضاعة الرائجة لدى الأمة التي قبلتها وحملت الراية بعقل واع وقلب مطمئن، وانطلقت بها في أصقاع الأرض تدك الباطل وتحصده.

8- أن القاعدة نجحت في إسقاط الهيبة الأمريكية من قلوب أبناء الأمة، كما أنها بصرت الأمة بنقاط ضعف عدوها، واساليب ضربه وإنهاكه، وسبل القضاء عليه. ا. هـ

الحرب الفكرية:

وبجانب تلك الحرب الشرسة التي يخوضها المجاهدون مع أعدائهم، كذلك يخوضون نوعاً آخر من الحروب الفكرية، متمثلةً تارةً في شبهات المتراجعين عن الجهاد باسم المراجعات، وتارةً أخرى في الغمز واللمز والتجريح، وذبح الحقيقة، وتذوير الوقائع المسموع والمقروء الذي يصدر أحياناً من بعض رموز العمل الجهادي.

يقول الشيخ عبد الله بن ناصِر الرّشيد في كتابه هشيم التراجعات:

" بعث الله عز وجلّ رسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّّه ولو كره الكافرون، وجعل دون ظهور الدين ونصر المؤمنين ابتلاءاتٍ وتمحيصاً لحكمةٍ بالغةٍ منه، وما خلق الله الموت والحياة إلاَّ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. ولئن تآقت نفوس المؤمنين إلى النصر واستعجلوه، فإنّ الله في تأخيره حكماً عظيماً، ولطفاً منه بعباده المؤمنين، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾، فلو توالى الانتصارات فلم تتوقف وكان اليوم خيراً من أمس، والغد خيراً من اليوم، لدخل الصف الموحد من ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، و﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

والله أمر بالطاعة والعبادة في الأحوال المختلفة، من المنشط والمكروه والعسر واليسر، وهو عزّ وجلّ يُحبُّ أعمالاً في مواطنٍ من مواطنِ اليسر، وأخرى في مواطنٍ من مواطنِ العسر، فشاءت حكمته أن يتقلب عباده بين حالي العسر واليسر، والرخاء والضّر، ليعلم سبحانه الشاكرين الصابرين...

وإذا كان هذا في العبادة عموماً، فإنّ ذروة السّنام وسياج الإسلام: الجهاد في سبيل الله الذي ميزَ بما فيه من القرح والبأس والشدة والألم والجراحة والقتل والأسر، مع نقص الأموال والثمرات، وتلف الأنفس وفقدان كثيرٍ مما تألفه النفس وترى أن لا غنى عنه، إنّ هذه الشعيرة العظيمة النفيسة لأبى موطنٍ تظهرُ فيه هذه العبوديّة ويُخاطب المكلف فيها بالصبر على الحالين، فقد أمر الناس ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وفي حالٍ كهذه الحال، وعبادة كهذه العبادة، لا يُستغرب تراجع من يتراجع، ونكوص من ينكص، ولولا ذلك لما كان للابتلاء والفتنة معنى، ولما كان للصابرين الصادقين في الفتن والابتلاءات ميزةٌ عن غيرهم". ا. هـ

يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله، في كتابه فرسان تحت راية النبي:

"هدفت حملة البطش منذ اغتيال أنور السادات إلى كسر إرادة الحركة الإسلامية، وخاصة نواتها الصلبة المتمثلة في الجماعات الجهادية. وقد اتخذت هذه السياسة منحىً تصاعدياً خطيراً منذ تسلم زكي بدر لوزارة الداخلية، حيث بدأ يتبجح علناً، بأن علاج الجماعات الإسلامية هو **الضرب في سويداء القلب**.

وكان هدف حملة البطش واضحاً، ألا وهو زراعة اليأس في قلوب الشباب المسلم، وإيهامهم بأن أية مقاومة لا جدوى منها، ولن تؤدي بأصحابها إلا إلى الكوارث والنكبات، وأن السبيل الوحيد هو الاستسلام. وكان السكوت عن الرد على هذه الحملة نتيجته المؤكدة هو فقدان الحركة الإسلامية لثقتها في نفسها، وتراجعها إلى الخلف والانزواء والصمت والعودة إلى عهد الرعب الناصري، وكان هذا التيئيس من جدوى أية مقاومة، هو حجر الزاوية في سياسة التوسع اليهودي في المنطقة. فقد أدرك اليهود أن قمع المقاومة المضادة لهم، لن ينجح ألا إذا زرعوا روح اليأس في نفوس المسلمين". ١. هـ

لقد فقه اليهود من أين تؤكل الكتف، ونجحوا مع وكلائهم في المنطقة، عبر سياسة البطش والضرب في سويداء القلب، في زرع روح اليأس في نفوس بعض الجماعات الجهادية، وبعض رموزها من جدوى أي مقاومة. ونتيجة لذلك، أعلنت تلك الجماعات وأولئك الرموز استسلامهم باسم المراجعات، فخرجت إلى العلن ما عرف بتراجعات الجماعة الإسلامية، كذلك خرجت وثيقة "ترشيد العمل الجهادي" للدكتور فضل (سيد إمام) حفظه الله، كذلك تراجع بعض المشايخ الذين كانوا سنداً قوياً للجهاد والمجاهدين، نسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم، أن يردهم جميعاً إلى الحقّ رداً جميلاً.



الدكتور فضل (سيد إمام) حفظه الله

وخلاصة هذه التراجعات، هي:

التبرؤ من إخوانهم المجاهدين، وتشكيكهم في منهجهم، وإخراجهم من ميدان المواجهة بحجة العجز والضعف، وبحجة عدم توفر مقومات الجهاد، وبحجة اليأس من إمكان الحركات الجهادية من أن تحدث أي تغيير⁽²²⁹⁾.

ومما لا يخفى على كل ذو لب، أن هذه التراجعات تخدم بالدرجة الأولى مصالح وأهداف اليهود والصليبيين. يقول روهان جواناراتنا⁽²³⁰⁾

" لا بد من توجيه رسالة؛ أن القاعدة ومنظماتها المشاركة لها ليست منظمات قرآنية، وأنما تمثل نسخة فاسدة من الإسلام عن طريق إساءة تفسير وإساءة تمثيل القرآن والنصوص الأخرى. ولا يمكن أن يقل التهديد الإرهابي الحالي والناشئ، إلا بمواجهة اعتقاد أن المسلم الصالح يجب أن يجاهد".¹ ه أي أنه يطالب بإسقاط ومحاربة فرضية الجهاد العينية في هذا الزمان ضد الغزاة

(229) تبرئة أمة القلم والسيوف من منقصة تهمة الخور والضعف. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري. بتصرف.

(230) روهان جواناراتنا هو رئيس المركز الدولي لبحث العنف السياسي والإرهاب في معهد الدفاع والدراسات الاستراتيجية في سنغافورة، وزميل أكبر في مركز مكافحة الإرهاب التابع للجيش الأمريكي. وهو صاحب كتاب (داخل القاعدة)، الذي ذكر فيه أن خصوم الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- المصريين يعتقد أنهم قد قتلوه، ونقل عنه هذه الكذبة تقرير الكونجرس عن الحادي عشر من سبتمبر، كما سيأتي إن شاء الله.

الكفار المحتلين لديار الإسلام، حتى تنعم هذه القوات الغازية بالأمن والسلامة، وتستمر في سرقة ثروات المسلمين وتقسيم أراضيهم، وتوسيع رقعة إسرائيل⁽²³¹⁾.

ومن هنا يتبين المقصد الخبيث وراء تلك البحوث وأولئك الباحثين. ورغم أن كل أمم الأرض تعتبر أن مقاومة الغازي المعتدي حق طبيعي، إلا إن هذا الحق محرم على المسلمين، لأن البحث المسمى بالعلمي والإعلام والدعاية، كلهم يعملون ضمن منظومة الحملة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين. ثم يزيد الأمر وضوحًا بذكره، أن التهديد الإرهابي الحالي والقادم لن يقل إلا بمحاربة هذه الفرضية العينية. أي باستسلام الأمة المسلمة للغزو الصليبي اليهودي، وحينئذ يصبح المسلمون معتدلين بريئين من تهمة الإرهاب، أما إذا قاوموا فهم إرهابيون⁽²³²⁾.

ولعل خير ما يعبر عن هذه التراجعات قصيدة للشيخ حسين بن محمود يقول فيها:

| | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| قتل حربي صائلٍ جريمة لا تُغتفر | وهتك عرضِ المسلمات مسألة فيها نظر |
| ضع السلاح ودسّ رأسًا كالنعامة | وانسى الجهاد، ليس في القتل سلامة |
| اركن كتابًا مُنزلًا وسنة صحيحة | فليس أحق أن تستفتي منك القريحة |
| شيخ تولى حاكمًا خيرٌ من ملك | هو المعصوم فحط رحلًا، لا أم لك |
| أنا أخي ناصحٌ فخذها مني قاعدة | إن أردت العيش عيشَ حياة واعدة |
| بشٍّ للنصارى والثم جبهة اليهود | واسأل الله وطئ حاكمٍ منك الحدود |
| كن مسلمًا معتدلًا بمقياس راند | وإن يُجهل عليك فاقدي بغاندي |
| ليس لخالدٍ وسعدٍ والمثنى حقيقة | أضغات أحلام الأزمان السحيفة |
| لا يهّمك غير جمع قوت أهلك | دينٌ، جهادٌ، ليس هذا من شُغلك |
| لا تكلف نفسك إلا نفسها | وإن هتك العلوج عرض أختها |
| فارق الخوارج والفئات الضالة | وإن هي في الوغى لجيش الكفر فالة |
| هم العدو وليس بوشٍ أو أوباما | إنما الصديق من لهُتك العرض رام |
| وإن حرّض ابن لادن يومًا لحرب | وصاح في الرجال من كل صوب |

(231) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

(232) فرسان تحت راية النبي. للشيخ الدكتور أيمن الظواهري.

تَزَيَّنْتَ حوراء تبتغي الوصالا فالعُذر منك أن قد دعي الرجالا

يقول الإمام الشيخ أسامة رحمه الله في بيانٍ له بعنوان: "أبو رغال العصر وخيانة الأمة"، بتاريخ 28 مارس 2002م:

"إن هذه الأحداث العظيمة، هي الجهاد المبارك الذي واصل مسيره نحو الهدف المنشود والخير الموعود، وجاء ليفضح تلك المقولة الهزيلة، والحجة المدحوضة. فهذه المقولة (ماذا عسانا أن نفعل، ليس بأيدينا شيء، الأمر ليس لنا) لم يعد لها مكان، ولا يتسع لها قلب، ولا يرضاها ضمير حي، في ظل الأحداث الدامية التي تتعرض لها أمتنا، فالكل مطالب اليوم بالجهاد والعمل الجاد، وعلى القيادات الشعبية بجميع شرائحها أن تتحرك لوقف هذا النزيف الهادر، وفضح تلك الخيانات المكشوفة، ومن لم يستطع الحركة من هذه القيادات بسبب ما وقع عليه من ضغط وإرهابٍ في ظل هذه الأنظمة، فلا أقل من أن يفسح المجال لغيره من الطاقات الجريئة - والقادرة على التغيير، ووضع الأمور في نصابها الصحيح - وليحذر من القعود والتخذيل، وليتجنب عملية التربص المذموم والاحتكار المحرم، فالجهاد الذي أخرج أولئك الفتية الذين استجابوا لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: 5].

إن هذا الجهاد قادِرٌ على إخراج وتحريك غيرهم من أبناء الأمة، فالجهادُ ماضٍ إلى يوم القيامة، أما نحن كأفراد فأيا منّا معدودة، وسنقف بعدها بين يدي الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7-8] (233). ا. هـ

ورحم الله الشيخ عبد الله عزام، فقد وضع النقاط على الحروف عندما قال: "ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة، تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كان أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى وأحكمت خطط أعدائها" (234).

ومع أن أعداء الله يمحرون الليل وصلاً بالنهار، وأن مكرهم لتزول منه الجبال، إلا أن دين الله حتماً منصور، وأن العاقبة للمتقين، وأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، وأنه لا تزال طائفة من هذه

(233) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(234) خط التحول التاريخي. للشيخ عبد الله عزام.

الأمّة ظاهرين على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، كما اخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ) وفي رواية: (لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) رواهما مسلم.

وليت هؤلاء المتراجعين بسبب اليأس والعجز الذي أصابهم قعدوا وكفّوا ألسنتهم بالتشكيك والشبهات في منهج إخوانهم المجاهدين. ليتهم أخذوا الحكمة من عتبة بن ربيعة، عندما قدّم نصيحة غالية لقريش قائلاً لها: "يا معشر قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي وَاجْعَلُونِي بِی، خَلُوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ وَاعْتَزَلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تَصَبَّه الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بغيركم، وَإِنْ يَظْهَرِ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مَلِكُكُمْ وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ". لكن يأبى الله إلا أن تمضي حكمته وهي: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾. نسأل الله الكريم، ربّ العرش العظيم، أن يربط على قلوبنا ويثبتنا على دينه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، اللهم آمين.

عندما تُذبح الحقيقة، ويُزور التاريخ:

وهناك نوع آخر من الشبهات تصدر أحياناً من بعض رموز العمل الجهادي الذين غيّبت عقولهم أفكار نظرية المؤامرة، وبعضهم طغت عليها تصوّرات مثاليّة للعمل الجهادي، وعندما يكون العمل مخالفاً لما يتصورون لا يسلم إخوانهم من ألسنتهم بالتجريح والطعن والغمز واللمز، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[وَوَظَّلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً... عَلَى الْخَرِّ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ]

سألني بعض الإخوة عن حقيقة ما تناوله الشيخ أبو وليد (مصطفى حامد) حفظه الله، في بعض كتبه ومقالاته من غمزٍ ولمزٍ وتجريحٍ للقاعدة وللشيخ أسامة رحمه الله، فقلت لهم: إن أردتم الوقوف على حقيقة ادعاءات الشيخ أبي الوليد فعليكم بالرجوع إلى رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير رحمه الله - في وثائق أبوت أباد الدفعة السادسة - ففيها جواباً شافياً وافياً لما تناوله الشيخ أبو الوليد في كتبه.

وحتى تعم الفائدة، وتتضح الحقيقة لما أثاره الشيخ أبو الوليد في كتبه، آثرت أن ألحق في هذا الفصل رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير - رحمه الله - كاملة، ليطلع عليها من لم يتيسر له الحصول عليها، سائلين الله عز وجل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، اللهم آمين.

رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير المصري رحمه الله، للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأخ الكريم الأستاذ الفاضل مصطفى حامد حفظه الله ورعاه:

السلام عليكم رحمة الله وبركاته.

نسأل الله تعالى أن تكونوا على خير حال في الدين والدنيا.

نحن بخير والله الحمد والمنة، ونسأل الله أن يجمعنا وإياكم على خير حال في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم:

لقد اطلعت ومجموعة من الإخوة⁽²³⁵⁾ - الذين تعرفهم ويعرفونك وتثق بهم وعاشتهم سنوات طويلة في ساحات القتال، ومعامع المعارك، وغبار السير في سبيل الله - على بعض ما نشر باسمكم من كتب ومقالات عن الجهاد والمجاهدين في أفغانستان، وبالذات ما جاء في كتابي (صليب في سماء قندهار وحرب المطايرد).

وقد لفت انتباهنا بعض ما تضمنته تلك المنشورات، وبالأخص ما احتواه كتاب (صليب في سماء قندهار) من أمور تستحق التوقف عندها، فالكتاب إلى جانب بعض ما ذكر من الحقائق الصحيحة، فقد ضخم أموراً أخرى لا صلة لها بالواقع، وليست لها أية علاقة بالحقيقة.

وأنا ومن باب النصح الأخوي العام الذي هو حق للمؤمن على أخيه المؤمن، وبحكم علاقة الأخوة الخاصة التي ربطتني بك سنوات في أرض الجهاد، ومن باب بيان الحقيقة للجميع وتوثيقها،

(235) كتبت هذه الرسالة بتاريخ 22 أغسطس 2009م، وحينها كان الشيخ أبو الخير المصري أسيراً في سجون إيران، وكان هؤلاء الإخوة الذين يتحدث عنهم الشيخ أبو الخير متواجدين معه في الأسر، وهم الشيخ سيف العدل والشيخ أبو محمد المصري، والشيخ سليمان أبو الغيث، والشيخ أبو حفص الموريتاني، وغيرهم.

رأيت من الواجب عليّ أن أنقل لك تعليقاتي وتعليقات الأخوة على بعض تلك الأمور التي تضمنها الكتاب، والتي تخالف الحقائق التي كنت وإياك وهم شاهدين عليها أكثر مع غيرنا من الأخوة الذين لا زالوا على قيد الحياة.

وأرجو أن يتسع لي صدرك، فأنت من مزاياك المعروفة جرأتك في النقد، وحدّتك فيه أحياناً، ومن منح نفسه هذا الحق، فلن يخل به على إخوانه. وسوف أحاول أن يكون تعليقي على بعض ما تضمّنه الكتاب متمثلاً في نماذج من الحقائق والوقائع التي عشتها أو أكثرها معك، وعاشها معنا إخوة كثيرون هم محل ثقتي وثقتك، ولا زالوا على قيد الحياة والله الحمد.

وقبل الشروع في صلب الموضوع، أريد أن أؤكد على حقيقتين مهمتين:

1- وهي أنني كنت إلى غاية قراءتي للكتاب قبل شهرين، أعتقد أن الأستاذ مصطفى حامد لا يقول ولا يكتب إلا ما يعتقد هو على الأقل أنه الحقيقة، وكانت مشكلته مع بعض أصدقائه هي طريقة نشره للحقيقة، وليست عدم صدقه في نقله لها.

ولعلك تتذكر أنني قد أرسلت لك من قبل، واقترحت عليك تأجيل نشر بعض الحقائق أيام (هاشم المكي)⁽²³⁶⁾ لأني أرى أن الوقت ليس مناسباً لنشرها في تلك الظروف، والمستفيد من نشرها يومئذ هم الخصوم والأعداء في رأيي، ولم أختلف معك يومها أن كثيراً منها حقائق، ولكني بعد قراءة الكتب الأخيرة وخاصة (صليب في سماء قندهار) اهتزت قناعتي السابقة، واكتشفت أن حجم تشويه الحقائق الموجود في الكتاب يصعب تفسيره أو تبريره، أو إيجاد مخرج لائق له، وكان من الصعب عليّ أن أقف وبقية الإخوة صامتين بينما تذبج الحقيقة ويزور التاريخ، من أجل أهدافٍ أعرف أنك أول من يكفر بها.

وهذا الأمر جعلني أشك في نسبة الكتاب إليك حقيقة، فأنا أستبعد صدور مثل هذه الأمور عن شخصك الكريم. ولذلك فأنا في هذا التعليق أنسب الأقوال للكتاب وليس لك شخصياً، (مع أنني سأذكر كلامي بصيغة المشار إليه وهو أنت لكونه صدر باسمك الكريم)، لأنني أستبعد أن تكون أنت الذي كتبت هذه الأمور المنكرة.

(236) في فترة من الفترات كان الشيخ أبو الوليد يكتب مقالاته باسم هاشم المكي.

ومهما يكن، فسوف تبقى لك شيخنا الكريم مكانتك ومنزلتك وسابقتك في الجهاد محفوظة عندي وعند الله وعند الناس إن شاء الله.

2- لا أشك أن الكتاب هو كتاب نقدي ينقد مرحلة من المراحل بما فيها من إيجابيات وسلبيات، ولكن من المعلوم عند النقاد المنصفين أن النقد لا يكون بصيغة الهدم المطلق، والتحقير والتسفيه والاتهام المباشر للبعض إلى حدٍ وصل أحياناً إلى التخوين، وكل ذلك بلا دليل ولا برهان، مما يوحي للقارئ أن هناك معركة لا زالت نارها تشتعل بين جنبي الكاتب مع بعض من عاصروه وعایشوه، وقد وجد الفرصة المناسبة من خلال قلمه لتصفية الحساب بينه وبينهم دون النظر إلى ما يؤديه ذلك من نتائج سلبية قاتلة - هذا فيما لو كانت الاتهامات صحيحة فكيف وهي مشكوك بها ولا دليل عليها.

3- واضح أن الكاتب آذاه ما وصل إليه الحال بعد الأحداث، وكأنه يريد النجاح حليفه وحليف من معه دائماً، وكأنه لا يعلم أن هناك أخطاءً وابتلاءات وتمحيص وتنقية واختيار، ليميز الله الخبيث من الطيب، ولولا أنني والإخوة نعرفك جيداً ونعرف صدقك لقلنا أن أبا الوليد ينتقم بكلامه ممن أدخله بهذه الورطة، مع أنه (أبا الوليد) كان من أكبر وأكثر المدافعين والمؤيدين له، ينتقده اليوم ويهاجمه ويتهمه، بل كان مستشاره السياسي بجدارة⁽²³⁷⁾.

أخي الكريم: وقبل الدخول في تفاصيل التعليق وذكر الأمثلة، أريد أن أذكر بعض الملاحظات العامة على الكتاب.

الملاحظة الأولى: هي أن القارئ للكتاب من أوله إلى آخره يدرك بسهولة أن الكتاب في جوهره هو هجوم كاسح - بسبب وبدون سبب - على أهم شرائح المجاهدين، وفي مقدمتهم المجاهدون الذين تصفهم (بالسلفية) وتمثلهم من وجهة نظرك (القاعدة وأميرها الشيخ أسامة)، ومن على شاكلتهم من المجاهدين في الشيشان أو البوسنة.... الخ.

كما نالت حركة طالبان نصيباً مقدراً من هذا الهجوم. ولم يسلم من هذا الهجوم الكاسح إلا قلة من الإخوة الأوزبك والطاجيك، الذين شفعت لهم علاقتهم بك وبالجمهورية الإسلامية على ما يبدو، فسلموا من هذا الهجوم الكاسح، بل نالوا نصيباً وافراً من الإطراء والمدح.

(237) المشار إليه هنا هو الشيخ أسامة رحمه الله.

وما تضمنه الكتاب من أمور أخرى هي في الحقيقة سبقت لخدمة هذا الهدف. وفي الوقت الذي أُقرّ لك بحق النقد البناء، إلّا أنني أرى أنّ نقدك للمجاهدين وقيادتهم لم يكن موضوعيًا ولا متوازنًا، بل كان ظالمًا متحيزًا، فقد ظلمتهم حين اتهمتهم تهمًا باطلة لم تكلف نفسك عناء محاولة إثباتها، وظلمتهم مرة أخرى حين لم تذكر لهم حسناتهم وتضحياتهم بما يتناسب مع حجمها، مع أنك مطلع عليها بدقة. وسوف تأتي معنا أمثلة تفصيلية لهذا الكلام.

وفي المقابل، ففي الوقت الذي حمّلت تيار أصحاب (العقيدة الصحيحة) على حد تعبيرك مسؤولية التآمر على الجهاد والمجاهدين، والكوارث التي حلت به، لم تحمل أصحاب (العقيدة الفاسدة) مسؤولية ما قاموا به من دور مكشوف كانوا ولا زالوا يفاخرون به في التآمر على الجهاد وخيانة المجاهدين، وأنت مطلع عليها بالكامل. فهل هذا من الإنصاف والعدل أخي الكريم؟

الملاحظة الثانية: أن الكتاب في سبيل خدمة فكرته الممتثلة في هدم هذا التيار الجهادي الذي سبق الحديث عنه وفكره، وتحميله مسؤولية ما قام به وما لم يقوم به، حشد كمًا هائلًا من التهم التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهذا ما سنراه من خلال النماذج والأمثلة التي سنذكرها فيما يلي:

المثال الأول: حول عمليات 11 سبتمبر:

تكلم الكتاب على عمليات سبتمبر من عدة نواح، وقد جاء كلامه في معظمه مخالفًا للحقيقة، مليئًا بالمغالطات. فمن حيث الجهة التي قامت بالعمليات، تبني الكتاب وجهة نظر غريبة عجيبة، فهو تارة يشكك في كون تنظيم القاعدة هو الذي قام بها، فيقول مثلاً: "ولو صحّت الادعاءات الأمريكية أن بن لادن نجم جلال أباد يقف وراء تدمير مباني مركز التجارة الدولي...." (الصليب ص 46). وتارة يعترف بحقيقة أن القاعدة هي التي قامت بالعمليات، ولكنه يحرص على أن يسلبها أي شرف في ذلك، فيدعي أن المخابرات الأمريكية هي التي استدرجتها للعمليات، وسهلت مهمتها للقيام بها. يقول الكتاب بالحرف: "ولكن النظرية التي يتبناها الكاتب هي أنّ أمريكا كانت تجهز لعملية "عاصفة الطائرات" منذ عام 1997م، وتستدرج إليها تنظيم القاعدة عبر اختراق أمني للتنظيم بعناصر تعيش في أوروبا وباكستان".

وتارة يتنفل فيضيف دورًا آخر في العمليات للموساد الإسرائيلي (انظر ص 311 من كتاب صليب في سماء قندهار). وتارة أخرى يرى أن الدور الأمريكي في العمليات كان مقتصرًا على عدم إيقافها مع العلم بها. إقرأ معي كل ذلك في النص التالي:

يقول الكتاب: "... وفي عاصفة الطائرات العربية (2001م) دلائل كثيرة تشير إلى معرفة جهات أمنية أمريكية بعملية "عاصفة الطائرات" قبل تنفيذها. وأن تحذيرات عديدة وصلت إلى المسؤولين الأمريكيين على أعلى مستوى، وقد تم تجاهلها جميعاً".

لاحظ أنه في هذا النص يثبت مجرد علم الأمريكيان بالعمليات، وفي النص الذي قبله يثبت أنهم هم الذين كانوا يجهزون للعمليات. وتارة أخرى يرى أن الدور الأمريكي تجاوز مرحلة تجاهل التحذيرات إلى مرحلة تسهيل المهمة.

تابع معي قول الكتاب:

" بل الأدهى من ذلك دلائل على أن هذه العملية قد تم إفساح الطريق لمنفذها وتسهيل إنجازهم لها.

" الإجراء الوحيد الذي تم اتخاذه أمريكياً هو عدم ذهاب الموظفين اليهود يومها - وعددهم أربعة آلاف - إلى عملهم في أبراج التجارة، كما لم يذهب زملاؤهم اليهود إلى أعمالهم في البتاجون الذي صدمته طائرة أخرى، حسب ادعاء السلطات الأمريكية.

" إذن ما حدث في 11 أseptمبر 2001م، كان ببساطة مؤامرة حاكمتها الإدارة الأمريكية على شعبها لأجل استدراجه لتأييد مشروعها الامبريالي، "وتحويلاتها العسكرية" التي تغير بها الحقائق السياسية في العالم". والأعجب أنها استدرجت وسهّلت العمل لمنظمة "إرهابية دولية" كي تدمر منشآت وتقتل مواطنين، مفروض على تلك الحكومة أن تحميهم. هذا ما حدث لتبرير "الحرب العالمية على الإرهاب" الإسلام " والتي بدأت بالحرب على أفغانستان.

" وكما كانت "تهمة" حيازة أسلحة دمار شامل، تهمة جامعة بين أفغانستان ثم العراق لتبرير الحرب، نذكر بأن تهمة "الإرهاب" كانت أيضاً تهمة مشتركة، فالقاعدة ضُبطت متلبسة بالجريمة التي أعدتها لها الحكومة الأمريكية وسهّلت لها القيام بها بأيسر وأتم صورة.

" وإذا كان صدام حسين قد مارس إرهاب الدولة بعيون مفتوحة واتفاق واضح مع الولايات المتحدة، فإن القاعدة مارست "إرهاب التنظيم الدولي" بعيون مغلقة، وباستدراج أمريكي كامل." (النصوص السابقة منقولة من كتاب صليب في سماء قندهار ص 280 وما بعدها).

إنه لعجب أن يتبنى كتاب يتحدث عن موضوع بهذه الدرجة من الأهمية هذه النظرية الغريبة التي تخالف رواية من قاموا بالعمليات، ومن كانوا هدفًا لها، ومن كانوا شهودًا عليها. والكتاب يبنى على نظريته هذه أمورًا واستنتاجات مهمة، فهو يرى أن الأمريكيين لم يردّوا على تدمير مدمرتهم كول في عدن، لأن ذلك لو تم قبل عاصفة الطائرات التي يخططون لها مع القاعدة سيلغي المخطط الأمريكي في حربه على الإرهاب حسب زعم الكتاب.

جاء في الكتاب ما نصه: "وكان توجيه ضربة قوية للقاعدة قبل تنفيذ "عاصفة الطائرات"، انتقامًا لضرب المدمرة كول، كان سيلغى المخطط الأمريكي في شن حرب عالمية على الإسلام بدعوى "مكافحة الإرهاب الإسلامي" لذا مرت عملية كول بلا عقاب". (الصليب ص 181)

وأنا لن أعقب طبعًا على هذا الكلام، الذي لا شك أنك تعرف جيدًا أنه غير صحيح، ولكني أسأل سؤال وهو: إذا كانت أمريكا قد استدرجت القاعدة منذ سنة 1997م لعاصفة الطائرات حسب زعم الكتاب، ولم تضرب القاعدة بعد ضرب المدمرة كول حتى لا تفوت فرصة شن حرب شاملة على الإرهاب كما يزعم الكتاب، فلماذا شنت عاصفة صواريخ كروز سنة 1998م على أفغانستان والسودان، وهو تاريخ بعد سنة من بدء تحضيرها المفترض لعاصفة الطائرات واستدراج القاعدة إليها؟

لماذا لم تسكت على ضرب سفارتيها في شرق إفريقيا حتى لا تفوت الفرصة الثمينة التي كانت بدأت تستدرج القاعدة لتهيئتها؟

لقد تبني الكتاب وجهة نظر المخابرات الإيرانية تمامًا، وهي نظرية يعرف الكاتب قبل غيرها أنها نظرية أقل مساوئها تعمدًا اختلاق الأكاذيب وترويجها، مدفوعة بالحقن الطائفي والسياسي.

وإذا انتقلنا قليلًا إلى كتاب (حرب المطاريد) وفي جانب آخر يتعلق بأحداث سبتمبر، نجد الكتاب يناقض نفسه في أكثر من موضع، فالكتاب عند حديثه عن معاملة العدو في الحرب يروج لمبدأ وجوب معاملة العدو بالمثل، واستخدام أسلحة تدميرية تفوق قدرته على التحمل. ومما جاء في الكتاب بنصه " العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم".

" لقد أخطأ المسلمون كثيرًا عندما أهملوا ذلك القانون البسيط رغم كونه بديهيًا " (المطاريد ص 60).

" لن يتوقف برنامج الدمار هذا ما لم نواجه العدو بضربات تدميرية تفوق قدرته على التحمل " (المطاريد ص 84).

" إن امتلاك قوات المطاريد لقدرات رادعة من أسلحة متطورة أشد فتكاً أضحي ضرورة ومسألة حياة أو موت " (المطاريد ص 84).

هذا كلام الكتاب على أهمية امتلاك المطاريد لأسلحة فتاكة ذات قدرة تدميرية تفوق تحمل العدو. ونحن نؤيده في الجملة، ولكن الكتاب عندما علق على أحداث سبتمبر ناقض نفسه عندما قال: "ليس من الرحمة أيضاً قتل النساء والأطفال وغير المحاربين عمومًا " (المطاريد ص 59).

وعند تعليقه على أحداث سبتمبر أشار إلى نقطة ضعف خطيرة في المسار الأخلاقي والشرعي في الأحداث (أنظر المطاريد ص 77).

ونحن نتساءل هل يمكن أن نستخدم الأسلحة الفتاكة التي تكلم عنها الكتاب أعلاه آخذين بمبدأ " العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم " دون أن تكون هنالك ضحايا من جنس ضحايا البنتاجون وأبراج التجارة في 11 سبتمبر؟

وهل إذا أخذنا بمنطق (العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم) الذي أكد الكاتب على ضرورة الأخذ به نبقي مع ذلك في هذا (الخرج الأخلاقي والشرعي)؟! وإذا كان الكتاب يرى أن قتل غير المقاتلين فيه حرج شرعي وأخلاقي، فهل شعر بهذا الحرج عند قصف حزب الله لبنان المدن اليهودية في فلسطين؟

طبعاً لم يشعر به بل أشاد بذلك العمل، كحال كل منصف ينظر بموضوعية وعدل للأمور. وليته نظر بعين الإنصاف والعدل ذاتها إلى عمليات سبتمبر، فالعدالة لا تتجزأ، والخلاف مع جهة ما لا يجوز أن يكون مسوغاً للجور في تقييم أعمالها.

المثال الثاني: كيل الاتهامات جزافاً للقاعدة والشيخ أسامة:

لقد شُحن الكتاب من أوله إلى آخره بالتهم الموجهة دون حساب لتنظيم القاعدة وللشيخ أسامة دون أن يكلف نفسه البحث عن الدليل على صحة تلك التهم، التي لا يصدق أكثرها الأعداء فضلاً عن غيرهم.

ومن هذه التهم على سبيل المثال:

1- أن الشيخ أسامة بن لادن يعمل بتوجيه من المخابرات الأمريكية، وأن أمريكا هي التي اختارته للعب الدور الذي حددته له حتى تحقق من وراء ذلك ما تريد من أهداف!!

فعند كلام الكتاب عن اختيار الأمريكيين لعدوهم قال: "لم يكن من وجهة نظرهم أفضل من بن لادن، فقد خبروا إمكاناته العملية والفكرية، وقدراته التنظيمية. لقد اختاروه عن وعي كي يلعب أمامهم دور العدو الإسلامي الإرهابي الشرس.

" فالعدو المعلوم إمكاناته خير من عدو مجهول المنشأ والقدرات والفكر، وذلك أمر محتم ظهوره، بحكم أن أمة كأمة الإسلام لا يمكن أن تستسلم لمثل هذا المخطط بدون إبداء مقاومة شرسة. والفضل إذن بحكم المنطق والعقل، أن يختار المرء عدوه، أو من يلعب أمامه ذلك الدور". (الصليب ص 50).

وأنا أسألك أخي الكريم هل كنت على علم بهذه الحقيقة الخطيرة عندما كنت تعمل مع الشيخ أسامة بن لادن مستشارًا مقربًا وتلعب معه هذا الدور المحدد لكم من قبل أمريكا، أم اكتشفت هذه الحقيقة بعد أن أنهيت المهمة التي أنيطت بك من قبل الأمريكان؟

إنّ اتهامًا بهذا الحجم، كان يتطلب من صاحبه أن يقدم عليه ما يثبت من الأدلة وإلا فإنه شريك فيه.

ونحن في الحقيقة لا ندري إذا طلب من أعدى أعداء الأمة أن يطعن في مجاهد كالشيخ أسامة ماذا يستطيع أن يقول أسوأ من هذا؟ كان لديك العديد من الأمور التي يمكن أن تنتقد بها (صديقك الشخصي) الشيخ أسامة، غير هذا الادعاء الباطل.

2- ومما هو على هذه الشاكلة ما جاء في الكتاب حول سعي أمريكا لمنع مغادرة الشيخ أسامة لأفغانستان، فقد جاء في الكتاب ما نصه: "(ذكرنا أن ضعيف كان مطلعًا على ضغوط أمريكا على طالبان لمنع بن لادن من مغادرة أفغانستان، وقد أوشك بن لادن أن يغادر ولم تكن الإمارة لتعارض، لكن ذلك كان سيعرقل خطة الغزو لذا عارضته أمريكا، ثم اعتقلت ضعيف حتى لا يفشى السر الذي يظهر أن قرار (الغزو كان سابقًا على أحداث سبتمبر). (الصليب ص 194).

إذا كانت أمريكا قد ضغطت على طالبان لمنع خروج بن لادن من أفغانستان، فلماذا لم تعلن طالبان هذه الحقيقة أمام العالم لترفع عن نفسها الضغوط التي وقعت عليها بسبب إيوائها للشيخ؟

فلماذا لم تقل طالبان إن الشيخ اسامة يريد مغادرة أفغانستان باختياره، وإن أمريكا هي التي طلبت منا منعه من ذلك؟ أم أن طالبان متورطة هي الأخرى في هذا المخطط الخبيث الذي تحيك خيوطه المخابرات الأمريكية واليهودية مع قيادات المجاهدين؟

وهل كان هذا الموضوع سرًّا بين الأمريكان والملاّ ضعيف، وليس لقيادات طالبان علم به؟ أليس الملاّ ضعيف سفيرًا للإمارة الإسلامية يطلعها على اتصالات الأمريكيين المزعومة به؟ وكيف كان الأمريكيون يتوقعون تلبية طلبهم من الإمارة في الوقت الذي كان هذا الطلب سرًّا بينهم وبين الملاّ ضعيف في إسلام آباد؟ أم أن السفير كان يستطيع القيام بالمهمة من مقر السفارة ودون علم الملاّ عمر؟

شيء عجيب!!

نحن كنا وإياك خلال هذه المدة في أفغانستان، فهل يمكن أن تتفضل فتذكر لنا البلد التي كانت على وشك استقبال الشيخ أسامة عند مغادرته لأفغانستان؟

نحن وإياك نعلم أنه لو كان هنالك مكان يمكن أن يخرج إليه الشيخ لخرج، ليرفع الحرج عن الطالبان من جهة، ويرفع القيود التي كانت على عمله من جهة ثانية.

3- ومن التهم الأشد غرابة مما هو على هذه الشاكلة، زعم الكتاب أن أمريكا كانت على وشك قتل الملاّ عمر في الليلة الأولى من ليالي الحرب على أفغانستان، وأنها ألغت المهمة في آخر لحظة حرصًا على سلامة الشيخ بن لادن الذي كان موجودًا في المكان!!

لقد جاء في الكتاب: "والسؤال الهام هنا: لماذا ضيعت أمريكا الفرصة النادرة لإنهاء الحرب.. وقتل الملاّ عمر داخل المسجد، في الضربة الجوية الأولى؟

" وهل كان لوجود بن لادن قريبًا من مجمع الإمارة، واحتمال أن يصادف تواجد هناك، تماطل الصواريخ على المسجد والمجمع؟ هل كان لذلك أثر في إلغاء قرار قصف مقر الملاّ عمر وقتله؟ " إذا كان ذلك صحيحًا: ألا يتناقض مع الادّعاء الأمريكي بأن بن لادن هو الخطر الأكبر الذي يواجه أمريكا في العالم، وأنه سبب الحرب على أفغانستان؟

" ألم تكن الفرصة مواتية لأن تنتهي أمريكا من أكبر خطرين يواجهانها في أفغانستان بواسطة صاروخ واحد، بينما الطائرات الأمريكية في السماء تحمل في باطنها عشرات الصواريخ الموجهة، وأجهزة التجسس الأرضي الحديثة والمتطورة تمدها بالمعلومات عبر الأقمار الصناعية.

" ألا يشير هذا الحادث بوضوح إلى وجود جواسيس للأمريكان ضمن الدائرة القريبة من بن لادن والملاّ عمر، على اتصال بالأقمار الصناعية الأمريكية بواسطة أجهزة متقدمة، لرصد تحرك الرجلين؟

[من المحتمل أن تكون أمريكا قد ضحت برجلها الذي يراقب ويرافق الملاّ عمر، والذي قتل غالبًا في السيارة المنتظرة أمام المسجد، لأنه منذ ذلك الوقت لم تسجل ضده محاولات متشابهة وحتى خروجه من قندهار].

" وطبقًا لنفس التحليل، على افتراض صحته، فإن رجل أمريكا المرافق لبن لادن، كانت مهمته دومًا تحديد موقعه حتى يتجنب الطيران قصفه، حفاظًا على سلامته.

" ولماذا هذا الإصرار العجيب والاستعجال في قتل الملاّ عمر في ثلاث محاولات متتابة للاغتيال الجوي، بينما لم تسجل ولا محاولة واحدة ضد بن لادن طوال مدة الحرب؟

" وهل بن لادن يمثل حالة استعصاء أمني، أم أنه يمثل لأمريكا ضرورة سياسية توفر لها ذرائع لسياسات يصعب قبولها دوليًا؟". (الصليب ص 225)

وظهور بطلان هذا الادعاء يُغني عن الرد عليه.

ولكن مع ذلك سوف أتركك أنت ترد عليه في موضع آخر من كتابك، حيث تقول في معرض حديثك عن جنون التكنولوجيا الأمريكية واستخدامها غير المسبوق في ملاحقة بن لادن ومحاولة قتله: "فكانت تقوم قاذفات (بي/2) الشبح التي لا يرصدها الرادار، بمطاردة مجموعة من المقاتلين الأفغان لا تزيد عن خمسة أفراد!! ثم تدعمها في تلك المهمة "المعقدة" طائرة (أف - 16) أو أن تقوم طائرات التجسس بضرب مجموعة من الأفغان لا تزيد عن خمسة عشر شخصًا بالصواريخ الموجهة، لأنها - أى الطائرة لاحظت أن المجموعة تعامل أحد أفرادها باحترام زائد!! فافترضت الطائرة الذكية، وصواريخها الموجهة بالليزر أن ذلك الشخص [قد] يكون بن لادن، فقتلت الجميع". (الصليب ص 304).

فهل نفهم من هذا الكلام حرص الأمريكان على سلامة بن لادن أم حرصهم على قتله واستخدام أحدث التكنولوجيا في ذلك؟

4- ومن الاتهامات الغريبة للشيخ أسامة أنه كان يعرقل مساعي الحصول على الأسلحة غير التقليدية التي كان يبذلها بعض مساعديه؟؟

جاء في الكتاب أن الشيخ أسامة: "عرقل كل محاولات وزير دفاعه من أجل تصنيع وامتلاك أحد تلك الوسائل.. حتى قتل وزير دفاعه في قصف أمريكي على مقر عمله في قندهار، كما غرق سلفه قبل خمس سنوات في بحيرة أفريقية، وفي ظروف غامضة، وكان في مهمة خلف تلك الأسلحة للحصول على أحدها من سماسة يجوبون الساحل الأفريقي". (الصليب ص 186)

وغرابة هذا الاتهام لا تكمن في عدم وجود أي دليل على صحته، بل في أن كل الأدلة والوقائع تشهد بخلافه تمامًا، فالعديد من الإخوة الحاضرين يعلمون أن الشيخ كان أكثر الناس حرصًا على الحصول على مثل هذه الأسلحة، وقد بعث عدة إخوة إلى جهات مختلفة سعيًا في هذه المهمة، وقد اعتقل بعضهم ولا زال رهن الاعتقال.

ولم يكن البحث عن تلك الأسلحة في إفريقيا، إفريقيا ليست مظنة لتلك الأسلحة كما يعلم الجميع، وأبو عبيدة البشير رحمه الله، لم يكن في مهمة من هذا القبيل عندما توفي رحمه الله، كما يعلم الإخوة المطلعون على الأمر، وعلى افتراض أنه كان في مهمة من هذا القبيل، فما كان ليقوم بذلك دون علم وموافقة وتمويل الشيخ أسامة.

ولنفترض أنك لا علم لك بكل جهود الشيخ في هذا المجال، أليست شخصية الشيخ المتخصص في (التراجم الجهادية) على حسب تعبيرك شخصية يناسبها السعي في الحصول على سلاح من هذه القبيل، يمكن أن يشكل استخدامه على طريقة القاعدة فصل من فصول التراجم الجهادية غير التقليدية يكمل فصول المأساة المستمرة من ربع قرن؟

ولنفترض أن الشيخ كان حصل على سلاح من هذا القبيل، فكيف كان سيستخدمه دون أن تشعر (بمخرج أخلاقي أو شرعي) عندما يقتل (بعض الأبرياء)!!!

5- وقل مثل ذلك عن الاتهام الوارد في الكتاب للشيخ أسامة بأنه عرضت عليه صفقة أسلحة متقدمة من الروس وبثمن رخيص فأعرض عنها مفضلًا عليها الأسلحة القديمة غير الفعالة الموجودة في السوق!!

وهذا نص ما في الكتاب:

"لقد أهدر بن لادن فرصة نادرة عرضها عليه جنرالات روس في طاجيكستان، لتزويده بصواريخ حديثة مضادة للطيران، محمولة على الكتف، عن طريق قيادات عسكرية من تحالف الشمال. عرضًا مماثلًا وصل إلى الإمارة الإسلامية، مع استعداد روسي، بتزويدها بطائرات

هليكوبتر عسكرية، أو أي نوع من الأسلحة ترغب فيه، بشرط أن تدفع الإمارة نصف الثمن نقدًا بالدولارات، والنصف الآخر بمسحوق الهروين".

فهل يعقل أن يرفض مثل هذا العرض عاقل أو مجنون؟

ونحن لا نملك أمام هذا الكيل من التهم والافتراءات لرجلٍ كنت أنت أول من شجعه، وأول من وقف معه وزوده بتنظيراته السياسية والعسكرية، وبارك جهوده وجعله عباءة الأمة، إلا أن نقول إنها نظرية المؤامرة التي سيطرت على الكتاب بل الكتب، ومن ثم روح تصفية الحساب التي انتهجها الكتاب بسبب الورطة التي وقع فيها كاتبه بعد الأحداث.

ومن التهم الموجهة للقاعدة في الكتاب قوله: "القاعدة" لم تكن لتطبق ظهور جهاد إسلامي ذي مرجعية غير سعودية.. ولم يكن بن لادن ليطبق ظهور قيادة شابة منظمة جيدًا.. لتسيطر على جزء من العالم قد يخرج عن هيمنته الدولية التي لم تكن قائمة سوى في خياله الذي سيطر عليه الإعلام الدولي "

" وبالفعل كانت الحركة الإسلامية واقعه تحت ضغوط لا تطاق من جانب بعض التنظيمات الجهادية العربية في أفغانستان خاصة من القاعدة، من أجل خلق انشقاق سلفي يخرج من تحت القبضة الفولاذية (الطاغوتية!!) لمحمد طاهر.. وأن يلتحق ذلك الجناح بالقاعدة تحت إغراءات المال.. والشهرة، ومن هنا نشأت الأزمة التي أودت بروح الأخوة الجهادية بين الأوزبك والعرب.

" فقيادة الأوزبك ألقت القبض على إثنيين من الجواسيس الروس واحتجزتهم في السجن الخاص بها للتحقيق. ولكن هؤلاء فرّوا والتحقوا بمضاهة القاعدة في كابل طالبين الحماية من طغيان تنظيمهم الأوزبكي الذي يضطهدهم لكونهم سلفيون "!! (الصليب ص 146)

هذه اتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة، وأنت تعرف جيدًا أن القاعدة هي التنظيم الجهادي العالمي الوحيد الذي أخذ على عاتقه مهمة دعم الحركات الجهادية في مختلف أنحاء العالم، وبغض النظر عن مذهبها الفقهي.

وأنت تعلم أن المجاهدين من طاجيكستان وأوزبكستان الذين تثنى عليهم فكريًا وعسكريًا وتنظيميًا تدربوا في معسكرات القاعدة، وكنت أنت شخصيًا تعطيتهم دورات سياسية في هذه المعسكرات. وقد استمر دعم القاعدة المالي في حدود إمكاناتها المحدودة للأخوة الأوزبك وأميرهم مُجَّد طاهر بعد ذلك، ويفترض أنك بحكم علاقاتك بالجانبين تكون مضطلعًا على ذلك.

وفي المقابل، فإن المخابرات الإيرانية كما تعلم هي التي كانت وراء المأساة التي انتهى إليها حزب النهضة وجهاده من خلال الدور الخبيث الذي قامت به سواء بواسطة رباني ومسعود، أو من خلال الوساطة بين الحزب والحكومة الطاجيكية التي انتهت بما عليه الوضع الآن.

فمن الأولى باللوم، القاعدة التي تدربت عناصر الحزب في معسكراتها، أم الإيرانيون الذين قادوه إلى نهايته المأساوية؟

ثم من العجيب اتهامك للقاعدة بأنها تسعى لفرض سعادة الجهاد في العالم مع أنك تعلم علم اليقين أن الخلاف مع النظام السعودي وعلمائه هو من أبرز ما يميز تنظيم القاعدة في خطاباته السياسية والفكرية.

أما ما ذكرته من أن القاعدة كانت تسعى لشق صف الإخوة الأوزبك، وإغرائهم بالمال من أجل تحقيق هذا الهدف، فهذا كلام لم نسمعه إلا منك، وقد عشنا سنوات ونحن في قلب الأحداث فلم نسمع حتى من مُجد طاهر جان شكوى بهذا الخصوص.

والحادث الذي سقته للدلالة على هذه الدعوى سقته بشكل محرف جانبت فيه الحقيقة عن عمد، وللأسف الشديد. فالأخوة الأوزبك الذين لجأوا لمضافة القاعدة لم يكونوا جواسيس، كما ذكرت، بدليل أن مُجد طاهر أرجعهم لعملهم بعد المشكلة مباشرة، وكل المشكلة أنهم اختاروا ان يذهبوا إلى الجبهة مع شباب القاعدة وأنت تعلم ذلك. وتعلم أن القاعدة لم تكن تروج لمذهب فقهي معين، بل كانت تدعوا أتباعها وغيرهم لمراعاة المذهب الحنفي السائد في البلد، وعدم إثارة الخلافات المذهبية. والمعهد الشرعي في قندهار الذي كان يتردد عليه بل ويدرس فيه كثير من طالبان شاهد علي ذلك، وكانت القاعدة ترى ترك بعض السنن والمندوبات في الصلاة وغيرها إذا كان فعل ذلك يثير شقاكات وتنافراً بين المسلمين.

والطريقة التي أخذ بها مُجد طاهر الأخوين من مضافة القاعدة كانت طريقة حمقاء كادت أن تؤدي إلى قتال بالأسلحة النارية لولا الله ثم تدخل بعض العقلاء الذين كانوا موجودين في المكان (أبو بلال)

(النوبي) رحمه الله، وتهدئتهم للأمر. وقد أدرك مُجد طاهر ذلك فاعتذر عن خطئه.

ومع الإهانة التي ألحقها هذا التصرف بالقاعدة فإن الشيخ أسامة لم يطالب بأكثر من حكم قضائي شرعي في المسألة من قضاء الإمارة الإسلامية، فمن الأحق باللوم في هذا الموضوع؟

6- ومن الكلام السيئ الذي حفل به الكتاب ضد الشيخ أسامة ما ذكره من أن معظم العرب " دخل تحت سطوته اقتناعاً أو إذعائاً " (الصليب ص 128)

وأنا أسألك سؤال هل تعرف رجلاً واحداً من العرب أو العجم دخل في تنظيم القاعدة أو بقي فيه إذعائاً؟

لو كان هنالك من هذا القبيل لكنت أنت على علم به، وأنت الرجل الذي عشت مع التنظيم قرابة عشرين سنة، وتربطك بقياداته وأفراده أقوى الروابط.

7- ومن الكلام الجارح المشين ضد تنظيم القاعدة بصورة عامة ما تفضلت به من كرم حاتمي في وصفهم بمختلف الأوصاف المعيبة وغير اللائقة عندما قلت إنهم " ضربهم الغرور والتعالي والثقة الزائدة بالنفس، واستصغار شأن الآخرين، أو احتقارهم أحياناً. وكانوا عن ثقة يعتقدون بأن الحركة الإسلامية أجمع يجب أن تنضوى تحت لوائهم ". (الصليب ص 115)

8- ومن جميل كرم الكاتب وصف المجاهدين الأبرار " ببغال التحميل " وغيرها من عبارات النقد الجارح الهدام.

سامحك الله، ورزقك من العدل والإنصاف ما يرد بعض هذا الإجحاف!!

هذه أمثلة على بعض التهم التي كالحاها الكتاب جزافاً ضد القاعدة والشيخ أسامة بن لادن دون أن يكلف نفسه عناء الاستدلال على صحتها.

وهنالك تهم أخرى غيرها كثير ضاق المجال عن سردها. وإذا كانت القاعدة قد نالت نصيب الأسد من هجوم الكتاب، فإن حركة طالبان قد نالت هي الأخرى نصيباً لا بأس من ذلك. ومن الأمثلة على ذلك:

1- ما جاء في الكتاب من أنهم كانوا قد أعطوا (التزامات سرية) لبعض الدول بعدم دخول (ممر سالانج من الجنوب).

يقول الكتاب: " وضعت أمريكا خطأً أحمر على عبور (طالبان) ممر سالانج.. وبالأحرى سلسلة جبال الهندوكوش، ويتوافق ذلك مع الرؤية الروسية التي عبر عنها " إلكساندر لييد " كما سبق ذكره: " الالتزام السري من جانب حركة طالبان بعدم اقتحام ممر سالانج من طرف المدخل

الجنوبي في جبل السراج أدى إلى وجود شرح عميق في موقفهم الاستراتيجي على المستويين (السياسي والعسكري " (الصليب ص 109)

ونحن نقول: أين الدليل على وجود مثل هذا الالتزام؟ وإذا كان سرّيًا فكيف اضطلع عليه الكاتب؟ ولمصلحة من أعطت طالبان هذا الالتزام السري؟ أم أن طالبان هي جزء من المؤامرة حتى على نفسها؟ وهل يعقل أن يعطي الملاً عمر مثل هذا الالتزام فيترك الدخول للشمال عبر ممر سالانج وهو قادر عليه، ليتكلف عناء ومشقة فتح الشمال عبر الطرق الأخرى ذات التكلفة العالية في الرواح والمعدات والوقت والجهد؟؟

2- ومن التهم الموجهة لطالبان أيضًا ما جاء في الكتاب من أنهم بعد احتلال موقع القنصلية الإيرانية في مزار شريف تلقت المجموعة التي احتلتها أوامر من باكستان بقتل الدبلوماسيين الإيرانيين.

جاء في الكتاب ما نصه: "فعندما اقتحم "المنقمون" مبنى القنصلية الإيرانية في المدينة قتلوا بعد فترة انتظار قصيرة أحد عشر دبلوماسيًا. " شهود قالوا إن فترة الانتظار القصيرة دارت أثناءها اتصالات تلفونية جاءت فيها أوامر بقتل الدبلوماسيين، وأنّ هذه الأوامر كانت من إسلام أباد!! " (ص 100)

يا للعجب، قوات طالبان تتلقى أوامرها في أدق تفاصيلها من إسلام أباد وليس من قيادتها في كابل أو قندهار!! إنها الرواية الإيرانية للحدث، والتي يعلم الكاتب أنها مجرد اختلاق مخبراتي لتبرير السياسة العدوانية للجمهورية الإسلامية تجاه الإمارة الإسلامية.

والعجيب أن إيران لم تؤخذ الحكومة الباكستانية التي أعطت الأمر بقتل دبلوماسيها، بل أقامت معها علاقات حميمة في الحرب على الإرهاب وغيرها، وإنما عاقبت الإمارة الإسلامية التي لم تعط الأمر بقتل الدبلوماسيين!!

3- وقد طعن الكتاب حركة طالبان في الصميم مرة أخرى عندما زعم أن خط كابل سقط بالدولار، وليس بالقصف الأمريكي، حيث جاء في الكتاب: "معلوم أن كسر الخط الدفاعي لطالبان على جبهة شمال كابل تم بالدولار الأمريكي وليس بقاذفات "بي 52" أو حتى قنابل "الأطنان السبعة" (ص 138).

والحقيقة غير ذلك أخي الكريم، فالحقيقة هي ما صرح به الرئيس الإيراني الأسبق خاتمي عندما صرح مع مساعده مُجدّ أبطحي وأكد الأمريكيون تصريحاتهم تلك.

وملخص تلك التصريحات أن الحكومة الإيرانية بعد شهر من القصف المتواصل على معقل طالبان دون جدوى قدمت للأمريكيين خريطة عسكرية للمواقع التي يتعين عليهم التركيز عليها لكسر الخط، وبالفعل لما أخذ الأمريكيون بالنصيحة الإيرانية انكسر الخط، كما صرحت بذلك
مثلة الولايات المتحدة في اللجنة المشتركة.

وهذه الاعترافات التي يتفاخر بها المسئولون الإيرانيون والأمريكيون جاءت مفصلة في أكثر من مصدر منها برنامج (إيران والغرب) الذي أذاعته قناة الجزيرة، وهو لدي مسجل.

ومن العجيب أخي الكريم أنك تطلع على الأسباب السرية الخفية للكوارث وتجزم بها، في حين تتجاهل الأسباب المعلنة التي يتفاخر بها أصحابها!!

4- ومن هذا القبيل أيضاً مما جاء في الكتاب قوله " إهمال الإمارة الإسلامية قضية تأمين العاصمة السياسية للبلاد، يرقى إلى مرتبة الجريمة المتعمدة". (الصليب (ص 191)

نكتفي بهذا القدر عن طالبان من الأمثلة الكثيرة التي حفل بها الكتاب. وننتقل إلى أمثلة أخرى مما ورد في الكتاب من الأمور المجافية للحقيقة، باختصار، فمن ذلك:

1- ما ورد في الكتاب في أكثر من موضع من تهم للأخ المرحوم الشهيد خطاب - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وهي من جنس التهم ذاتها الموجهة للشيخ اسامة. وكان الواجب على الكاتب أن يذكر الأدلة التي تثبت ما يقول.

2- ما جاء في الحديث عن شيخ المسجد الجامع في مشهد الذي قامت السلطات بتهديده عدة مرات، وألجأته إلى الهروب إلى أفغانستان، وهدمت مسجده، ومكتبته الضخمة بالبلدوزرات، وحولت المكان إلى حديقة عامة، ثم واصلت ملاحقة الشيخ في أفغانستان حتى قتلته في الجامع الكبير في هرات مع عدد من المصلين بعد صلاة الجمعة، بعد عدة محاولات اغتيال قبل ذلك أصيب في بعضها.

هذا الشيخ الإمام، لم تزد عند ذكرك له على وصفه بأنه " معارض إيراني سني " وبرأت المخابرات الإيرانية من قتله، وألصقتها بجهة أخرى، رغم أن القرائن والشواهد تقول خلاف ذلك!! إنها الرواية الإيرانية مرة أخرى كما عرفناها منهم.

3- ومن الأمور العجيبة التي وردت في الكتاب أمور يتعجب منها القارئ، لمصلحة من تم اختلاقها وتلفيقها.

ومن هذه الأمور:

- ما جاء في الكتاب من ذبح بعض العرب أمام نسائهم وأطفالهم. (ص 212)

- ما جاء عن انتحار بعض الأسر العربية حتى لا تقع في الأسر. "كما شاعت أخبار(ثم تأكدت) عن انتحار جماعي لأسر عربية لتحاشي الأسر. (ص 254)

- وجاء في (ص 143) أن بعض المجاهدين: "فضّل قتل عائلته وقتل نفسه حتى لا يعتقل أو يعود مرة أخرى إلى حضارة الغرب..".

- ما جاء عن فقد بعض الأمهات لأطفالهن في حافلات النقل الباكستانية من شدة الهول!! "حتى أن الباكستانيين وجدوا أطفال عرب حديثي الولادة وقد أسقطوا من أمهاتهم العربيات في وسائل النقل العامة!! ومن شدة الهول لم تشعر الأمهات أنهن فقدن أطفالهم.. وأنهن يحملن بين أحضانهم مجرد لفافات خالية!! " (ص 254)

وهذه أمور لم يقع منها أي شيء، وإنما هي اختلاق محض للتهويل والتشنيع، فمن هم الذين فضلوا قتل عوائلهم؟! ومن هم الأطفال الذين فُقدوا؟! ومن الذين سقطوا في عربات النقل؟! فنحن كنا في قلب الأحداث قبل وبعد خروج كل الأسر، وكانت أسرنا مع الأسر التي ذهبت لباكستان، ونعلم علم اليقين أن شيئاً من هذا لم يقع. ونحن نتمنى عليك ان تذكر ولو اسم أسرة واحدة كما تعودنا منك في سرد كثير من الأحداث. إن التراجيديا الجهادية التي تقول إن بن لادن قد تخصص فيها لا يضاهيها في مأساويتها إلا التراجيديا العلمية التي ظهرت بها هذه الكتب.

أخي الكريم: بقيت هنالك ملاحظتان سوف أختتم بهما هذا الموضوع:

الملاحظة الأولى:

هي أنك في كتابتك عن بعض الأمور التي كنت شاهداً عليها، لا تذكر أنك كنت شاهداً إلا عندما يكون ذكر ذلك يدعم وجهة نظرك الحالية في الموضوع، وليس بالضرورة وجهة نظرك فيه عندما كنت شاهداً عند وقوعه، مع العلم أن عندنا من الأخوة من أشركته بجلسة من الجلسات التي حاولت فيها دعم وجهة نظرك، وهي جلسة ساخنة وفيها أخذ ورد كبيرين، وعندما سألناه

عن فحوى الجلسة أخبرنا بأنه لم يجلسها ولم يكن فيها ولم يرك إلا مرة واحدة في جلسة عابرة لم يتخللها حديث بهذا الحجم والأهمية (وهو من وصفته بالداعم المالي من الإخوان المسلمين لبن لادن)، وليتك تجلس معه يوماً لتعرف منه كم أنّ ظنونك ونظرية المؤامرة التي سيطرت على الكتاب، قد نحت بك بعيداً عن الواقع والحقيقة.

أما عند حديثك عن الأمور التي كنت شاهداً عليها - ولكن ذكرك لشهودك عليها لا يخدم ما تريد - لا تذكر أنك كنت شاهداً عليها، فضلاً عن أن تذكر الدور الذي قمت به فيها. والكتاب حافل بالأمثلة على ذلك.

والملاحظة الثانية:

هي حرصك عند التعريف بنفسك في كتبك على أن تصف نفسك بأنك صديق شخصي للشيخ أسامة، فهل حرصك على هذا الأمر نابع من صداقة فعلية يشهد بها ما تضمنته هذه الكتب، أم أنّ المراد منه إعطاء نوع من المصداقية لما تكتبه ضد الرجل بحق وبغير حق؟! الخاتمة:

لقد تناقشت مع الإخوة الموجودين معي، وأنت تعرف أن أغلبهم في مجلس شورى القاعدة، وجميعهم عاش الأحداث التي ذكرتها لحظة بلحظة، والعجب كل العجب أنك عشتها معنا!! فقد هالهم حجم التزوير وقلب الحقائق وتبني النظرية الإيرانية في تفسير الأحداث.

وهذه السطور التي بين يديك هي جزء يسير من نقاش طويل مع الإخوة رأيت أن أنقل من خلالها بعض تعليقاتهم وعلى عجالة. وأما البعض الآخر منهم فقد ألجأهم حجم التزوير إلى الدهول ثم الصمت. وخلاصة رأيهم فيما نشر باسمك أن من الأهداف التي دفعت إلى نشر هذه الكتب:

1- ضرب الحركة الجهادية السنية في كل مكان.

2- هدم وتدمير أي قيادة لأهل السنة (اتهام الشيخ أسامة والملا عمر بالخيانة) وهذا ما لم تتجرأ أميركا ولا الغرب على قوله أو فعله.

3- إبراز وتمجيد الأحزاب التي تخرج من العباءة الإيرانية وقادتهم (حزب الله - الأوزبك - الطاجيك).

من أجل هذه الأهداف تم التزوير على نطاق واسع للأحداث مما أدى إلى ظهور كثير من التناقضات في الكتب، وكأن المخرج أعدها على عجل!!.

يبقى تساءل يفرض نفسه وهو: أن القوم يدعمون حماس بكل قوة؟

والجواب لا يخرج الأمر عن الدعاية والإعلام، وإلا فأين هم من قضايا المستضعفين من المسلمين التي لا تكاد تخلو منها دولة مثل (الشيخان - كشمير - دارفور - الصومال - البوسنة)، بل أنهم تأمروا على بعضها مثل الأفغان، وهذا لا يخفي على عوام الناس فضلاً عن المختصين، بل أن القوم شهدوا على أنفسهم صراحة في برنامج حوار مفتوح علي الجزيرة مع مُجد شريعتي مستشار خاتمي، حيث قال: **دعم حماس هو من أجل الدعاية والإعلام**، وذلك في معرض اتهاماته وانتقاداته لأحمدي نجاد.

ثم هل ما يفعلونه بنا الآن من خطفٍ وتغييبٍ وإيذاءٍ وحرمانٍ لأبنائنا وبناتنا من أبسط حقوقهم في التعليم والعمل والحرية هو في مصلحة المسلمين والحركة الجهادية وأبنائها؟؟ أم هو السر الذي حاول الكتاب إغفاله وتجاهله؟!

بقي الكثير والكثير ولعل فيما يأتي من الأيام متسع له.

شيخنا الحبيب أرجوا أن تعذرني وبقية الأخوة إذا كنّا قد أثقلنا عليك في العتاب، فرصيد الثقة بيننا يسمح لي ولهم بذلك دون أن تتأثر أخوتنا القديمة، وأدعوا الله أن يُنجينا وإياك من أيديهم، وأن يجمعنا مرة أخرى مجاهدين في سبيله، رافعين لرايته، مصححين ما قد انحرف في هذه المسيرة المباركة، وإلى أن نراك في ظروف أفضل إن شاء الله أستودعك الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد حسن أبو الخير

1 رمضان 1430هـ،

الموافق 22 أغسطس 2009م



الشيخ أحمد حسن أبو الخير (عبد الله رجب) - تقبله الله

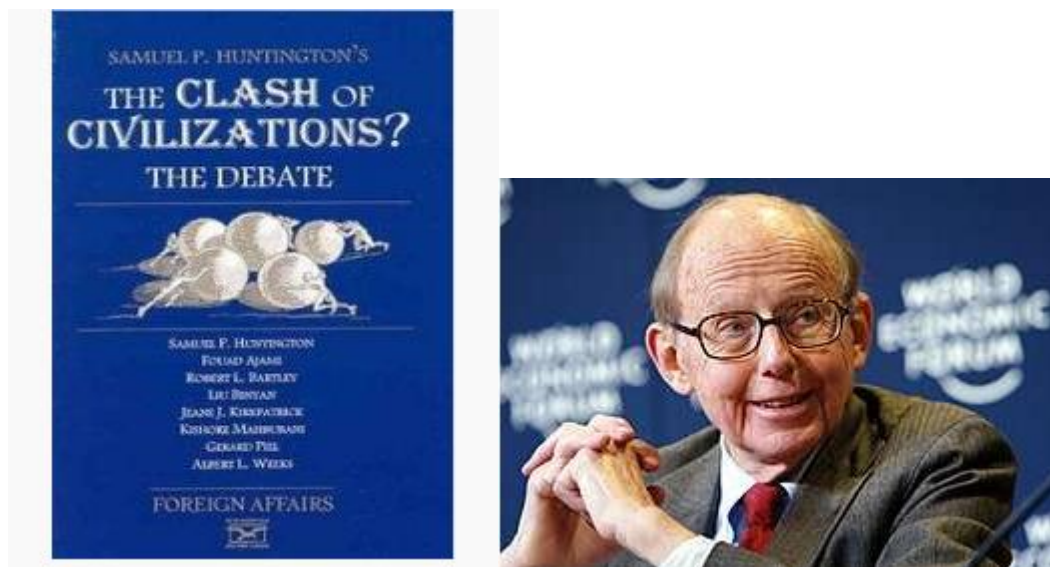
رسالة القاعدة:

يقول الدكتور عبد الله النفيسي في دراسة له بعنوان " العالم بعد غزوة مانهاتن ":

" بعد ذوبان الاتحاد السوفياتي 1992م وتشردمه إلى خمس عشرة جمهورية، تعالت الأصوات في الولايات المتحدة: إذن من العدو القادم؟ فالأمريكان دائماً بحاجة إلى عدو خارجي لتفريغ ترسانتهم العسكرية فيه وتشغيلها معه. وظهر علينا ريتشارد نيكسون (الرئيس الأمريكي الأسبق) بكتابه الخطير الموسوم: «انتهازوا الفرصة Seize the Moment» ليقول للأمريكان إن الفرصة مواتية لهم وقد سقط الاتحاد السوفياتي أن يفرضوا على العالم وبالقوة ما أسماه ب «الريادة الروحية الأمريكية American Spiritual Leadership» قبل أن يستيقظ (المارد الأخضر) قاصداً الإسلام والأمة الإسلامية!".

وكان الغرب بأسره بعد غزوات نيويورك وواشنطن، قد أدرك أنه أمام بداية جديدة لنوع جديد من أنواع الصراع العالمي، كان قد تنبأ به صمويل هنتنغتون في كتابه نظرية صدام الحضارات.

وملخص نظريته، أن العالم لا يتسع لحضارتين أو ثلاثة، وأنه يجب أن تسود حضارة واحدة تفرض نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حتى يسود السلام العالم كله⁽²³⁸⁾.



العلاج صمويل هنتنجتون كتاب صدام الحضارات

لقد صدق هنتنجتون وهو كذوب، فنحن كمسلمين نوافقه فيما ذهب إليه، ونرى أن العالم فعلاً لا يتسع لحضارتين في آن واحد، ونقول له، قد جئت بنظرتك هذه متأخراً ألفاً وأربعمئة سنة، فقد أخبرنا الله بها في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. كذلك بشرنا نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام بأن ديننا سيدخل كل بيت على ظهر هذه الأرض⁽²³⁹⁾. عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَشْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزَّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ دَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ). رواه الإمام أحمد.

وباختصار شديد، لم تأت قاعدة الجهاد برسالة جديدة، ولا بفكرٍ بدعي جديد يخالف أو يشذّ عن الشريعة، فكل ما فعلته أنها نذرت نفسها لتؤدي واجباً شرعياً وفرضاً عينياً - تكاسل وتقاعس عن أدائه غيرهم - وهو القتال وتحريض الأمة على القتال في سبيل الله، حتى تتحقق الرسالة والغاية التي من أجلها فرض الله القتال وهي: حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

(238) أرشيف مجموع مقالات الاستاذ عبد الله بن محمد.

(239) المصدر السابق. بتصرف.

ولما كان موضوع هذا الكتاب يتناول شيئاً من تاريخ القاعدة، كان لا بد لنا أن نذكر الأسباب والدوافع التي من أجلها حملت القاعدة السلاح لتحقيق رسالتها من القتال وهي، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

لماذا نقاتل أمريكا؟

ذكرنا من قبل، أن أحداث اجتياح اليهود للبنان عام 1982م بمباركة أمريكا، كانت قد انتجت في نفس الشيخ أسامة شعوراً عارماً يرفض الظلم، وولدت فيه تصميمًا قويًا على معاقبة الظالمين. ومرت الأيام والسنون، وظل هذا الإحساس حبيسًا تتأجج ناره في دواخل الشيخ أسامة.

وعندما تقاطر الشباب لنصرة إخوانهم في أفغانستان، كانت تلك فرصة ذهبية كبيرة أراد الشيخ أسامة والشيخ عبد الله عزام - كما ذكرنا سابقًا - استغلالها بأفضل ما يمكن أن تستغل به. لقد كان الشيخان يطمعان ويتطلعان إلى أن يأتي إلى ساحة أفغانستان أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ليتشبعوا بفكر الجهاد ثم يحملوه بعد ذلك إلى بلادهم. وكان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله يقول: "أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهدًا، فيستشهد نصفهم، ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد".

أمّا الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، فلم يرد أن يكون الجهاد ردة فعل مجردة، خال من أي فكر يقوده وينظمه، ولم يرد أن يكون الجهاد محدودًا في حدود سايكس بيكو، فقد كان يريد أن تكون للمجاهدين قوات تدخل سريع ضاربة منظمة، كلما سمعوا هبة أو فرقة طاروا لنجدة المسلمين ولو كانوا في الصين. وحسب تصور القاعدة، فإن مشروع الجهاد الإسلامي، لا يتوقف عند حدود بلد أو دولة، إنما يتعداها ليشمل الأرض كل الأرض، لتتحرر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده⁽²⁴⁰⁾. وقد أعلن الشيخ أسامة ذلك الهدف - كما سبق ذكره - فقال:

"ونحن بهذا الجهاد، لا نبتغي تحرير أفغانستان فقط، فأفغانستان جزء من العالم الإسلامي، وإنما أملنا وهدفنا أن تكون هنا النواة لتجميع طاقات الشباب المسلم والعربي لتدريبهم، حتى

(240) أرشيف مجموع مقالات الأستاذ عبد الله بن محمد.

يكونوا بإذن الله، نواة الجيش الإسلامي مع إخوانهم المجاهدين في أفغانستان لتحرير باقي أراضي المسلمين".

وبالفعل - كما مرّ علينا من قبل - كانت أفغانستان نقطة تحول كبيرة، حققت فيها الجماعات الجهادية مكاسب كثيرة كان من أخطرها عولمة التيار الجهادي فكريًا وحركيًا، حيث أحيى المجاهدون فريضةً غائبة - حُرمت منها الأمة ردحًا من الزمن - بالقتال في أفغانستان وكشمير والبوسنة والشيّشان. كذلك حطمت معارك الجهاد في أفغانستان في أذهان الشباب المسلم المجاهد وهم القوة العظمى، فما عادوا يهابونها، ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية المتسلّطة في بلاد المسلمين، فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لإعداد الشباب المسلم المجاهد، لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن؛ أمريكا⁽²⁴¹⁾.

وكانت دعوة النظام السعودي للقوات الصليبية الأمريكية، إلى المجيء إلى بلاد الحرمين في 7 أغسطس 1990م بحجة تحرير الكويت⁽²⁴²⁾ - كما يزعمون - مصيبة عظيمة لكل المسلمين اعتبرها المجاهدون احتلالًا لبلاد الحرمين الشريفين بتواطؤ مع حكّامها. وعن هذا الأمر يقول الشيخ أسامة:

"وكان آخر هذه الاعتداءات أن أُصيب المسلمون بمصيبة من أعظم المصائب التي أُصيبوا بها منذ وفاة النبي، ألا وهي احتلال بلاد الحرمين - عقر دار الإسلام، ومهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وبها الكعبة المشرفة قبلّة المسلمين أجمعين - وذلك من قبل جيوش النصارى من الأمريكيين وحلفائهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله"⁽²⁴³⁾.

وعندها تيقّن الشيخ أسامة بحتمية المواجهة المباشرة مع أمريكا، وأنذاك لم تكن بيده حيلة؛ فقد كان رهن الإقامة الجبرية في بلاد الحرمين. وشاء الله أن تسنح أول فرصة لتلك المواجهة بعد اجتياح أمريكا الصومال في أوائل ديسمبر عام 1992م، وحينها كان الشيخ أسامة في السودان. وقد مرّ علينا من قبل كيف استغلت القاعدة تلك الفرصة الذهبية لمواجهة أمريكا ومحاولة استنزافها

(241) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. للشيخ أبي مصعب السوري. بتصرّف.

(242) راجع فقرة التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه صفحة 104.

(243) بيان أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

اقتصاديًا وبشريًا ومعنويًا في الصومال، غير أن أمريكا سريعًا ما أدركت أنها قد دخلت مستنقعًا مشابهاً لدخول الروس في أفغانستان، فهي تواجه شعبًا بأكمله وليس جنرالات حروب كما كانت تدّعي، لذلك ما أن بلغت خسائرها الثمانون قتيلًا حتى اتخذت أمريكا في مارس 1994م قرار انسحابها من الصومال.

وأذن الله لرياح التغيير أن تهب، ففي صبيحة اليوم الأول من السنة الهجرية للعام 1417هـ الموافق 18 مايو عام 1996م، أُبعد الشيخ أسامة من السودان، وما أن لامست عجلات الطائرة الخاصة، المقلّة للشيخ أسامة ورفاقه مطار جلال أباد، حتّى بدأت حينها مرحلة جديدة تهيأت فيها بفضل الله وحده أسباب المواجهة المباشرة، وجهًا لوجه مع هبل العصر أمريكا. وحينها كان لا بدّ مما ليس منه بدّ، وهو استنهاض الأمة المسلمة وحثّها وتحريضها، لتقوم بواجبها الشرعي في نصرّة الدين والدفاع عن أقدس مقدسات المسلمين، فأرسل الشيخ أسامة رحمه الله، أولى رسائله إلى إخوانه المسلمين في العالم كافة، وجزيرة العرب خاصة، وهي بيان "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، معلّنًا فيه الحرب والجهاد على الأمريكان المحتلين لبلاد الحرمين. وفي ذلك البيان يقول الشيخ أسامة:

" في ظلال هذا الواقع الذي نعيشه، وفي ظل الصحوة المباركة العارمة التي شملت بقاع العالم والعالم الإسلامي خاصة، ألتقي اليوم معكم بعد طول غياب فرضته الحملة الصليبية الظالمة التي تنزعها أمريكا على علماء الإسلام ودعاته، خشية أن يحرّضوا الأمة الإسلامية ضد أعدائها، تأسيسًا بعلماء السلف رحمهم الله كابن تيمية والعز بن عبد السلام. وهكذا قام هذا التحالف الصليبي اليهودي، بقتل واعتقال رموز العلماء الصادقين والدعاة العاملين - ولا نزكي على الله أحدًا - فقام بقتل الشيخ المجاهد عبد الله عزام، واعتقال الشيخ المجاهد أحمد ياسين في مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، والشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن في أمريكا. كما اعتُقل بإيعازٍ من أمريكا عددٌ كبيرٌ جدًّا من العلماء والدعاة والشباب في بلاد الحرمين، من أبرزهم الشيخ سلمان العودة، والشيخ سفر الحوالي وإخوانهم ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد أصابنا بعض ذلك الظلم بمنعنا من الحديث مع المسلمين، ومطاردتنا في باكستان والسودان وأفغانستان؛ مما أدى إلى هذا الغياب الطويل، ولكن بفضل الله تيسر وجود قاعدة آمنة في خُرسان، فوق ذرى الهندوكوش، تلك الذرى التي تحطمت عليها - بفضل الله - أكبر قوة عسكرية ملحدة في الأرض، وتلاشت عليها

أسطورة القوى الكبرى أمام صيحات المجاهدين الله أكبر. واليوم من فوق نفس الذرى من أفغانستان، نعمل على رفع الظلم الذي وقع على الأمة من التحالف اليهودي الصليبي، وخاصة بعد احتلاله مسرى النبي عليه الصلاة والسلام، واستباحته بلاد الحرمين، ونرجو الله أن يمن علينا بالنصر، إنه ولي ذلك والقادر عليه". ١. هـ

وتتابعت رسائل الشيخ أسامة لأمریکا في بياناتٍ عديدة، وضّح لهم بكل شفافية ماذا يريد. ففي رسالته الثانية إلى الشعب الأمريكي، بتاريخ 29 أكتوبر 2004م، بعنوان: الحرب؛ أسبابها ونتائجها يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

" فهذه هي الرسالة التي حرصنا على إبلاغها لكم - قولياً وعملياً - مراراً منذ سنين قبل أحداث الـ"الحادي عشر"، وطالعوها إن شئتم في لقائي مع "سكوت" في مجلة "التايم" عام 96م، وكذلك مع "بيتر أرنييت" في السي أن أن عام 97م، ثم لقائي مع "جون ملر" عام 98م، وطالعوها عملياً إن شئتم في نيروبي وتنزانيا وفي عدن، وطالعوها في لقائي مع عبد الباري عطوان، وكذلك لقاءاتي مع "روبرت فيسك" (244).



سكوت ماكليود
مراسل مجلة التايمز الأمريكية

روبرت فيسك
مراسل صحيفة الإندبندنت
البريطانية

تيسير علّوني
مراسل قناة الجزيرة

(244) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

وفي إجابته لمراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل عن: ماذا يريد الشيخ أسامة؟ قال رحمه الله: "الذي نريده ونطالب به هو حق لأي كائن حي، نحن نطالب بأن تحرر أرضنا من الأعداء، وأن تحرر أرضنا من الأمريكان، فهذه الكائنات الحية قد زودها الله سبحانه وتعالى بغيرة فطرية، ترفض أن يدخل عليها داخل. فهذه أعزكم الله الدواجن، لو أن الدجاج دخل عليها مسلح عسكري، يريد أن يعتدي على بيتها فهي تقاتله وهي دجاجة. فنحن نطالب بحق لجميع الكائنات الحية، فضلاً عن الكائنات الإنسانية البشرية، فضلاً عن المسلمين. الذي حصل على بلاد المسلمين من اعتداء خاصة على المقدسات، المسجد الأقصى حيث قبلة النبي ﷺ الأولى، ثم استمر العدوان من التحالف اليهودي الصليبي الذي تتزعمه أمريكا وإسرائيل، حتى أخذوا بلاد الحرمين ولا حول ولا قوة إلا بالله. فنحن نسعى لتحريض الأمة كي تقوم بتحرير أرضها، والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، لتحكم الشرع وتكون كلمة الله هي العليا".

وفي نفس رسالته إلى الشعب الأمريكي، يقول الشيخ أسامة:

"إنّ مرادنا ما لُحِص في القسم بعد الحادي عشر من سبتمبر؛ أن تكف أمريكا عن شرّها كدعم اليهود، وترك المسلمين وشأنهم ليتيسّر لنا إقامة دولة الإسلام، التي يكون فيها الدين كله لله".

واختتم الشيخ أسامة تلك الرسالة بقوله:

"أقول لكم - وأصدقكم القول - إن أمنكم ليس بيد كيري أو بوش أو القاعدة، إن أمنكم هو في أيديكم أنتم، وأن كل ولاية لا تعبت بأمننا، فهي تلقائياً قد أمّنت أمنها"⁽²⁴⁵⁾.

كذلك سأل مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل الدكتور أيمن الظواهري قائلاً له:

ما الذي تريد أن توصله من رسالة إلى مصر والعالم الإسلامي من خلال عملكم وإمركم جماعة الجهاد المصرية⁽²⁴⁶⁾؟

فأجابه الشيخ الدكتور أيمن بقوله: "أنا أريد أن أوصل رسالة إلى إخواني المسلمين في كل مكان كرجل مسلم، ودعك من هذه الألقاب والمسميات. نحن نريد أن نوصل رسالة إلى إخواننا

(245) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(246) تم هذا اللقاء الصحفي في ديسمبر 1998م قبل انضمام جماعة الجهاد للقاعدة.

المسلمين في كل مكان؛ إذا أردنا أن نعيش أعزة، وأناس لهم كرامة ولهم عزة، يجب أن نخوض الحرب الصليبية الجديدة ضد أمريكا وإسرائيل. ونحن هذه رسالتنا إلى إخواننا في العالم العربي والإسلامي وفي مصر، أن يكونوا معنا ضد عدونا إسرائيل وأمريكا، كل بما يستطيع... العالم المسلم يجب أن يحافظ على استقلال الأزهر، الذي كان قلعة الصمود في مصر في وجه الطغيان والاحتلال، والذي نتيجةً لسيطرة الحكومة عليه واستيلائها عليه، أصبح يدعو الحاخام الإسرائيلي لزيارة الأزهر.

الطالب المسلم عليه أن يخوض انتخابات اتحاد الطلاب من أجل أن ينشر روح المقاومة ضد أمريكا وإسرائيل، الأب والأم المسلمين يجب أن يعلموا أبناءهم القرآن والحديث، ويحرصوا على تعليمهم أن فلسطين أرض مسلمة اغتصبها اليهود، وأن كل هذه الاتفاقيات والعهود والمعاهدات باطلة، ويجب أن يشرحوا لهم أن أمريكا تحتل الآن مصر، وأن الحرم محتل، والمدينة المنورة محتلة، والبتزول مسروق، وأن ينشئوهم على هذا. فهذا واجب على كل شاب ومهني ونقابي في مصر، أن يقوم في وجه أمريكا وإسرائيل"⁽²⁴⁷⁾.

وفي لقائه الأول مع مؤسسة السحاب بعد عام من الحملة الأمريكية على أفغانستان، قال الشيخ الدكتور أيمن الظواهري:

"فعلى أمريكا وحلفائها أن يعلموا أن جرائمهم لن تمر دون عقاب بإذن الله، وننصحهم أن يُسارعوا بالرحيل من فلسطين وجزيرة العرب وأفغانستان وسائر بلاد الإسلام، قبل أن يفقدوا كل شيء. وقد وجهنا بعض الرسائل لحلفاء أمريكا لكي يكفوا عن تورطهم في حملتها الصليبية، فقد وجه الشباب المجاهد رسالة لألمانيا، وأخرى لفرنسا، فإذا كانت الجرعات غير كافية، فنحن مستعدون بعون الله لزيادتها"⁽²⁴⁸⁾.

وفي خطاب آخر صدر في سبتمبر 2005م، بعنوان وصايا فرسان غزوة لندن، وضّح الشيخ الدكتور أيمن الظواهري رسالة القاعدة فقال:

(247) بن لادن والجزيرة وأنا. للصحفي جمال إسماعيل.

(248) الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرغة.

"فيا شعوب التحالف الصليبي، قد عرضنا عليكم من قبل الدخول في الإسلام، الدين الذي يؤمن بأنبياء الله جميعاً، صلوات الله وسلامه عليهم، ويؤمن بكتبه المنزلة، والدين الذي بقي كتابه المعجز محفوظاً لم يُحرف ولم يُبدل، بل ويتحدى أن يؤتى بمثله. ثم عرضنا عليكم على الأقل أن تكفوا عدوانكم على المسلمين، وعرض عليكم أسد الإسلام المجاهد، الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، هدنة حتى تخرجوا من ديار الإسلام. ألم يخبركم الشيخ أسامة بن لادن، أنكم لن تحملوا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين، وقبل أن تخرج كل الجيوش الكافرة من أرض محمد صلى الله عليه وسلم؟ ولكنكم أجريتم أنهرًا من الدماء في ديارنا، ففجّرنا براكينًا من الغضب في دياركم. إن رسالتنا لكم واضحة جلية قاطعة: لا نجاة لكم إلا بالانسحاب من أرضنا، وإلا بالتوقف عن سرقة بترونا وثرواتنا، وإلا بكف الدعم عن الحكام الفاسدين المفسدين"⁽²⁴⁹⁾.

وفي مقال له بعنوان "تحت ظلال الرماح" يجيب الناطق الرسمي باسم تنظيم القاعدة قبل أسره، الشيخ سليمان أبو الغيث فكّ الله أسره، على هذا السؤال، لماذا نقاتل أمريكا؟ فيقول:

"أما المبررات التي ننطلق منها نحن كتنظيم، ونبني عليها تحركاتنا، ونرسم من خلالها منهجنا وأسلوبنا في التعامل، فهي مبررات عملية واقعية تشهد بها الوقائع وقراءات الأحداث، وهي أيضاً مبررات علمية شرعية تضيف علينا شعوراً من الاطمئنان واليقين بما نقوم به نصرة لديننا وأمتنا. وليس قصدي من تسطير وتحرير هذه المبررات هو تبرير ما حدث، وإنما أضعها بين أيديكم تأكيداً لاستمرارنا في العمل على ضرب الأمريكان واليهود، واستهدافهم بشراً كانوا أو منشآت، وأن ما سيأتي للأمريكان لن يكون بإذن الله تعالى بأقل مما جاءها، فلتتربص أمريكا ولتستعد ولتأخذ أهبة الاستعداد ولتربط أحزمة الأمان فسناًتيهم بإذن الله وحوله من حيث لا يحتسبون ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾".

أما عن مبرراتنا العملية الواقعية فهي كثيرةٌ تفوق الحصر، وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضٍ منها تاركاً للقارئ الكريم حرية التفكير في غيرها من الأمور التي لن يتعب كثيراً في اصطياها.

فأمريكا هي رأس الكفر في عالمنا المعاصر، وهي زعيمة النظام الديمقراطي الكافر الذي يقوم على أساس فصل الدين عن الدولة، وأن يحكم الشعب بالشعب من خلال تقنين القوانين

(249) الكتاب الجامع لكلمات ورسائل الشيخ أيمن المفرغة.

المصادمة لمنهج الله عز وجل، والتي تبيح ما حرم الله عز وجل، وهي بذلك ترغب الدول الأخرى على التحاكم إلى هذه القوانين وتلك المناهج، وتعتبر أي دولة تتمرد على هذه القوانين خارجة عن نظام المجتمع الدولي وقانونه، فتتخذ بذلك ذريعة لمعاقبته ومحاصرتها ومن ثمّ مقاطعتها، وهي بذلك تريد أن يكون الدين لغير الله في هذه الأرض، والله يأبى إلا أن يكون الدين كله له.

وأمریکا بشراكة اليهود هي رأس الفساد والانحلال، سواءً كان ذلك الفساد أخلاقياً أم فكرياً أم سياسياً أم اقتصادياً، وهي تتعمد نشر الرذيلة بين الناس، وتشيع الفاحشة بينهم من خلال الإعلام الرخيص والمناهج التعليمية الساقطة.

وأمریکا هي سبب كل ظلم وحيف أو بطش يقع على المسلمين، وهي وراء كل النكبات التي حلت وتحل بالمسلمين، فهي غارقة بدماء المسلمين لا تستطيع أن تخفي ذلك أو تستتر عليه.

ففي فلسطين ومنذ خمسين سنة يمارس اليهود بمباركة الأمريكان ومعاونتهم ومساندتهم والوقوف وراءهم في المحافل الدولية - يمارسون - أبشع صور القتل والبطش والتنكيل والتشريد [وأحداث جنين الأخيرة وما قبلها وما سيتبعها من الشواهد التاريخية التي لا تنسى أكبر شاهد على ذلك] فقد شرد اليهود ما يقارب (5.000.000) فلسطيني، وقتلوا ما يقارب (260.000) وجرحوا ما يقارب (180.000) وعوقوا ما يقارب (160.000).

وفي العراق وبسبب القصف والحصار الأمريكي يُقتل أكثر من (1.200.000) مليون ومائتي ألف مسلم، وخلال العشر سنوات الأخيرة يقتل وبسبب الحصار أكثر من مليون طفل، أي ما يعادل (83.333) طفل في الشهر، أي ما يعادل (2.777) طفل يوميّاً، وفي ملجأ العامرية وفي يوم واحد يقتل (5.000) عراقي، فهل هذه الأرقام لمنشآت عسكرية؟؟؟!!!

... وفي الصومال قتلت أمريكا أكثر من (13.000) صومالي، وفعلوا أشكال الفاحشة بالصبيان والنساء.

أما موقف أمريكا من نصارى العالم ضد المسلمين فأعطى اللثام وحدث ولا حرج، ففي السودان والفلبين وإندونيسيا وكشمير ومقدونيا والبوسنة وغيرها من المآسي ما يندى له الجبين.

أما ما تفرضه أمريكا من حصار على الدول الإسلامية عقاباً لها على تمردتها على قوانينها فقد طفق الكيل بها، وتحمل المسلمون بسببها الخسائر الاقتصادية ما يفوق الخيال.

فبعد هذا كله، ألا يحق للفريسة وهي تربط وتجر إلى منحرفها أن تتفقت؟! ألا يحق لها وهي تذبح أن ترفس برجلها؟! ألا يحق لها بعد ذبحها أن تصيب ناحرها بدمها؟!!

أبعد هذا كله، يذرف البعض دموع التماسيح لما حل بدولة الكفر، ويحاولون تبرئة الإسلام (كالبله) مما يجري لها، ويطلبون عطفها ولطفها في التعامل مع المسلمين، ويرسلون الرسل والمراسيل للمجاهدين برجاء الكف عن مناطق [هبل] وهل يظنون منا ذلك؟!!

فلا والله فإننا قد نبذنا إلى الأمريكان وهم نبذوا إلينا، فلا نجونا إن نجوا...، ولا خير فينا إن تراءت نيراننا...، ولا عزة ولا كرامة إن لم نشأ لإخواننا في فلسطين والعراق وأفغانستان وفي كل مكان.

بل نحن نحمد الله عز وجل أن جعل رأس هذا التحالف هم الأمريكان، حتى يميز الله الخبيث من الطيب ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ آل عمران. ونحمد الله ثانيًا أن أعلنوها صريحة أنها حرب صليبية، فقد اتضحت الراية، فما ثم إلا خندق الإيمان أو خندق الكفر، ونحمد الله ثالثًا أن جعل العالم الكافر ومن معه من المرتدين يتميزون حتى تتجلى للأمة الحقيقة وتتضح الصورة ويرتفع الملام "(250)".



الشيخ سليمان أبو الغيث - فك الله أسره

(250) مقال بعنوان " تحت ظلال الرماح " للشيخ سليمان أبو الغيث.

ما هو السبيل إذن؟:

وحتى تتحقق تلك الرسالة، كان لا بد من استنهاض الأمة التي طال رقادها وعودها، ودبّ الوهن في أوصالها، وحتى تتحمّل الأمة تبعات ذلك الأمر العظيم كان لا بد من حثّها وتحريضها على القتال، فتحرير بلاد المسلمين من المحتلين الغاصبين، وإقامة دين الله عز وجل، لا يمكن أن يتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله.

ففي رسالته إلى الأمة الإسلامية بتاريخ 12 ذو القعدة 1424هـ، الموافق 4 يناير 2004م يقول الشيخ أسامة رحمه الله:

"أما الحديث عن كيفية دفع هذه القوى المعادية من الخارج، فذلك يستلزم منا أن ننظر في الحروب الصليبية السابقة على بلادنا، لنأخذ منها الدروس والعبر بما بعيننا لصد هذه الهجمة، وأخذ التصور عن أهم أسباب تلك الهجمات، وكيف تم دفعها ومقاومتها. فأقول: إن احتلال الغرب لبلادنا قديم جديد، والتدافع بيننا وبينهم والمناطحة وكسر القرون قد بدأ منذ قرون، وسيستمر، لأن سنة التدافع بين الحق والباطل ماضية إلى قيام الساعة، وصلاح البلاد والعباد بإقامتها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251]، قال أهل التفسير: "أي لولا مدافعة المؤمنين بالقتال للكافرين، لغلب عليها الكافرون ولفسدت الأرض بإفسادهم"، فانتبهوا إلى سنة التدافع هذه، ولا حوار مع المحتلين إلا بالسلاح.

وبنظرة لطبيعة الصراع بيننا وبين الغرب، نجد أنهم قد غزوا بلادنا قبل أكثر من ألفين وخمسمائة عام، فلم يكن لهم دينٌ قويم ولا خلق سليم، وإنما كانت دوافعهم السلب والنهب، فبقي أجدادنا في الشام تحت احتلالهم لأكثر من عشرة قرون. ولم نستطع أن نهزمهم إلا بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتزامنا بالإسلام حقًا، الذي أعاد تشكيل وصياغة الشخصية العربية، فحررها من الجاهلية ونوّر قلبها وعقلها وفجّر طاقاتها، وعند ذلك لم يقف في وجه كتائب الإيمان أحد، لا العرب ولا العجم، وتهاوى أمام صيحات "الله أكبر"؛ الفرس والتتر، والترك والروم والبربر، وكانت ريادة العالم بأيدينا، ننقذهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه.

ثم لما ضُغِفَ تمسكنا بديننا وفسد حكامنا؛ أصابنا الوهن، فأعاد الروم علينا الكرة بعد قرونٍ بحروبهم الصليبية المشهورة، إلى أن أخذوا منا المسجد الأقصى، ولكن بعد تسعين سنة، استعدنا قوتنا بعودتنا لديننا، فاسترجعنا المسجد الأقصى - بفضل الله - على يد قائد حكيم ومنهج قويم.

فالقائد؛ صلاح الدين رحمه الله والمنهج؛ الإسلام وذرورة سنامه؛ الجهاد في سبيل الله، وهذا ما يلزمنا اليوم وهو ما يجب أن نسعى إليه.

وكذلك الحال؛ لم يتم تحرير بلاد العالم الإسلامي في القرن الماضي من احتلال الصليبيين العسكري، إلا برفع راية الجهاد في سبيل الله، والذي يستमित الغرب اليوم لتشويهه، وقتل من يحمل رايته تحت اسم "مكافحة الإرهاب"، ويناصرهم في ذلك المنافقون، لأنهم يعلمون جميعاً، أن الجهاد هو القوة الفعالة لإحباط جميع مؤامراتهم.

فهذا هو السبيل فاتبعوه، لأننا إذا ابتغينا دفعهم بغير الإسلام، فسنكون كالذي يدور في حلقة مفرغة، وسيكون حالنا كحال أجدادنا الغساسنة، كان همّ الواحد من كبرائهم، أن يكون ضابطاً للأمن عند الروم، وإن أُطلق عليه لقب "ملك"، ليقوم بحماية مصالحهم، وذلك بقتل إخوانه من عرب الجزيرة، وهذا هو حال "الغساسنة الجدد"؛ حكام العرب اليوم.

فيا أهل الإسلام:

إن لم تأخذوهم بجريرتهم في القدس وأرض الرافدين، أخذوكم بخذلانكم وسلبوكم أرض الحرمين، فالיום بغداد وغداً الرياض، وهلمّ جراً - إلا أن يشاء الله - وحسبنا الله ونعم الوكيل".

وفي نفس الخطاب يقول الشيخ أسامة:

"فينبغي على دعاة الإصلاح أن يعلموا أن الطريق لإصلاح الأمة وتوحيدها تحت كلمة التوحيد؛ ليس بالمحاضرات النظرية وتأليف الكتب فقط، ولكن لابد أيضاً من مشروع عملي تنخرط فيه الأمة

كلها - كل بحسبه - ابتداءً بالدعاء والابتغال إلى الله، وانتهاءً بالقتال في سبيل الله".

وفي رسالة تحريضية أخرى موجهة لأهل العراق خاصة والمسلمون عامة يقول الشيخ أسامة:

"فالموفق من وفقه الله لنصرة دينه، وأما من قعد مع الخوالب دون ظلال السيوف مع تعين الجهاد، فقد ارتكب إحدى الكبائر العظام، فاعتبروا بقصص الصادقين ممن قعد قبلكم، فبكوا وندموا ندمًا شديداً.

ففي قصة كعب بن مالك رضي الله عنه يوم تبوك، عبرة لكم فقد كان يقول: (تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، وطفقت أجدو لكي أجهز معه، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل يتمادى بي، حتى شمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فلم يزل يتمادى بي، حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت) اهـ.

وعلم الله أنه استمر بالناس الجد اليوم، وتسابق الصادقون إلى ساحات الجهاد، فاغتنم الفرصة يا عبد الله، وارتحل وأدركهم، ولا يأتين عليك يوم تقول فيه يا ليتني فعلت. فالبدار البدار. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولنا عليه الصلاة والسلام أنه قال: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) صحيح مسلم.

فما يقعدكم عن الجهاد بأموالكم، وأنتم تعلمون أنه واجب عليكم؟ وما يقعدكم عن الجهاد بأنفسكم؟ وأنتم تؤمنون بأن الأرزاق معدودة والآجال محدودة، وأن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم، لا محالة في موعده ولو كنتم في بروج مشيدة.

فاتق الله يا عبد الله، فأين ذهب عقلك حتى تضن بنفسك ومالك عن المالك؟ وهل يضمن بالملوك عن مالكة عز وجل؟ إلا من خان أمانته، وضعف يقينه، ورق دينه. وتدبروا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [النساء: 77].

فهذا هو الجواب لمن خاف يوم الحساب، فمن قعد له شيطان من الإنس أو الجن في طريق الجهاد، وقال له: تجاهد فتقتل، ويقسم مالك، وتُنكح زوجتك، ويؤتم أطفالك، فليت على قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [النساء: 77].

فيا عباد الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واحذروا كل الحذر من المشبطين والمرجفين والمعوقين، القائلين لإخوانهم هلم إلينا.

واحذروا الذين يحبون قول الحق ولا يستطيعونه إلا أن يختموه بقول الباطل، كمدح وتركية الطواغيت، فهؤلاء قد ضلوا ضلالاً مبيناً، ولا تصح الصلاة خلفهم، فليتقوا الله في أنفسهم وأمتهم،

وليتوبوا عن باطله. واحذروا الذين يريدون قول الباطل، فيلبسون الحق بباطلهم ليمروهم على الناس. فتعنيّ الجهاد اليوم في فلسطين والعراق، حق على أهل القطرين، فإن عجزوا أو قصروا أو تكاسلوا، فعلى من يليهم، وثمّ وثمّ، إلى أن تعم الدائرة جميع بلاد المسلمين، حيث إن بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلد الواحدة.

هذه هي فتاوى العلماء رحمهم الله، الذين لم يأخذوا في اعتبارهم أهواء الحكام العملاء في العواصم المحيطة، كالرياض وعمّان، وحيث إن العجز واضح في فلسطين والعراق، فإن الجهاد متعين على من يليهم، كأهل بلاد الحرمين وسوريا والأردن وتركيا وإيران والكويت، فإن عجز أو قصر هؤلاء، فعلى من يليهم، فالجهاد في العراق وفلسطين حق، والتخذيّل عنه باطل.

واحذروا الذين يتسلّلون لواءاً، الذين يزاخمون الربوبية والنبوة بآرائهم واهوائهم، ثم يزعمون إن هذه مصلحة الدعوة فهذا محال، وفي آرائهم الدمار والبوار، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. [النور: 63].

فيا عباد الله:

إن الطريق واضح بين، فقد تركنا رسولنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. واقروا القرآن والسنة تبصروا الصراط المستقيم، وكلّ يؤخذ من قوله ويُرَد، إلا نبينا عليه الصلاة والسلام. واضربوا بعرض الحائط آراء وأهواء الرجال، مهما عظموا وعلموا وفقهوا، إذا عارض قولهم قول الله تعالى، أو قول رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى وإن كانوا مخلصين صادقين، فهي زلة منهم لا تهدر مكانتهم وفضلهم، ولكن لا يتابعوا في زلتهم.

وأما القعود عن الجهاد المتعين، فهو من أبرز صفات المنافقين، فقد ذمهم الله تعالى، وقال لهم شر ما قال لأحد، ليحذرنا منهم ومن القعود، وتوعدهم الله بعدم الهداية والعذاب الأليم، وطبع على قلوبهم ونفى عنهم العلم والفقه، وإن تعلّموا لأن ثمرة العلم خشية الله، واقروا إن شئتم سورة التوبة.

فتدبر هذه الآيات التالية، فهي توضح طريقين لا ثالث لهما عند تعيّن الجهاد، طريق إمام المجاهدين، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، وطريق القاعدين. فاختر لنفسك. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نْكُنْ

مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنَّ الرَّسُولَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٦﴾.
[التوبة: 86-88].

فيا عبد الله:

هذا سيد الورى، الذي لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر، وهو صاحب الشفاعة العظمى، ومع هذا كله حرص أن يجاهد والذين آمنوا معه
بأنفسهم وأموالهم لنصرة لا إله إلا الله، فخرج يوم تبوك لقتال الروم في الضح والحرور، وتعد أنت
مع ذوات الخدور، ثم تزعم أنك متبع لنبينا عليه الصلاة والسلام، وأنت على هديه، قاتل الله الجبن
والجبناء.

[[يرى الجبناء أن العجز حزم... وتلك خديعة الطبع اللئيم]]

فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت (251) "ا. هـ

وكان الشيخ أسامة في رسائله التحريضية، كثيرًا ما يُهَوِّن على الناس مسألة قتال أمريكا،
وإمكانية هزيمتها بإذن الله تعالى إن صدقت النوايا. وكان رحمه الله قد أجاب مراسل قناة الجزيرة
تيسير علّوني عندما سأله قائلاً:

"شيخ أسامة بن لادن، تنظيم القاعدة يواجه الآن دولة تتسّيد العالم عسكريًا وسياسيًا
وتكنولوجيًا، بأي منطق يمكن لتنظيم القاعدة، التي لم تصل بالتأكيد إمكاناته المادية إلى
الإمكانات التي تملكها الولايات المتحدة، بأي منطق يمكن لتنظيم مثل القاعدة هزيمة أمريكا
عسكريًا؟

فأجاب الشيخ أسامة بقوله: "الحمد لله، أقول إن المعركة ليست بين تنظيم القاعدة والصليبية
العالمية، المعركة بين أهل الإسلام والصليبية العالمية. وهذا التنظيم، بفضل الله سبحانه وتعالى، كان
مع إخواننا المجاهدين الأفغان، وكان الناس يقولون مثل هذا الكلام وأشد منه، كيف لكم أن تهزموا
الاتحاد السوفيتي؟ والاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت كان قوة عظيمة جدًا ترعب العالم بأسره،
وحلف الناتو (حلف شمال الأطلسي) يرتعد خوفًا من الاتحاد السوفيتي. فأين تلك القوة التي مُنَّ

(251) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

بها علينا وعلى إخواننا المجاهدين، وأصبح الاتحاد السوفيتي بفضل الله أثرًا بعد عين. لم يعد هناك الاتحاد السوفيتي، تقسم إلى دويلات كثيرة وبقيت روسيا. فالذي مددنا بمدد من عنده سبحانه وتعالى، وثبتنا سبحانه وتعالى إلى أن انهزم الاتحاد السوفيتي، هو قادر سبحانه وتعالى أن يمددنا مرة أخرى بمدد من عنده لهزيمة أمريكا على نفس الأرض بفضل الله سبحانه وتعالى، ومع نفس الأقوام، فذلك فضل الله سبحانه وتعالى. فنحن نعتقد أن هزيمة أمريكا هو أمر ممكن بإذن الله سبحانه وتعالى، وهو أيسر علينا بإذنه سبحانه وتعالى من هزيمة الاتحاد السوفيتي سابقًا.

تيسير علوي: كيف تفسرون ذلك؟ لماذا هو أيسر؟

الشيخ أسامة بن لادن: "جربنا من إخواننا الذين خاضوا قتالًا مع الأمريكان على سبيل المثال في الصومال، لم نجد هناك قوة تذكر، هناك هالة ضخمة جدًا على أمريكا والولايات المتحدة، بها ترعب الناس قبل أم يخوضوا قتالًا، فجرب إخواننا الذين كانوا هنا في أفغانستان وفتح الله عليهم مع بعض المجاهدين في الصومال، فخرجت أمريكا تجر أذيال الخيبة والهزيمة والخسران، لا تلوي على شيء، خرجت بأسرع مما كان يُتصور، ونست كل ذلك الضجيج الإعلامي الضخم عن النظام العالمي الجديد، وعن أنها هي سيدة ذلك النظام، وأنها تفعل ما تريد. نفت كل هذه الترهات ولمت جيشها، انسحبت مهزومة بفضل الله سبحانه وتعالى. فجربنا القتال ضد الروس من 79 إلى 89، عشر سنوات بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم واصلنا ضد الشيوعيين في أفغانستان. واليوم نحن في نهاية الأسبوع الثاني، شتان شتان بين المعركتين، وبين هذه الفئة وتلك، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يمددنا بمدد من عنده، وأن يكسر أنف أمريكا راغمة، أنه ولي ذلك والقادر عليه" (252).

كذلك يقول الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في معرض ردوده على مراسل قناة الجزيرة جمال إسماعيل: "وأمریکا هزيمتها ليست صعبة. أمريكا هزمت في فيتنام، وطردت من لبنان، ومن الصومال، فلو وقفنا أمامها وقفة صادقة فقد تنتهي كما انتهى الاتحاد السوفيتي، كل شيء يعتمد على أن نخلص النية في المقاومة" (253).

يقول الشيخ أسامة رحمه الله في إحدى رسائله: "فالقتال في سبيل الله؛ جزء لا يتجزأ من ديننا، بل هو ذروة سنام الدين، وكيف يبقى الدين بدون ذروته؟ وهو ضرورة ملحة لحياة أمتنا

(252) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

(253) بن لادن والجزيرة وأنا. للصحفي جمال إسماعيل.

وعزها وبقائها، وقد صدق عدونا وهو كذوب، إذ قال معلماً لأبنائه: (أنت تقاتل؛ إذن فأنت موجود)، هذه هي الحقيقة التي يعلمونها أبناءهم ويرسلون إلينا بعكسها⁽²⁵⁴⁾.

الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة:

تكمن فعالية الدواء بقوة تشخيص الداء، قاعدة لا يمكن أن يغفل عنها من يريد لمريضه الشفاء، وإذا أردنا لأمة مريضة أن تتعافى من سقمها الذي أنهك جسدها، فبذهاب أسباب المرض والتشخيص السليم نحن نتقدم في عملية العلاج. والحقيقة أن هذه الأمة تمرض ولكنها لا تموت، وهذا وحده يعطي دفعة معنوية في عملية العلاج.

هناك من حاول مكافحة الفيروسات، وهناك من فكر باستهداف المصنع المنتج لهذه الفيروسات، الأول سيستفرغ جهده في عملية المكافحة وإنتاج برامج وقائية، والثاني سيختصر الوقت بتدمير المصنع ذاته، وهكذا فكرت القاعدة، وعلى هذا بنت استراتيجيتها⁽²⁵⁵⁾.

قد لا يختلف اثنان مع الشيخ أسامة رحمه الله بوجوب القتال، لكن ما هو الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة؟ هل هو قتال الحكام المرتدين، عملاء الأمريكان العدو الأقرب والأغلظ كفرًا، أم قتال الأمريكان، العدو الأبعد الأوضح كفرًا؟

كانت استراتيجية التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته منذ الستينات وحتى أحداث الحادي عشر، هو الخيار الأول ذو التوجّه القطري، فقد كانت كلها بلا استثناء تقريباً منصرفة لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها. غير أنها بسبب سياسة الضرب في سويداء القلب - التي اتبعتها حكومات الردّة والعمالة في مواجهة الحركات الجهادية - وصل قيادات هذه الحركات إلى قناعة بأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطيته يبدو مستحيلًا.

أما القاعدة - كما ذكرنا من قبل - فقد كان احتلال الصليبيين بقيادة أميركا لبلاد الحرمين بحجة تحرير الكويت، نقطة تحول فارقة في تاريخ الصراع، وضع فيها الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، النقاط على الحروف، وحدد سياسة واستراتيجية القاعدة وهي: حتمية المواجهة المباشرة مع العدو الأبعد الأوضح كفرًا، أميركا.

(254) رسالة إلى الأمة الإسلامية بعنوان التحريض والحث على الجهاد، بتاريخ 4 يناير 2004 م.

(255) اقتباس من دراسة بعنوان " القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ " للكاتب حسام الأموي.

وكما أسلفنا من قبل، أن الشيخ أسامة كان قد توصل بتوفيق الله إلى المعادلة السياسية الصحيحة بالنسبة لمواجهة أمريكا في بلاد الحرمين، وهي (256):

(1) العلماء يضيفون الشرعية على حكومة آل سعود.

(2) وآل سعود يضيفون الشرعية على وجود أمريكا في جزيرة العرب.

وهناك إحدى طريقين للمواجهة مع آل سعود وهذه الأوضاع وهي:

أ- إما مواجهة آل سعود، وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم لإسقاط شرعية آل سعود، وهي معركة خاسرة أمام الناس، لحجم وثقل المؤسسة الدينية، وما زرعه من الشرعية والهيبه في عقول الناس عبر أكثر من سبعين سنة.

ب- وإما الطريق الأسلم، وهو ضرب الوجود الأمريكي، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم في أعين المسلمين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدينية عنهم فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحاً أمام الناس.

فقد كان الشيخ أسامة رحمه الله، يعتبر أن المجاهدين عملة صعبة، فهم كما يقول عنهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله: "قليل من قليل من قليل". لذلك كان الشيخ أسامة يريد أن تتوحد كافة جهود المجاهدين في كل مكان، وتركز نشاطها وهدفها على عدو واحد لا ينتطح فيه عنزان، ولا يختلف فيه عقلا، هو رأس الأفعى هبل العصر أمريكا. فقد كان رحمه الله يرى بالتجربة على مر السنين، أن المجاهدين وحدهم يقاتلون ويناطحون أنظمة تعمل بالوكالة لدول الاستكبار الكبرى، كلما هلك نظام جاء آخر أشد كفراً وبأساً من سابقه، مسخراً في يده كل أسباب بقائه - إلا أن يشاء الله - من أجهزة الدولة السياسية والمالية والعسكرية والإعلامية والدعوية، التي تمجد وتسبح بحمده صباح مساء، فتضفي على وجوده الصبغة الشرعية، وتستعدي على المجاهدين حاضنتهم الشعبية، حتى إذا طال زمان الصدام، وخارت القوى وفترت العزائم والهمم مع توالي الضربات الموجعة عليهم، أدركوا ووصلوا إلى مرحلة ألا جدوى، لتبدأ بعدها سلسلة من التراجعات والتنازلات والفشل باسم المراجعات ولا حول ولا قوة إلا بالله. والشواهد على ذلك كثيرة، كما حدث لقطاع كبير من شباب الحركات الجهادية في مصر وليبيا والجزائر وغيرها.

(256) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. بتصرف.

لذلك حرص الشيخ أسامة في دعوته كل الحرص، أن يكون ضرب رأس الأفعى أمريكا - وخاصة في عقر دارها - هو الهدف الأول، لأنه إذا أدبرت أمريكا منهزمة من بلاد الإسلام بعون الله وقوته، فإن المعارك مع أعوانها ستكون أسهل وأيسر بعون الله وقوته. فأمريكا هي رأس الكفر فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان كما قال عمر رضي الله عنه للهرمزان عندما استشاره وقال له انصح لي فإنك أعلم بأهل فارس، قال نعم إن فارس اليوم رأس وجناحان فقال له: فأين الرأس؟ قال نهاوند، ثم ذكر موضع الجناحين، وقال الرأي عندي يا أمير المؤمنين أنك إن تقطع الجناحين يهن الرأس، فقال عمر كذبت يا عدو الله، بل أعمد إلى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم يعص الجناحان.

وكان الشيخ أسامة كثيرًا ما يشبه سياسة القاعدة في مواجهة أعداء الأمة، بشجرة خبيثة ساقها أمريكي قطره 50 سم، وفروعها كثيرة متفاوتة الأحجام، منها دول حلف الناتو، وغيرها من الأنظمة العميلة في المنطقة، ونحن نريد أن نسقط هذه الشجرة بنشرها غير أن طاقتنا محدودة، فالطريق الأسلم لإسقاطها هو بالتركيز على نشرها في أصلها الأمريكي، فلو ركزنا في عمق الساق الأمريكي حتى وصلنا إلى عمق 30 سم تقريبًا، ثم سنحت لنا فرصة تمكننا من النشر في الفرع البريطاني فلا نفعل مع إمكانية النشر في الأصل الأمريكي؛ لأنّ في ذلك تشتيت للجهود، وتبديد للطاقة، ولو استمر النشر في عمق الساق الأمريكي حتى يسقط، سوف تتداعى له بقية الأطراف بالانهيار. وخير مثال على ذلك التداعيات التي ترتبت على قطع المجاهدين لساق شجرة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وسقوط فروعه تبعًا لذلك واحدًا تلو الآخر من اليمن الجنوبي حتى أوروبا الشرقية دون بذل أي جهد على إسقاط تلك الفروع.

وكان بعض الإخوة يحاج الشيخ أسامة ويرى أولوية قتال الحكام المرتدين، ويقول للشيخ، نحن ما نستطيع للأمريكان، أنت ستدخلنا في ورطة... الخ. وكان رد الشيخ أسامة لهم في غاية البساطة والوضوح، فكان يقول لهم: "أنتم تريدوننا أن نقاتل عميل خلف عميل خلف عميل حتى نصل إلى أبي العملاء. دعونا من أول مرة نذهب ونقاتل أبا العملاء مباشرة وتكون خاتمة حسنة" (257).

(257) القصة غير المروية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، رواية الشيخ بصير رحمه الله.

وكان رحمه الله يقول: "إن التركيز على المرتدين وكثرة الحديث عنهم أمر لا تفقهه جماهير الأمة وبالتالي لا تتفاعل معه، بل كثير منهم ينفرون منه ويجعلنا نسير في بيئة غير محتضنة للحركة الجهادية، وبالتالي لا تمدنا بالدعم لمواصلة الجهاد واستمراره"⁽²⁵⁸⁾.

فالشيخ أسامة كان يهدف من هذه السياسة إلى كسب تعاطف الشعوب التي لا يختلف فيها اثنان على قتال الأمريكان الواضح للعيان كفرهم وظلمهم وجرائمهم، ودعمهم اللاحدود لليهود العدو التقليدي للمسلمين.

وبالرغم من كل ذلك يستثنى من تلك السياسة العامة - حسب ما جاء في وثيقة توجيهات عامة للعمل الجهادي - ما يلي:

1- والتركيز على رأس الكفر العالمي لا يتعارض مع حق الشعوب المسلمة في جهاد ظالمها بالقول واليد والسلاح. فمن حق إخواننا في الفلبين وبورما، وفي كل أرض يعتدى فيها على المسلمين أن يجاهدوا من اعتدى عليهم.

2- عدم الاشتباك القتالي مع الأنظمة إلا إذا اضطررنا إلى ذلك، كأن يكون النظام المحلي يشكل جزءاً من قوة الأمريكان كما في أفغانستان، أو يقاتل المجاهدين نيابة عن الأمريكان، كما في الصومال وجزيرة العرب، أو لا يقبل بوجود المجاهدين، كما في المغرب الإسلامي والشام والعراق.

وكان أخوف ما يخاف منه الشيخ أسامة في خضم التفاعل مع الأفعال ورؤودها بيننا وبين الخصوم، أن تنحرف استراتيجية القاعدة عن خطها ومسارها الصحيح، لذلك كان دائماً في رسائله إلى القادة يذكّرهم ويؤكد على ضرورة أن يكون الهدف الأساس في الحرب مع أمريكا واضحاً نصب الأعين.

يقول الكاتب حسام الأموي في دراسة له بعنوان "القاعدة التي غيرت مجرى التاريخ":

ولهذا أعظم ما تخشاه أمريكا هو استهدافها في عقر دارها، أو استهداف مصالحها في كل الدول، لذلك تسعى أمريكا بكل الوسائل، عبر لعبة الخداع التي تجيد ممارستها، أن تقنع بعض المنتسبين للجهاد بفشل هذه الاستراتيجية؛ التي تجعل أمريكا ومصالحها هي الهدف الأول

(258) وثائق أبوت أباد. الدفعة الأولى.

للمجاهدين، وتحويلهم إلى استراتيجية الصراع الداخلي بمفهوم قتال الكافر المرتد أولى من قتال الكافر الأصلي...

وإذا كان البعض يقول أين ضربات أمريكا في عقر دارها؟ بعد حادثة بوسطن، وعمر الفاروق، وعملية الطرود وغيرها من العمليات؛ ليرجّح لفشل استراتيجية الشيخ أسامة، فإن كان المجاهدون خلال السنوات الماضية وبعد فوزى الثورات العربية قد استدرجوا للصراع الداخلي، فإن تأخر عمليات ضرب أمريكا لا يعني فشل الاستراتيجية، ولا يعني أيضًا الاستجابة للرغبات الأمريكية؛ بتحويل الصراع إلى الداخل، وتجاهل أمريكا. بل إن لم يستطع المجاهدون ضرب أمريكا في الوقت الراهن - بسبب ظروف معينة - فإن النجاح هو في أن يحافظ المجاهدون على قوتهم، وعدم استنزافها في حرب داخلية، حتى تحين الفرصة؛ لتنشيط القسم الخاص بالعمليات الخارجية؛ وهذا ما يخشاه ساسة البيت الأبيض (259).

جديرٌ بالذكر أن الشيخ أسامة رحمه الله في رسالته الموجّهة للشعب الأمريكي في 20 يناير 2006م بعنوان "السييل لإنهاء الحرب" قال: "وأما تأخر وقوع عمليات مشابهاة في أميركا لم يكن بسبب تعذر اختراق إجراءاتكم الأمنية، فالعمليات تحت الإعداد وسترونها في عقر داركم حال الانتهاء منها بإذن الله".

وللأسف الشديد، رغم رمزية الشيخ أسامة رحمه الله، إلا أنه لم ينجح في استمالة كثير من الجماعات الجهادية إلى توجهاته بتوحيد محور المواجهة تجاه أمريكا، سواء بالاندماج معه في جماعة واحدة، أو بالدخول في حلف الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين. وكانت المفاجأة في أن (الفكرة القطرية) وهي الإطاحة بالأنظمة المرتدة، بنفس الأساليب التقليدية في عمل التنظيمات لإقامة أنظمة تحكم بالشريعة الإسلامية، برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة - مرحلة طالبان - مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف، الذي أثبتت الأيام فشله في ظل النظام العالمي الجديد. وعندما جاءت هجمة أمريكا على الإمارة، وتداعيات أحداث سبتمبر، أقنعت أمريكا الكل بترك أهدافهم والتفرغ لحربها (260).

يقول الشيخ أبو مصعب السوري - فكّ الله أسره - في كتابه دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

(259) الكاتب حسام الأموي في دراسة له بعنوان "القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ".

(260) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، للشيخ أبو مصعب السوري. بتصرّف.

"لقد كان الهجوم المظفر للشهداء الأبرار التسعة عشر على عقر دار الكفر والطغيان أمريكيا، وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصادية والعسكرية، عملاً جباراً وتاريخياً بكل المقاييس... وبصرف النظر عن تداعيات الحدث وطبيعة المواجهة التي حصلت من بعده، وطريقة إدارتها، لاسيما في أفغانستان... بصرف النظر عن كل ذلك، يمكن القول بأن توجه الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، قد وضع المعركة بهذا الشكل في مسارها الصحيح. وذلك بفرض المواجهة بيننا وبين عدونا الحقيقي، الداعم من وراء الستار لكافة أعدائنا، في كل ساحات المواجهة التي نخوضها، بدءاً من صراعنا مع اليهود في فلسطين، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكامنا المرتدين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها. فجزاه الله خيراً.

... وإذا سلمنا بهذه المقدمة عن حرب واقعة ومفروضة من العدو علينا، فسنسلم إذا وفق مقتضيات ديننا الخفيف بأن علينا المواجهة. وأن جهاد الدفع قد صار فرض عين على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. فإذا كنا سنواجهه، فلا بد من خسائر في هذه الحرب العالمية، ويجب أن يكون واضحاً أمام من يريد الجهاد، أن من أهم ذلك مسألة (اختيار أسلوب المواجهة)، فإما أن ندخل المعركة وفق تصورات العدو، باستنزافنا جزئياً هنا وهناك، وتحطيم طاقاتنا بالصراع مع الحكام المرتدين، ومن تبعهم من المنافقين والمكرهين والجاهلين من جيوشهم ورجال أمنهم - وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وعبر عشرات التجارب الفاشلة الباهظة التكاليف - وإما أن نوجه المعركة نحو العدو الأساسي والمحرك لكل أعدائنا المحليين، وأعني الثالوث الخبيث (إسرائيل - أمريكا - أوروبا الناتو)⁽²⁶¹⁾. ا. هـ

وفي مقال له عام 2006م بعنوان "هل تنتهي مشكلتنا مع الغرب بتأمين مصالحه في منطقتنا" يقول الدكتور عبد الله النفيسي⁽²⁶²⁾:

(261) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، للشيخ أبو مصعب السوري. بتصرف.

(262) نقلاً من دراسة بعنوان " القاعدة التي غيّرت مجرى التاريخ " للكاتب حسام الأموي.

"ولأن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل (مركز الثقل) بالنسبة للغرب، وهي الوريث لمشروع الهيمنة الأوروبي وبالذات البريطاني، فهو الذي يمد المشروع الصهيوني بأسباب البقاء والتفوق العسكري، فلا يمكن تحقيق النقلة النوعية للأمة الإسلامية من هذه المرحلة الغنائية - كما وصفها رسول الله ﷺ - إلا من خلال التركيز على مقاومة (مركز ثقل) الغرب الذم تمثله الولايات المتحدة. وينبغي التوضيح دائماً أننا لا نقاوم إلا لحماية أنفسنا من عدوان الإدارات الأمريكية...

هدف استراتيجية المقاومة: - كما يرسمها العقل الاستراتيجي المسلم د. حامد عبد الماجد قويسى - هو إحداث خلخلة في النظام الدولي الأسر للأمة الإسلامية بالتصدي والمقاومة لمركز الثقل الغربي، الذي تمثله الولايات المتحدة... نقولها بكل صراحة، بأنه على الحركات الإسلامية - بشتى راياتها ومسمياتها - أن تعي بأن الغرب يستهدفها جميعاً؛ تلك التي تتركب مراكب (العنف) والقوة المادية، وتلك التي تلوح ليلاً ونهاراً بأغصان الزيتون، إذ أن المستهدف هو الإسلام؛ كتابه ورسله وشريعته ولغته وحركته وتجمعه البشري ومقدراته المادية والأدبية". ١. هـ

إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيم أقامك (263)؟:

ولعل خير ما يناسب المقام هنا بعد كل هذا الاسترسال، رسالة تحريض للشباب على القتال بعنوان: "نداء عاجل إلى شباب المسلمين" للشيخ سليمان أبو الغيث فك الله أسره، جاء فيها:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، نبي الرحمة والملحمة، والمبعوث بالسيف بين يدي الساعة القائل: (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْتَرِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

أما بعد: أيها الشباب:

صفات أربع لا تكون إلا بكم، ولا تتحرك إلا من خلالكم، ولا تثمر إلا بسعيكم هي: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل. ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

(263) العنوان مقتبس من خطبة بعنوان "الحق بالقافلة" للشيخ أبي مصعب الزرقاوي.

إيماناً ملاً قلبه، وإخلاصاً نقى سيرته، وحماسةً جدت من سعيه، ونصحاً صادق كان لب عمله. فمسئولية ذلك الرجل هي مسئوليتكم، وسعيه هو واجبكم، وعمله هو دوركم في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها أمتكم. ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، وثقلت الأمانة في أعناقكم.

أيها الشباب:

إن الصخب المدوي، والحوادث المريعة، والنكبات المتتالية التي تلدها أرحام الليالي الحبالى في هذا الزمان، والجراحات القاتلة التي أثخنت بها أمتنا، ما كانت لتكون لولا أننا تركنا الجهاد في سبيل الله تعالى؛ فأشربت قلوبنا حب الدنيا، وكرهت الموت، فماذا كانت النتيجة؟؟ خوفاً ملاً قلوبنا، وذلاً نكس رؤوسنا، وهواناً أرغم أنوفنا، وانكساراً حطم شموخنا.

وهذه الحالة المثقلة بكل معاني الضعف والانحزام، والذل والانكسار، لا ولن تتبدل إلا بسعيكم المخلص، وبذلكم، وتضحيتكم، وجهادكم، ووقوفكم أمام الزوابع العاصفة، والسيول الجارفة، مرددين قول الحق: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

أيها الشباب:

تلفتوا حولكم، وأمعنوا النظر في حال أمتكم، وشعوبكم، ومجتمعاتكم، هل تروننا إلا مستذلون لغيرنا؟ محكومون بغير شريعة ربنا؟ منساقون وراء شهواتنا؟ ديست أراضينا، وانتهكت أعراضنا، وسلبت أموالنا، وعطلت شريعة ديننا في ديارنا؟؟.

هل ترون أحداً قد سلم من مناورات الغضب، ودسائس الاستعمار، ومؤامرات الخيانة في جميع أوضاعنا؟؟.

فماذا بقي لنا؟ وأي كرامة نخادع بها عقولنا؟ وأي عزة نمضي بها أنفسنا؟ وأي سلام نبتغيه من عدونا؟ وأي مصلحة نرتجي تحصيلها؟! ثم لماذا الخوف؟ ومم الخوف؟ وعلام الخوف؟ وإلى متى الخوف؟؟ فهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها؟!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ شَيْئاً ۚ إِنَّكُمْ مُّؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ﴾.

إن حربًا مدمرةً على أبوبنا لن تخطف أرواحنا وتمزق أجسادنا فحسب، بل هي حرب خطط لها لابتلاع الأرض، وتدنيس العرض، وسلب الخيرات، ونهب الثروات، وتغيير وجه الأرض في عالمنا الإسلامي بما يناسب مصلحة اليهود والصليبيين. وهي قريبة جدًا بحيث لن تدع لنا فرصة للتفكير، ولن تتيح لنا مجالًا للاختيار، ولن تمهلنا حتى نحزم أمرنا، أو نستشير كبراءنا فما هو المطلوب منا؟؟

أيها الشباب:

إن الواجب اليوم يتطلب منا عملاً واحدًا لا ثاني له، ولا بديل عنه، ولا نجاة بغيره ألا وهو القتال. ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾. النساء

والعدو الذي نواجهه اليوم هو عدو مشترك (من الصليبيين واليهود)، الذين لا يشك أحد في كفرهم، وعداوتهم للمسلمين، وحرصهم على استئصال شأفتهم ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾، ويضاف إلى هذا أن أهدافه معلنة، ونواياه مكشوفة، يحرص هو على إظهارها والتبجح بها، ويعلن حربه على كل من يقف في طريق تحقيقها. فمن كانت هذه حالته، وهذا هو مراده وهدفه، فقتاله من أوجب الواجبات ومن أفضل القربات، ومن حالفه أو ناصره أو ظاهره ولو بالكلام، فقد ارتكب مكفرًا مخرجًا عن ملة الإسلام...

فأقدموا لما فيه شرفكم وعزكم ونصركم في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

فيا إخواننا المسلمين في كل مكان، يا أحفاد خالد ومصعب والمثنى، هذه هي رسالة القاعدة كما وضّحها مشايخنا الكرام، جلية بينة كالشمس في رابعة النهار، فبلاد المسلمين تحكم بغير ما أنزل الله، ومقدساتهم محتلة، وثرواتهم منهوبة، ولا سبيل لتغيير هذه المنكرات العظام إلا كما قال الشيخ أسامة رحمه الله:

"والسبيل أماننا لإقامة الدين ورفع ما وقع بالمسلمين من بلاء، هو بإزالة الهيمنة الواقعة على البلاد والعباد، التي تحول دون بقاء أي نظام يحكم فيها بشرع الله، والسبيل لإزالة هذه الهيمنة هو بمواصلة الاستنزاف المباشر للعدو الأمريكي حتى ينكسر ويضعف عن التدخل في شؤون العالم الإسلامي".

ما هو منهج القاعدة؟:

يتساءل كثير من الناس عن ما هو منهج القاعدة؟ كذلك كان بعض الإخوة قد اقترحوا على الشيخ أسامة رحمه الله، بأن يكون هناك منهج واضح بيّن مكتوب تسير على نهجه الجماعة، ويميزها عن باقي الجماعات. وكان الشيخ أسامة رحمه الله يردّ على هؤلاء الإخوة بكل بساطة أن منهجنا هو ما جاء في كتاب الله، وسنة نبيّه عليه الصلاة والسلام، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومن تبعهم بإحسان من سلف هذه الأمة.

وعن هذا الأمر يقول الشيخ حسين بن محمود في مقال له بعنوان " هذه هي القاعدة":

"والناظر في أدبيات القاعدة يرى أنه ليس عندها شيء خاص بها، فليس هناك عقيدة مكتوبة للقاعدة، ولا منهج مدوّن، كل ما هنالك: اجتهادات شخصية في بعض النوازل الفقهية التي يستعين فيها المجاهدون - في الغالب - بعلماء المسلمين في شتى بقاع الأرض... وليس عدم كتابة منهج أو عقيدة ناتج عجز أو جهل، بل هو من الحكمة، لأن المنهج الحقيقي لكل مسلم مكتوب محفوظ بحفظ الله، فلا داعي لكتابة منهج تستقل به جماعة عن المسلمين في تنظيم جديد تُقيم على أساسه عقيدة الولاء والبراء، هذا فضلاً عن أن كثير من علماء السلف كتبوا في المنهج الإسلامي الصحيح، والمجاهدون منهجهم: الدليل الصحيح المعتبر...

إن منهج "القاعدة" هو القرآن الكريم والسنة الثابتة على فهم سلف الأمة، وهذا هو الإسلام الذي نعرفه، وعقيدة "القاعدة" هي ما في القرآن والسنة الصحيحة على فهم سلف الأمة، وهذه هي العقيدة التي نؤمن بها، وليس "للقاعدة" منظر بالمعنى المتعارف عليه عند بقية الجماعات، وإنما هناك: قرآن وسنة وعلماء يجتهدون في هذا النطاق الواسع من النصوص، علماء وطلبة علم يستعينون بكلام علماء الأمة قديماً وحديثاً دون النظر إلى مذهب العالم الفقهي أو بلده أو انتمائه التنظيمي، أما من كان من أهل البدع والأهواء، فهؤلاء لا اعتبار لهم، وإنما المعتبر هو الدليل الشرعي، فمتى ثبت الأمر بمقتضى الدليل الشرعي: صار مذهباً ومنهجاً عند "القاعدة".

من هنا يتبين بأن "القاعدة" ليست تنظيمًا بالمعنى المتعارف عليه، بل هي جزء من الأمة الإسلامية ككل: لا تنفك ولا تنفصل عنها ولا يمكن لأحد أن يفصلها عن جسد الأمة، وكم حاول الإعلام وحاولت الحكومات وحاول علماء السوء أن يطلقوا على المجاهدين الألقاب والمسميات كي يفصلوهم عن جسد الأمة، فقالوا: "إرهابيين"، وقالوا "الفئة الضالة" وقالوا

"المنتطعين"، وقالوا "أهل التفجير والتخريب" وقالوا "أهل العنف"، وقالوا "خوارج"، وقالوا "أهل التكفير" وغيرها من المسميات التي تكسّرت على صخرة الحقيقة الصلبة بفضل الله ومنّته.. "١. هـ

وفي إجابته لتساؤل مراسل قناة الجزيرة تيسير علّوني حول: ما هو مدى ارتباط تنظيم القاعدة، وجود تنظيم القاعدة بشخص أسامة بن لادن؟ يؤكّد الشيخ أسامة رحمه الله على هذه المعاني قائلاً:

"الحمد لله، أقول بالنسبة لما ذكرتم، وأكرر ما ذكرته من قبل، أن الأمر لا يخص العبد الفقير ولا يخص تنظيم القاعدة، نحن أبناء أمة إسلامية قائدها مُحَمَّد ﷺ، ربنا واحد سبحانه وتعالى ونبينا واحد عليه الصلاة والسلام وقبلتنا واحدة ونحن أمة واحدة، ولنا كتاب واحد، هذا الكتاب الكريم والسنة المطهرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام ألزمتنا شرعاً بأخوة الإيمان، فكل المؤمنين إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10].

فليست المسألة كما يصورها الغرب أن هناك تنظيم خاص باسم كذا، هذا الاسم قديم جداً ونشأ بدون قصد منا، كان الأخ أبو عبيدة عليه رحمة الله البنشيري كَوّن معسكر لتدريب الشباب للقتال ضد الاتحاد السوفيتي الباغي، الغاشم، الملحد الإرهابي حقيقة للآمنين، فهذا المكان كنا نسميه القاعدة كقاعدة تدريب ثم نما هذا الاسم، أما نحن فغير منفصلين عن الأمة، نحن أبناء أمة ونحن جزء لا يتجزأ منها، وما هذه المظاهرات العارمة من أقصى المشرق من الفلبين إلى ماليزيا إلى إندونيسيا إلى الهند وباكستان وموريتانيا... نحن نتحدث عن ضمير الأمة، هؤلاء الشباب الذين ضحوا بأنفسهم نرجو الله أن يتقبلهم في نيويورك وواشنطن، هؤلاء هم المتحدثون على الحقيقة لضمير الأمة، وهم ضميرها النابض الذي يرى أنه لا بد من الانتقام من الظالم، من الباغي، من المجرم، من الإرهابي على الحقيقة الذي يرهّب الآمنين، فليس كل إرهاب مذموم، فهناك إرهاب مذموم، وهناك إرهاب محمود. فلو نأخذ بقولهم، فالجرم اللص يشعر بالإرهاب من الشرطي من البوليس، فهل نقول لشرطي أنت إرهابي أرهبت اللص؟ لا، فهذا إرهاب البوليس للمجرمين إرهاب محمود، وإرهاب المجرم للآمنين إرهاب مذموم. فأمريكا تمارس الإرهاب المذموم، هي و"إسرائيل"، ونحن نمارس الإرهاب المحمود الذي هو يردع هؤلاء عن قتل أطفالنا في فلسطين وغيرها" (264).

(264) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة بن لادن.

إنَّ في حركة طالبان عبرةً لأبي الأفهام:

يقول الشيخ أبو مصعب السوري - فكَّ الله أسره - في الجزء الثاني من كتابه " الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا " الذي انتهى من تأليفه قبل ثلاثين سنة في مايو 1991م:

" أكثر من خمسين عامًا مرت على بداية الحركة الإسلامية المعاصرة... أشكال متعددة من الإنجازات ومظاهر النجاح برزت وأصبحت ملء السمع والبصر. إلا أنه على مستوى الهدف المنشود، وهو إقامة الحكم الإسلامي في بلاد المسلمين، فإن الفشل هو الذي حصل وتكرر إلى الآن في أكثر من بلد، وقد ولد هذا الفشل الشاذ اتجاهات شاذة، وطروحات منحرفة في الحركة الإسلامية، وأفرز انشقاقات كثيرة في الحركات الإسلامية وأنتج ظواهر غريبة، وأوضاعًا طاغوتية مريرة، إنه وضع يقتضي من القائمين على العمل الإسلامي وقفة تأمل ومحاسبة وتقييم للممارسات والمناهج والأساليب المتبعة...

إن المحنة الحقيقية لهؤلاء الباحثين أنهم يتصورون أن هذا الواقع الجاهلي هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه ولكن الأمر غير ذلك تمامًا. إن دين الله هو الأصل الذي يجب على البشرية أن تطابق نفسها عليه، وأن تحور من واقعها الجاهلي وتغير حتى تتم هذه المطابقة، ولكن هذا التحور وهذا التغيير لا يتمان عادة إلا عن طريق واحد، وهو التحرك في وجه الجاهلية لتحقيق ألوهية الله في الأرض وربوبيته وحده للعباد، وتحرير الناس من العبودية للطاغوت بتحكيم شريعة الله وحدها في حياتهم. وهذه الحركة يجب أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد، ويصدق الله من يصدقه فيقضي نجه ويستشهد، ويصبر من يصبر ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق، وحتى يمكن الله له في الأرض وعندئذ فقط يقوم النظام الإسلامي " ا. هـ

قبل أن استرسل، أود أن أنبه إلى أن هذا الخطاب ليس موجّه لمن بذل جهده وأستفرغ وسعه، وكان عمله لنصرة دين الله موافقًا لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ومع كل ذلك لم يحقق أي نتائج تذكر. جاء في الصحيحين: **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ وَحْدَهُ،...) (فكم من السنين مكث هؤلاء الأنبياء - عليهم رضوان الله - في تبليغ دعوتهم، علمًا بأنهم**

مستقيمين على أمر الله، وأوتوا من أسباب البلاغ كالصبر والحكمة وحلّة المنطق وحسن الحديث ما لم يؤت غيرهم من الناس، ومع ذلك لم يحققوا أي نتائج، وكانت المحصلة مع بعضهم؛ يأت النبي وليس معه أحد، فهل يُعدّ ذلك فشلاً؟ وهل يشك أحداً أن هؤلاء الأنبياء قد قصّروا في مصلحة دعوتهم إلى الله، حاشاهم وربّي وكلاً، لكن الحقيقة هي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

فهذا الخطاب موجّه في المقام الأول للحركة الإسلامية، ولكلّ من حاد عن الشرع واتبع هواه، واعطى الدنيّة في دينه وتنازل عن ثوابت هذا الدين بحجّة الاستضعاف وغيرها من الحجج الواهية حتى أصبحوا في خاتمة المطاف جنوداً أوفياء للنظام الدولي يستخدمهم في حربه على المجاهدين، فوقعوا في الكفر البواح والردّة الصراح، نسأل الله العافية والثبات.

بناءً على ما تقدّم من كلام الشيخ أبي مصعب، حرّئ بكل أطياف الصحوة الإسلامية من جهاديين وسلفيين وسروريين وتبليغيين العاملين لنصرة الدين، وإقامة حكم الله في أرضه. حرّئ بالحركة الإسلامية التي ناهز عمرها اليوم على المائة عام ولم تحقق شيئاً من تلك الشعارات الرثانة التي بحّت بها أصواتنا عندما كنا نخرج في تلك التظاهرات المليونية نخطف بأن الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. حرّئ بنا جميعاً أن نقف طويلاً وقفة تأمل ومحاسبة وتقييم للممارسات والمناهج والأساليب المتبعة نأخذ منها العظات والعبر، ونسأل أنفسنا بكل تجرّد: لماذا نجحت حركة طالبان في إقامة حكم الله في أرضه بينما فشل الآخرون؟ كيف استطاعت حركة طالبان أن تقيم في فترة وجيزة إمارة إسلامية - دامت خمس سنوات - عجز عن قيامها أحزاب الشقاق والنفاق المنتمين للحركة الإسلامية، وعجزت عن قيامها حكومة البشير في السودان التي مكّن الله لها حكم البلاد ثلاثين عاماً كاملة؟ كيف استطاعت حركة طالبان - رغم البون الشاسع في موازين القوّة - الثبات والصمود في تلك الحروب الضارية التي خاضتها على مدى ما يقارب الثلاثة عقود، مع المناوئين لها من الأحزاب في بداية نشأتها، ثم مع أمريكا وحلفائها الخمسين، علماً بأن بوش في مؤتمره الصحفي في ثاني يوم من أحداث الحادي عشر من سبتمبر سئل عن كيفية الرد على الفاعلين فقال: "لا أستطيع أن أقول إلا أن الدولة التي حمت الإرهابيين سوف نمنسحها من على خارطة العالم" وقال بصريح العبارة: (we will smoke them) أي سوف نبخّرهم؟ كيف استطاعت حركة طالبان رغم كل

ذلك الوعيد الرهيب أن تنتصر على هذه الجموع البربرية في ميادين النزال، وتحقق نصرًا آخر في دهايز مفاوضات الدوحة، وتجبر أمريكا أن توقع صاغرةً ذليلةً على هزيمتها بالخروج وخمسين دولة من حلفائها من أفغانستان؟ وإذا كانت أمريكا وحلفائها قد خاضوا هذه الحرب طوال تلك السنين من أجل أن يفرضوا نظامهم الديمقراطي بعد تبخير طالبان ونظام حكمهم الإسلامي كما زعموا، فكيف استطاعت حركة طالبان أن تفرض إرادتها أمام المفاوض الأمريكي، بأن نظام حكمها بعد انسحاب الأمريكان سيكون نظامًا إسلاميًا على أسس الشريعة الإسلامية في أفغانستان؟ كيف حققت طالبان كل تلك المكاسب في أقل من عقدين من الزمان، بينما لم تستطع جموع الصحو الإسلامية أن تحقق عشر معشار ما حققوه في بضع عقود؟ كيف وكيف وكيف، أسئلة لا نهاية لها سوى أن نقول ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

بداية قد يسوق لك قائلٌ سيلاً من الأسباب التي تسببت في نجاح حركة طالبان، وأيضاً يسوق لك مثلها سيلاً من الأعذار التي أعاققت وتسببت في فشل الحركة الإسلامية وغيرها من الجماعات التي تعمل لإقامة حكم الله في أرضه. لكننا لو وقفنا جميعاً بصدقٍ وتجردٍ لله، لوجدنا أن الإجابة الشافية الكافية الوافية لكل تلك التساؤلات تكمن في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقوله سبحانه ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

أيها السادة، إن السبب الرئيسي الذي أدّى لنجاح حركة طالبان بينما فشلت فيه الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها، هو أنها فقهت تماماً قول الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾، فالله سبحانه وتعالى لم يتعبّدنا بطاعته إلّا بما وافق كتابه وسنة نبيّه، وكلّ يؤخذ من قوله ويردّ إلّا صاحب هذا القبر عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام، وعلى هذا الأساس أفلحت حركة طالبان، بينما كان الفشل والتخبط والضلال حليف كل من خالف هذه القاعدة.

فمنذ اليوم الأول لنشأتهم فقه قادة طالبان - وعلى رأسهم أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله - ماذا تعني لا إله إلا الله؟ وماذا تعني نصرّة دين الله؟ فقهوا قول الإمام مالك رضي الله عنه بأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلّا بما صلح به أولها. فقهوا معاني بيعة العقبة، ومعاني بيعة الرضوان. فقهوا معاني

قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. فهموا حديث ورقة بن نوفل رحمه الله لرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، في أول يوم نزل عليه فيه الوحي، فقبل أن تنزل آيات الجهاد، وآيات الولاء والبراء، وآيات الأحكام، وغيرها وغيرها من آيات الكتاب، قال ورقة بن نوفل رضي الله عنه، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن سمع منه ما حدث له في الغار: "ليتني كنت فيها جذعًا - يعني شابًا قويًا يبالغ في نصرته - إذ يخرجك قومك". فاستغرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فقال: أو مخرجي هم. فقال له ورقة: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي. ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن". منذ اليوم الأول فقه الطالبان أن إقامة دولة الإسلام، ونصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين، ليس بالأمر السهل، فهو أمر بخلت وضنت به جميع قبائل العرب - باستثناء الأنصار - عندما طاف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة عمه أبي طالب، قبيلة قبيلة، يطلب منهم شيئًا واحدًا فقط هو: أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم، حتى يبلغ دين الله ولهم الجنة. ورغم أن قبائل العرب في ذلك الزمان، كانت قبائل مشهود لها بالنجدة والنخوة والنصرة وحبها للقتال، إلا أنها ضنت بنفسها عن قبول عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ذلك الأمر، لماذا؟ لأنها كانت تعرف جيدًا ثمن هذه البيعة. كانت قبائل العرب - وهي آنذاك على الشرك - تعرف جيدًا ماذا تعني نصرته دين الله. فثمنها غال جدًا، وتكاليفها باهظة، وتبعاتها جسيمة. كانت قبائل العرب تعرف أن ذلك الأمر، أمر تكرهه الملوك، دونه بحار من الدماء، وجبال من الأشلاء. دونه هلكة الأموال وقتل الأشراف. دونه مناوأة العرب والعجم كافة، وأن تعضهم السيوف.

وباختصار شديد، منذ اليوم الأول لنشأتهم، فهم قادة طالبان حقيقة الصراع بين الحق والباطل، لقد فهم قادة طالبان جيدًا قول الله عز وجل ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقوله سبحانه ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. لقد فهم الطالبان أن القضية في المقام الأول هي قضية دين، وليست قضية أسامة كما تتحجج أمريكا، ومن أجل ذلك قال أمير المؤمنين في أحد خطباته: "والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا،

لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم... أن الفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك".

وبناءً على هذه الشفافية والوضوح في الفهم، لا عجب بعد ذلك أن يشهد العالم أجمع تلك المواقف البطولية المشرقة التي تتصدّع أمامها الجبال، مواقف العزّة والاستعلاء والثبات على الدين التي وقفها أمير المؤمنين الملاً عمر وقادته الميامين، فرغم الضغوط التي تعرضت لها حركة طالبان إلا أنها استعلت بإيمانها على الباطل، ولم تنهأ آلامها وجراحاتها ومآسيها التي مرّت بها طوال تلك السنين أن تعطي الدّنية في دينها قيد أنملة، ولم تتنازل بتسليم رجل واحد للكافرين، حتى وإن كان ذلك على حساب التضحية بملكهم ودولتهم. لا عجب بعد ذلك أن يشهد العالم أجمع تلك الانتصارات الأسطورية التي حققها الطالبان، وفاقت - بفضل الله وحده - في ميادين السياسة والنزال كلّ خيال، ودكرتنا ببطولات الأجداد في بدرٍ وخيبر وحطين وعين جالوت.

لقد جعل الله الطالبان حجّة على أولئك الذين يعطون الدّنية في دينهم بحجّة الاستضعاف. فما هي قوة طالبان مقابل قوة أمريكا وحلفائها الخمسين؟ لقد خاض الطالبان هذه المعركة متوكّلين على الله حقّ التوكّل، فهم موقنون بأن النصر من عند الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد. وأن الله لا يضيع من لجأ إليه، وأن الدين أسمى وأعز وأعلى من كل شيء، وأن الملك لله يؤتیه من يشاء وينزعه عمّن يشاء.

لكن في المقابل، لما أصبح الرضا والتسليم بالأمر الواقع - المفروض من قبل سلطة قائمة، أو قوى خارجية - عند كثيرٍ من رموز ومفكرٍ وفلاسفة الحركة الإسلامية هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه، خالفت الحركة الإسلامية مبادئها وثوابتها ونتج عن ذلك - كما يقول الشيخ أبو مصعب - فشلاً ولّد اتجاهات شاذة، وطروحات منحرفة، وظواهر غريبة، وأوضاعاً طاغوتية مريّة، وانشقاقات كثيرة.

وبطبيعة الحال كانت النتيجة الحتمية لهذا الفشل هي التراجعات والتنازلات تلو التنازلات، وتقديم الرأي على النص، والغاية تبرر الوسيلة، حتى أضاعت الحركة الإسلامية الدين والدنيا، ولم تحقق شيئاً من شعارها الجامع، فما أقامت للإسلام دولة، ولم تحقق نصراً على أعداء الله ورسوله، ولم تُعد ما تستطيع من قوة وعدّة ترهب بها عدو الله وعدوّها، وعوضاً عن ذلك أفقّ شيخهم

القرضاوي في بعض النوازل التي أملت بالأمة بفتاوى تكاد السماوات يتفطرن منها، مثل فتواه⁽²⁶⁵⁾ - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر - التي أجاز فيها قتال المسلم الأمريكي تحت راية دولته ضد المسلمين المجاهدين في أفغانستان! وحث المسلمين أن يتبرعوا بالدم للأبرياء في أمريكا الذين سقطوا ضحية هجمات الحادي عشر.

بعد كل ذلك، حري بالحركة الإسلامية أن تتساءل، كيف أقحمت نفسها في هذا النفق المظلم وهي تتلو كل يوم قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا، وتتلو قول رسوله عليه الصلاة والسلام: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنْهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ..).

ولعل خير ما يعبر عن هذا الواقع الأليم الذي وصلت إليه الحركة الإسلامية قصيدة⁽²⁶⁶⁾ - نشرتها مجلة المجتمع الكويتية في عددها 883 الصادر بتاريخ 20 سبتمبر 1988م - كتبها أمينة قطب، في ذكرى استشهاد شقيقها الشيخ الشهيد سيّد قطب - رحمهم الله جميعًا:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| أخي إنه لحديث يطول | وفيه الأسى وعميق الشجون |
| رأيت تبدل خط الحداة | بما نالهم من عناء السنين |
| فمالوا إلى هدنة المستكين | ومدوا الجسور مع المجرمين |

(265) كانت الخارجية الأمريكية قد أشادت بالفتوى في بيانها الصادر بتاريخ 19/10/2001م بعنوان "علماء مسلمون يرفضون دعوة بن لادن إلى الجهاد ضد الأميركيين"، وكانت الفتوى التي شارك فيها الشيخ يوسف القرضاوي قد نشرت كاملة في جريدة "الشرق الأوسط" بتاريخ 8/10/2001م، ومما جاء فيها: (... فانا نرى ضرورة البحث عن الفاعلين الحقيقيين لهذه الجرائم، وعن المشاركين فيها بالتحريض والتمويل والمساعدة، وتقديمهم لحاكمة منصفة تنزل بهم العقاب المناسب الرادع لهم ولأمثالهم من المستهينين بحياة الأبرياء وأموالهم والمروعين لأنهم ... وهذا كله من واجب المسلمين المشاركة فيه بكل سبل ممكنة ... والخلاصة انه لا بأس ان شاء الله على العسكريين المسلمين من المشاركة في القتال في المعارك المتوقعة ضد من يُظنُّ انهم يمارسون الإرهاب، أو يؤوون الممارسين له ويتيحون لهم فرص التدريب والانطلاق من بلادهم، مع استصحاب النية الصحيحة!! على النحو الذي أوضحناه، دفعًا لأي شبهة قد تلحق بهم في ولائهم لأوطانهم ...) اهـ.

(266) من كتاب الحصاد المر للشيخ أيمن الظواهري،

رأوا أن ذلك عين الصواب
بتلك المشورة مال السفين
وفي لجة اليم تيه يطول
وما دونه عقبات الطريق
تأرجح في سيره كالغريق
وظلمة ليل طويل عميق

حزنت لما قد أصاب المسير
بأن ينقذ الله تلك السفين
وأن يحذروا من ضلال المسير
وما يملك القلب غير الدعاء
ويحمي ربانها من بلاء
ومما يدبر طي الخفاء

ترى هل يعودون أم أنهم
وفي وهمهم أن مد الجسور
وينسون أن طريق الكفاح
يظنون ذلك خط النجاح
سيمضي بآمالهم للفلاح
به الصدق والفوز رغم الجراح

ولكنني رغم هذي الهموم
ورغم الطغاة وما يمحرون
فإن المعالم تبدي الطريق
ورغم التأرجح وسط العباب
وما عندهم من صنوف العذاب
وتكشف ما حوله من ضباب

والمح أضواء فجر جديد
وتوقظ أضواءه النائمين
وتورق أغصان نبت جديد
يزلزل أركان جمع الضلال
وتنقذ أرواحهم من كلال
يعم البطاح ندي الظلال

فتم هائئًا يا شقيقي الحبيب
فرغم العناء سيمضي الجميع
فعزم الاباة يزيع الطغاة
فلن يملك الظلم وقف المسير
بدرب الكفاح الطويل العسير
بعون الإله العلي القدير

ومع كل ذلك نقول: نحن لا ننكر فضل الحركة الإسلامية وجهودها في أنه كان لها الفضل بعد
الله سبحانه وتعالى في رجوع العشرات من الآلاف من أبناء المسلمين إلى الله عز وجل، ولا ننكر

أنه قد خرج من رحمها رجالٌ - كسيّد قطب وأخيه مُجّد وغيرهم - رحمهم الله - ممن صدقوا وثبتوا على مبادئها الأولى التي قامت على أسسها، لكننا ننكر عليها تنكرها وانسلاخها وانحرافها بعد ذلك لمنهجها ومبادئها التي اختصرها شعارها الجامع لمقومات العقيدة الجهادية، وثابت هذا الدين (الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا). ننكر عليها عدم الصبر على الجهاد، والتقاءها مع الطواغيت في منتصف الطريق، والاعتراف بولايتهم، ومبايعتهم، ومسايرتهم، والرضى بالعيش في ظلّهم، بل والتشريع لهم، والدعاء لهم بالبقاء حرصًا على بعض المكاسب الدعوية والاجتماعية. ولعل في كتاب الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله "الحصاد المر الأخوان المسلمين في ستين عامًا"، وغيره من المقالات والكتب ما يغني عن الخوض في تفاصيل هذا الانحراف.

يقول الشيخ الشهيد سيّد قطب في تفسير الآية ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾:

"فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة. وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها لأن الصغير منها كالكبير، بل ليس في العقيدة صغير وكبير. إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يطيع فيها صاحبها أحدًا، ولا يتخلى عن شيء منها أبدًا.

وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق، وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تعبر، ولا تقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة، وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق! ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون للنبي - ﷺ - ليدهن لهم ويلين ويترك سب آلهتهم وتسفيه عبادتهم، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول - ﷺ - كان حاسمًا في موقفه من دينه، لا يدهن فيه ولا يلين. وهو فيما عدا الدين ألين الخلق جانبًا وأحسنهم معاملَةً وأبرهم بعشيرة وأحرصهم على السر واليسير. فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيهه ربه: (فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ) ولم يساوم - ﷺ - في دينه وهو في أحرص المواقف العصبية في مكة، وهو محاصر

بدعوته، وأصحابه القلائل يتخطفون ويعذبون ويؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون. ولم يسكت عن كلمة واحدة ينبغي أن تقال في وجوه الأقوياء المتجبرين، تأليفاً لقلوبهم، أو دفعاً لأذاهم. ولم يسكت كذلك عن إيضاح حقيقة تمس العقيدة من قريب أو من بعيد" ١. هـ

كذلك يقول الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا﴾.

"هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً. محاولة إغرائهم لينحرفوا - ولو قليلاً - عن استقامة الدعوة وصلابتها، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغروهم بها مقابل مغام كثيرة. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً، فأصحاب السلطان لا يطلبون منه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة، لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء!... وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها!" ١. هـ

وفي موضع آخر من كتابه الظلال يقول الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله، محذراً أصحاب الدعوات من الانحراف عن المبادئ والثوابت:

"ولقد تدفع الحماسة والحركة أصحاب الدعوات - بعد الرسل - والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها، تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه ليس أصيلاً فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها! ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم. وذلك حرصاً على سرعة انتصار الدعوة

وانتشارها. واجتهادًا في تحقيق «مصلحة الدعوة» ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير. أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله.

فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق، وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة لله. ولن تكون إلا خيرًا في نهاية المطاف... إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابها! فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلًا. والله أعرف منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين. إنما هم مكلفون بأمر واحد. ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق... " ١. هـ

نعم هناك فقه قائم على المصالح والمفاسد والموازنات والتنازلات لكن ليس على حساب أصل الدين مهما كانت النتائج. فهذه قصّة أصحاب الأخدود، أنزل الله في شأنهم سورة كاملة تتلى إلى يوم الدين، لم يتنازلوا عن دينهم قيد شعرة، فقتلوا جميعًا عن بكرة أبيهم بأشد أنواع القتل ألمًا، ووصف الله تعالى فعلهم وثباتهم على دينهم بأنه الفوز الكبير. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خاف على المسلمين في غزوة الأحزاب عرض على عيينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف المري رئيس غطفان الصلح على ثلث ثمار المدينة، وأن ينصرفا بقومهما ويدعيا قريشًا وحدها. وكانت هذه المقالة من رسول الله - ﷺ - لهما مروضة ولم تكن عقدًا. فلما رأى رسول الله - ﷺ - منهما أنهما قد رضيا، استشار سعد بن معاذ وسعد بن عباد فقالا: يا رسول الله، هذا أمر تحبه فنصنعه لك؟ أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع؟ أو أمر تصنعه لنا؟ فقال: "بل أمر أصنعه لكم، فإن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة" فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه، وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة، إلا شراء أو قرى. فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا! والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: "أنتم وذاك"، وقال لعيينة والحارث: "انصرفا، فليس لكما عندنا إلا السيف".

لقد مكّن الله للحركة الإسلامية في السودان حكم البلاد ثلاثين عامًا كاملة، ولا ينكر أحد فضلها وإنجازاتها في بداية عهدها، ومن بينها إيوائها للمجاهدين، لكنها شيئًا فشيئًا بحجة

الضغوط والمصلحة أضاعت الدين والدنيا، وتنكرت لكل مبادئها وثوابتها التي ملأت بها الدنيا ضجيجًا ونعيمًا. وها هي أحزاب الحركة الإسلامية في أفغانستان بعد أن مكّن الله لهم بدخول كابل عام 1992م، استبشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بقيام دولة الشريعة، لكنهم لم يقدموا للشعب الأفغاني سوى الخراب والدمار بسبب الاحتراب فيما بينهم صراعًا على السلطة، وها هو العالم اليوم يشهد قتالهم لمجاهدي حركة طالبان تحت راية الصليب، بعد أن كانوا بالأمس يقاتلون الروس الملاحدة تحت راية الإسلام، نسأل الله العافية والثبات. وها هو أردوغان الذي أصبح نموذجًا تحتذى به الحركة الإسلامية، وقدوةً على النجاح والتفوق في تركيا، يتحدث عن علمانية حكومته بكل صراحة، ويقيم علاقات دبلوماسية مع الصهاينة اليهود، ويسمح بحرية المثليين، ويقاتل عدّة آلاف من جنوده بجانب قوات التحالف الصليبية في أفغانستان، وتنطلق من قاعدة انجريك طائرات أمريكا لتقصّف المسلمين في العراق وأفغانستان، وشرّ البلية ما يضحك.

يقول راشد الغنوشي أحد رموز الحركة الإسلامية متحدّثًا لمجلة المجتمع في عددها 531 الصادر في 11 / 8 / 1981م: "أن هناك خطأ سياسيًا شنيعًا ارتكبته حركة البنا ولا يزال متواصلًا، وهو أن الحركة الإسلامية تقدم نفسها وصيًا على المجتمع وليس طرفًا سياسيًا أو فكريًا يستمد مشروعيتها من قوة إقناع الجماهير ببرامجها. إن الحركة الإسلامية ما زالت تستنكف بشدة أن تعتبر نفسها كغيرها من بقية الأطراف السياسية شيوعية كانت أو ديمقراطية أو اشتراكية. يجب أن نحترم إرادة الجماهير إذا اختار مجتمعنا في يوم من الأيام أن يكون ملحدًا أو شيوعيًا فماذا نملك له؟" (267).

فالقضية إذن ليست قضية استضعاف بقدر ما هي قضية منهج ورجال. منهج قويم، ومحجّة بيضاء، واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، تركنا (268) عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك، ولا يتنكبها إلّا ضال. القضية هي قضية رجال يعرفون طبيعة هذا المنهج. رجال لا تهزها المحن، ولا تزعزعها الزعازع. رجال لا تباع دينها بعرض من الدنيا قليل، رجال قدوتهم رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، يقولون كما قال سعد بن معاذ - رضي الله عنه - لرسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام: "إنا قد آمنّا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق،

(267) القول السديد في معالم التوحيد للشيخ عمر بن مسعود الحدوشي.

(268) في كلمة له في عزاء الرئيس التونسي السابق الهالك السبسي، يقول رمز الحركة الإسلامية في تونس راشد الغنوشي: "ولا يعزينا في فقد هذا الرجل الوطني الغيور الحكيم إلّا أنه ترك البلاد على المحجّة البيضاء، تركها على السراط المستقيم..."

فأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة. فامض يا نبي الله لما أردت. فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل. وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت".

فيا إخواننا في الحركة الإسلامية، تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم، بأن يكون بحق الله هو غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

يقول الشيخ أسامة في توجيهاته المنهجية موجهًا رسالةً إلى شباب الصحوة فقال لهم:

"وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة أن فيهم من الطاقات ما يكفي وزيادة لإقامة الحق، ولإقامة دولة الإسلام ودولة الخلافة، ولكن ينبغي أن يتحرروا ويحرروا عقولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه السلام أنه قال: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا) رواه الترمذي وحسنه.

وسأذكر لكم قصة ذات مغزى كبير، أن أولي الألباب والنهي إذا قلدوا من أمامهم دون أن يتدبروا، فقد يضيع منهم خير عظيم، بل قد تضيع عليهم الآخرة - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمر بن العاص، وعمر بن العاص من دهاة العرب المعدودين، وخالد بن الوليد عبقرى في الحروب، ومع ذلك تأخر إسلامهما لأكثر من عشرين سنة تقريبًا، والنور بين يديهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشرة سنة بين أظهرهم في مكة ولا يرون هذا النور مع شدة ذكائهم ونباهتهم، فما هو السبب؟!

السبب؛ التقليد الأعمى، كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال العظام في قريش - أهل الندوة - ويقتدون بهم، وعطلوا عقولهم، فلما أسلم خالد وعمر بن العاص قبل الفتح بشيء يسير - أي قريبًا من عشرين سنة منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم - فقال له بعض أصدقائه: "أين كان عقلك يا خالد ولم تر هذا النور لعشرين سنة؟"، فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيرًا للمقلدين، قال: "كنا نرى أماننا رجالًا كنا نرى أحلامهم كالجمال" - الوليد بن المغيرة وعمر بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والعاص بن وائل السهمي، وأمّية بن خلف - قوم عبّأوا على الناس عقولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب، وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت طاقات، فكان سيقاً من سيوف الله فتح الله به أرضاً عظيمة في بلاد فارس وفي بلاد الروم.

فأقول: كثيرٌ من الناس عندهم من الطاقات الهائلة، ولكن يعطلها باتباع قاعد، باتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف، فلا نجاة لهذه الأمة إلا بإتباع المنهج كاملاً، فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها " ا. هـ

فهل فهمت الحركة الإسلامية ومن على شاكلتها الدرس، أم أن حالهم كحال بني قريظة حينما كانوا يُساقون أرسالاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، فسألوا سيدهم كعب بن أسد: "يا كعب ما تراه يصنع بنا؟" قال: "أفي كل موطن لا تعقلون! ألا ترون أن الداعي لا ينزع وأن من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل".

مسك الختام:

وختامًا لهذه السيرة العطرة من تاريخ جماعة القاعدة، كان لزامًا علينا أن نذكر بجانبها نبذة يسيرة في رثاء قائدها وإمامها الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، وفي رثاء جبلين وعلمين من أعلامها، كان لهم الفضل - بعد الله تعالى - بجانب الشيخ الإمام أسامة في نصره هذا الدين، ونصرة الجهاد بقيام هذا الصرح العظيم - القاعدة - وهما الشيخان الجليلان المصريان أبو عبيدة البشيري، وأبو حفص الكمندان، رحمهما الله جميعًا.

رثاء أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله:

قبل أن نسترسل في رثاء أولئك الكرام، آثرت أن أقدم عليهم رثاء رجل أعزّ الله به هذا الدين، وأذل به الشرك والمشركين، رجل لولا فضل الله ثم موافقه لما قامت تلك الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ، رجل ضرب أروع الأمثلة في فنّ التضحية بأغلى ما يملك لأجل رجل واحد من أجله قامت في وجهه الدنيا ولم تقعد، وعندما هددوه بأن أميركا ستتدخل عسكريًا للإطاحة بحكمه وإمارته إذا لم يقيم بتسليم أسامة، قال قولته المشهورة: "والله لو تشتعل أفغانستان حجرًا حجرًا لما أسلمت أسامة للكفار".

فأي طراز من الرجال كنت يا أمير المؤمنين. لقد كان بإمكانك مواجهة إصرار الشيخ أسامة على برنامجه في مواجهة أميركا بمنعه بالقوة أو المواجهة. كان بإمكانك على أسوأ الفروض أن تطلب منه مغادرة البلاد لكنك لم تفعل، ولم تصل ردة فعلك إلى ذلك الحد، بل رفعت القضية برمتها أمام العلماء، لما كنت تحمله بين جوانحك من مشاعر الوفاء والاحترام لما قدمه الشيخ أسامة، الذي ترك الدنيا وهي تحت قدميه، وجاء إلى جبال وصحاري أفغانستان مجاهدًا بنفسه وماله.

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد فقحت منذ اليوم الأول - الذي قمت فيه لتنصر دين الله - حقيقة الصراع بين الحق والباطل، فقلت في إحدى خطبك: "لذا لا معنى من الاستجابة لمطالبهم بإخراج أسامة بن لادن. إن إخراج المجاهدين العرب من أفغانستان، استجابة لمطالب مجلس الأمن الذي يحاصرنا لأجلهم، لن ينهي صراعنا معهم، هم لا يستهدفون أشخاصًا كما يزعمون، بل إنهم يستهدفون النظام الإسلامي لدى الإمارة الإسلامية، فلو أننا استجبنا

لمطالبهم وأخرجنا من يريدون، فإن مطالبهم لن تقف عند هذا الحد، بل إنهم سيطالبوننا بتغيير أنظمتنا الشرعية تجاه المرأة وتجاه المخالفين، وأن نشكّل حكومة موسعة، ولا نحكم بالشرعية. وهذه هي السودان عندما استجابت لمطالبهم وأخرجت المجاهدين، لم تنته معاناتها حتى الآن".

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد فقّهت أن أسباب الصمود وأسباب الثبات، وأسباب النصر والتمكين تكمن في بذل التضحية والفداء، وإرخاص النفس والنفس لنصرة هذا الدين، ونصرة المستضعفين من المؤمنين. لقد فقّهت يا أمير المؤمنين منذ اليوم الأول أن إقامة دولة الإسلام، ونصرة دين الله والمستضعفين من المؤمنين، ليس بالأمر السهل، فهو أمر بخلت وضّنت به جميع قبائل العرب - باستثناء الأنصار - عندما طاف عليهم رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب قبيلة قبيلة، يطلب منهم شيئاً واحداً فقط هو: أن يؤوه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم، حتى يبلغ دين الله ولهم الجّنة. ورغم أن قبائل العرب في ذلك الزمان، كانت قبائل مشهود لها بالنخوة والنصرة وحبها للقتال، إلا أنها ضنّت بنفسها عن قبول عرض رسول الله عليه السلام لها بذلك الأمر، لماذا؟ لأنها كانت تعرف جيداً ثمن هذه البيعة. كانت قبائل العرب - وهي آنذاك على الشرك - تعرف جيداً ماذا تعني نصرته دين الله. فثمنها غال جداً، وتكاليفها باهظة، وتبعاتها جسيمة. كانت قبائل العرب تعرف أن ذلك الأمر، أمر تكرهه الملوك، دونه بحارّ من الدماء، وجبال من الأشلاء، دونه هلكة الأموال، وقتل الأشراف، دونه مناوأة العرب والعجم كافة، وأن تعضّهم السيوف.

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد استعصيت أن تلين أو تنكسر أمام أقوى وأعنى طغاة العصر الجبابة من الأكاسرة والقيصرة، فسطّرت للبشرية، وخاصّة لفقهاء الانبطاح وأئمة الضلال والتراجعات، ودعاة التنازلات وأنصاف الحلول والسلمية والانهزامية دروساً غالية في فن العزّة والصمود، والاستعلاء والثبات على الثوابت والمبادئ.

ربح البيع يا أمير المؤمنين وأنت تقول في أحد خطاباتك: "لأن يكتب التاريخ ويشهد لنا المسلمون بأننا قتلنا في سبيل الله على مبادئنا الإسلامية وعقيدتنا الخالدة، خير لنا عند الله من أن يكتب التاريخ ويشهد علينا المسلمون بأننا عشنا في صحة ونعمة بعد أن غيرنا مبادئنا وتنازلنا عن راية الجهاد، ومن كان يظن أن الدولة الإسلامية ستنعّم بالسيادة من غير ابتلاء وتمحيص فهو جاهل لا يعرف سيرة النبي (ﷺ)".

ربح البيع يا أمير المؤمنين، فقد تصدّعت أمام مواقفك وثباتك وصمودك الجبال، لأنك فقهت منذ اليوم الأول معاني بيعة العقبة، ومعاني قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى عليه السلام، وسيرة خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فرحمك الله يا أمير المؤمنين، وأسكنك الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.



ربح البيع يا أمير المؤمنين

ولعله من المفيد هنا أن نضيف إلى رثاء أمير المؤمنين - رحمه الله - رسالة النصر والتأييد لمواقفه المشرفة، والتي كان قد بعثها إليه - مع بداية الغزو الصليبي على أفغانستان - نفر من العلماء الربانيين الأجلاء وهم المشايخ: حمود بن عقلاء الشيعي رحمه الله، وعلي الخضير وسليمان العلوان فك الله أسرهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطاب من المشايخ الفضلاء حمود بن عقلاء الشيعي وعلي الخضير وسليمان العلوان، لأمر المؤمنين الملا محمد عمر والمجاهدين معه نصرهم الله:
أمر المؤمنين المجاهد الملا / محمد عمر حفظه الله ورعاه وسدد على الحق خطاه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل الله تعالى أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم في أتم الصحة والعافية.

أمير المؤمنين: نحن معشر العلماء نتشرف أن ينسب إلى أمتنا أمثالكم، فلقد أثبتتم حقاً عزة المؤمن، لم تكتفوا بالقول بأنكم أنتم الأعلىون حتى أكدتم هذا المعنى العظيم بأفعالكم المشرفة، فالعلو في الأرض ليس العلو المادي فحسب، بل أهمها وأعظمها هو علو الدين والمبدأ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فهذه الآية نزلت على رسول الله وأصحابه ﷺ يوم أن هزموا في أحد، فالعلو الحقيقي هو علو المبدأ والدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما (الإسلام يعلو ولا يعلو عليه) علقه البخاري في صحيحه ورواه الطحاوي بسند صحيح. فالإسلام وأهل الإسلام في علو حتى ولو هزموا في المعركة، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالعزة ملازمة لله ولرسوله ولكل مؤمن متمسك بدينه حقاً، فهو عزيز بعزة الله وبإيمانه فمن تمسك بالمبدأ الحق فهو عزيز بنص الكتاب والسنة.

أمير المؤمنين: إن جهل كثير المسلمين بحقوقكم لا ينقص من قدركم شيئاً، فلقد أصبحتم علماً من أعلام هذه الأمة، وسوف نكتب نحن تاريخ المرحلة بأيدينا، ونثبت للأجيال القادمة أنكم أنتم سادة الدنيا، ولو قتلتم دون ذلك فسوف تسطر سيركم بماء الذهب، وسنشهد جميعاً لكم أمام الله تعالى بأنكم أنصَح وأصدق العباد للأمة، نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وسنشهد أنكم أنتم وحدكم الذين رفعت رؤوسكم في زمن طأطأ الكثير من المسلمين رؤوسهم لدولة الكفر والصليب أمريكا، فلم يتشرف المسلمون برجل قال (لا ثم لا) لما تطلبه أمريكا في هذا العصر إلا بكم، فيا سعادة المسلمين بأمثالكم.

أمير المؤمنين: لقد تجلّت في أفعالكم معاني العدل والمساواة و العزة والكرامة، والنصرة والحماية والولاء والبراء، لقد أعطيتكم للأمة درساً عملياً في هذه المعاني عندما كللتكم قدومكم المبارك لأفغانستان، وقطفتكم للأمة ثمرة الجهاد ضد السوفييت والتي كادت أن تضيع بأيدي العلمانيين والشيوعيين والرافضة، فبعد أن كاد أملنا ينقطع بثمره الجهاد، أحييت أمل الأمة بأفغانستان وأصبحت اليوم هي محط أنظار المسلمين جميعاً، والكل يرقب العزة والنصر من أرضكم، فلقد وليتم أمر أفغانستان وطبقتم الشريعة فقلنا الحمد لله، لقد نصر الله الجهاد بكم يوم أن أقمتهم على أنقاض بلد مدمر ممزق و متناحر دولة إسلامية قولاً وعملاً، فساد العدل والدين الحق، وحاربتهم الشرك

والأضرحة، وقسمتم بالسوية، وعدلتم في القضية، حتى لو قال قائل إن الذئب في إمارتكم يرمى مع الغنم لما كان ذلك مستبعداً، ثم تحدتكم العالم أجمع وهدمتم الأصنام عملاً بشرية محمد صلى الله عليه وسلم التي بعث من أجلها، فقلنا لقد رزق الله الأمة من يجدد فيها ميراث إبراهيم عليه السلام هادم الأصنام ومتحدي الوثنية، وفرحنا بفعلكم حينما جددتم معاني التوحيد التي كانت غائبة عن الأمة منذ قرون، فالأصنام بأشكالها وأنواعها وأحجامها تملأ بلاد المسلمين، ولكن أمير المؤمنين لم يرض أن يعيش في أرض تجاوره فيها آلهة تعبد من دون الله تعالى، حتى هدمتم تلك المعبودات وأذلتم من عبدها فكادت قلوبنا تطير من الفرح بتجديد التوحيد في هذا الباب، ثم ألزمتهم أهل الذمة الصغار والذلة عملاً بكتاب الله سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ، كما كانوا في صدر الإسلام أذلاء يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فقلنا عمر عصره في أفغانستان يلزم الكفار الذل والصغار في أرضه.

وجاء المحك الحقيقي الذي أثبت معدنكم الخالص الأصيل عندما تكالبت دول العالم للنيل من المهاجرين إلى أرضكم من غير ذنب اقترفوه إلا أن يقولوا ربنا الله، فتنادى الشرق والغرب من كل ملل الكفر منهم النصراني واليهودي والوثني والشيوعي والقومي والمترد والمنافق، ليشكلوا حلقة من دول العالم أجمع ضد عزتكم وعلوكم، فصمدتم صمود الجبال، لم تخفكم تلك الحشود، ولم ترعبكم أسلحة الدمار الشامل، فصبرتم وقررتم المضي في العزة يوم أن تحاذل الجميع، وتبدلت العقائد، وظهرت نواقض الإسلام في كثير ممن ينتسبون إليه، إلا أنكم بقيتم أعلاماً بشموخ الجبال، يعتز كل مسلم بأن في أمته أمثالكم، تكالبت عليكم الدول وجاءتكم الأحلاف من كل حذب وصبوب بعدتها وعتادها بشكل لم يشهد التاريخ أبداً حلقة مثله ضد طائفة مؤمنة صادقة قليلة، فضحيت بالملك وبالأنفس والأموال، فكان بفضل الله تعالى إيمانكم وصدقكم نحسبكم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، كان إيمانكم وتوكلكم على الله القوي العزيز أعظم من ذلك الحلف وما جمع.

أمير المؤمنين: إن الحرب اليوم لم تضع أوزارها ولكننا نهنئكم بالنصر الحسي مقدماً بإذن الله تعالى فقد ظهرت بوادره، ونهنئكم أيضاً بالنصر الحقيقي الذي حققتموه، فلقد انتصر مبدأكم وقولكم على مبادئ أعدائكم، إن أعداءكم يكذبون في كل محفل بأنهم أهل العدل وحقوق الإنسان، وأهل الحرية والمساواة، وفي هذه المعركة سقطت تلك الأقنعة عن وجوههم ليظهر للناس والعام حقيقة الوجه الصليبي اليهودي الحاقد، فظهر حقاً من الذي يقتل الأبرياء، وعرفنا من الذي

لا يراعي لأي كائن حي أي حقوق، وشاهدنا كيف تكون الحرية وسيادة القانون الذي شرعوه لأنفسهم، وعرفنا ما معنى تعايش الحضارات ووحدة الأديان التي يدعون إليها، إنهم يريدون حضارة الغاب الأمريكية، ويريدون وحدة معتقدهم الصليبي فقط، فهنئًا لكم هذا النصر لقد ميزتم العالم إلى خندقين، وجليتم الحقائق لكل مغفل يوم أن أسقطتم بصمودكم وإيمانكم وتوكلكم على الله كل معاني الزيف والخداع الصليبي.

أمير المؤمنين: وكما فضح صمودكم كذب الكفار في دعواهم، فقد وضّح للمسلمين أيضًا معاني كانت غائبة أو كادت تندرس. صمودكم علمنا ما هو ميزان القوة لدى المسلمين، صمودكم جدد الولاء والبراء، صمودكم جدد مفهوم الجهاد ومفهوم النصر والهزيمة، صمودكم علمنا معنى التضحية والبذل لله تعالى، لقد بلغنا أنكم أغريتم بملك عظيم مقابل التنازل عن حماية المؤمنين، وأجلب عليكم المنافقون بالترغيب تارة والترهيب أخرى لتبدوا شيئًا من التنازل عن مبادئكم، وتأكدنا حقًا لو أنكم أردتم الدنيا من الآخرة لأمكنكم بالتنازل عن بعض مبادئكم، وحينها تكونون أغنى أهل الأرض، ولكن القلوب التي خالطها الإيمان تأبى ذلك أشد الإباء، ويوم أن افتخرت العرب بالسموول ابن عادي اليهودي الذي حفظ الأمانة وأصابه البلاء وقتل ابنه أمام عينيه على أيدي الحارث بن جبلة الغساني ملك الشام الذي جاء يطلب المال منه فأبى أن يدفع المال إلا لأولياء امرؤ القيس الذي أودع الأمانة عنده فأصبح صموده مثلاً للعرب، فلأن نفتخر نحن بصمودكم الذي فاق صمود السموول بآلاف المرات من باب أولى، وحق لكل مسلم اليوم إذا أراد أن يضرب المثل بالصمود أن يذكر صمودكم.

أمير المؤمنين إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع ولن ينقطع أبدًا بإذن الله تعالى ما لم تبدلوا وتحنوا أو تتراجعوا نسأل الله لنا ولكم الثبات حتى الممات، وإننا نطمئنكم بأننا وشريحة عظيمة من العلماء والدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيدكم، ونقول لكم لا يسوئكم ولا يفت من قوتكم وإصراركم قول بعض المتخاذلين والمرجفين الذين ذموا صمودكم ولاموا أفعالكم، وزعموا بأنكم قتلتم أنفسكم وشعبكم ومزقتهم دولتكم بفعلكم، إن فعلكم هذا هو عين الصواب وهو ما دلت عليه الأدلة الشرعية وأمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وكل ما أصابكم أو أصاب شعبكم هو بقدر من الله تعالى، وهو الذي أمركم بالتوكل عليه، واتباع أمره، وموالاته المؤمنين، والبراءة من الكافرين وجهادهم بكل السبل، ووعدكم بعد ذلك بالنصر والتمكين، وإن حصلت لكم الأخرى

فهو الفوز الكبير الذي وصف الله به أصحاب الأخدود بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، وبأي شيء نال أصحاب الأخدود وسام الفوز الكبير؟ لقد نالوه بتوكلهم على الله، وصمودهم على دينهم، وعدم تراجعهم عن مبدئهم، فنالوا هذا الوسام الذي لم يعط في القرآن لأحد غيرهم، رغم أنهم قتلوا عن آخرهم.

أمير المؤمنين: إننا نناشدكم ونناشد قادة الإمارة الإسلامية من أمثال نائبكم الملا محمد حسن، وأمثال المولوي جلال الدين حقاني، والمولوي عبد الحنان، والملا برادر، والملا داد الله، والملا ريس عبد الله، والملا خسكار قائد لواء الدبابات، وغيرهم كثير من قيادات الإمارة الإسلامية، كما نناشد المجاهدين الأنصار وقادتهم، أن تواصلوا جهادكم وصمودكم، فقد قرت بكم عيون الموحدين، ورضيت بكم عساكر الرحمن، فنحن من ورائكم نناصركم بكل ما نستطيع، ونحرض المؤمنين على القتال في صفوفكم، فلا تبدلوا ولا تخافوا ولا تلينوا { وأنتم الأعلون } واثبتوا على مبادئكم وأفعالكم المشرفة، ارفعوا رأس الأمة بجهادكم، وبإذن الله تعالى فإن فرحتنا ستكون قريبة بعودة الإمارة الإسلامية غالبية ممكنة منتصرة بأمر من الله الذي أمركم بالعمل وتكفل بالنصر.

وختاماً فإننا نوصي جميع المسلمين في كل مكان بمناصرة الإمارة الإسلامية في جهادها هذا ضد ملل الكفر جميعاً، كما نوصي الأفغان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم لله تعالى ويناصروا الإمارة الإسلامية ويقفوا تحت لواء أمير المؤمنين، ونوصي المجاهدين وعلى رأسهم أمير المؤمنين بأن يحققوا شروط النصر والتمكين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها رسوله ﷺ في سنته.

وإليكم بعضاً مما ورد في كتاب الله من شروط التمكين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فالإيمان والعمل الصالح والبراءة من الشرك من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فلا استعانة بالله والصبر على أقداره وأحكامه وتقواه في السر والعلن من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ فالتوكل على الله حق التوكل من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ فالصلاح في الظاهر والباطن وتحقيق معنى

العبودية من شروط النصر والتمكين، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ فالإقرار بربوبية الله وإلهيته مع الاستقامة على شريعته من شروط النصر والتمكين، والآيات التي ذكر الله فيها شروط النصر والتمكين أكثر من ذلك بكثير.

ومن الوصايا الجامعة للنبي ﷺ وقد جاء فيها شروط النصر والتمكين ما رواه الترمذي وأحمد واللفظ له، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلِيمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟" فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: "أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ بَحِذْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّحَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، (2) لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) وفي لفظ الترمذي: (أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ بُجَاهَكَ).

واعلموا أنكم إذا بذلتم وسعكم بتحقيق شروط النصر والتمكين فإن الله ناصركم ومخزٍ عدوكم وعد منه لا يتخلف أبدًا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ وقال واصفًا حال المسلمين يوم بدر: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ النَّقَتَاءِ ۖ فَتَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۗ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وقد بشر النبي ﷺ بالنصر وانتصار الدين وغلته فقال ﷺ: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزَّ عَزِيزٍ أَوْ بَذَلٍ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ) رواه أحمد من حديث تميم الداري بسند صحيح.

وقد أحسن الشاعر حيث قال:

كن كالسموئل إذ سار الهمام له
 جار ابن حيا لمن نالته ذمته
 بالأبلق الفرد من تيماء منزله
 إذ سامه خطي خسف فقال له
 فقال غدر وثكل أنت بينهما
 فشك غير قليل ثم قال له
 بجفيل كسواد الليل جرار
 أوفى وأمنع من جار ابن عمار
 حصن حصين وجار غير غدار
 مهما تقله فإني سامع جار
 فاختر فما منهما حظ بمختار
 اذبح هديك إني مانع جارى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.
إخوانكم:

حمود بن عقلاء الشعبي

علي بن خضير الخضير

سليمان بن ناصر العلوان

1422 / 10/16 هـ

يقول الشيخ هاني السباعي حفظه الله، في كتابه "التجلية في الردّ على التعرية" متحدّثاً عن وفاء أمير المؤمنين الملاً عمر رحمه الله:

"أكاد أجزم أن الملا عمر رجل المسلمين الأول في القرن الهجري الحالي! فالملا عمر جامعة من الزهد والورع والصبر والبلاء والشجاعة والمروءة وعلى رأس ذلك ذروة سنام الإسلام في الجهاد! إن سيرة هذا الحاكم البطل المجاهد الوفي، ينبغي أن تدرس للشبيبة في المدارس والجامعات رمزاً للجهاد والصمود والوفاء!

قديمًا كنا ندرس في كتب الأدب خصلة واحد من الوفاء للسموأل الذي دُبح ابنه أمام عينيه، وهو محاصر في قلعه على أن يسلم الأمانة التي لديه لخصوم امرئ القيس بن حجر الكندي! فرفض وضحى بابنه وأعطى الدروع لورثة امرؤ القيس وأنشد مفتخرًا يقول:

[[وفيتُ بأدرك الكندي إني... إذا ما خان أقوام وفيتُ]]

أقول: هذا الذي فعله السموأل في الجاهلية! فما بالك بوفاء الإسلام! لا أكون مبالغاً إذا قلتُ لو كنا منصفين لكان وفاء الملا مُحَمَّد عمر مع الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة الجهاد من أعظم دروس الوفاء في تاريخ الإسلام والبشرية جمعاء⁽²⁶⁹⁾!

ولعل من روائع المراثيات التي قيلت في رثاء أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله هي هذه المراثية من شعر الشيخ حامد بن عبد الله العلي:

| | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| كففتُ الدمعَ عن عيني فراحثُ | تكفُّ الكفَّ عن عيني بكفِّي |
| وقالت: دُعْ دموعَ العينِ سَحًّا | فلو سَحَّتْ بحارُ لا توفِّي |
| وزادت: كيفَ لا أبكي عظيمًا | به الأجدادُ نيشانُ بكتفِ |
| به كلِّ المكارمِ مثل تاجٍ | على قِرْمِ كريمٍ مستعِفِّ |
| جسورُ بالمعارك لا يُجارى | كليثُ بالفوارسِ مستخِفِّ |
| على الأعداءِ بالهيجا شديدُ | وبالأفغانِ معروفٌ بعطفِ |
| به الأفغانُ قد عزَّتْ فصارت | تدكُّ معاقلَ الأعداءِ بخسفِ |
| تجلَّتْ عزَّةُ الإسلامِ فيه | كعزِّ الأولينَ بكلِّ حرفِ |
| ولما خطَّ بالأفغانِ دربًا | إلى العلياءِ مقرونًا بسيفِ |
| ترجَّلَ شامحًا فالموتُ حقُّ | وآجالُ البريَّةِ مثل قطفِ |
| يحينُ كما يحينُ حصادُ زرعٍ | بإذنِ الله لا يأتي بحيفِ |
| وألقي بالخلودِ زمَامَ رَحْلٍ | وبالتاريخِ حُطَّ بخيرِ وصفِ |
| وكان مجاهدًا فيهم حكيماً | وينهي عن مقاتلةٍ بعسفِ |
| وعن طيشِ الجهولِ، وعن غلَوِّ | تدثَّرَ بالجهادِ بلبسِ زيفِ |
| عدمُ الشعرِ لا يختارُ ما | يكيلُ له المديحَ بكلِّ صنفِ |
| أغِيظُ عدونا وأنال أجراً | وأرمي الكافرينَ بمثلِ قصفِ |

(269) "التجلية في الردِّ على التعرية" للشيخ هاني السباعي.

استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:

وبعد ما رأيت ما رأيت... وبعد ما عرفت ما عرفت... الموت حينما دنت مخالفته...
والليل حينما اعتدى على الصباح ضارياً يغالبه... الموت كان أمنيّة... والموت كان للجراح
أغنية... واختار من صفوفنا أحب من رأيت عيوننا... واختار من صفوفنا الكبار... واختار
من صفوفنا الرجال صانعي النهار... واختار للذرى أحبة كرام... تحية لهم سلام... تحية لهم
سلام... تحية لهم سلام⁽²⁷⁰⁾.



لعل أبلغ ما كُتب في استشهاد الشيخ أسامة رحمه الله، هو مقال بعنوان على "خطى الشيخ
أسامة"، كتبه الشيخ أبو المنذر الشنقيطي حفظه الله، يوم الجمعة 3 جمادى الثاني 1432هـ، بعد
أربعة أيام من استشهاد الشيخ أسامة، قال فيه:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(270) مطلع أنشودة بعنوان ملحمة الدعوة للمنشد أبي مازن السوري، رحمه الله.

كان الشيخ أسامة هو صوت الأمة المعبر عن آلامها. كنا نسمع في نبرته الحزينة أنين كل جريح، وبكاء كل ثكلى، وصرخة كل رضيع. ونلمح في مآقيه دموع أمة مقهورة، أذها الضيم، وحطمها الطغيان. كانت مواقفه وأفعاله مرآة لنبض الأمة وإحساسها، وأصدق ترجمة لمرادها. وكانت كلماته تعبيراً عما يجيش في صدور الملايين من أبناء المسلمين.

منذ ثلاثين عاماً، والشيخ أسامة حامل لواء الجهاد، يذود عن دينه وأمته. وقد وضع الله له القبول في الأرض، وألقى عليه محبة في قلوب المسلمين، وهيبة في عيون الكافرين. فكان لكلماته الهادئة صدىً يتردد في الآفاق، ويسكن في النفوس والأعماق، فيحرض الأولياء، ويلقي الرعب في قلوب الأعداء. وكان جهاده تجسيدا لقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. فكم من قلوب مؤمنة، باتت قريرة بعد سماع توجيهاته ونداءاته. وكم من جموع كافرة، باتت على شر حال بعد سماع وعيده وتهديداته.

[[فبأس يذوب الصخر من حر ناره... ولطف له بالماء ينبجس الصخر]]

لقد أعطى كل ما يملك، وفارق كل ما يحب في سبيل نصرة دينه وأمته. أعطي النفس والمال، وفارق الأهل والولد والوطن. لقد أعطى ولم يطلب، وضحى ولم يأخذ، كما هو شأن الصادقين المحتسبين. ومع أنه أعطى كل هذا العطاء، وضحى كل هذه التضحيات، إلا أن أصحاب النفوس المريضة ما فتئوا يحطون من قدره. فواعجباً، كيف يتجاسر القاعدون الآثمون على كبار المجاهدين؟

لقد جمعوا بين خطيئة القعود عن الجهاد، وخطيئة الوقوع في أعراض المجاهدين.

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| هو البطل الشهم الأغر السميع الـ | همام السريُّ الأكرم المتكرم |
| وقد جحدت قومٌ عظيم مقامه | وقالوا بما قالوا ضلّالاً وأبهموا |
| وما أنكرت أعداؤه عن جهالة | مناقبه العظمى ولكنهم عمّوا |

وقف شيخنا أسامة بعزة وكبرياء، وتصدى لأعداء الأمة في زمن الانحناء، وضرب لنا مثلاً في الشجاعة والإباء. تحدى جيوش الكفر المجتمعين، وجابرت المتعطرسين، فأجلبوا عليه بكيدهم المتسارع، ومكرهم المتتابع، فما طرق الجبن له باباً، ولا رضي بالهوان دون الموت حجاباً:

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| قالت فلا كذبت شجاعته | أقدم فنفسك ما لها أجل |
| فهو التّهاية إن جرى مثلاً | أو قيل يوم وغى من البطل |

أشهد الله يا أبا عبد الله:

لقد أحييت فينا بطولات الأجداد، وذكرتنا بزمان العزة والانتصارات والأمجاد. فرفعنا رؤوسنا، وحملنا سلاحنا، وامتطينا صهوات الجياد. واقتفينا آثار أبطالنا كخالد وسعد والمثنى والمقداد.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أن الله نصر بك الدين، ونشر بك الجهاد بين المسلمين، وأذل بك الكافرين، فنكست رؤوس الأمريكان المتغطرسين، وغزوتهم في عقر دارهم بعد أن كانوا من الغزو في حصن مكين، ودونت في التاريخ خزيهم وعارهم إلى أبد الأبد.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

ولئن كان أجر في الصدع بالدين وقول الحق.. لقد فعلت.

ولئن كان أجر في مراغمة الأعداء.. لقد راغمت.

ولئن كان أجر في إغاية الكفر.. لقد أغظت.

ولئن كان أجر في الهجرة لقد.. هاجرت.

ولئن كان أجر في الجهاد لقد.. جاهدت.

ولئن كان أجر في الإنفاق.. لقد أنفقت.

[[ألست الذي ما زال كهلاً ويافعاً... له المكرمات الغر والنائل الغمر]]

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أنك قمت فينا مقام ابن المبارك بين طلبة العلم والمجاهدين، ومقام ابن حنبل أمام الحكام الجبارين، ومقام ابن تيمية أمام التتار المحاربين، ومقام صلاح الدين أمام جحافل الصليبيين.

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أن المادحين لن يعطوك قدرك، مهما نظموا من قصائد ونشروا من بديع وبيان.

وأن الآخذين بثأرك، لن يشفوا غليلهم من الأمريكان، مهما قتلوا من العلوج وعبيد الصلبان.

وان الباكين لن يوفوك حقلك، مهما طال البكاء وعمت الأحزان.

فلا لوم على أهل رباطة الجأش إن سحت دموعهم، حزناً على فراقك ورحيلك:

فيا قلبي وشيمنتك التأسى
عذرتك أن ترع فبعد هذا
نحيتك عن نهاك فكن جزوعا
يشق على الحوادث أن تروعا

أشهد الله يا أبا عبد الله:

أنك أبليت فأحسنت البلاء، وأن الدنيا ليست لك عند الله بجزاء.

فتقبلك الله في المنازل العالية، مع النبيين والصديقين والشهداء.

لست أدري هل أبكي لرحيلك يا شيخنا، أم أبكي لحال الأمة التي ضحيت بنفسك وكل ما
تملك من أجلها.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم أبكي لحال نخبة الأمة وقياداتها وكبارها. نخبة لا هم لها إلا
الشهادات والمناصب والوظائف والألقاب، والسمر على شرب الأنخاب.

نخبة تركتك تعيش مطارداً لمدة عشر سنين، فخذلتك وأسلمتك للعدو بمناهجها التخيلية،
وهروبها من مواجهة العدو، وتبنيها لأطروحات سلمية أمام هذه الهجمة الصليبية.

خذلوك وأنت الذي نصرت الدين، ورفعت لواءه بين المسلمين.

[[وَأَنَّ لَهُ فِي حَوَاطَةِ الدِّينِ هِمَّةً... بِهَا يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِنْ كُلِّ نَاصِرٍ]]

لكنهم يا شيخنا لم يخذلوك وحدك، بل خذلوا كل ملهوف من الأمة.

خذلوا كل أم ثكلى.

وخذلوا كل أرملة كلمى.

وخذلوا كل يتيم مشرد.

وخذلوا كل جريح يئن.

وخذلوا كل شهيد مضرج بدمائه.

وخذلوا شرعة الله التي تهان وتداس في كل بقعة من بقاعهم.

بل إن بعض النخب والشيوخ والمنظمات والهيئات، تابكت وترحمت على زعيم الكفر بابا

الفايكان، ولم تبس ببنت شفة، عندما بلغها نبأ استشهادك.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم أبكي لحال العلماء الذين اختاروا التصدي لجهادك، والوقوف إلى جانب أعدائك من الأمريكان وأتباعهم من الحكام العملاء.

لست أدري هل أبكي لرحيلك، أم أبكي لحال أمة لا تميز في معظمها بين صديقها وعدوها، فراها تعلي من شأن المارق الزنديق، وتحط من رتبة الناصح الشفيق. وراها ترفع منزلة من يوالي عدوها، وتحط منزلة من يقاتل عنها ويحمي بيضتها. حتى تحقق فيها قول النبي ﷺ:

(سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ حَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ). رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة.

ونحن وإن كنا حزناً لفراق شيخنا، إلا أنا فرحنا بانتصاراته. ومقاييس النصر عندنا ليست هي مقاييس النصر عند أعدائنا. لقد انتصر شيخنا عندما عزفت نفسه عن الدنيا واختار طريق الهجرة والجهاد. وانتصر عندما وفقه الله لإشعال جذوة الجهاد ضد الصليبيين وأعوانهم، وتركها مشتعلة وستبقى كذلك بإذن الله.

[[قد قدحت العزّ زنداً غير كاب... وَلَبِستَ المجدَ بُرداً غيرَ بالي]]

وانتصر عندما اصطفاه الله إليه ومات شهيداً كما كان يتمنى. وانتصر لأنه مات ميتة الأبطال من الرجال، عزيزاً غير ذليل مقبلاً غير مدبر:

[[وَأَمَّا الْقَائِلُونَ قَتِيلُ طَعْنٍ... فذلك مصرع البطل الجليل]]

وانتصر لأنه صار قدوة في مماته، كما كان قدوة في حياته. ومن تمام انتصاره، أن الله تعالى مد له في العمر حتى قرت عينه بانتصارات المجاهدين، وهزائم الصليبيين، وسقوط الطواغيت، وانتشار الجماعات الجهادية. فكان هذه الانتصارات كانت نعيّاً له، لأن المهمة أنجزت، فانتهى وقت العمل والمشقة والعناء، وحان وقت الراحة والثوبة والجزاء.

يظن أعداء الأمة، أنهم بمقتلهم لقادة الجهاد ورموزه سوف يقضون على الجهاد. هيهات وكلا.

إنهم يغفلون عن حقيقة هامة، وهي أن موت الرجال في سبيل معتقداتهم، سبب من أسباب انتشارها واقتناع الناس بها. نعم ستكون دماء قادتنا وقوداً يشعل النار من تحت أقدام العدو.

أيها الصليبيون لقد ظفرت منا بظفر عظيم:

يا عصابة الشرك ما أعلى جدودكم لقد ظفرتم برب النصر والظفر
لقد ظفرتم بمن ما هزّ مُنصله إلا تحكّم في الهامات والقصر

لكن ذلك لن يفت في عضدنا، ولن يضعف جهادنا بإذن الله. ألا فاعلموا أنكم إن قتلتم اليوم أسامة، جاءكم غدا مليون أسامة. ألا فاعلموا أن أسامة هو الأمة، وإن الأمة هي أسامة. ألا فاعلموا أنكم لا تقتلون رجلاً واحداً، وإنما تقتلون أمة من الرجال:

[[إذا مات منا سيد قام بعده... نظير له يغني عنه ويخلف]]

ألا فاعلموا أن المجاهدين يقاتلون في سبيل الله، لا في سبيل الشيخ أسامة، وأن جهادهم ماض إلى يوم القيامة. فاستعدوا للنزال وملاقاة الرجال ومكابدة الأهوال.

أيها المسلمون:

نحن أمة جريئة يتخطّفها الأعداء، فلا وقت لدينا للبكاء، ولا مكان للعزاء. عزأؤنا الوحيد في قتال الأعداء، فعاهدوا الله تعالى ألا ترفع بعد اليوم للأمريكان راية في بلاد الإسلام. وسيروا على خطى شيخنا الهمام، واثأروا له بحمل راية الجهاد، ونبذ الخنوع والاستسلام. واحملوا على الأعداء حملة بأس وشدة، تنسيهم الأفراح وتجلب لهم الهموم والأتراح. وضاعفوا الجهود، يضاعف الله لكم الأجور.

من كان خارجاً للغزو فليخرج اليوم ولا يؤخر حين. ومن كان مجهزاً عشرة فليجهز عشرين. ومن كان قاتلاً مائة من العلوج فليقتل مئتين. واعلموا أن الحرب سجال، والأيام دول كما قال تعالى:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. [آل عمران: 140].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. [النساء: 104].

والمنتصر هو أشد الفريقين صبراً، وأمضاهم عزيمة كما قال الشاعر:

[[سَقَيْنَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا... وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرًا]]

ومعاذ الله أن يكون أعداء الدين أشد منا صبراً، وأمضى عزيمة وأقوى شكيمة. فاصبروا على جهادكم، وصابروا لقتال أعدائكم، ورابطوا في ساحات الثغور. واعلموا أن الأعداء إنما يريدون من استهداف القادة تفريق الكلمة، وبث الاختلاف، فاحرصوا على الاجتماع والسمع والطاعة للأمراء، وأبشروا بنصر الله الذي وعدكم به.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾. [الصفات: 173].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾. [المائدة: 56].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. [غافر: 51].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. [محمد: 7].

فهو وعد من الله أكيد، فاستبشروا وأيقنوا به، وسيروا على درب الجهاد.

اللهم تقبل شهيد الأمة، واخلفه في أهله وأمته بخير.

واجعل استشهاد نارا على أعداء الله، ونورا ينيّر الطريق للمجاهدين في سبيل الله.

والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

ولعل أبلغ قصيدة قيلت في رثاء الشيخ أسامة، هي قصيدة بعنوان الرجولة⁽²⁷¹⁾، يقول ناظمها:

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| ماذا فعلت بنا يا أسامة | فالكل يرمي علينا سهامه |
| وصرنا نلاماً ومهما فعلنا | فبأي عذرٍ نرد الملامه |
| فأنت تُقاتل جيشَ الصليبِ | ونحنُ نُهرولُ خلف الحمame |
| ولما ارتضينا بسلمٍ مذلٍ | بغوا واستباحوا لديني حرامه |
| وأنت تقودُ أسود الوغى | ونحنُ نقلدُ فعل النعامه |
| قعدنا لنبكي مثل النساءِ | على ما يدورُ بأرض الشهامة |
| وبالأمس كنا نُعدّ رجالاً | وكدنا نصدق تلك العلامة |
| فزهو بطول الشوارب منا | وصوتٌ غليظٌ وعرضٌ وقامة |

(271) قصيدة بعنوان الرجولة من أرشيف الجبهة الإسلامية العالمية 1.

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| حتى أتيت فضغت المعاني | فبدل كل دعي كلامه |
| لأن الرجولة قول وفعل | وأن الرجولة تعني الكرامة |
| وأن الرجولة توحيد رب | بكل العبادة ثم استقامة |
| وأن الرجولة حب لدين | يكون الجهاد بأعلى سنامه |
| وأن الرجولة زهد وترك | لدنيا وجاه رفيع مقامه |
| وأن الرجولة عزم وصبر | على النازلات وعسر الإقامة |
| وأن الرجولة كر وفر | ونصر من الله يرجى تمامه |
| وأن الرجولة ثوب ولحية | ونور يفوق بياض العمامة |
| فهل بعد تلك الفعال فعلاً | ومن ذا يطالك قدراً وهامة |
| أعيدوا كتابة كل المعاجم | فإن الرجولة تعني أسامة |

جوانب من زهد الشيخ أسامة رحمه الله:

رغم أنه كان من فضل الله عليّ، مرافقة وملازمة الشيخ أسامة رحمه الله عن قرب لتسع سنوات كاملة، إلا أنني أجد نفسي عاجزاً عن الكتابة عن مناقب ومكارم أخلاق ذلك الشيخ الجليل، وحسي في ذلك أن الكثيرين من محبي الشيخ أسامة، قد طرّقوا هذا الباب، وأشبعوه بما فيه الكفاية عن إعاداته. فقط أريد أن أذكر هنا بعض المواقف العظيمة للشيخ أسامة التي شهدتها بنفسي، والتي تبين وتدلل على مدى عظمة وثقل هذا الرجل، وزهده في هذه الدنيا.

فكما هو معلوم للجميع، أنّ الشيخ أسامة بن لادن كان من عائلة ثرية، تقدّر ثروتها بمئات الملايين من الدولارات. وبعضهم كان يقدر ثروة الشيخ أسامة فقط، بثلاث مائة مليون دولار، ومع ذلك، كل هذه الملايين، كانت بالنسبة للشيخ أسامة صفرًا على الشمال، ولم تكن له شيئاً غير تسخيرها كلها للجهاد والإنفاق في سبيل الله.

فذات يوم، كنت والأخ طلحة السوداني رحمه الله، جلوساً مع الشيخ أسامة في بيته في السودان. وكان الحديث يدور حول الترف والزهد في الدنيا. فحكى لنا الشيخ أسامة، أنه في ثمانينات القرن الماضي، كان يسكن مع زوجاته الأربعة وأبنائه في بيت شعبي - سقفه من خشب - في حيّ شعبي من أحياء جدّة. وكأن أخوه الكبير عميد العائلة - بكر بن لادن حفظه الله - لم تطب نفسه أن يرى أخاه يعيش في ذلك البيت الشعبي، وكأنه أحب أن يراه ساكناً في مكان يليق

بوضعهم ومكانتهم الاجتماعية، فبنى قصرًا فخماً على نفقته الخاصة، وأراد أن يقدمه هدية للشيخ أسامة ليسكن فيه. فسألنا الشيخ أسامة قائلاً: كم تقدرون قيمة القصر؟ فابتدرت مجيئاً حسب تصوّري المتواضع لما أرى من بيوت الأغنياء في السودان، فقلت: مليون ريال. فتبسم الشيخ أسامة وكاد أن يضحك وقال زد. قلت مليونين، قال زد. قلت خمس ملايين، قال زد. قلت عشرة ملايين، قال زد. قلت عشرون مليون، قال زد. قلت أمعقول هذا يا شيخ؟ فقال: ثمانون مليون ريال. وأضاف أن هذا القصر بهذه القيمة، يعتبر قصرًا متواضعًا مقارنة مع قصور كبار التجّار في بلاد الحرمين.



الأخ الأكبر للشيخ أسامة، الشيخ بكر بن لادن حفظه الله

أصاب كلانا هذا الكلام بصدمة بالغة جعلت كل منّا فاغراً فاه من الدهشة. وظللت أتمتم بيني وبين نفسي وأقول، أمعقول هذا؟ ثمانون مليون ريال، تعني أكثر من عشرين مليون دولار. لا أظن أنه حتى البيت الأبيض، من الممكن أن يكلف بناؤه وتأسيسه هذا المبلغ اليوم. ولك أن تتخيل معي أيها القارئ العزيز، كم تعادل قيمة هذه الثمانون مليون ريال اليوم، بعد أكثر من ثلاثين سنة. ولك أن تتخيل قصرًا بقيمة ثمانين مليون ريال سعودي في ثمانينات القرن الماضي، ماذا يمكن أن يكون فيها من نعيم الدنيا وزينتها وزخرفها. أترك ذلك لخيالك الواسع، ولكن إياك أن تتخيل أيها القارئ العزيز، أن الشيخ أسامة رحمه الله، قد تسلل إلى فكره لحظة ولو قيد أنملة، السكن في ذلك القصر. فما كان منه إلا الاعتذار لأخيه بصورة لطيفة، عن عدم رغبته وأبنائه السكن في ذلك القصر.

كذلك عندما جاء الشيخ أسامة إلى السودان قادمًا من باكستان في منتصف عام 1991م، كان الإخوة المتواجدين في السودان قد استأجروا له بيتًا في حي الرياض بالخرطوم، عبارة عن عمارة صغيرة متواضعة من ثلاثة طوابق، وكانوا قد أسسوا البيت تأسيسًا فاخرًا - يليق بمكانة الشيخ أسامة - كالأسرة والكنب وكراسي الجلوس الفخمة وإلى غير ذلك. وعندما جاء الشيخ أسامة إلى السودان، أمر بأن يُؤخذ كل ذلك الأساس الفاخر إلى المستودع، ولم يُبق في البيت إلا أساسًا في غاية التواضع.

وكان الشيخ أسامة قد اشترى قطعة أرض في حي سوبا - جنوب شرق الخرطوم - بنى فيها أربعة بيوت من الطين ليسكن فيها، وكان كل بيت عبارة عن غرفتين 4 متر x 4 متر، بينهما ردهة صغيرة بطول الغرفة وعرض ثلاثة أمتار، ومطبخ وحمام وحوش صغير في الخارج. وكانت هذه البيوت مسقوفة بألواح الزنك، وسمّرت عليها من الأسفل ألواحًا رقيقة من خشب الموسنايط لتفادي الحرارة. وكان الشيخ أسامة على وشك الانتقال للسكن في هذه البيوت، غير أن الله عز وجل أراد له أمرًا آخر، فساقه سوقًا إلى أفغانستان كما تقدّم ذكره.

وعن زهد الشيخ أسامة بن لادن وترفعه عن كل أسباب الترف، يقول شيخ المجاهدين الإمام عبد الله عزام رحمهم الله جميعًا:

"وفي هذه المناسبة نرجو الله عز وجل أن يحفظ أخانا أبا عبد الله أسامة بن لادن، فهذا الرجل ما تفتحت عيناى على رجل مثله في الأرض أبدًا، يعيش في بيته عيش الفقراء. كنت أنزل في جدة في بيته عندما أذهب للحج أو للعمرة، ليس في بيته كرسي ولا طاولة أبدًا. كل بيت، متزوج من أربعة وليس في أي بيت من البيوت كرسي ولا طاولة، أي عامل من الأردن أو مصر بيته أحسن من بيت أسامة، فيه أثاث أو مثله، ومع ذلك في لحظات تطلب منه مليون ريال يكتب لك شيكًا بمليون ريال للمجاهدين" (272).

وكانت وثائق أبوت أباد الدفعة الرابعة، قد كشفت عن وثيقة عبارة عن وصية للشيخ أسامة، يطلب فيها رحمه الله من إخوته وأخواته وخالاته وذريته أن يميزوا وصيته تلك، وذلك بأن تصرف جميع أمواله التي في السودان على الجهاد في سبيل الله. وجدير بالذكر أن الشيخ أسامة رحمه الله

(272) أسامة بن لادن، مجدد الزمان وقاهر الأمريكان. لفارس آل شويل.

كان قد أوقف قبل ذلك كل ثروته على الجهاد في سبيل الله، وكان مما سمعته من بعض المقربين منه أنه أنفق على الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات أضعاف ما أنفق على الجهاد في أفغانستان، وعندما قام الجهاد في أفغانستان كان الشيخ أسامة هو رائد هذا الباب بلا منازع، وأشهد الله أني قد عملت مع الشيخ سعيد المحاسب (مصطفى أبو اليزيد) رحمه الله في مكتب المحاسبة في بيشاور لمدة ثلاث أو أربعة أشهر كنا نصرف فيها من أموال الشيخ أسامة على مصارف الجهاد أكثر من مأتي ألف دولار شهرياً، وكانت هناك مصارف أخرى أضعاف أضعاف هذا المبلغ على الذخيرة والسلاح وغيرها كان غيرنا يتولّى صرفها. كذلك أنفق الشيخ أسامة أموالاً طائلة على جهاد الشيوعيين في اليمن، وعلى الجهاد في مصر والصومال والجزائر وأماكن أخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين
أما بعد
أنا الموقر أدناه أسامة بن محمد بن عوض بن لادن
بالنسبة للأموال التي في السودان تحصل تقريباً إل تسعة وعشرين
مليون دولار استلمت منها مليون ونصف ألف في السودان
من تسعة الف في جلال أباد كم مليون ونصف المليون في قندهار
تقريباً والقول قول الوسيط
منها تسعة عشر مليون دولار من طرف أخن بكر بن محمد بن لادن
نيابة عن شركة بن لادن لاستثمارها في السودان
والتي أخرجوني وأخرجوني وأخرجوني وأخرجوني
وهي أن تصرف جميع الأموال النقدية في السودان على القتال في سبيل
الله تعالى

مقطع من وصية للشيخ أسامة بأن تصرف كل أمواله التي في السودان على القتال في سبيل الله (273)

(273) وثائق أبوت أباد، الدفعة الرابعة.

ومن مفارقات أقدار الله العجيبة بعد كل ذلك، أن الأحوال والظروف المادية للجماعة كانت قد ضاقت كثيراً بعد عمليات نيروبي ودار السلام، وذلك بعد أن أوقفت الحكومة السودانية النزير اليسير من مستحقات الشيخ أسامة⁽²⁷⁴⁾ التي كانت تأتي من السودان. وعلى إثر ذلك أعلنت الجماعة حالة التقشف، وربط الأزيمة على البطون، فُقِّلَصَت ميزانيات اللجان إلى الحد الأدنى الذي يسمح فقط بقيام الأعمال الضرورية. كذلك حُقِّضَت كفالات الإخوة المتزوجين إلى النصف تقريباً، حتى أن بعضهم كان عندما يستبدل كفالته بالعملة المحلية، يستبدلها بالعملات ذات الفئة الورقية الصغيرة، طمعاً في كسب شيء يسير من الروبيات، زيادة على الاستبدال بالفئات الورقية الكبيرة.

وذات يوم بعد أن أدينا صلاة الظهر في مسجد القرية الصغير بمجمع المطار في قندهار، وقف الشيخ أسامة رحمه الله ليتكلم، وبعد أن حمد الله كثيراً وأثنى عليه قال:

"لم أكن أتوقع أنه سيأتي عليّ يومٌ في حياتي أفرح فيه بخمسة آلاف دولار. فبالأمس القريب جاءتنا خمسة آلاف دولار من أحد المحسنين في إحدى الدول، ويعلم الله كم كان فرحي بها عظيماً جداً".

كانت كلمات قلائل، دقائق معدودات على أصابع اليد الواحدة، لكنها كانت كافية لتترك أثراً عميقاً في نفوسنا جميعاً، فتمتعت الشفاه بالحمد والشكر والثناء لله عزّ وجل، وفاضت العيون بالدموع، غير أنها لم تكن دموع فرحٍ بسبب قدوم المال - قلّ أو كثر - طمعاً في تحسين ظروفنا وأحوالنا. كلاً وألف كلاً، لم يدّر ذلك بخلد أحدنا قط. فقد كنّا والله الحمد مع هذه الضائقة العابرة، نأكل وجبتين في اليوم بدل ثلاثة، بينما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه في شعب أبي طالب، يُسمع صراخ أطفالهم من الجوع خارج الشعب. لكنها كانت دموع إجلال وإكبار لذلك الجبل الأشم. ذلك الشيخ الجليل، الذي كما يقولون ولد وفي فمه ملعقة من ذهب، يملك من متاع الدنيا المئات من الملايين من الدولارات، التي تمكنه إن أراد أن يخوض في متاعها، أن يكون من أكثر أهل الأرض ترفاً ومتعةً ورفاهيةً، لكنه آثر ما عند الله فهو خير وأبقى. فها هو ذا بيننا يعيش كما نعيش في مجمع المطار قرب قندهار، ذلك المجمع الذي كان ملاذاً آمناً

(274) بعد عمليتي نيروبي ودار السلام جمّدت حكومة البشير كل أعمال الشيخ أسامة، وحصرت كل أصول شركاته وتمّ تقييمها بما يقارب الثلاثين مليون دولار.

لأغنام البدو. لقد كان مجمّعًا كما يقولون خارج التغطية، فليس فيه شيء من عالم الشبكات، حيث لا شبكة مياه جارية، ولا شبكة كهرباء سارية، ولا شبكة مجاري وصرف صحي سوى حفرة بعمق متر في الأرض ابتدعها الإخوة خلف الحمام، مغطاة بسقف من حصير القش، عليه طبقة من الطين. لقد كان ذلك المجمّع زاخرًا وعامرًا بجميع أنواع الشبّاك العنكبوتية على السقوف والحيطان، إضافة إلى جحور الحيات والفئران.

أما إذا تجوّلت أيها القارئ العزيز في فناء قصر الشيخ في ذلك المجمّع، فلن تجد في قاموسك كلمات مناسبة، تعبّر بها عن وصف ما ترى سوى دموعًا تكحل بها عيناك، وكلمات إجلال وإكبار لهذا الشيخ الجليل تتمم بها شفّتك فتقول: "أتعبت من بعدك يا شيخ". لقد كان قصر الشيخ أسامة رحمه الله مكونًا من أربعة بيوت، أحدها كان شبه مدمر، جعلوه مربطًا للخيل، وثلاثة منها كانت لزوجاته وبناته، وأمام مدخل كل بيت كانت هناك عريشة من حصير القش للمقيل تحتها. وجعل الشيخ أسامة من فناء بيته مركزًا للبحوث الزراعية، يجرب فيه زراعة بعض المحاصيل والخضروات بطرق مثاليّة محسّنة، حتى أن بعضها بلغت أحجامًا قياسية، أظن أنها فاقت الأحجام المذكورة في موسوعة "جينيس" العالمية. وبالطبع لن تجد تفسيرًا لذلك سوى أن تقول: بورك يداك يا شيخ.

ولما كان كل بيت من بيوت الشيخ أسامة عبارة عن غرفتين ومطبخ وحمام، فسوف يلفت انتباهك أيها القارئ العزيز وجود خيمة منصوبة أمام أحد البيوت، فحسبك أن تعلم أنها كانت لفلذات أكباد الذكور يسكنون فيها، لأنه لم يكن هناك متّسع لهم من غرف البيت، فإحدى الغرف كانت للشيخ وأهله، وكانت الغرفة الأخرى لبناته.

والغريب، رغم أنّنا جاورنا الشيخ أسامة سنوات في ذلك المجمّع، إلّا أن أيّ منّا لم يكن يعلم أو يتصوّر أن فلذات أكبادهم كانوا يعيشون في خيمة، فلم نسمع بذلك أبدًا لا من الشيخ أسامة ولا من أيّ أحد من أبنائه. وكان بإمكان الشيخ أسامة أن يبني لهم غرفة في فناء البيت، لكنه لم يفعل، وبدون شكّ، كان يهدف من ذلك إلى تربية أبنائه وتنشئتهم على معاني الصبر والحشونة والرجولة والقوة، والزهد وذم الترف والتنعّم، لأن ذلك مما يعين على الجهاد في سبيل الله.



الشيخ أسامة في فناء بيته، ويبدو في الصورة بيت الخيل، كما تبدو أحواض الزراعة

وهذه قصيدة من كلمات حمزة بن الشيخ أسامة رحمهم الله جميعًا، يصوّر فيها حالهم:

أبتاه أين هو المفـر ومتى يكون لنا مقر؟
آه أبي كيف ما أبصرت دائرة الخطر؟
أكثرت ترحالي أبي بين البـوادي والحضر
أكثرت من سفري أبي بين وادٍ ومنحدر
حتى نسيت عشيرتي وبنى العمومة والبشر
ما بال منزلنا اختفى عني فليس له اثر؟
ما بال أمي لم تعد عجبًا هل طاب لها السفر؟
وأخي الحبيب فديته مر الزمان وما حضر
لم لا نرى في دربنا إلا الحـواجز والحفر
ألا إن أمريكا أتت في الخرج تعبث والخبر
فهاجرت مغتربًا إلى أرضٍ بها النيل انحدر
خرطوم بعد أن فتحت أبوابها أبت لي أن أقر

ثم ارتحلت مشرقاً حيث الرجال أولي الغرر
ثم ارتحلت مشرقاً حيث الرجال أولي الغرر
كابول ترفع رأسها رغم الخصاصة والخطر
كابول يبسّم ثغرها تؤوي وتنصر من حضر
الشيخ يونس خالص قد بدا ليث يُهاب إذا زار
وأخو الرجولة والإباء أميرنا الملا عمر
أبي لماذا أرسلوا وابل من القذائف كالمنطر
لم يرحموا طفلاً ولا شيخاً يحطمه الكبر
أبتاه ماذا قد جرى حتى يلاحقنا الخطر
أفداؤك البيت العتيق جريمة لا تغتفر
أثبتت أبي لا تبتغي عرض الحياة من البشر
الخلد موعداً إذا شاء الإله لنا الظفر
قل لي أبي فيما أرى قول مفيد ومختصر

فكان ردّ الشيخ أسامة عليه كما يلي:

أبني يكفى أني شبعاً بالآهات والحسر
عقد اللسان فمقلتي نبع ووجداني سقر
ماذا أقول ونحن في دنيا التكاثر والبطر
ماذا أقول لعالم أعمى البصيرة والبصر
أمم تباع وتشترى بيع السنابك بالغرر
عفواً بني فلا أرى بالدرب غير شديد منحدر
عقد مرت سنواته بين التشرد والسفر
عما تسألني؟ عن قوم أصابهم الخدر
هنا نحن في مأساتنا ذهب الأمان وبقي الخطر
دنيا الجرائم بني الطفل يذبح فيها كالبقرة
صهيون تقتل أخوتي والعرب تعقد مؤتمر

أذئاب أمريكا غدوا عميًّا فليس لهم نظر
حبر على ورق فلا صدقوا ولا ظهر الأثر
لم لم يسوقوا قوة تحمى الصغير من الضرر
هذه وربك وصمة كبرى يساق لها الخبر
غدرٌ يُجمّع أمره أيذود عنا أم غدر
خانوا الرسول وربنا وخانوا الرعية في سحر
إلى متى نقص الرجال والخوالف في غرر
يجب التحرك كيفما أتى لدفع الضرر
أقسمت بالله العظيم بأن أقاتل من كفر



حمزة بن الشيخ أسامة - رحمهم الله - متسائلاً في قصيدته: صهيون تقتل أخوتي والعربُ تعقد مؤتمر

سيرة القائدين أبي عبيدة البنشيري وأبي حفص الكمندان رحمهما الله (275):

أبو عبيدة البنشيري:

[[سيدكرني قومي إذا جد جد هم... وفي الليلة الظلماء يفقد البدر]]

أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، اسمه علي الرشيدي، رجل بأمة وأمة في رجل، رجل يشبه الرعيل الأول. فارس من فرسان النهار، وراهب من رهبان الليل، ورمز بارز من قيادات العمل الإسلامي في أمتنا، وأحد أعمدة العمل الجهادي الذين يشار لهم بالبنان.

سيرته حافلة بالأعمال الجهادية الخيرة، حيث كان يتميز برجولة فريدة، وبشكل فريد من الأخلاق العالية، من التواضع والبشاشة والتسامح والهدوء واحترام الناس وبالصبر والحلم. وكان يتميز بقوة الشخصية، وبالرأي السديد وحسن الإدارة، وكان الرجل الخفي في زمام الأمور التنظيمية والعسكرية إلى حد كبير. وكان يتميز بشخصية محبوبة بدرجة رائعة، ويتميز باللين والبساطة وحلاوة المعشر، لم يتصرف بغلظة أو يناقش بوقاحة أي إنسان، وكان وقافاً عند الحق.

رحلت عن الحياة فما جزعنا
برغم الحزن والدمع الصيب
رضينا بالقضاء رضئاً يقيناً
وتسليماً لغفار الذنوب

كان من أبناء الحركة الإسلامية الجهادية الأوائل في مصر، واعتقل بعد أحداث السادات في عام 1981م، حيث أن أحد قاتلي السادات، وهو عبد الحميد عبد السلام، كان عديله، فقد كانا متزوجان من أختين. وكان الشهيد أبا عبيدة رحمه الله، قد عمل في جهاز الشرطة فترة من الزمن، ثم بعد أن خرج من المعتقل، قرر المغادرة إلى أرض الجهاد في أفغانستان. كان يعتبر من أوائل الإخوة العرب الذين توافدوا إلى أرض الجهاد، وذلك في عام 1983م. أسكن أهله في بشاور، وكان يتوصى بهم أثناء غيابه أخ عربي يعمل في مؤسسة إغاثية، كان جاره وشريكه في المسكن. ثم انتقل إلى أرض أفغانستان، والتحق بقافلة إلى الشمال، وكان معه صديقه أبو سهل المصري (أبو سهل الكبير)، ومجموعة من الإخوة العرب والأفغان. وكانت الرحلة إلى شمال أفغانستان وقتها تقدر بمسيرة شهر، حيث بعد المسافة ووعورة الطريق والثلج، وغير ذلك من ترئص العدو بهم وتجنّب الكمائن.

(275) نشرة معسكر البتار العدد 12 مقال بعنوان: أبطال الإسلام في هذا الزمان. بتصرف.

حفظ رحمه الله القرآن في الطريق إلى الشمال، واستوطن وادي بنشير (الوادي المعروف بصعوبة تضاريسه وكثرة العمليات فيه، لرغبة الروس تأمين طرق الإمدادات من وإلى أفغانستان). شارك في عمليات كثيرة، وأبلى بلاء حسنًا، وتمرس في الجهاد، فأصبح مرجعًا عسكريًا في التخطيط للعمليات الجهادية لدى الإخوة العرب، وشهد له الجميع بذلك. ثم عاد مرة أخرى من بنشير، وأصبح يلقب (بأبي عبيدة البنشيري). ثم شارك مع الشيخ جلال الدين حقاني - رحمه الله - في معارك في قرديز وخوست.

تعرف على الشيخ أسامة في بيشاور عام 1986م، وشارك في معارك مأسدة الأنصار في منطقة جاجي الاستراتيجية، حيث أنها كانت طريق الإمداد الرئيسي للجهات المهمة في كابل ولوقر وغيرها. ولما جاءت عملية شعبان ورمضان الشهيرة 1407هـ، كان الشيخ أبو عبيدة البنشيري رحمه الله، نائبًا للشيخ أسامة في قيادة المعركة. وفي هذه المعركة أثبت الشيخ أبو عبيدة حنكته العسكرية، وأسلوبه البارز في القيادة، فكان ينوب عن الشيخ أسامة في جميع أمور الجهات والتدريب، ويعتبر الرجل الثاني. وكان الجميع يرغب في مجالسته والنهل من علومه، فقد كان له اطلاع في المسائل الشرعية، وإن عرجت على العلوم العسكرية وجدته علمًا، وإن أتيت لطلب المشورة والنصيحة لن تجد صدوقًا مثله ومثل صواب رأيه.

شارك في تأسيس القاعدة منذ أيامها الأولى، وأصبح اليد اليمنى للشيخ أسامة - رحمه الله - وأشرف على معسكرات التدريب والإعداد. ولم يكتف بساحة أفغانستان، فبعد انتهاء الجهاد هناك، وسّع من نشاطه لقارات أخرى، فزار بلادًا عديدة بآسيا وأفريقيا. وكان رحمه الله، يشغله توفير الدعم للجهاد في سبيل الله، وكان أكثر وقته مرتحلًا لهذا الأمر، حتى وافته المنية. ولعل من أهم أنشطته مشاركاته في إنعاش الجهاد في شرق أفريقيا عامة والصومال خاصة.

علاقته بالشيخ أسامة بن لادن:

كان الشيخ أسامة - رحمه الله - لا يجلس مجلسًا إلا وطلب الشيخ أبا عبيدة، وإن غاب ذكر الشيخ أبا عبيدة بالخير، وإن أراد مشورة اهتم برأي الشيخ أبي عبيدة. وكان الشيخ أسامة بن لادن في بيشاور يقول: "من نعم الله علي، أن أتيت للجهاد الأفغاني حتى أتعرف على الشيخ أبي عبيدة". وفي معركة جلال آباد في عملية الانخياز عام 1409/9/2هـ، تقدم العدو بأكثر من 36 دبابة، وقذف أكثر من 11 صاروخ سكود على موقع سراقه، وكان هناك قصف بالطائرات لقنابل

الغازات السامة صرفها الله. وبعد مقتل شفيق المدني وما شاهده الشيخ أسامة من تدفق العدو ومحاصرة المجاهدين، رأى الانحياز إلى مركز الزهراني خلف جبل ثمر خيل، وكان ذلك فتحًا عسكريًا من الشيخ أسامة. وكان آخر المنحازين هو الشيخ أبو عبيدة، حتى يخرج الشباب من المنطقة حتى لا يقعوا في الأسر. ورجع الشيخ أسامة إلى طورخم، وكان مشغولًا بسلامة الشيخ أبي عبيدة، وكان يسأل كل من يأتي هل انحاز الشيخ أبو عبيدة؟ هل رجع إلى مركز الزهراني؟ ومن فضل الله نجح الشيخ أبو عبيدة في الانحياز، حيث تأخر رحمه الله مع أحد المصابين من الإخوة الليبيين، فكان من آخر المنحازين. وتم إبلاغ الشيخ أسامة بالخبر، فما كان منه إلا أن سجد لله شكرًا.

زهد الشيخ أبي عبيدة وأهله:

وعندما كان الشيخ أبو عبيدة في السودان، كان متاعه متاع عابر سبيل. ويروى أن زوجته احتاجت في وقت حملها بابنها أحمد إلى خادمة، فأتى بخادمة تساعدها بضع ساعات في اليوم. فأنت الخادمة لكي تعمل، فلم تجد في الشقة إلا سرير أبي عبيدة، وسريرين لأولاده مع أنهم أربعة، وفرشة حصير في الصالة، والثلاجة والبوتوغاز فقط لا أكثر، وإذا بها تسأل أين العفش؟ أين التلفزيون؟

غرقه في بحيرة فكتوريا:

في شهر ذي القعدة من عام 1416هـ، كان الشيخ أبو عبيدة في تنزانيا مسافرًا بالباخرة على بحيرة فكتوريا، وقدر الله ركوب أعداد كبيرة في نفس القارب يفوق العدد المسموح به، وكان هذا الأمر بعد صلاة الفجر، وفي وسط البحيرة ومع شدة التيارات المائية وكثرة أعداد الركاب، مالت السفينة وغرق من في داخلها ولم ينج إلا القليل. وكان من الناجين أحد أصهار الشيخ أبو عبيدة. واستمرت جهود انتشال جثث المغرقين، ولكن الشيخ أبا عبيدة قدر الله ألا يكون له قبر.

حزن عليه الشيخ أسامة⁽²⁷⁶⁾ وجميع الإخوة حزنًا شديدًا، وترك عدة أبناء منهم (مريم - وعلاء - وعبد الرحمن - وأحمد) نسأل الله أن يرعاهم بعنايته. وكانت الحكومة المصرية إلى وقت طويل، تشكك في وفاته، بل من المضحك أنها حكمت عليه بالسجن المؤبد، مع أنه ميت ولديها

(276) كان الشيخ سيف العدل هو الذي أخبر الشيخين أسامة وأبي حفص رحمهما الله عن وفاة الشيخ أبي عبيدة رحمه الله، فدخل الشيخ أبو حفص في حالة بكاء شديدة جدًا. واغتم الشيخ أسامة وقال للشيخ سيف: "لن تجد الجماعات الجهادية شخصًا مثل أبي عبيدة رحمه الله".

معلومات أنه قد مات، وخاصة بعد رجوع زوجته إلى مصر بأبنائها، نسأل الله أن يحفظهم بحفظه. كان من آماله توحيد جماعة الجهاد والقاعدة، وقد سعى في ذلك حثيثاً، ولذلك ذكره الشيخ الدكتور أيمن الظواهري في كلمته يوم الوحدة بين جماعة القاعدة والجهاد، فقال ما معناه:

"وفي هذا الحفل، فليني لأذكر إخوة كراماً، كان يسرهم أن يكونوا بيننا اليوم، ليشهدوا هذا الحدث الكبير، وأحسب منهم أخانا الكبير الشهيد - ولا نزيهه على الله - الشيخ أبا عبيدة البنشيري. فتم قرير العين يا أبا عبيدة، فقد تحققت الوحدة التي كنت تأملها".

رحل الجندي المجهول بصمت، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ووالله إن كثيراً من فضل نصرته الجهاد في هذا الزمن بعد الله سبحانه وتعالى، ليصب في ميزان هذا الرجل، وبعض القلة من الأخيار، منهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله، والشيخ أسامة بن لادن، والشيخ أبو حفص (الكمندان) صبحي عبد العزيز أبو ستة رحمهم الله جميعاً. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلَ»، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْعَرِيقُ شَهِيدٌ»، وفي رواية وصاحب الهدم شهيدٌ).

نسأل الله أن يجعلنا من جلساء القوم الذين لا يشقى بهم جليس.

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| يا طائرًا ما يستكين ولا يني | ويرى الجهاد عقيدة وتفان |
| قد نلت ما ترجوه شهماً ماجداً | ما كنت يوماً في الدنا بجان |

الشيخ أبو حفص المصري (الكمندان) ⁽²⁷⁷⁾ رحمه الله:



أبو حفص الكمندان، كما كان الإخوة ينادونه، اسمه: صبحي عبد العزيز أبو ستة الجوهري، من قبيلة أبو ستة، وهي قبيلة عدنانية هاجرت من فلسطين لمصر. ولد وترعرع في أرض الكنانة في 17 يناير عام 1958م، عمل مهندس زراعي في مدينة كفر الدوار بمحافظة البحيرة. عمل كضابط احتياط بالجيش المصري برتبة ملازم أول.

كان من فضل الله عليه أنه كان من السابقين الأوائل الذين نفروا لنصرة للجهاد في أفغانستان، وكان ذلك عام 1402هـ، الموافق لعام 1981م، ولما كان الشيخ أبو حفص يريد من هجرته وجهاده أن يعيد لهذه الأمة مجدها وعزّها ويرفع رأسها عاليًا، ادّخر الله له من الفضل بأن رفع ذكره، وجعله من الذين يزرعون الرعب في قلوب أعداء الإسلام فتطير قلوبهم خوفًا من مجرد ذكر اسمه، فقد كان رحمه الله - بحكم خبرته في الجيش المصري - شعلةً من شعل المجال العسكري الذي كان متخصصًا فيه، وبجانب التدريب الذي عكف عليه، كانت بصماته لا تخفى في كثير من العمليات العسكرية التي شارك فيها بالتخطيط والتنفيذ.

(277) نشرة معسكر البتار العدد 13 مقال بعنوان: أبطال الإسلام في هذا الزمان. بتصرف كبير.

كان رحمه الله أحد المؤسسين البارزين لتنظيم القاعدة. وبعد استشهاد الشيخ أبي عبيدة البنشيري، تولى الشيخ أبو حفص نيابة الشيخ أسامة، وكان مثلاً للخلق والأدب الرفيع، والسماحة والكرم والزهد، وكان نافراً من الخلافات والمشاحنات، مقبلاً على العمل والعطاء والحرص على مشاعر إخوانه، فعكف على تدريب الشباب وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

وفي جاجي شارك الشيخ أبو حفص - رحمه الله - في معارك مأسدة الأنصار التي نصر الله فيها المجاهدين نصراً عزيزاً مؤزراً على أعتى وأقوى قوة على وجه الأرض في ذلك الزمان. ولقد أبلى بطلنا في المعركة بلاءً حسناً كما يخبر عنه من عاشروه في تلك المعركة. ثم شارك في معارك جلال أباد القوية، وأصيب فيها بجرح نافذ في الصدر مماس للحجاب الحاجز - لكن لم يخترق البطن - من قذيفة كسرت ذراعه وضلوعه، فله دره من مجاهد صنديد، بطل شجاع غير هيب للعدو.

وبعد أن انتهى الجهاد في أفغانستان، وانقلابه إلى قتال بين الأحزاب على الكرسي، لم يشارك الشيخ أبو حفص في هذه الفتنة، بل ذهب مع رفيق دربه وحبيبه الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله إلى السودان، ليعد العدة لتحرير الأمة الإسلامية من الذل والهوان الذي تعيشه، وليجهز لقهر العدو الذي جثا على صدر أرض النبوة والرسالات، أرض محمد ﷺ، واستباح بيضتها وقديستها. وفي أول خطوة لهذه المعركة الحاسمة، قاد الشباب إلى أرض الصومال وأوجادين التي نزل بها الأمريكان ليستيحوها كما استباحوا جزيرة العرب من قبلها. وفي أول مواجهة مع الأمريكان، لم تدم المعركة طويلاً حيث قتل فيها عدد قليل من الجنود الأمريكان، فروا بعدها في ليل أظلم لا يلوون على شيء، وخرجوا من أرض الصومال يحرون أذيال الهزيمة، ليشبتوا للعالم كما وصفهم الشيخ أسامة رحمه الله، أنهم ما هم إلا نمر من ورق.

وبعد ذلك تأكد لقادة تنظيم القاعدة المبارك أنه بإمكانهم قهر وهزيمة أمريكا وإمكانات بسيطة، فهي ضعيفة وأضعف مما كانوا يتوقعونه؛ إذاً لابد من إعداد الشباب للمعركة الفاصلة مع أمريكا، وإنشاء معسكرات تدريب لهم. وهياً الله لهذا الأمر أسبابه، فمالت الحكومة السودانية بقيادة البشير مع عواصف الضغوط الأمريكية، واستجابت - بعد كل الذي قدمه لهم من خدمات راقية وإصلاحات واسعة - بأبعاد الشيخ أسامة ومن معه من السودان إلى أرض الهجرة والجهاد؛ أرض أفغانستان الأبية، لتبدأ بعد ذلك المرحلة التي طالما انتظرها الشيخ أسامة ورفاقه الميامين.

ولما علم الشباب المؤمن الصادق برجوع الشيخ أسامة ومن معه مرة أخرى إلى أفغانستان، بدءوا يتوافدون ذرافاتٍ ووحداً من كل حذب وصوب، فاستعادت المعسكرات نشاطها، ودبت فيها الحياة من جديد.

وكان الشيخ أبو حفص رحمه الله كالنحلة التي لا تهدأ ولا تكل ولا تمل من العمل، فهو المسؤول عن كل النشاط العسكري لتنظيم القاعدة، بدءاً بالمعسكرات، مروراً بجبهات القتال مع الطالبان، وانتهاءً بكل العمليات الخارجية المباركة، حيث شارك في كل خطوة من خطوات التخطيط والمتابعة لها. وكان رحمه الله يعد لإنشاء جيش إسلامي نظامي لتحرير بلاد المسلمين، وكان ينصح الشباب المدرّبين أن يتخصص كل منهم في تخصص عسكري، سواء في المدفعية والإسناد، أو في الهندسة العسكرية والألغام، أو في الاقتحام والتقدم، أو في الأسلحة المضادة للطائرات؛ ليكونوا نواة لهذا الجيش المبارك ولكنه رحمه الله، استشهد قبل أن يرى ذلك الجيش.

ولما اكتملت خطوات العمل الخارجي، وجهت القاعدة أولى ضرباتها المباركة لهبل العصر في عملية هزت العالم أجمع، أطارت عقل أمريكا وجعلها توقن بأنها أمام عدوٍ يصدّق قوله بفعله، خبط كل أوراقها وموازينها وحساباتها، حيث جاءت الضربات في مكان خاب كل توقعاتها، حيث ضرب مركز استخباراتها في أفريقي، ولا عجب بعد ذلك إذا علمنا أن مخطط العملية هو الأسد الهصور الشيخ أبو حفص الكومندان رحمه الله، ولا عجب بعد ذلك أيضاً أن يكون ترتيبه الثاني في قائمة أكثر المطلوبين لأمريكا، وأن تضع أمريكا أكبر مكافأة في تاريخها، وهي خمسة وعشرون مليون دولار، لمن يدلي بمعلومات تؤدي للنيل من شخصه.

وبفضل الله تواصلت الضربات بتفجير المدمرة كول في عدن، ومن بعدها الغزوات المباركات في نيويورك وواشنطن، وكان للشيخ أبي حفص رحمه الله نصيب كبير في التخطيط والترتيب لهذه العمليات، وكان شديد الإعجاب بالإخوة المنفذين لها، وخاصة القائد البطل الشهيد - كما نحسبه - مُجَّد عطا عندما سأله: "وماذا يمكن أن نعمل من أجل فلسطين؟" ظل أبو حفص رحمه الله متذكراً لذلك السؤال، ومتأثراً به.

لقد فعلت الكثير يا مُجَّد عطا، وحسبكم من الشرف والفضل أنكم قد نكّستم رأس أمريكا، فعلا بفعلكم التكبير في أفغانستان وجميع الدول الإسلامية على هذا النصر التاريخي المشهود، وعمت الفرحة، وابتهجت النفوس، ووزعت الحلوى، وبكى الفلسطينيون فرحاً على أن هياً الله لهم

من ينصرهم، ويأخذ بثأرهم، ويدافع عن حقوقهم المسلوبة، ويغضب لبكاء عजाثرهم وأطفالهم وشيوخهم. فالحمد لله على النصر المؤزر، والشكر لله أولاً ثم للرجال المخلصين الأخفيااء الأنقياء الأطهار، العاملين بكل جدٍ خلف الأستار، ومنهم شهيدنا البطل الشيخ أبو حفص الكومندان رحمه الله.

وعندما بدأت الحملة الصليبية على أرض أفغانستان تركز البحث على أمير المؤمنين الملا عمر، وعلى الشيخ أسامة والشيخ أبو حفص، وعلى قيادات الإمارة الإسلامية الذين آووا ونصروا، كان الأمريكان يريدون القضاء عليهم بأي شكل من الأشكال، فاستعانوا بالجواسيس والعيون لترصد حركتهم، وألقوا المنشورات التي تعدُّ بالملايين لمن يدل بمعلومات تدل على مكائهم.

ولم تكن عزيمة الشيخ أبي حفص رحمه الله بعد أن اشتد عليه الطلب، بل ظل يخطط ويُعد الشباب ويجهزهم لعمليات موجعة على الأمريكان، رغم ما كان يعانيه في أواخر أيامه من آلام مبرحة في فقرات عموده الفقري. وكان ينصح الشباب بعدم التعرض للبرد الشديد فقد أصيب بآلام في عظامه أيام معارك جاجي، حيث كان شاباً ولا يبالي بالبرد، فأثر عليه ذلك في الكبر رحمه الله، وأكثر من الدعاء لله عز وجل بأن يرزقه الشهادة في سبيله التي طالما حلم بها وتمناها؛ فقد رق عظمه، وضعفت نفسه، وكبرت سنه، وقد رأى جزءاً من النصر الذي عمل له دهوراً بأم عينيه، واستجاب الله دعاءه بعد أن أعذر أمام الله عز وجل (نحسبه كذلك والله حسيه).

وكان عدد المقيمين معه في مأواه الأخير عدداً كبيراً يصل إلى العشرين أحياناً، وكان رحمه الله إذا اعترض عليه أحد الإخوة بأن ذلك العدد قد يكشف المكان للطائرات المغيرة أو للجواسيس، كان يجيب مبتسماً "الموت مع الجماعة رحمة". وبالفعل، في ليلة من ليالي رمضان المباركة، في بداية الغزو الصليبي أغارت الطائرات على مأوى الشيخ أبي حفص الكمندان، واستشهد معه في موكب محبة مهيب ستة عشر من الإخوة دفعة واحدة، عليهم رحمة الله جميعاً. ونجا أخوان بمعجزة حقيقية، أحدهما كان أسد ابن الشيخ عمر عبد الرحمن رحمه الله.

وفي اليوم الثاني بحث الشباب تحت الأنقاض عن جسد الشيخ أبي حفص، فوجدوه كأنه نائم وعلى وجهه نور وابتسامة، ولم يחדش بخدشة واحدة، وقد خرجت منه رائحة المسك، وشمها جميع من حضر.

وقد دفنه الشباب وهم يكون ألما ولوعةً على فراق أستاذهم وشيخهم، وفي نفس الوقت سعيون لنيله الشهادة في سبيل الله التي طالما تمنّاها بعد عمر طويل في الجهاد في سبيل الله؛ أكثر من 25 سنة قضاها في نصرة دين الله، وإقامة دولته، وقهر أعداء الله من الصليبيين واليهود وأذناهم، واستطاع أن يوجعهم مرارًا وتكرارًا فرحمه الله، ورضي عنه وبلغه منازل الشهداء.

وفرّح أعداء الله بمقتله ولم يتأكدوا من ذلك إلا بعد فترة طويلة، وكان قد دُفّن على قبره أحد الإخوة الذين دفنوه، وكان هذا الأخ قد وقع أسيرًا في أيدي القوات الأمريكية، وعندما سأله عن الشيخ أبي حفص أكّد لهم مقتله، وأنه قد دفنه بيده رحمه الله، ولم يصدّق الأمريكان وطلبوا من الأخ أن يدلّهم على قبره فدّهم، فنبشوا القبر وأخرجوا الشيخ أبا حفص، وأخذوا بصمات أصابعه، وعينات من شعره، ليتأكدوا عن طريق الحمض النووي من شخصيته.

أمّا الإخوة فقد حزنوا عليه حزنًا شديدًا، وبكوا لفراق شيخهم وأبيهم وعمهم وأخيهم الكبير، فلقد كان رحمه الله يحب الشباب المجاهدين حبًا شديدًا، وكان أيضًا يحب العمال الأفغان المساكين وكانوا يحبونه، الكل يحبه بل إنك تحبه من جلسة واحدة تجلسها معه، يوجه هذا وينصح هذا، ويربت على كتف هذا، ويبتسم في وجهه ذاك، يقتدي بالنبي ﷺ في كل شأنه حتى في تبسمه. ومن حبه للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، أن زوّج ابنته لمحمد بن الشيخ أسامة، رحمهما الله رحمةً واسعة، وجعل منزلتهم الفردوس الأعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الشيخ أبو محمد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) تقبله الله:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد.

ما أعظمه مفقوداً، وأكرمه ملحوداً، إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع البكاء المعالي والمحاسن، قد رزنا في أبي مُجَدِّ عالماً في شخص، وأمة في نفس، مضى والمعالي تبكيه، والمحاسن تعزى فيه، فقدناه في وقت نحن والأمة بأمرٍ الحاجة له، في زمن قلَّ فيه النصير، واشترأت فيه أعناق كل حقير، لقد كان بدرًا ينير لنا ظلمة الليل البهيم، ونجماً يدلنا على درب الحق القويم، هميم لا يعرف التراخي، شجاع لا يأبه بالأعادي، يصدق فيه قول القائل:

تميت الهموم وتحيي الهمم

همام له شيمة كالشمول

ونشر الثناء نسيم النعم

تنسمت نعمته بالثناء

بها والأقاليم تحت القلم

يد تقع الهام تحت الحسام

الشيخ أبو مُجَدِّ المصري عبد الله بن أحمد بن عبد الله الألفي تقبله الله، ولد في مصر سنة 1963م، نشأ فيها وترعرع، خرج للأردن لدراسة العلم الشرعي على يد العلامة الشيخ المحدث مُجَدِّ ناصر الدين الألباني رحمه الله، وفي سنة 1988م نفر للجهاد في أفغانستان بعد تأثره بالأحداث التي كان يمر بها الشعب الأفغاني المسلم على يد الروس الملاحدة، ومكث حتى خرج الروس من أفغانستان مهزومون مدحورون، واستمر رحمه الله في طريق الجهاد مع رفقاء دربه وعلى رأسهم الشيخ الإمام أسامة بن لادن رحمه الله، وكان من أعوان الشيخ أسامة في السودان، ومن كان لهم دور كبير في ترتيب صفوف المجاهدين في الصومال، وتدريبهم إبان دخول القوات الأمريكية سنة 1993م، وعندما عاد الشيخ أسامة رحمه الله لأفغانستان مرة أخرى، كان الشيخ أبو مُجَدِّ من طلائع العائدين معه، وهناك كان رحمه الله من العاملين المقدمين لنصرة الدين، وكان يعتبر الرجل الثالث في قاعدة الجهاد قبل بيعة الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله للشيخ أسامة، وانضمام جماعة الجهاد لتنظيم القاعدة، وفي العام 1998م كان الشيخ أبو مُجَدِّ المصري تقبله الله، هو القائم على عمليتي تفجير سفارتي أمريكا في كل من نيروبي العاصمة الكينية، ودار السلام العاصمة التنزانية، وبعد عودته إلى أفغانستان كان مسؤولاً على تدريب شباب المسلمين في معسكر الفاروق، وكان رحمه الله مع ما له من مكانة بين إخوانه، وعند قيادة المجاهدين، إلا أنه

متواضع لا تفرق بينه وبين أي مجاهد نفر حديثاً، وكان رحمه الله حيّاً، كريماً، صاحب خلق رفيع، وأنا عن نفسي أقول: لقد غير عندي أموراً خاطئة بخلقه الجم، وتعامله الراقي.

وبعد أحداث عمليات نيويورك وواشنطن المباركة - المعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر - عام 2001م، خرج من أفغانستان منحازاً، وخط رحاله في إيران، ليؤسر فيها هو وجمع من إخوانه من قيادات وأفراد تنظيم القاعدة، ليملك دهرًا من الزمن أسيرًا في سجون الرفضة في إيران، حتى منّ الله عليه وعلى جمع من الإخوة بالخروج من السجن على إثر صفقة تبادل بينهم وبين دبلوماسي إيراني أسره المجاهدون في جزيرة العرب، ليعيش بعد ذلك في إيران في إقامة جبرية، حتى أتاه أمر ربه شهيداً كريماً بأيّد الغدر والحقد، لتمتد إليه فتقتله غيلة، ليترجل عن جواده بعد أن شد لجامه ردحًا من الزمان مهاجرًا، مجاهدًا، صابرًا على شدة الطريق، ولأوائه، لم نسمع منه أنينًا مع كل ما مر به، ولم نره متوجعًا مع كثرة الآلام، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا.

رحلت أبا مُحمَّد عن ديانا الدنيّة، وتركنا بعدك في مشاقها المضنية، ولكنّ عزّاؤنا فيك أيها الحبيب أنك رحلت عنا شهيداً كريماً ماجدًا، ثابتًا على دينك، متمسكًا بمنهجك، ما غيرت ولا بدلت، فرحمك الله رحمة الأبرار، وتقبلك في زمرة الشهداء، ورفع درجتك في الفردوس الأعلى، وألحقنا بك شهداء في سبيله، غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين⁽²⁷⁸⁾.

(278) كتبه أمير قاعدة الجهاد في جزيرة العرب الشيخ خالد با طرني حفظه الله.

وخير ما نختتم به هذه الصفحات المختصرة من تاريخ القاعدة، كلمات مباركات للشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، خصّ بها إخوانه المجاهدين قائلاً لهم:

"وقفتم لنصرة الدين يوم قلّ الواقفون، وجاهدتم يوم قعد الخطباء والمحدّثون، وصدعتم بالحق يوم سكت الخائفون والطامعون، غيركم قال كما قال السحرة قبل أن يؤمنوا قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ فقال لهم الطاغية: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

وأما أنتم فالأجر والقرب من الرحمن ترجون، ذقتم حلاوة الإيمان فلم تغرّم حلاوة الدنيا - أحسبكم كذلك والله حسيبكم ولا أزكي على الله أحداً - جزاكم الله خير الجزاء.

وقفتم وما في الموت شك لواقف
تخوضون بحر الموت لا ترهّبونه
وحطمتم الأوهام والوهم يُكسر
ومن لا يهاب الموت لا شيء يحذر

حطّمتم الهالات الملقاة على الطغاة منذ عقود كذباً وزوراً، فهنيئاً لكم أن أنزّتم السبيل بدمائكم للملايين من الأجيال الناشئة لتستقيم على الصراط المستقيم، ولتجتنب سبيل الطغاة المجرمين، ففي الحديث: (فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) رواه البخاري.

فواصلوا المسير، ولا تهابوا العسير، وطهّروا جزيرة العرب من المشركين والزنادقة والملحدين، ولا تهنوا. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. ولا يغرنكم كثرة المخدّلين والمخالفين، فقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام، كما في صحيح مسلم: (لَا تَزَالُ عَصَابَةُ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ). فنقول للطاغية كما قال المؤمنون من قبل: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

فيا أيها المجاهدون، اصبروا وصابروا واحتسبوا، فهذا طريق الأنبياء، هجرةٌ ودماءٌ، وقتالٌ وأشلاءٌ، تخيفون العدو ويخيفكم، ولا يخفى عليكم أن أكثر قضايا الأمة اليوم سخونة؛ الجهاد في فلسطين والعراق فاحرصوا كل الحرص على نصرتهم" (279).

وأخيرًا، خير الكلام ما قل ودل:

في رسالته الثالثة إلى الشعب الأمريكي، أوضح الشيخ أسامة السبيل لإنهاء الحرب فقال: "إن الحرب إمّا لنا وإمّا لكم، فإن كانت الأولى فهي خسارتكم وخزيكم أبد الدهر، وفي هذا الاتجاه بفضل الله تجري الرياح، وإن كانت الأخرى فأقرؤوا التاريخ، فإننا قوم لا ننام على الضيم، ونطلب الثأر مدى العمر، ولن تذهب الأيام والليالي حتى نشأر كيوم الحادي عشر من سبتمبر بإذن الله، و بهذا يظل ذهنكم مكدودًا، وعيشكم منكودًا، ويصير الأمر إلى ما تكرهون، وأما نحن فليس عندنا ما نخسره، والسابح في البحر لا يخشى المطر، فقد احتللت أرضنا، واعتديتم على أعراضنا وكرامتنا، وسفكتكم دماءنا، ونهبت أموالنا، وهدمت دورنا وشرّدتمونا، وعبثتم بأمننا، وسنعاملكم بالمثل.

لقد حاولتم أن تمنعونا الحياة الكريمة ولكن لن تستطيعوا أن تمنعونا من الموت الكريم، فالقعود عن الجهاد المتعين في ديننا إثم مخوف، وخير القتل عندنا ما كان تحت ظلال السيوف، ولا تغرّبكم قوتكم وأسلحتكم الحديثة، فهي تكسب بعض المعارك ولكنها تخسر الحرب، والصبر والثبات خير منها، والعبرة بالخواتيم.

ولقد صبرنا في قتال الاتحاد السوفياتي بأسلحة بسيطة عشر سنين، فاستنزفنا اقتصادهم فصاروا بفضل الله أثرًا بعد عين، ولكم في ذلك عبرة، ولنصبرن في قتالكم بإذن الله حتى يموت الأعجل منا ولن نفرّ من الكفاح حتى يفرّ السلاح.

أقسمت لا أموت إلا حرًّا...

وإن وجدت الموت طعمًا مرًّا...

أخاف أن أذلّ أو أغرأ...

(279) الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات الشيخ أسامة.

والسلام على من اتبع الهدى.



والله لن تسوى الدنيا بأسرها ظفراً من أظفاركم

فهرس المحتويات

| | |
|---|----|
| إهداء..... | 4 |
| تمنئة..... | 6 |
| مقدمة..... | 8 |
| تمهيد..... | 12 |
| المرحلة الأولى: حضور الشيخ أسامة رحمه الله إلى باكستان، ونشاطه قبل تأسيس القاعدة..... | 14 |
| الجهاد الأفغاني الفرصة الذهبية:..... | 16 |
| الفريضة الغائبة:..... | 18 |
| دخول الشيخ أسامة أفغانستان أول مرة:..... | 19 |
| فكرة تأسيس مكتب الخدمات:..... | 20 |
| تأسيس بيت الأنصار في بيشاور عام 1985م:..... | 25 |
| قرار الشيخ أسامة الإقامة في ساحة أفغانستان:..... | 28 |
| قصة مأسدة الأنصار:..... | 29 |
| الدروس المستفادة من معارك مأسدة الأنصار في جاجي:..... | 44 |
| - التدريب ومعسكرات التدريب:..... | 44 |
| - ما كل حق يُقال في كل وقت ولكل أحد:..... | 46 |
| - تتابع معسكرات التدريب:..... | 49 |
| بعض من نخبة مدرّبي القاعدة:..... | 54 |
| المرحلة الثانية: مرحلة تأسيس القاعدة حتى انتقال الجماعة إلى السودان..... | 56 |
| البداية الفعلية للقاعدة:..... | 57 |
| البيعات والعهود:..... | 58 |
| فكرة القاعدة:..... | 59 |
| لجان القاعدة الإدارية:..... | 60 |
| قصة أبو إبراهيم المصري:..... | 61 |
| معارك جلال أباد:..... | 62 |

| | |
|----|---|
| 70 | فتح مدينة خوست: |
| 71 | بداية وأسباب تحول المسار الفكري والمنهجي في تاريخ الصراع للشيخ أسامة رحمه الله: |
| 75 | مكاسب التيار الجهادي في أفغانستان: |
| 76 | سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً: |
| 78 | شبهات حول دعم أمريكا للجهاد والمجاهدين في أفغانستان: |
| 78 | دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني: |
| 79 | شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا وارتباطهم ب (CIA) خلال الجهاد الأفغاني: |
| 81 | المكر الدولي على الجهاد والمجاهدين: |
| 82 | سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً: |
| 82 | المقارنة الأولى من بلاد الشام: |
| 84 | المقارنة الثانية: أما كيف تكون الصورة في حالة الوحدة والاعتصام: |
| 85 | الخطة الدولية لمحاربة التيار الجهادي أو ما يسمى بمكافحة الإرهاب: |
| 86 | 1- تجفيف منابع المالية: |
| 86 | 2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر: |
| 87 | 3- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة: |
| 88 | 4- إلغاء الملاذات الآمنة: |
| 88 | 5- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي: |
| 88 | 6- التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب: |
| 88 | 7- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين وعزلهم: |
| 89 | أتواصوا به (تعليقاً على الخطة الدولية لمكافحة الإرهاب): |
| 91 | أحوال المجاهدين بعد تنفيذ توصيات ما يسمى بمكافحة الإرهاب: |
| 91 | 1-أوروبا والدول الغربية: |
| 91 | 2-بلاد أخرى: |
| 91 | 3-البوسنة والشيكان وغيرهما: |
| 92 | 4-السودان: |
| 93 | قصة الإقامة الجبرية للشيخ أسامة في بلاد الحرمين ومنعه من السفر ما بين عامي 1989 -1991م: |

| | |
|----------|---|
| 98..... | محاولة اغتيال الشيخ أسامة في بيشاور: |
| 99..... | 1996م: المرحلة الثالثة: مرحلة السودان وما تخللتها من أحداث حتى خروج الشيخ أسامة من السودان في مايو |
| 99..... | الأحوال في السودان بعد وصول حكومة البشير للسلطة: |
| 101..... | وصول الشيخ إلى السودان: |
| 106..... | محاولة اغتيال الشيخ أسامة في السودان: |
| 108..... | الأعمال التي قامت بها القاعدة انطلاقاً من السودان: |
| 108..... | 1-أحداث الصومال: |
| 125..... | 2-أحداث الجزائر: |
| 127..... | 3-حرب الفاكسات: |
| 131..... | 4-الأحداث في اليمن: |
| 137..... | 5-أحداث الشيشان: |
| 138..... | 6-عملية اغتيال مبارك في أديس أبابا بأثيوبيا في يونيو 1995م: |
| 140..... | خروج الشيخ أسامة من السودان وقصة جمال الفضل: |
| 146..... | عظات وعبر من قصة السودان، وقصة تسليم جمال الفضل نفسه لأمريكا: |
| 149..... | نصيحة الشيخ أسامة لحكومة البشير بعوامة قضية الجنوب: |
| 151..... | 1996 المرحلة الرابعة: مرحلة أفغانستان الثانية، وتبدأ من خروج الشيخ أسامة من السودان في 18 مايو 1996 حتى أحداث 9/11: |
| 151..... | على نفسها جنت براقش: |
| 152..... | الشيخ أسامة في ضيافة الشيخ يونس خالص: |
| 153..... | مجمع نجم الجهاد: |
| 157..... | الشيخ أسامة في جبال تورا بورا: |
| 158..... | التواجد الأمريكي في الجزيرة العربية حقيقته وأهدافه: |
| 159..... | فكرة قوات التدخل السريع وتطوراتها: |
| 160..... | نقطة التحول الرئيسية في تاريخ الصراع: |
| 162..... | البيان الأول: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب: |

| | |
|-----|---|
| 163 | حملة الشيخ أسامة التوعوية لما يدعو له: |
| 167 | خلاصة دعوة الشيخ أسامة رحمه الله: |
| 168 | التواصل مع الصحفيين ووسائل الإعلام: |
| 172 | محاولات أمريكا مع القادة الأفغان لتسليم الشيخ أسامة رحمه الله: |
| 174 | مقتل القادة ودخول الطالبان جلال أباد: |
| 176 | اللقاء الأول مع أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله: |
| 178 | سقوط كابل في أيدي الطالبان: |
| 179 | مغادرة جلال أباد إلى قندهار: |
| 181 | العظات والعبر من نصيحة الشيخ أسامة للإخوة بعدم إثارة الفوارق المذهبية: |
| 182 | التحرك إلى قندهار: |
| 183 | نبذة قصيرة عن كيفية نشوء حركة طالبان: |
| 185 | الدروس المستفادة من قصة أمير المؤمنين: |
| 187 | طالبان في عدة نقاط: |
| 193 | الوصول إلى قندهار: |
| 194 | قدوم الإخوة الجدد: |
| 195 | مشاركة القاعدة القتال مع الطالبان: |
| 196 | قصة إنشاء خط ثان للدفاع عن كابول: |
| 200 | هجوم طالبان وتأمين كابول: |
| 201 | محاولات النظام السعودي مع أمير المؤمنين لتسليم الشيخ أسامة: |
| 205 | تشكيل الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين في 23 فبراير 1998م: |
| 206 | فتوى شرعية: |
| 209 | موقف الجماعة الإسلامية المصرية من بيان الجبهة: |
| 212 | الحرب الجديدة [الحرب اللا متوازنة]: |
| 213 | طائرة بدون طيار: |
| 215 | عمليات نيروي ودار السلام: |

| | |
|-----|---|
| 225 | الخلاف بين الشيخ أسامة وأمير المؤمنين الملا عمر: |
| 227 | نص الفتوى التي أفتى بها الملوي عبد الله الذاكري، رئيس اتحاد علماء أفغانستان بشأن إخراج الشيخ أسامة بن لادن: |
| 229 | رد أمير المؤمنين على رسالة اتحاد علماء أفغانستان: |
| 230 | الدروس المستفادة من قضية تسليم الشيخ أسامة: |
| 232 | استهداف المدمرة الأمريكية يو أس أس كُول: |
| 238 | مؤسسة السحاب الإعلامية: |
| 239 | قصة منظمة الوفاء: |
| 242 | تدمير أصنام بوذا في ولاية باميان مارس 2001م: |
| 245 | إعلان الوحدة بين تنظيم القاعدة وجماعة الجهاد المصرية: |
| 246 | تعليق الشيخ أيمن الظواهري على اللبس الذي حدث في مشروع الوحدة: |
| 248 | عملية اغتيال أحمد شاه مسعود: |
| 252 | فشل التجمع الجهادي العالمي في فرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة: |
| 253 | سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً: |
| 254 | المرحلة الخامسة: الحدث الذي غير وجه التاريخ؛ غزوات الحادي عشر من سبتمبر المباركة: |
| 254 | الهدوء الذي يسبق العاصفة: |
| 257 | إذن أمير المؤمنين الملا عمر رحمه الله: |
| 259 | غزوات الحادي عشر من سبتمبر، هل يفهم التمساح حواراً بغير سلاح؟: |
| 259 | لماذا يكرهوننا؟ |
| 266 | أفلحت الوجوه: |
| 269 | عصايتين بعدهما شرطة، كحكاية منها عصاية مدّلاية، يعني أيه؟: |
| 283 | نتائج التحقيقات الأمريكية حول العمليات: |
| 284 | رسائل أحداث الحادي عشر من سبتمبر: |
| 286 | آثار وتداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أمريكا: |
| 287 | تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر على الأمة الإسلامية: |
| 288 | شبهات حول أحداث الحادي عشر من سبتمبر: |

- 303 دروسٌ عملية من دروس التوحيد:
- 317 حجر الأساس لبداية نهاية الإمبراطورية الأمريكية:
- 320 **مفارقات عجيبة:**
- 324 من أقوالهم عن مفاوضات الدوحة: هذا هو الدرس يا عرب!
- 326 هل هي ضرب من الجنون؟:
- 330 **ملحمة تورا بورا:**
- 340 معادن الرجال:
- 342 **ملحمة قلعة جنكي:**
- 353 **عمليات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر:**
- 354 عملية الحذاء المفخخ في الطائرة الأمريكية في 2001/12/22م:
- 356 عملية جربة في تونس 11 أبريل 2002م:
- 356 ضرب ناقلة النفط الفرنسية العملاقة (المبورج) في المكلا باليمن في 2002/10/6م:
- 361 عملية على الجنود المارينز في جزيرة فيلكا بالكويت 8 أكتوبر 2002:
- 363 تدمير الملهى الليلي في بالي بأندونيسيا في 2002/10/12م:
- 23 ضربات اليهود في شرق افريقيا؛ إطلاق صاروخين على طائرة إسرائيلية وتدمير فندق إسرائيلي في
- 366 رمضان 1422هـ الموافق 2002/11/28م:
- 375 **الحرب الفكرية:**
- 380 عندما تُذبح الحقيقة، ويُزور التاريخ:
- رسالة الشيخ أحمد حسن أبو الخير المصري رحمه الله، للشيخ أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) حفظه
- 381 الله:
- 400 **رسالة القاعدة:**
- 402 لماذا نقاتل أمريكا؟:
- 411 ما هو السبيل إذن؟:
- 417 الخيار الصحيح في أسلوب المواجهة:
- 423 إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيم أقامك؟:
- 426 ما هو منهج القاعدة؟:

- 428..... إنَّ في حركة طالبان لعبرةً لأولي الأفهام:
- 441..... مسك الختام:**
- 441..... رثاء أمير المؤمنين المَلّا عمر رحمه الله:
- خطاب من المشايخ الفضلاء حمود بن عقلاء الشيعي وعلي الخضير وسليمان العلوان، لأمير المؤمنين الملا
 443..... مُجّد عمر والمجاهدين معه نصرهم الله:
- 451..... استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله:
- 458..... جوانب من زهد الشيخ أسامة رحمه الله:
- 467..... سيرة القائدين أبي عبيدة البنشيري وأبي حفص الكمندان رحمهما الله:
- 467..... أبو عبيدة البنشيري:
- 468..... علاقته بالشيخ أسامة بن لادن:
- 469..... زهد الشيخ أبي عبيدة وأهله:
- 469..... غرقه في بحيرة فكتوريا:
- 471..... الشيخ أبو حفص المصري (الكمندان) رحمه الله:
- 475..... الشيخ أبو محمّد المصري (عبد الله أحمد عبد الله الألفي) تقبله الله:
- وخير ما نختم به هذه الصفحات المختصرة من تاريخ القاعدة، كلمات مباركات للشيخ أسامة بن لادن
 478..... رحمه الله، خصّ بها إخوانه المجاهدين قائلاً لهم:

